

- ٢٩٩ (تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام)
 ٣٣١ فصل في الكلام على هذا الحديث (أى قوله صلى الله عليه وسلم لما أغرق الله فرعون قال آمنت
 الخ) لانه في الظاهر مشكل
 فصل في وجه اشكال الحديث المذكور
 ٣٣٨ ﴿تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام﴾
 ٣٤٩ فصل في الرد على من استدل بقوله تعالى ولا أقول انى ملك على تفضيل الملائكة على الانبياء
 عليهم الصلاة والسلام
 ٣٥٦ فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا بقوله تعالى انه عمل
 بهير صالح الخ

﴿تمت﴾

﴿ فهرست الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة

- ٢ ﴿ تفسير سورة الانعام ﴾
 ٢٩ ذكر قصة مولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ودعائه قومه وما وقع بينه وبين عمرو
 ٣٤ فصل احتج العلماء بقوله تعالى فبهذا هم اقتده على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام
 ٤٣ فصل يتعلق بقوله تعالى لا تدركه الابصار
 ٥١ فصل اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذ لم يذكر اسم الله عليها
 ٦٧ فصل في احتجاج القدرية والمعتزلة بقوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا
 ولا آباءنا الخ
 ٧٦ ﴿ تفسير سورة الاعراف ﴾
 ٨٤ فصل في الاستدلال على صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عنه
 ١٠٩ ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق الخ
 ١١٤ ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق الخ
 ١٢٥ فصل في بيان المعجزة وكونها دليل على صدق الرسل
 ١٣٥ فصل في احتجاج من نفي الرؤية بظاهر قوله تعالى ان تراني والرد عليهم في ذلك
 ١٤٧ شرح غريب ألفاظ الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة
 ١٦٢ ذكر أسماء الله الحسنى
 ١٧١ فصل في احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
 ١٧٤ ﴿ تفسير سورة الانفال ﴾
 ١٨٥ فصل في حكم الفرار عند الزحف
 ٢١٠ فصل في استدلال من يقدح في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
 ٢١٣ ﴿ تفسير سورة التوبة ﴾
 فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة
 ٢١٦ فصل قديتهم متوهم ان في بعث علي بن أبي طالب بقراءة أول براءة عزل أبي بكر عن الامار
 وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل الخ
 ٢٣٠ فصل في بيان أحكام قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
 ٢٤٠ ذكر سياق حديث الهجرة
 ٢٤٤ فصل في الوجوه المستنبطة من قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه الخ الدلالة على فضل سيدي
 أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
 ٢٤٦ فصل استدلال بقوله تعالى عفا الله عنك الخ من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام والجواب عن ذلك
 ٢٥١ فصل في بيان حكم قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الخ وفيه مسائل
 ٢٦٨ فصل قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي بن ساول المنافي صورة
 اختلاف في الروايات الخ

السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم (وقل للذين لا يؤمنون
اعمالوا على مكاتكم) فيه وعيد وتهديد يعنى اعمالوا ما اتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعمالوا
ما شئتم (انا عاملون) يعنى ما امرنا به ربنا (واتظروا) يعنى ما يعدكم به الشيطان (انا منتظرون) يعنى
ما يحل بكم من نعمة الله وعذابه اما فى الدنيا واما فى الآخرة (ولله غيب السموات والارض) يعنى يعلم ما غاب
عن العباد فهم ما يعنى ان علمه سبحانه وتعالى نافذ فى جميع الاشياء خفيا وجليا وحاضرا ومعدوما لا يخفى
عليه شئ فى الارض ولا فى السماء (واليه يرجع الامر كله) يعنى الى الله يرجع امر الخلق كلهم

فى الدنيا والآخرة (فاعبده) يعنى ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده

ولا تستغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) يعنى وثق به فى جميع أمورك فانه يكفيك (وما

ربك بغافل عما تعملون) قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه

وسلم وجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى

يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها شئ فيجزى

المحسن باحسانه والمسيء باساءته قال

كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة

سورة هود والله أعلم

بمراده وامرار

كتابه

﴿تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله سورة يوسف﴾

تثبت فؤاده زيادة يقينه
لان تكاثر الادلة أثبت
للقلب (وقل للذين
لا يؤمنون) من أهل مكة
وغيرهم (اعملوا على
مكاتكم) على حالكم
وجهتكم التى اتم عليها
(انا عاملون) على مكاتنا
(واتظروا) بنا للدوائر
(انا منتظرون) أن ينزل
بكم نحو ما اقتص الله تعالى
من النعم النازلة باشباهكم
(ولله غيب السموات
والارض) لا تخفى عليه
خافية مما يجرى فيهما فلا
تخفى عليه أعمالكم (واليه
يرجع الامر كله) فلا بد
أن يرجع اليه أمرهم
وأمرك فينتقم لك منهم
يرجع نافع وحفص
(فاعبده وتوكل عليه) فانه
كافيك وكافلك (وما ربك
بغافل عما يعملون) وبالتناء
مدنى وشامى وحفص أى
أنت وهم على تغليب
المخاطب قبل خاتمة التوراة
هذه الآية وفى الحديث
من أحب أن يكون اقوى
الناس فليتوكل على الله
تعالى

ينهم لا يضمنون الى
شركهم فسادا آخر (ولو
شاعر بك لجعل الناس
أمة واحدة) أى متفقين
على الايمان والطاعات
عن اختيار ولكن لم يشأ
ذلك وقال المعتزلة هي مشيئة
قسر وذلك رافع للابتلاء
فلا يجوز (ولا يزالون
مختلفين) فى الكفر
والايمان أى ولكن شاء
ان يكونوا مختلفين لماعلم
منهم اختيار ذلك (الامن
رحم ربك) الاناس اعصمهم
الله عن الاختلاف
فاتفقوا على دين الحق غير
مختلفين فيه (ولذلك
خلقهم) أى ولما هم عليه
من الاختلاف فعندنا
خاقهم الذى علم انهم
يصيرون اليه من اختلاف
أو اتفاق ولم يخلقهم لغير
الذى علم انهم يصيرون اليه
كذا فى شرح التأويلات
(وتمت كلمة ربك) وهى
قوله للملائكة (الأملاءن
جهنم من الجنة والناس
أجمعين) لعلمه بكثرة من
يختار الباطل (وكلا)
التنوين فيه عوض من
المضاف اليه كانه قيل وكل
نبأ وهو منصوب بقوله
(نقص عليك) وقوله
(من أنباء الرسل) بيان
لكل وقوله (ما ثبت به
فؤادك) بدل من كلا
(وجاءك فى هذه الحق)

السينات وقيل فى معنى الآية وما كان ر بك ليهلك القرى بمجر دشركهم اذا كانوا مصلحين يعنى بعامل
بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال فى الدنيا أما عذاب الآخرة فهو لازم لهم
ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التضيق
والتشديد قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى كلهم على دين واحد وشريعة
واحدة (ولا يزالون مختلفين) يعنى على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل
أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا فى دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضب عن أبى هريرة رضى الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وأثنى عشر فرقة وسبعين والنصارى
مثل ذلك وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام فىنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على اثنتى عشر فرقة وان
هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة أخرجه
أبو داود وقال الخطابى قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة
والدين اذ جعلهم من أمتهم وقال غيره المراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا
بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة
السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وقوله سبحانه وتعالى (الامن رحم
ربك) يعنى لکن من رحم ربك فمن عابى بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراف
المستقيم فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء وللأختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن
أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة
والضحاك وللرحمة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق أهل الاختلاف
للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة وللأختلاف وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق
الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فاصول الآية ان الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين
وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة
وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى (وتمت
كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة
وللرحمة فهداهم ووقفهم لعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذ لهم ومنهم من اهداه به قوله
سبحانه وتعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه
السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم -م خاطب نبيه صلى الله عليه
وسلم بقوله وكلا نقص عليك ما يرحمك وتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبى
صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى
من قومهم وأمكنه الصبر عليه (وجاءك) يا محمد (فى هذه الحق) اختلفوا فى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل
معناه وجاءك فى هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للنبى كرحتى يعود الضمير اليها وقيل فى هذه الآية
وقيل فى هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين فان قلت قد جاء الحق فى سور القرآن فلم خص هذه
السورة بالذ كرفت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذ كران لا يكون قد جاءه الحق فى غيرها من السور
بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذ كرتشريفها لها (وموعظة وذ كرى للمؤمنين) أى وهذه

(ان الحسنات يذهبن السيئات) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينهن من الذنوب والطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها واسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (ذلك) اشارة الى فاستقم فابعده أو القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة لامة عظيم نزلت في عمرو بن غزيرة الانصاري بائع النمر قال لامرأة في البيت تمر اجدود فدخلت فقبلها فندم فجاهه حاكبا كما فزت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك فقل له خاصة قال بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والالتفاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) (٣٧٥)

الادامر والنواهي من قوله فاستقم الى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فهلا كان وهو موضوع للتخصيص ومخصوص بالفعل (أولو بقية) أو لفضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثالا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (ينبون عن الفساد في الارض) محب محمد عليه السلام وأمه ان لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلا كههم في هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينبون عن الكفر والمعاصي (الافليان من انجينا منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا من انجينا من القرون

واحدتها زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زادني رواية ما لم تغش الكبائر وزادني رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر (ق) عن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت لو أن نهر ابياب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرر قال العلماء الصغار من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط الشرط الاول الافلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صححت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والقول الاول أصح أنها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجهه والمفسرين (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعني عظة لامة عظيم نزلت في عمرو بن غزيرة الانصاري بائع النمر قال لامرأة في البيت تمر اجدود فدخلت فقبلها فندم فجاهه حاكبا كما فزت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك فقل له خاصة قال بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والالتفاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أعمالهم قال ابن عباس يعني المصائب قوله سبحان الله تعالى (فلولا كان من القرون) يعني فهلا كان من القرون التي أهل كآهم (من قبلكم) يعني يا أمة محمد (أولو بقية) يعني أولو تميز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة (ينبون عن انفساد في الارض) يعني يقومون بانتهى عن الفساد في الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض فذلك أهل كآهم (الافليان) هذا استثناء منقطع معناه لکن قليلا (عن انجينا منهم) يعني من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينبون عن الفساد في الارض (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) يعني واتبع الذين ظلموا وانفسهم بالكفر والمعاصي ما تنعموا فيه والترفع والتنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وابتاعوا اللذات على الآخرة ونعيمها (وكانوا مجرمين) يعني كافرين (وما كان ربك يهدي الكافرين) يعني كافرين (وما كان ربك يهدي الكافرين) يعني لا يهديهم بل يضلهم (وأهلها مصاحون) يعني في أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم

نحو ان الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في من انجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهين وحدهم يدل قوله انجينا الذين ينبون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (واتبع الذين ظلموا) أي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمرة رأى الافليان انجينا منهم فهو عن الفساد واتبع الذين ظلموا وشهواتهم فهو عطف على نهوا (ما أترفوا فيه) أي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفع من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء وورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبتوه وراء ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون (وما كان ربك يهدي الكافرين) (اللام لتأكيد النفي) (بظلم) حال من الفاعل أي لا يصح أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصاحون) تزيم الذناب عن الظلم وقيل الظلم الشرك أي لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في العائلات فيما

(ولا تركنوا الى الدين ظالموا) ولا تملوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لانباع الكفرة اى لانتركوا والى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسك النار) وقيل (٣٧٤) الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموقف انه صلى

خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا اقراء الزائر للملوك وعن الاوزاعي ما من شئ ابغض الى الله من عالم زور عامل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا ظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه واقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت قال دعاه يموت (ومالك من دون الله من اولياء) حال من قوله فتمسككم النار اى فتمسك النار واتم على هذه الحالة ومعناه ومالك من دون الله من اولياء يقدر على منعكم من تذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لانصرون) ثم لا ينصركم هولاء انه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد اى النصره من الله مستبعدة (واقم الصلوة طرفي النهار) غدوة وعشية

هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فان يغالب وان يقاوى فسد و اى اقصه والساد من الامور وهو الصواب وقار بواى اطلبوا المقاربة وهى القصد الذى لا غلوفيه ولا تقصير والغدوة والراح بكرة والراح الرجوع عشيا والمراد منه اعمالوا طرفي النهار وقتا وقتا والدجة سير الليل والمراد منه اعمالوا بالنهار واعملوا بالليل ايضا وقوله شئ من الدجة اشارة الى ثقيله ﴿ وقوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قال ابن عباس ولا تملوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو العالية لا تزوا باعمالهم وقال السدى لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا (فتمسك النار) يعنى فتصيبكم النار بجرها (ومالك من دون الله من اولياء) يعنى اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه (ثم لانصرون) يعنى ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة فغيبه وعيد ان ركن الى الظلمة ارضى باعمالهم أو احبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم ﴿ قوله عز وجل (واقم الصلوة طرفي النهار) سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذى عن ابي اليسر قال اتتني امرأة بنتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فايتت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احد فلم اصبر فاتيته عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احد فلم اصبر فاتيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى الله اليه واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى لئلا تكونين قال ابو اليسر فاتيته فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحبه يا رسول الله اهلنا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فترأت واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله اى هذه الآية قال لمن عمل بها من أمتي وفي رواية فقال رجل من القوم يابني الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم لم رجل فقال يا رسول الله رأيت رجلا اتى امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى لئلا تكونين فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلى قال معاذ فقلت يا رسول الله اى له خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بمتصل لان عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ أما التفسير فقوله سبحانه وتعالى واقم الصلوة طرفي النهار يعنى صلاة الغداة والعشى وقال مجاهد طرفي النهار يعنى صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب طرفي النهار يعنى صلاة الغداة والعشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشى يعنى صلاة الصبح والمغرب قال الامام نضر الدين الرازى كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر ان الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الاوّل هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لانها داخل تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر (وزلفا من الليل) يعنى واقم الصلاة في زلفا من الليل وهى ساعته

(وزلفا من الليل) وساعات من الليل جمع زلفه وهى ساعته القر بيمه من آخر النهار من أزلفه اذا قر به وصلاة الغدوة واحدها الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء واتصاف طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك أمت عندك جميع النهار وأتيت نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه

صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيد لهم ﷺ قال (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آباؤهم وقد بلغك منازل باآبائهم فسيتران بهم مثله وهو استئناف معناه لتعليل النهي عن المرية وما في مما وكما مصدرية او موصولة أي من عبادتهم وعبادتهم او ما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها (وانالموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباؤهم انصباؤهم (غير منقوص) حال من نصيبهم أي كاملا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه لا يعاجلهم بالعذاب (لتضى بينهم) بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستأصل (وانهم لفي شك منه) من القرآن او من العذاب (٣٧٣) (مرتب) من أرب الرجل اذا كان

ذارية على الاسناد المجازي (وان كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم أي وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصري وعلى ما مر بدة جىء بهاليفصل بها بين لام ان ولام (ايوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام فى الماوطنة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) أى جزء أعمالهم من ايمان وحقود وحسن وقبيح بعكس الاولى ابو بكر مخففان مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصها الذى هو التثقيل ولان أن تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل فيه انه من لمت

يا حمد فى هذه الاصنام التى يعبدها هؤلاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعنى أنه ليس لهم فى عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباؤهم يعبدونها فعبدوهم واهلهم (وانالموفوهم نصيبهم غير منقوص) يعنى وانما عبادتهم هذه الاصنام تزقهم الرزق الذى قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم فى الآخرة كاملا موفرا غير ناقص ﷺ قوله عز وجل (واقداً آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) يعنى فى الكتاب ففهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا حمد بالقرآن فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى (اقضى بينهم) يعنى لعذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفي شك منه) يعنى من القرآن ونزوله عليك يا حمد (مرتب) يعنى انهم قد وقعوا فى الريب والتهمة (وان كلا) يعنى من الفرقين المختلفين المصدق والمكذب (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم فى القيامة فيجازى المصدق على تصدقه الجنة ويجازى المكذب على تكذبه النار (انه بما يعه لون خبير) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت فيه وعدة للحسنين المصدقين وفيه وعيد ونهيد للمكذبين الكافر بن ﷺ قوله سبحانه وتعالى (فاستقم كما أمرت) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا حمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرت بك والامر فى الاستقامة للتأكد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليه فهو كقولك للقاء قم حتى آتيك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك (ومن تاب معك) يعنى ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ منه وغان الثعلب (م) عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قول لا أسأل عنه أحد ابعديك قال قل آمنت بالله ثم استقم (ولا تظفوا) يعنى ولا تجاوزوا أمرى الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا فى الدين فتجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه (انه بما تعملون بصير) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بما عملتم السكم لا يخفى عليه شئ منها قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتهنى هودواخوانها (خ) عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر وان يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل فى الدين وترك التشدد فان

الشيء جعلتهما ثم وقف فصار لما ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وجزأ أن يكون مثل الدعوى والثرى وما فيه ألف التأنيث من المصادر ورقأ الزهرى وان كلاما بالتثوين كقوله أكلما هو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان كلاما لمومين أى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصارا كأنه قيل وان كلاما لماعنوا اليوفينهم ربك أعمالهم وقال السكسائى ليس لى بتشديد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستترى استقم وجزأ للفاصل يعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا (ولا تظفوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (انه بما تعملون بصير) فهو مجاز يكفائقوه قيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتهنى هود

متعد (في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه وأمعناه الامن شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستثناء في الآيتين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في هذا الباب وكفي بهائمنا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه يمتد الى غير نهاية كقوله لم أجز غير ممنون وهو نصب على المصدر أى أعطوا عطاء قيل كفرت الجنة بما باربع آيات عطاء غير مجذوذ كما هادهم وما عند الله باق لا تقطوعه ولا معة لما نص الله قصص عبدة الاوثان وذكروا ما حل بهم من تقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلانك في مرية بما يعبد هؤلاء) أى

يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من الاشقياء وبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قومًا من النار بالشفاعفة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسًا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سقم فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجنة في رواية ليصين أقواما سقم من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ورحمته فيقال لهم الجنة نعيمون (خ) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجنة نعيمين وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم الجنة (ان ربك فعال لما يريد) وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) أن يدخله النار أولًا ثم يخرجهم منها فيدخله الجنة فاصل هذا القول ان الاستثناء ين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء أصابوا ذنوبًا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبدًا وقيل ان الاستثناء ين برجه ان الى الفر يقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعبيرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الاماشاء ربك سوى ماشاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على ألف الألفين أى سوى ألفين وقيل الابعنى الواو يعنى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله تمجد وتعالى لتلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أى ولالذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لا يخرجهم منها ولكن لم يشأ لأنه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناء الله ولا يفعله كقوله والله لا ضرر بك الا أن ترى غير ذلك وعزمه أن يضرب به فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفر يقين والصحيح هو القول الاول وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخرج من النار وادخلهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفر يقين فاما على التفصيل فقوله الاماشاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريه ان بقيد حصول الزفير والشهيق مع خلوده اذ ادخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الاماشاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء معناه لاماشاء ربك من أن يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء معناه الاماشاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار وبدل على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامة مجتمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالدين فيها وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء (عطاء غير مجذوذ) يعنى غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال لياتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبتون فيها أحقابا وعن أبي هريرة نحوه وهذا ان مسح عن ابن مسعود وأبي هريرة فحمل عند أهل السنة على اخلاء ما كن المؤمنين الذين استحقوا النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها أو يكون مجموعا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (فلانك في مرية بما يعبد هؤلاء) يعنى فلانك في شك

(يوم يأت) وبالياء مكى واقفه أبو عمر ونافع وعلى في الوصل وأثبت الياء هو الأصل إذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثيرة في لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع إلى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف إلى يأت ويوم منصوب باذكر أو بقوله (لا إنكم) أي لا تتكلم (نفس الإبازنه) أي لا يشفع أحد الإبازن الله من ذا (٣٧١) الذي يشفع عنده الإبازنه

(فمنهم) الضمير لاهل
الموقف للدلالة لا تتكلم نفس
عليه وقد مر ذكر الناس في
قوله بمجموع له الناس (شقي)
معذب (وسعيد) أي ومنهم
سعيد أي ممن (فاما الذين
شدة وفي النار لهم فيها
زفير) هو أول نهيق الحمار
(وشهيق) هو آخره وأهما
إخراج النفس وردد وبالجملة
في موضع الحال والعامل فيها
الاستقرار الذي في النار
(خالدين فيها) حال مقدره
(ما دامت السموات
والارض) في موضع نصب
أي مدة داوم السموات
والارض والمراد سموات
الآخرة وأرضها وهي دائمة
مخلوقة لا ابد والدليل على
أن لها سموات وأرضاً قوله
يوم تبديل الارض غير
الارض والسموات وقيل
مادام فوق وتحت ولانه لا ابد
لاهل الآخرة مما يقلمهم
ويظلمهم اما سماء أو عرش وكل
ما أظلك فهو سماء أو هو
عبارة عن التأيد ونفي
الانقطاع كقول العرب
ملاح كوكب وغير ذلك
من كلمات التأيد (الاما
شاء ربك) هو استثناء
من الخلود في عذاب النار

لا يعلمه أحد الا الله تعالى (يوم يأت) يعني ذلك اليوم (لا تتكلم نفس الإبازنه) قيل ان جميع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الإبازن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبار عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار أيضاً تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيامة طويل وله أحوال مختلفة وفيه أهوال عظيمة ففي بعض الأحوال لا يقدر على الكلام لشدة الأهوال وفي بعض الأحوال يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الأهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله لا إنكم نفس الإبازنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس شيئاً إلا أن يأذن الله لها في الشفاعة (فمنهم) يعني من أهل الموقف (شقي وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الأمور الإلهية للإنسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره طأم السعادة على ضرب بين سعادة دنيوية وسعادة أخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضرب بين أيضاً شقاوة دنيوية وشقاوة أخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الأزل والسعيد من سبقت له السعادة في الأزل (ق) عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه محضرة فنكس وجعل ينكت بمحضرة ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقده من الجنة ومقده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أمان كان من أهل السعادة فسيصير عمل أهل الجنة في الآخرة من سبقت له السعادة في الآخرة من سبقت له الشقاوة فسيصير عمل أهل الشقاوة ثم قرأ ما من من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية بقيع الغرقده مقبرة أهل المدينة المشريفة ومدفنهم والمحصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يسكه ييده الإنسان والنكت بالنون والتاء لمثناة من فوق ضرب الشيء بتلك المحصورة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لانهما ظاهراً الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه ومن استوت حسنة وسياتة وهم أصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنة لهم ولا سيئات فيؤلأ مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكري لا يدل على نفي القسم الثالث (فاما الذين شقوا في النار لهم فيها) أي في النار من العذاب والهوان (زفير وشهيق) أصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس إلى الصدر والزفير مده وإخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره أذارداه إلى صدره وقال أبو العالية الزفير في الخلق والشهيق في الجوف (خالدين فيها) يعني لا يبين مقيمين في النار (مادامت السموات والارض) قال الضحاك يعني مادامت سموات الجنة والنار وأرضها وما لا بد لاهل الجنة وأهل النار من سماء نظكهم وأرض تقلمهم فكل ما علك فاطلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيتك مادامت السموات والارض واختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأيد وقوله سبحانه وتعالى (الاما شاء ربك) اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناءين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الأول المذكور في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخل النار بذنوب اقترفوها ثم

وذلك لان أهل النار لا يتخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب اناراً وما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجنة ميمون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضاً فارقهم إياها يكونهم في النار أياماً فهو لآلم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأيد ولا سعد وسعادة من لآتمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقناة رضي الله عنهم

الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه انبعاثه بالواردة ثم قال بسس الورد المورود الذي يردونه النار لان الورد انما يرد لتسكين العطش والنار ضده
(وأتبعوا في هذه) أي الدنيا (اعتقوا يوم القيامة) أي يعنون في الدنيا وبلغون في الآخرة (بسس الورد المرفود) رفدهم أي بسس العون
المعان و بسس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى
المهلكة مقصود عليك (منها) من القرى (قائم وحصيد) أي بعض ما باق وبعضها عاق الاثر كزرع القائم على ساقه والذي حصد والجملة
مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظلمناهم) باهلا كنا اياهم (ولكن ظنموا أنفسهم) بار تكاب ما به أهل كوا (فما أغنت عنهم آلتهم)
فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية (من دون الله من

(٣٧٠)

شيء لما جاء أمر ربك)

وأتبعوا فاوردهم النار وبس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل
الفضاعة (وأتبعوا في هذه) يعني في هذه الدنيا (لعنة) يعني طرد او بعدا عن الرحمة (وبوم القيامة) يعني
وأتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا (بسس الورد المرفود) يعني بسس العون
المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفل للعنة في الآخرة وقيل معناه بسس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم
لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (ذلك من أنباء القرى) يعني من أخبار أهل القرى
وهم الامم السالفة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك أخبارهم لعلمهم يعتبرون
بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب (منها) يعني من القرى التي أهلكتنا أهلها
(قائم وحصيد) يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقف ومنها ما قد محى أثره
بالكافية شبهها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد بمعنى المحصود
(وما ظلمناهم) يعني بالعذاب والاهلاك (واكن ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي (فما أغنت عنهم
آلتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) يعني بعذابهم أي لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع
عنهم العذاب (وما زادوهم غير تنبيب) يعني غير تخسير وقيل غير تدبير (وكذلك أخذ ربك) يعني وهكذا
أخذ ربك (إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الضمير في وهي عائدة على القرى والمراد أهلها (ان أخذة أليم شديد)
(ق) عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليبي للظالم حتى إذا أخذ لم يفلته ثم
قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذة أليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان
من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة وورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لا
يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مخنص بظالمى الامم الماضية بل
هو عام في كل ظالم وبعضه الحديث والله أعلم قوله عز وجل (ان في ذلك لآية) يعني ما ذكر من عذاب الامم
الخالية واعلا كهم لبرة وموعظة (ان خاف عذاب الآخرة) يعني ان اهلاك أولئك عبرة يعتبر بها
وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله باؤاتك الكفار في
الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالأنموذج مما أعد لهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه
وخشيته من الله (ذلك يوم مجموع له الناس) يعني يوم القيامة تجتمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين
لالحساب والوقوف بين يدي رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعني يشهده أهل السماء وأهل الارض (وما
نؤخره الا لاجل معدود) يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت

عذابه ولما منصوب بما
أغنت (وما زادوهم غير
تنبيب) نخسير يقال
تب اذا خسرت به غيره
أوقعه في الخسران يعني
وما فادتهم عبادة غير الله
شيأ بل أهلكتهم (وكذلك)
محل الكاف الرفع أي ومثل
ذلك الاخذ (أخذ ربك
إذا أخذ القرى) أي
أهلها (وهي ظالمة) حال
من القرى (ان أخذة أليم
شديد) مؤلم شديد صعب
على المأخوذ وهو التحذير
لكل قرية ظالمة من كفار
مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن
يبادر التوبة ولا يغتر بالامهل
(ان في ذلك) فيما قص الله
من قصص الامم المهالكة
(لآية) لبرة (ان خاف
عذاب الآخرة) أي اعتقد
صحته ووجوده (ذلك)
اشارة الى يوم القيامة لان
عذاب الآخرة دل عليه

لا

(يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كباير فعه له اذا قلت يجمع له الناس وانما

أثر اسم المفعول على فعله ما في اسم المفعول من دلالاته على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه أثبت أيضا اسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون
منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أي مشهود فيه فانسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به أي يشهده فيه
الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد (وما نؤخره) أي اليوم المذكور الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهائها والانداء هو للمدة
لاغايتها ومنتهائها فعنى قوله وما نؤخره (الاجل معدود) الا لانه مدة معدودة بحذف المضاف أو ما نؤخر هذا اليوم الا لتنتهي المدة
التي خسر بناها لبقاه الدنيا

من يأتيه عذاب يخز به ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أيًا يأتيه عذاب يخز به أي يفضحه وأيناهو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخز به والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعهما وصل تقديرى بالاستئناس الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والائتان بالوجهين للفتن في البلاغة وأبلغهما الاستئناس (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما قولكم (اني معكم رقيب) منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضرب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشرة وبمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاحبهم جبريل صيحة فهل كسوا أو أعماذ كرفي آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة نود ولو ط فاما جاء لانهم ما وقع ابعده ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فخى بالفاء الذي (٣٦٩) هو للتسبب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد

كان كيت وكيت وأما الاخران فقد سد وقتنا مبتدأ تين فكان حقهما أن تعطف بحرف الجمع على ما قبلها كما تعطف قصة على قصة (فاصبحوا في ديارهم جائعين) الجائم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كان لم يغنوا فيها) كان لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين (الأبعد المدين) لبعده عن البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشدا الأتري الى قوله (كما بعدت نود) وقرئ كما بعدت والمعنى في البناء بين واحد ونقيض القرب الا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء

العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناس وهو باب من أبواب علم البيان تتكازر محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخز به) يعني بسبب عمله السيء وأين الشقي الذي يأتيه عذاب يخز به (ومن هو كاذب) يعني فيما يدعيه (وارتقبوا) يعني وانتظروا العاقبة وما يؤل اليه أمرى وأمركم (اني معكم رقيب) أي منتظر والرقيب بمعنى المراقب (ولما جاء أمرنا) يعني بعذابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعني بفضل منابن هديناهم للإيمان ووقفناهم للطاعة (وأخذت الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس (الصيحة) وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أنهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا (فاصبحوا في ديارهم جائعين) يعني ميتين وهو استعازة من قولهم جثم الطير اذا قعد واطأ بالأرض (كان لم يغنوا فيها) يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (الابعدا) يعني هلاكا (المدين كما بعدت نود) قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعد ذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم ﴿ قوله عز وجل (واقدرنا سمنا موسى بآياتنا) يعني بحججنا والبراهين التي أعطيناها للدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) يعني ومجززة باهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحججة سلطانا لأن صاحب الحججة يقهر من لا حججة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحججة وسمى السلطان سلطانا لأنه حججة الله في الارض (الى فرعون ومثله) يعني أتباعه وأشرف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى (ومأمر فرعون برشيد) يعني وما طر يق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حيد العاقبة ولا يدعوا الى خير (يقدم قومه يوم القيامة فارردهم النار) يعني كما تقدم قومه فاخذهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم في النار (وبس الورود المورود) يعني وبس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون

(٤٧ - (خازن) - ثاني) كافر قوا بين ضماني الحبر والشمر فقالوا وعدوا وعدا (واقدرنا سمنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا التي أبهرها (الى فرعون ومثله فاتبعوا) أي الملا (أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر باظلم والشمر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله بعزل عن الألوهية وفيه أنهم عابوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشدا والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشدا قط أو المراد وما أمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أي يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضا أي كيف يرشدا من هذه عاقبته والرشدا يستعمل في كل ما محمود ويرضى كما استعمل اني في كل ما يمدم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فارردهم النار) ادخلهم وجي بلفظ الماضي لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لاحاله يعني كما كان قدوتهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبس الورود) المورود الذي وردوه وشبه بالفارط

الهلاك وهو الكفر والسادى وسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكور والمؤثر لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والتهيق ونحوهما (واستغفروا بكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم) يغفر لاهل الجفاه من المؤمنين (ودود يجب) أهل الوفاء من الصالحين (قالوا) يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول (أى لانفهم صحة ما تقول والافكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء) وانا انراك فينا ضعيفا (لاقوة لك ولاعزف فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع) (٣٣٨) من ان أردنا بك مكرها (ولولا رهطك لرجناك) (ولو عشيرتك لقتلناك بالرجم

وهو شرف قلة وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك أظهروا الميسل اليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزير) أى لاتعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل وزرفك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ابناء ضميره حرف النبي على أن الكلام واقع في الفاعل لافى الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزير بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) (ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وانخذتموه ورائكم ظهر يا) ونسيتموه وجعلتموه كالشيئ المنبوذ وراء الظهر لا يعاب به والظهرى منسوب

بهملا كهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط و بلادهم قريبة من بلادهم (واستغفروا بكم) يعنى من عبادة الاصنام (ثم توبوا اليه) يعنى من البغض والنقصان فى الكيل والوزن (ان ربي رحيم) يعنى بعباده اذ انا توبوا واستغفروا (ودود) قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون وود فعل بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحلبي هو الواد لا هل طاعته أى الراضى عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال أبو سليمان الخطابي وقد يكون معناه من تودد الى خلقه (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) يعنى ما نفهم ما تدعوننا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لاتي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون ويفهمون (وانا انراك فينا ضعيفا) قال ابن عباس وقتادة كان أعمى قال الزجاج ويقال ان جبر كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وأبوروق ومقاتل يعنى ذليل الا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف الجحيز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعنى جماعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (لرجناك) يعنى اقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتمنناك وأغلظناك القول (وما أنت علينا بعزير) يعنى بكرىم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله أنهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له فى صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) يعنى أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى أن تحفظونى فى الله ولاجل الله لارهطى لان الله أعز وأعظم (وانخذتموه ورائكم ظهر يا) يعنى ونبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشيئ الملقى الذى لا يلتفت اليه (ان ربي بما تعملون محيط) يعنى أنه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شئ فيجازيكم بها يوم القيامة (ويا قوم اعملوا على مكاتكم) يعنى على تودتكم وتكسبكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بعناية المكنة والقدرة من الشر (انى عامل) يعنى ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر فى قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) أينا الجانى على نفسه الخطيئ فى فعله فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء فى قوله سوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع لا وصل ونزعها فى قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فاي يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفتن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء

الله (وانخذتموه ورائكم ظهر يا) ونسيتموه وجعلتموه كالشيئ المنبوذ وراء الظهر لا يعاب به والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تفسيرات النسب كقولهم فى النسبة الى الامس اسى (ان ربي بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علمافلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعملوا على مكاتكم) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكن اذا تمكن من الشئ يعنى اعملوا فارين على جهتم التى أتم عليها من الشرك والشنا لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى. بطيقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتىنى الله من النصرة والتأييد وبمكنتى (سوف تعلمون)

(انك لانت الحليم الرشيد) أي السفية الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء وأنتك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه مالك (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي منه) من لدنه (رزقا حسنا) يعني النبوة (٣٦٧) والرسالة أو الماحلا من غير

بخس ونظيف وجواب
أرايتم محذوف أي أخبروني
ان كنت على حجة واضحة
من ربي وكنت نبيا على
الحقيقة أضح لي أن
لا أمركم بترك عبادة
الوثان والكف عن المعاصي
والانبياء لا يعثون الا لذلك
يقال خالفني فلان الى كذا
ادا قصده وأنت مول عنه
وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت
قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الماء فساله
عن صاحبه فيقول خالفني
الى الماء يريدانه قد ذهب
اليه واردا وان اذهب عنه
صادرا ومنه قوله (وما أريد
أن أخالفكم الى ما أنتمكم
عنه) يعني أن أسبقكم الى
شهو انكم التي نهيتكم عنها
لاستبهادونكم (ان أريد
الاصلاح) ما أريد الا
أن أصلحكم بموعظتي
ونصحتي وأمرى بالمعروف
(ما استطعت) ظرف أي
مدة استطاعتني للاصلاح
ومادمت متمكنا منه لا ألو
فيه جهدا (وما توفيتي الا
بالله) وما كوني موافقا
لاصابة الحق فما آتني
وأذرا لا بمعونته وتأنيده
(عليه توكلت) اعتمدت

وقال الاعمش أقرأئك لان الصلاة تطابق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك
يا مارك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا يذبحون الدراهم والدينانير
فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويحجرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من أعظم
شعائر الدين (انك لانت الحليم الرشيد) قال ابن عباس أرادوا السفية الغاوى لان العرب قد تصف الشيء
بضده فيقولون للديغ سليم وللقلادة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
والسخر به وقيل معناها انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك يا شعيب
فيما حليم رشيد فلا يحمده بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم (قال) يعني قال لهم شعيب (يا قوم أرايتم
ان كنت على بينة من ربي) يعني على بصيرة وهداية وبيان (ورزقي منه رزقا حسنا) يعني حلالا قليل كان
شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة
وجواب ان الشرطية محذوف تقديره أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي المال الحلال والهداية
والمعرفة والنبوة فهمل يسعني مع هذه النعمة أن أخون في وحيه أو أن أخالف أمره أو أتبع الضلال أو
أبخس الناس أشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد
والمعنى فكيف يايق بالحليم الرشيد أن يخالف أمره به وله عليه نعم كثيرة ﴿وقوله﴾ (وما أريد أن أخالفكم
الى ما أنتمكم عنه) قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه
اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء
يريدانه قد ذهب اليه واردا وان اذهب عنه صادرا ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتمكم
أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبهادونكم قال الامام نضر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه
ان القوم اعترفوا فيها بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل بحمل صاحبه على اختيار
الطريق الاصلح فكأنه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسى
هو اصبوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البغس والنقصان فأنما واطب عليها غير نارك
لها فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها الا ما أنتم عليه وقال الزجاج معناها أني استأنتمكم عن شئ
وأدخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسى وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله
وترك البغس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم (ان أريد
يعني ما أريد فيما أمركم به وأنها كم عنه) (الاصلاح) يعني فيما بيني وبينكم (ما استطعت) يعني ما استطعت
الاصلاح وهو الابلاغ والاذن فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من
يشاء ويضل من يشاء (وما توفيتي الا بالله) التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك
الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيتي الا بالله (عليه توكلت) يعني على الله اعتمدت في جميع أمورى (واليه
أنيب) يعني واليه أرجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه أرجع في معادى روى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ﴿وقوله تعالى﴾ (و يا قوم
لا يجرمكم شقائي) أي لا يحملنكم خلافى وعدواتى (أن يصيبكم) يعني عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم
الخبیثة (مثل ما أصاب قوم نوح) يعني الغرق (أو قوم هود) يعني الریح التي أهلكتهم (أو قوم صالح)
يعني ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا (وما قوم لوط منكم ببعيد) وذلك انهم كانوا واحد بشئ عهد

(واليه أنيب) أرجع في السراء والضراء جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله (ويا قوم لا يجرمكم شقائي أن
يصيبكم) أي لا يكسبنكم خلافي اصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) وهو الغرق والريح والرجفة (وما قوم لوط
منكم ببعيد) في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم أو في المكان فنارهم قرية منكم أو فيما يستحق به

ولا تنقصوا المكيال) أي المكيل بالمكيال (والميزان) والموزون بالميزان (إني أراكم بخير) بتروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا وعذاب الآخرة (وياقوم أو فوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل نهوا وألاعن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال (٣٦٦) والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول كزيادة الترخيب فيه وحيء

به مقيد بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) البخس النقص كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العث والعيث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثيا منهم في الأرض (بقيت الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم) ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة أيضا لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف الا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحباني غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للإيمان ونبيه على جلالة شأنه والمراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به

الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال سبحانه عيب عبد والله مالكم من الغيرة ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع في إياهم فيه وما كان المعتاد من أهل مدن البخرى في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) النقص في الكيل والوزن على وجهين أحدهما أن يكون الاستنقاص من قباهم فيكيولون ويزنون لاغير ناقصا والوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائد اعن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلما الوجهين مذموم فلهمذاتناهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان (إني أراكم بخير) قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النقمه ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) يعني محبطا بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وان جهنم محيطه بالكافرين (وياقوم أو فوا المكيال والميزان) أي أتموهما ولا تطفقوا فيهما (بالقسط) أي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) أي ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) يعني أموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أو فوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم فمما الفائدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيذ والتكرير فيعيد شدة الاهتمام والعناية باتأكيذ فلهمذاتنا كبر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله أو فوا المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهى ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بإيفاء الكيل والوزن فلهمذاتنا جمع بينهما فهو كقولك صل رحلك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الامر والنهي وأما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير أيضا لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهى عن التنقيص والامر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب إيفاء الحق فيها فدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خير لكم) قال ابن عباس يعني ما بقي الله لكم الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما بقاءكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بما قلت لكم وأمرنكم به ونهيتكم عنه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني احفظ أعمالكم قال بعضهم إنما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بمقاتلهم (قالوا يا شعيب أصلونك تأمرنك أن تترك ما يعبد آباؤنا) يعني من الاصنام (أو أن نفعل في أموالنا منشاء) يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يبرون به فيرونه يصلي فيستهزؤن به ويقولون هذه المقالة

أياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمة عليكم فاحفظوها بترك البخس (قالوا يا شعيب أصلونك) وبالتوحيد كوفي وقال غير أبي بكر (تأمرنك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا منشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء أصلونك تأمرنك أن تترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وأن تترك التسط في أموالنا منشاء من إيفاء ونقص وجزان تكون الصلوات أسرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا

جلاة موصحة التي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدر و اعلى ضرره (فاسر) بالوصل محجازي من مري (بأهلك بقطع من الليل)
طائفة منه أو نصفه (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه الى ما خلفه أو لا ينظر الى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد (الامر أنك) مستثنى من فاسر
بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمر وعلى البدل من أحد وفي اخر اجامع أهل رواتين (٣٦٥) روى أنه أخرجهام معهم وأمر أن لا

يلتفت منهم أحد الا هي فلما
سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوم
فأدر كها حاجر فقتلها
وروى أنه أمر بان يخلفها
مع قومها فان هواها اليهم
فلم يسر بها واختلاف
القراءتين لاختلاف
الروايتين (انه مصيها ما
أصابهم) أي ان الامر
وروى أنه قال لهم متى موعدهم
هـ لا كهم قالوا (ان
موعدهم الصبح) فقال
أريد أسرع من ذلك
فقالوا (أليس الصبح
يقرب فلما جاء أمرنا جعلنا
عليها سافلها) جعل جبريل
عليه السلام جناحه في
أسفلها أي أسفل قراها ثم
رفعها الى السماء حتى سمع
اهل السماء نباح الكلاب
وصياح الديكة ثم قلبها
عليهم واتبعوا الحجارة من
فوقهم وذلك قوله (وأمرنا
عليها حجارة من سجيل)
هي كلمة معربة من سنك كل
بدليل قوله حجارة من طين
(منضود) نعت لسجيل أي
متتابع أو مجموع معد للعذاب
(مسومة) نعت للحجارة أي
معلمة للعذاب قبل مكتوب

ورأسه حبك مثل المرجان كأنه كالثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضر بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم
وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت
لوط سحر أقوام في الارض قد سحر ونا وجعلوا يقولون يا لوط كما أنت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غد ابوعبدونه
بذلك (فأسر بأهلك) يعني بييتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية
الليل وقال قتادة بعدمضى أوله وقيل انه السحر الاول (ولا يلتفت منكم أحد) يعني ولا يلتفت منكم أحد الى
ورائه ولا ينظر الى خلفه (الامر أنك) فانها من الملتفات فهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه
وتعالى (انه مصيها ما أصابهم) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (ان موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد
أريد أسرع من ذلك فقالوا له (أليس الصبح بقر يب) فلما خرج لوط من قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن
لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الامر أنه فانها المسمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت
واقوماء فاخذتها بحجارة فاهلكتها معهم (فلما جاء أمرنا) يعني أمرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) وذلك
ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط وهي خمس مداين أكبرها سدوم وهي المؤتفكات
المدكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربع مائة ألف وقيل أربعة آلاف فرجع جبريل المدائن كلها
حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها
(وأمرنا عليها) يعني على شذاها ومن كان خارجا عنها من مسافر بها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليهم (حجارة
من سجيل) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة معناه سنك كل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من
الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قوله سندنس واستتبرق ونحو ذلك فكل هذه ألفاظ
فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في ألفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله
في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد وأهل حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشدت وقال
الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس
متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض (مسومة عندرك) صفة
للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها اسمها لانها تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على
هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مخنومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أي على كل
حجر اسم صاحبه الذي يرمى به (وماهي) يعني تلك الحجارة (من الظالمين) يعني مشركي مكة (ببعيد) قال
قتادة وعكرمة يعني ظالمى هذه الامة والله ما أجاز الله منها ظالم بعده وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو
بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذا قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل
الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه
قوله عز وجل (والى مدين) يعني وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا) مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه
السلام ثم صار اسم القبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير
وأرسلنا الى أهل مدين خذف المضاف لدلالة الكلام عليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) يعني
وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت

على كل واحد اسم من يرمى به (عندرك) في خزائنه أو في حكمه (وماهي من الظالمين ببعيد) بشئ بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل
عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظالمى أمك ما من ظالم منهم الا وهو عرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة والضمير
للقري أي هي قريبة من ظالمى مكة يمرون بها في مسابريهم (والى مدين أخاهم شعيبا) هو اسم مدينهم أو اسم جد مدين بن ابراهيم أي
وأرسلنا شعيبا الى ساكنى مدين أو الى بنى مدين (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)

يا قوم هؤلاء بناتي) فترزوهن أراد أن يبي أضيفه بيناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائز في ذلك الوقت كما جاز في
 الابتداء في هذه الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة أبي لهب وأبي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان
 مطاعان فاراد لوط أن يزوجهما (٣٦٤) ابنتيه (هن أطهر لكم) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتي عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر

المبتدأ أو بناتي خبر وهن
 أطهر مبتدأ وخبر (فاتقوا
 الله) بإيثارهن عليهم (ولا
 تخزون) ولاتهنينوني ولا
 تفضحوني من الخزي أو
 ولا تخجلوني من الخزية
 وهي الحياء وبالياء أبو
 عمرو في لوصول (في ضيق)
 في حق ضيق في فانه اذا
 خزي ضيف الرجل أو جاره
 فقد خزي الرجل وذلك
 من عرافة الكرم واصالة
 المرءة (أليس منكم رجل
 رشيد) أي رجل واحد
 يهتدى الى طريق الحق
 وفعل الجليل والكف عن
 السوء (قالوا لقد علمت
 ما لنا في بناتك من حق)
 حاجة لان نكاح الاناث
 أمر خارج عن مذهبنا
 فذهبنا اتيان الذكر ان
 (وانك تعلم ما يزيد) عنوا
 اتيان الذكور وما لهم فيه
 من الشهوة (قال لو أن لي
 بكم قوة أو آوى الى ركن
 شديد) جواب لو محذوف
 أي لنعلت بكم ولنسنت
 والمعنى لو قويت عليكم
 بنفسى أو آويت الى قوى
 أستند اليه وأتمتع به

انهم غلمان من بنى آد (يا قوم هؤلاء بناتي) يعني ازوجكم اياهن وفي أضيفه بيناته قيل انه كان في ذلك الوقت
 وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام
 وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد بيناته نساء قومهم وأضافهن الى نفسه لان كل نبي أبو أمته وهو كالوالد لهم
 وهذا القول هو الصحيح وأشبهه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كاتتا اثنتين وليستا
 بكافيتين للجماعة وليس من المرءة أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن اياهن فكيف يليق ذلك
 بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لاعلى سبيل
 التحقيق ﴿ وفي قوله (هن أطهر لكم) سؤال وهو أن يقال ان قوله هن أطهر لكم من باب أفعل التفضيل
 فيقتضى أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهر ومعلوم أنه محرم فاسد نجس لاطهارة فيه البتة فكيف
 قال هن أطهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ومعلوم
 أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أعل هبل قال الله أعل وأجل اذ لا مماثلة
 بين الله عز وجل والصم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا انظر كثيرة ﴿ وقوله (فاتقوا الله) يعني
 خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان (ولا تخزون في ضيق) يعني ولا تسوؤنى في أضيفه
 ولا تفضحونى معهم (أليس منكم رجل رشيد) أى صالح لسيد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لاله الا الله
 وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد
 علمت ما لنا في بناتك من حق) يعني ليس لنا بهن حاجة ولاننا فيهن شهوة وقيل معناه ليست بناتك لنا
 بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان
 ولا يزيد ذلك (وانك تعلم ما يزيد) يعني من اتيان الرجال فى أديارهم فعند ذلك (قال) لوط عليه السلام (لو أن
 لى بكم قوة) أى لو انى أقدر أن أتقوى عليكم (أو آوى الى ركن شديد) يعني أو أنضم الى عشيرة ينعونى
 منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشيرة لانضمت اليهم قال أبو هريرة
 ما بعث الله نبيا بعده الا فى منعة من عشيرته (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم برحم
 الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولولبت فى السجن ما لبث يوسف ثم أنانى الداعى لاجبته قال الشيخ
 محي الدين النووى رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه أشد الاركان وأقواها وأمنعها ومعنى
 الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على أضيفه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد
 حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال فى تلك الحال لو أن لى بكم قوة فى الدفع بنفسى أو آوى الى عشيرة تمنع لمنعتكم
 وقصد لوط اظهار العذر عند أضيفه وأنه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق
 بيوسف عليه السلام بأنى فى موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغاث
 لوط بابه والملائكة معه فى الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار
 فلما رأت الملائكة ما لى لوط بسببهم (قالوا يا لوط) ركنك شديد (انارسل ربك ان يصلوا اليك) يعنى بمكروه
 فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به عز وجل فى عقوبتهم فأذن له
 فتحول الى صورته التى يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من درمنظوم وهو راق الثنايا أجلي الجبين

فيعمىنى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجليل فى شدته ومنعته روى أنه أعلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكي
 وراسه
 الله عنه ويجادلهم فتدور والجدار فلما رأت الملائكة ما لى لوط من الكرب (قالوا يا لوط) ان ركنك لشديد (انارسل ربك) فافتح الباب
 ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به فى عقوبتهم فأذن له ففرض بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم
 كما قال الله تعالى فطمسنا عنهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخر جوا وهم يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط قوم اسحرة (١٠٠) له ١١١

(ان ابراهيم خليليم) غير معمول على كل من أساء اليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه الصفوح عن عناه (أواه) كثير التأوه من خوف الله (منيب)
تأب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة (٣٦٣) فين ان ذلك مما حمله على المجادلة

فيهم رجاء أن يرفع عنهم
العذاب ويهبوا لعلمهم
يحدثون التوبة كما حمله
على الاستغفار لايه فقات
الملائكة (يا ابراهيم
أعرض عن هذا) الجدال
وان كانت الرجعة يد يدك
(انه قد جاء أمر ربك)
قضاؤه وحكمه (وانهم
آتيهم عذاب غير مردود)
لا يرد بجدال وغير ذلك
عذاب مرتفع باسم
الفاعل وهو آتيهم تقديره
وانهم ياتيهم ثم خرجوا من
عند ابراهيم متوجهين
نحو قوم لوط وكان بين
قريه ابراهيم وقوم لوط
أربعة فراسخ (ولما جاءت
رسلنا لوطا) لما أتوه ورأى
هيأتهم وجاهلهم (سأ
هم) أذن لأنه حسب انهم
انس خاف عليهم خبت
قومه وأن يهجز عن
مقاومتهم ومدافعهم
(وضاق بهم ذرعا) تمييزاً
وضاق بمكانهم صدره
(وقال هذا يوم عصيب)
شديد روي ان الله تعالى
قال لهم لانه حركهم حتى
يشهد عليهم لوط أرنبع
شهادات فلما مشى معهم
منطلقاً بهم الى منزله قال لهم
أما بلغكم أمر هذه القرية

المفسر بن معناه بجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة أن قال لهم أرايتم لو كان في
مدائن قوم لوط خسون رجلا من المؤمنين أتلهكونها قالوا لا قال فأر بعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما
زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أتلهكونها قالوا لا قال ابراهيم فان
فيها لوطا قالوا نحن أعلم بما لنتنجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير
العذاب عنهم لعلمهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جرير كان في قري قوم لوط
أربعة آلاف مقاتل (ان ابراهيم خليليم أراه منيب) تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة
لابراهيم (يا ابراهيم أعرض عن هذا) يعني أعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال (انه قد جاء أمر
ربك) يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وانهم آتيهم عذاب غير
مردود) يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا
لوطا) يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مردحسان الوجوه (سأ بهم)
يعني أذن لوط بمجيبهم اليه وساء ظنه بقومه (وضاق بهم ذرعا) قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقه
والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه
من ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقه والمعنى وضاق بهم ذرعا اذ لم يجد
من المكر وفي ذلك الامر مخاضا وقال غيره معناه ضاق قلبا وصدرا لا يعرف أصله الا أن يقال ان الذرع
كناية عن الوسع والعرب تقول ايس هذا في يدي يعنون ايس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق
فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكره ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم
وطيب رائحتهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكره وأفاحشه وعلم انه سيحتاج الى المدافعة
عنهم (وقال) يعني لوطا (هذا يوم عصيب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديده ما خوذ من
العصاة التي تشبهها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قريه لوط فانوا لوطا
انصف النهار وهو يعمل في أرض له وقيل انه كان محتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تلهكوهم
حتى يشهد عليهم لوط أرنبع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية
قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها الشرقرية في الارض عملا يقول ذلك أرنبع مرات فضاومه حتى دخلوا
منزله وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتعاضروا فيما بينهم فقال لوط ان قومي
شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فر على جماعة أخرى فتعاضروا فقال مثله ثم مر على جماعة
أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أرنبع مرات وكما قال لوط هذا القول قال جبريل
للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم
الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجلا ما رأيت مثل وجوههم
قط ولا أحسن منهم (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون
وقال الحسن الاهرع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين اهرولة والخبب والجز (ومن قبل) يعني ومن
قبل مجي الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السيئات) يعني الفعلات الخبيثة
والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم (قال) يعني قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا

قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها الشرقرية في الارض عملا قال ذلك أرنبع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته
فاخبرت قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كأنها يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مر نوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال

(فبشرناها باسحق) ونخت بالبشارة لان النساء أعظم سرور بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لبراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسحق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامى وحزة ووحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أى فبشرناها باسحق ووهنا لها يعقوب من اءروا اسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد (قالت يا ويلتا) الاف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن يا ويلتى بالياء على الاصل (أألدوا ناعجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعلى شيخنا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدا وبعلى خبره وشيخنا حال والعاقل معنى الاشارة التى دات (٣٦٢) عليه ذا ومعنى التنبيه الذى دل عليه هذا (ان هذا الشئ عجيب) أن يولد ولد من هريم وهو

استبعاد من حيث العادة (قالوا أنجبين من أمر الله) قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة نجيها لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تنوقر ولا يزددها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا أن هــهـه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخضعكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف عال به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متكررة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوية والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلامهم

فضحكت أى حاضت قال ويقال أصله من ضحك الطاعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

تضحك الضبع من دماء سليم * اذ رأنا على الحرب تمور

وقال فى المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكاً بمعنى حاضت حياء قال وضحك الارنب فوق الصفا * كمثل دم الخوف يوم اللقا يعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أنكرا أن يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد الشاعر تكشراً لكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حياء وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فتمز بعضها على بعض فجعل هز يزهاضحكا وقيل لانها تسرهم فجعل سرورها ضحكاً فان قلت أى القولين أصح فى معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فالثمة أعلم أى ذلك كان ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناها باسحق) ومن وراء اسحق يعقوب) يعنى ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجباً (قالت يا ويلتا) نداء نذبة وأصلها يا ويلتا وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا (أألدوا ناعجوز) وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا بعلى) يعنى زوجى والبعل هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعابا عاها قائماً بما رها سعى بعلا لذلك (شيخنا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول محمد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا الشئ عجيب) لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجب من كون الشيخ الكبير والجوز الكبيرة يولد لهما (قالوا) يعنى قالت الملائكة لسارة (أنجبين من أمر الله) معناه لان نجي من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا أراد شيئاً كان سريعا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجال من أهل بيته (انه جيد) يعنى هو الحمود الذى يحمده على أفعاله كلها وهو المستحق لان يحمده فى السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال (مجيد) ومعناه المنيع الذى لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم وأصل المجيد فى كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) يعنى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشرى) يعنى زال عنه الخوف بسبب البشرى التى جاءته وهى البشارة بالولد (بجدلنا) فيه اضمار تقديره أخذ بجدلنا وأرجع لجدلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا (فى قوم لوط) لان العبد لا يقدر أن يخاصم ربه وقال جمهور

من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (انه جيد) محمود بتجميل النعم (مجيد) المفسرين

ظاهر الكرم بتأجيل النقم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الفزع وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه (وجاءته البشرى) بالولد (بجدلنا فى قوم لوط) أى لما طمأن قلبه بعد الخوف وملى سرور بسبب البشرى فرغ للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبيل بجدلنا أو بجدلنا جواب لما وانما سبب به مضارع الحكاية الحال والمعنى بجدلنا ورسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا اناهم ملكوا أهل هذه القرية فقال رأيتهم لو كان فيها اخسون مؤمناً تهلكونها قالوا الا قال فاربعون قالوا الا قال فلناون قالوا الا حتى بلغ العشرة قالوا الا قال رأيتهم ان كان فيها رجل واحد مسلم تهلكونها قالوا الا فنند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله

يعني ان الملائكة سلموا اسلاما (قال) يعني لهم ابراهيم (سلام) أي عليكم أو أمركم سلام (فبالت أن جاء
بجمل حنيذ) يعني مشو يا والمخوذ هو المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل أهل
البادية وكان سمينيا سيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم
عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأت به ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاءت الملائكة
رأى أضيافا لم ير مثلهم قط فبجمل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوي (فلما رأى أيديهم) يعني أيدي الاضياف
(لا تصل اليه) يعني الى الجمل المشوي (نكرهم) يعني أنكرهم وأنكر حالهم وانما أنكر حالهم لامتناعهم
من الطعام (وأوجس منهم خيفة) يعني ووقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف
ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس يخاف أن ينزلوا به مكر وهالامتناعهم من
طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا نزولوا بعذاب قومه
خفاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف أنهم ملائكة في أول الامر وبدل على محبة هذا أنه
عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما قدمه اليهم لعلمه ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون
ولانه خافهم ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأى الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام (قالوا لانخف)
يا ابراهيم (انا) ملائكة الله (أرسلنا الى قوم لوط وامراته) يعني سارة زوجة ابراهيم وهي ابنة هاران بن
ناحورا وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) يعني من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة في خدمة الرسل
وابراهيم جالس معهم (فضحكت) أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس واظهار الاسنان
عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور والمجد وفي التعجب المجد أيضا والعلماء في
تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا
الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى أضيافه فلم ياكلوا وخاف ابراهيم منهم فقال أنا لانا كلون
فقالوا انانا لانا بكل طعاما لا نحن قال فان له نمنا قالوا وما نمنا قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمده على آخره
فنظر جبريل الى ميكايل وقال حق لهذا أن يتخذ به خيلا فلما رأى ابراهيم وسارة أيديهم لا تصل اليه
ضحكت سارة وقالت يا عجبا لضيافنا نخدمهم بانفسنا نكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت
من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والسكبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين
خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها عن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه حين قالوا
لانخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس وذهب ضحكت نجيبا من أن يكون
لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فلهي هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسحق
فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضم اليك ابن أخيك لوط فان العذاب نازل بقومه
فلما جاءت الرسل وبشرت بعد ابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت القول الثاني في معنى قوله
فضحكت قال عكرمة ومجاهد أي حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال
حاضت ليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر
ذلك تنصيحا لخالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فيضها في الوقت لتعلم أن جملها ليس بنكر لان المرأة
مادامت تحيض فأنها تحمّل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم تسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ
ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانباري قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد
عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع اقلتي هذيل * وتري الذئب بهما يستهل

قال أراد أنها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت أي طمئت وحكى الازهرى عن بعضهم في قوله

(فما تزدونني) بقولكم أنتم ما أن نعبد ما يعبد أبؤنا (غير تخسير) بنسبتكم إياي إلى الخسار أو بنسبتي إياكم إلى الخسران (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ولكم متعاقب آية حالها من متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (فذر وهاتا كل في أرض الله) أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها (ولانتموها بسوء) عقر أو نحر (فيأخذكم عذاب قريب) عاجل (فوقروها) يوم الأربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي (٣٦٠) يتصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهل كوايوم السبت (ذلك)

خالفت أمره (فما تزدونني غير تخسير) قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارته حتى يقول فما تزدونني غير تخسير وإنما المعنى فما تزدونني بما تقولون الانسبتي إلى الخسارة (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) وذلك ان قومهم طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا إليها فدعا الله عز وجل فأخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشرة أشهر ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله إضافة تشرى بكيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام (فذر وهاتا كل) يعني من العشب والنبات (في أرض الله) يعني فليس عليكم مؤنتها (ولانتموها بسوء) يعني يعقر (فيأخذكم) يعني ان قتلتموها (عذاب قريب) يعني في الدنيا (فمقرروها) يعني خالفوا أمر ربهم فمقرروها (فقال) يعني فذال لهم صالح (تمتعوا) يعني عيشوا (في داركم) أي في بلدكم (ثلاثة أيام) يعني ثم تهلكون (ذلك) يعني العذاب الذي أوعدهم به بعد ثلاثة أيام (وعند غير مكذوب) أي هو غير كذب روى انه قال لهم يا أيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم صفرة وفي اليوم الثاني حمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كقوله وأنا هم العذاب وفي اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاء أمرنا) يعني العذاب (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) أي بنعمة منا بان هديناهم إلى الإيمان فآمنوا (ومن خزي يومئذ) يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ سمي خزي بالان فيه خزي الكافر ين (ان ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد (هو القوي) يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (العزير) يعني القاهر الذي لا يغلبه شيء ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى (وأخذ الذين ظالموا) يعني أنفسهم بالكفر (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أنهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فنتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا في ديارهم جائئين) يعني صرعى هلكى (كأن لم يغنوا فيها) يعني كأن لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا أتيته وأقت به (ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعد التمود) وهذه القصة قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف قوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) أراد بالرسالة الملائكة واختلفوا في عهدهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال السدي كانوا أحد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاول لان اول الجع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعني بالبشارة بالسحق وبعقوب وقيل باهلاك قوم لوط (قالوا اسلاما)

وعد غير مكذوب) أي غير مكذب فيه فانسع في الظرف بحذف الحرف واجزائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمفعول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجى انما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) باضافة الخزي إلى اليوم وافتتحها اليوم بالاضافة وبتفتحها مدني وعلى لانه مضاف إلى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا أضيف إلى الاسماء المهمة والافعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله * على حين عانت المشيب على الصبا * والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزي يومئذ أي من ذله وفضيحتة ولا

خزي أعظم من خزي من كان هلاكة بفضب الله وانقمامه وجاز أن ير يد بيومئذ يوم القيامة كقوله العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (ان ربك هو القوي) القادر على تنجية أوليائه (العزير) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل عليه السلام (فأصبحوا في ديارهم) منازلهم (جائئين) ميتين (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها (ألا ان ثمودا كفروا ربهم) ثمود حزة وحفص (ألا بعد التمود) على الصرف للذهاب إلى الحى وألاب الاكبر ومنعته لتعريف والتأنيب بمعنى الغيبة (ولقد جاءت رسلنا) جبريل وميكائيل واسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا (إبراهيم بالبشرى) هي البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والاول أظهر (قالوا اسلاما) سامنا عليك

(وأتبعوا أمر كل جبار عنيد) يريدو رؤساءهم ووعائهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (وأتبعوا في هذه الدنيا العنة ويوم القيامة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين (ألا ان عادا كفروا ربهم إلا بعد العاد) تكرار الأفع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وبعث على الاعتبار بهم والخذل من مثل حالهم والدعاء ببعدهم بعد هلاكهم وهو دعاء باهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان اعاد وفيه فائدة لان عاد اعادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (والى ثمود أخاهم) (٣٥٩) صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من الغيرة هو انشاءكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (واستعمركم فيها) وجعلكم عمارها واراد منكم عمارتها واستغفركم من العمر أى أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة الى ألف وكان ملوك فارس قدأكثر وامن حفر الانهار وغرس الاشجار وعجروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبي من انبياءهم ربهم عن سبب تعمييرهم فوحى الله اليه انهم عجروا بلادى فعاش فيها عبادى (فاستغفروه) فاسألوه مغفرته بالايمن (ثم تو بوا اليه ان ربي قريب) داني الرحمة (مجيئ) لمن دعاه (قالوا) يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا (مرجوا قبل هذا) للسيادة والمشاورة في الامور أو كذا نرجوان تدخل في ديننا وتوافقنا على

الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى سجدا بايات ربهم يعنى المعجزات التي أتى بها هود عليه السلام وعصا رساله يعنى هود اوحده وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم أو لان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل (وأتبعوا أمر كل جبار عنيد) يعنى ان السفلة منهم واتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه (وأتبعوا في هذه الدنيا العنة) يعنى أردفوا اعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله (ويوم القيامة) يعنى وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى (ألا ان عادا كفروا ربهم) أى كفروا برهم (الأبعد العاد) يعنى هلاكلهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد واهلاك الفائدة في قوله إلا بعد العاد لان الثانى هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيدهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف بيان اعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فالفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهوان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيدهم قوله عز وجل (والى ثمود أخاهم صالحا) يعنى وأرسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعنى في النسب لافى الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) أى وحدوا الله وخصوه بالعبادة (مالكم من الغيرة) يعنى هو الهكم المستحق للعبادة لاهذه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكآله فقال تعالى (هو انشاءكم من الارض) يعنى انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك أنهم من نبي آدم وآدم خلق من الارض (واستعمركم فيها) يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعماركم من العمرى أى جعلها لكم ما عشتهم (فاستغفروه) يعنى من ذنوبكم (ثم تو بوا اليه) يعنى من الشرك (ان ربي قريب) يعنى من المؤمنين (مجيئ) لدعائهم (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) يعنى قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويعنى فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع أن تعوذالى ديننا فلم أظهر دعائهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجائهم منه (أنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) يعنى الآلهة (واننا فى شك مما تدعونا اليه) يعنى من عبادة الله (مريب) يعنى انما نرى تابون فى قولك من أرابه اذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس ووقوعها فى التهمة (قال) يعنى قال صالح مجييا القومه (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) يعنى على يقين وبرهان (وأأتانى منه رحمة) يعنى نبوة وحكمة (فن ينصرنى من الله) أى فن ينصرنى من الله (ان عصيته) يعنى ان

ما نحن عليه (أنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (واننا فى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع فى الريبة من أرابه اذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) وأتانى منه رحمة) نبوة أتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا انى على بينة من ربي وأنى نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتم وعصيت ربي فى أوامره (فن ينصرنى من الله) فن ينصرنى من عذاب الله (ان عصيته) فى تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان

مما نشركون من دونه أي من أشركوا بالله في عبادة أو غيره مما يشركون وأشهدوا أنهم أيضا في بريء من ذلك وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه أشهد على أني لأحبك تمسكها واستهانة بحاله (فكيدوني جميعها) أنتم وآلهتكم (ثم لا تنظرون) لا يملون فاني لأبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف منكم وان تعاوتكم على وكيف نصرني آلهتكم وما هي الاجاد لا يضروا ولا ينفع وكيف (٣٥٨) تنقذتم مني اذا نلت منها وصدت عن عبادتها بان تحببني وتذهب بعقلي (اني توكلت

مما نشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها (فكيدوني جميعا) يعني احتالوا في كيدي وضري أنتم وأصنامكم التي تعتقدون انها تضروا وتنفع فانها لا تضروا ولا تنفع (ثم لا تنظرون) يعني ثم لا يملون وهذا فيه مجزة عظيمة لهدو عليه السلام وذلك انه كان وحيدا في قومه ف قال لهم هذه المقاتلة ولم يهيم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت اللثيمة بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى (اني توكلت على الله ربي وربكم) يعني انه فوض أمره الى الله واعتمده عليه (مامن دابة) يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض (الاهو أخذ بناصيتها) يعني انه تعالى هو مال كها والقادر عليها وهو يقهرها الان من أخذت بناصيتها فقد قهرته والناصية مقدمة الرأس وسمى الشعر الذي عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا أسروا أسيرا وأرادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا وعليه ويعتقدوا بذلك فخرا عليه فطابهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) يعني ان ربي وان كان قادرا او انتم في قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمحار تقديره ان ربي يحملك على صراط مستقيم (فان تولوا) يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما أرسلت به اليكم (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) يعني اني لم يقع مني تقصير في تبايع ما أرسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك (ويستخلف ربي قوما غيركم) يعني انكم ان أعرضتم عن الايمان وقبول ما أرسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم بوحده ونهو وبعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضروا شيئا) يعني تتولوا بكم انما تضرون أنفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربي على كل شيء حفيظ) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شيء فيحفظني من أن تنالوني بسوء قوله سبحانه وتعالى (ولما جاء أمرنا) يعني باهلا كههم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعني الرج التي أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى أرسل على عاد يحاشد بدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وأنجى الله المؤمنين جميعا فلم تضروهم شيئا وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح يحصل الفرق بين العذابين والمعني انه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه أعظم من عذاب الدنيا (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة

على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو أخذ بناصيتها) أي مال كها ولما ذكر توكله على الله ونقشه بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتغال ربه ببيتهم عليه وعلوهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكه وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم) ان ربي على الحق لا يعدل عنه أو ان ربي يدل على صراط مستقيم (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) هو في موضع فقد ثبت الحجة عليكم (ويستخلف ربي قوما غيركم) كلام مستأنف أي يهلككم الله ويحیی بقوم آخر بن يخافونكم في دياركم) وأموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيئا) من ضرر قط اذا لا يجوز عليه الضار وانما تضرون أنفسكم (ان ربي على كل شيء حفيظ) رقيب عليه مهيم فاستخفى عليه

أعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم أو من كان رقيبا على الاشياء كما حافظها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه عن المضار لم يصير مثله مثلكم (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) أي بفضل منا لبعامهم أو بالايمان الذي أنعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد والثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوي في الارض فانظروا الهوا واعتبروا ثم استأنف ووصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصروا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لان فرق بين أحد من رسله

(فأصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح واقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم) واحدا منهم واتصبا للعطف على أرسلنا نوحا وأرسلنا الى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على اللفظ (ان أتم الامفترون) تفتن على الله الكذب باخذكم الاوثان له شركاء (يا قوم لا أسئلكم عليه اجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرنى) ما من رسول الا واجبه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يحضنها الاحسب المطامع وما دام يتوهم شئ منهم لم تنفع (أفلاتعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنفى للتهمة من ذلك (ويا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثيرة (٣٥٧) الدور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما

قد استأمنتم الى الايمان
بكثر المطر وزيادة القوة
لانهم كانوا أصحاب زرع
وساتين فكانوا أحوج
شئ الى الماء وكانوا ملين
بما أوتوا من شدة البطش
والقوة وقيل أراد القوة بالمال
أو على النكاح وقيل حبس
عنهم القطر ثلاث سنين
وعقمت أرحام نسائهم
فوعدهم هود عليه السلام
المطر والاولاد على الايمان
والاستغفار وعن الحسن
ابن على رضى الله عنهم
أنه وفد على معاوية فلما
خرج قال له بعض سخاياه
رجل ذوالا يولدلى
عانه شيا لعل الله يرزقنى
ولد ا فقال الحسن عليك
بالاستغفار فكان يكثر
الاستغفار حتى ربما
استغفر فى يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشر
بنين فبلغ ذلك معاوية

معروفة فى العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل أن يكون كانوا ابعاء ومنها جملة
فنزله القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميالا يقرأ الكتب المتقدمة ولم
يعلمها وكذلك كانت أمته فصح قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها (فأصبر) يا محمد
على أذى مشركى قومك كما صبر نوح على أذى قومه (ان العاقبة) يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز
بالسعادة الاخرى (للمتقين) يعنى للمؤمنين ^{قوله عز وجل} (والى عاد) يعنى وأرسلنا الى عاد (أخاهم هودا)
يعنى أخاهم فى النسب لافى الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شئ فى العبادة
(مالكم من اله غيره) يعنى أنه تعالى هو الهكم لاهذه الاصنام التى تعبدونها فانها سخيرة لا تنضر ولا تنفع (ان
أتم الامفترون) يعنى ما أتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره (يا قوم لا أسئلكم عليه) يعنى على تبليغ الرسالة
(أجرا) يعنى جعلنا آخذة منكم (ان أجرى) يعنى ما توبانى (الاعلى الذى فطرنى) يعنى خلقنى فانه هو الذى
يرزقنى فى الدنيا ويبينى فى الآخرة (أفلاتعقلون) يعنى فتمتعظون (ويا قوم استغفروا ربكم) أى آمنوا به
فلا تستغفروا هنا يعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا (ثم توبوا اليه) يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف
ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) يعنى ينزل المطر عليكم ممتدبا معاصرة بعد مرة فى أوقات الحاجة له وذلك
ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعيم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وحقت
بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام أنهم ان آمنوا بالله وصدقوه أرسل الله اليهم المطر فاحياه بلادهم كما
كانت أول مرة (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم بقومكم بالاموال والاولاد
وذلك انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر
فتزدادون مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل
تزدادون قوة فى الدين الى قوة الابدان (ولا تتولوا مجرمين) يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصحتى حال
كونكم مشركين (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) أى براهان وحجة واضحة على صحة ما نقول (وما نحن بتاركى
آلهتنا عن قولك) يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين (ان نقول
الاعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعنى أنك يا هود لست تتعاطى ماتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا أن
بعض آلهتنا أصابك بخيل وجنون لانك سببتهم فاتقموا منكم بذلك ولانحمل أمرك الاعلى هذا (قال)
يعنى قال هود مجيبا لهم (انى أشهد الله) يعنى على نفسى (واشهدوا) يعنى واشهدوا وأنتم أيضا على (انى برىء

فقال هلا سأتته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويزدكم بالاموال وبنين
(ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعماد دعوى اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وانما هم (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) كذب منهم وبخود
كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوات آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال
من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا ان يصدقوا مثلك
فيما يدعوهم اليه اذ اطاله من الاجابة (ان نقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نبي فبنى جميع القول الاقولا واحدا وهو قولهم
اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخيل وتقديره ما نقول قولنا لا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قال انى
أشهد الله واشهدوا أنى برىء

والظاهر (فلاتسألن) اجزأ بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بصرى تسألني مدني تسألن شامى غذف الياء واجترأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألن مكى (ماليس لك به علم) بجواز مسئلته (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) هو كانهى رسولنا بقوله فلات تكون من الجاهلين (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم) أى من أن أطلب منك فى المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدباً بأدبك وانهما وعظمتك (والاتفغرى) ما فرط منى (٣٥٦) (وترجنى) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط بسلام منا)

بتحية منه أو بسلامه من الفرق (وبركات عليك) هى الخيرات النامية وهى فى حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين فى القرون الباقية من نسله (وعلى أمم ممن معك) من البيان فتراد الامم الذين كانوا معهم فى السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تشعب منهم أو لابتداء الغاية أى على أمم ناشئة ممن معك وهى الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (سمنتمهم) فى الدنيا بالسعة فى الرزق والخصف فى العيش صفة والخير محذوف تقديره ومن معك أمم سمنتمهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه (ثم بمسهم منا عذاب أليم) أى فى الآخرة والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين يشؤون ممن معك ومن معك أمم سمنعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أباً لانبياء والخلق

* فانهى اقبال وادبار * قال الواحدى وهذا قول ابى اسحق يعنى الزجاج وأبى بكر بن الانبارى وأبى على الفارسى قال أبو على ويجوز أن يكون ابن نوح عمل عملاً غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثرت منه فعلى هذا الحذف (فلاتسألن ماليس لك به علم) وذلك أن نوحا عليه السلام سألر به انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم أن ذلك محذور لاصرار ولده على الكفر فهاد الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسألة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلاتسألني ماليس لك به علم بجواز مسئلته (انى أعظك) يعنى أنهاك (أن تكون من الجاهلين) يعنى لمثل هذا السؤال (قال) يعنى قال نوح (رب انى أعوذ بك) يعنى ألتجأ اليك وأعتز اليك (أن أسألك ماليس لي به علم) يعنى انك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عنى فاعتذر اليك من مسئلتى ماليس لي به علم (والاتفغرى) يعنى جهلى واقدمى على سؤال ماليس لي به علم (وترجنى) يعنى برحتك التى وسعت كل شئ (أكن من الخاسرين)

فصل وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء * وبيانه أن قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محذور فلهاذا انهاه عنه بقوله فلاتسألني ماليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على أن ذلك السؤال كان جهلاً فبىه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب أن الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه وأهله فاخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك فى وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ماليس له به علم وبين له أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى أنه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدمه على سؤالر به فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيئات المقر بين وليس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدمه على سؤال مالم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنوب ولا معصية والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى قيل يانوح اهبط) أى أنزل من السفينة أو من الجبل الى الارض (بسلا م) أى بامن وسلامة (منا وبركات عليك) البركة هى ثبوت الخير ونماؤ وز يادته وقيل المراد بالبركة هنا أن الله سبحانه وتعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه فى السفينة غيرهم (وعلى أمم ممن معك) يعنى وعلى ذرية أمم ممن كانوا معك فى السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون نجي ممن بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فى هذا اكل مؤمن الى يوم القيامة (وأمم سمنتمهم) هذا ابتداء كلام أى وأمم كفرة يحدون بعدك سمنتمهم يعنى فى الدنيا الى منتهى آجالهم (ثم بمسهم منا عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (تلك من أنباء الغيب) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى أن هذه القصة التى أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قوميه من أنباء الغيب يعنى من أخبار الغيب (نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) يعنى من قبل نزول القرآن عليك فان قصة نوح كانت مشهورة

بعد الطوفان منه ومن كان معه فى السفينة وعن محمد بن كعب دخل فى ذلك السلام كل مؤمن معرفة ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهى من (أنباء الغيب نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) اخبار أى تلك القصة بهض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من قبل ايجائى اليك واخبارك بها

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداؤه دعائه وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله (ان ابني من أهلي) أى بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بهض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد (٣٥٥) تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى

انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فإبال ولدى (وأنت أحكم الحاكمين) أى أعلم الحكام وأعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غويق في الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب أفضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال يانوح انه ليس من أهلك) تم عمل لا تتفاء كونه من اهله بقوله (انه عمل غير صالح) وفيه ايدان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك فى دينك وان كان حبشيا وكنت قرشيا اصيقتك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحافه وأبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه كقولها * فأنما هي اقبال وادبار * أو التقدير أنه ذو عمل وفيه اشعار بأنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصالحهم لانهم أهله وهذا لما اتقى عنه الصالح لم تنفعه ابوته عمل غير صالح على قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح

لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عنق من الشام الى نوح فبجاءه الله من الغرق لذلك فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخا لواحت التكليف بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم أرحام نساءهم أربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك أيضا هلاك اطفال الامم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح والجواب الشافى عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف فى خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عميا به فعل وهم يستلون ﴿ قوله عز وجل (ونادى نوح ربه) أى دعاه وسأله (فقال رب ان ابني من أهلي) يعنى وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي (وان وعدك الحق) يعنى الصدق الذى لا خلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) يعنى انك حكمت اقوم بالنجاة وحكمت على قوم باهلاك قال يعنى قال الله تعالى (يانوح انه) يعنى هذا الابن الذى سألتني نجاته (ليس من أهلك) اختلاف اسماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح اصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر ٧ الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير والضحاك وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لما صح عن ابن عباس أنه قال ما بغت امرأة نبي قط ولا ن الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يابني اركب معنا وهذا نص فى الدلالة وتصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خافه لانه استبعد أن يكون ولد نبي كافر وهذا خطأ ممن قاله لان الله سبحانه وتعالى خلق خلقه فريق فى الجنة وهم المؤمنون وفريق فى السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق فى ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى أخرج قاييل من صلب آدم عليه السلام وهونى وكان قاييل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهونى وكان آزر كافرا فكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهونى فهو المتصرف فى خلقه كيف يشاء فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأله النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم أن نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما سأل على أن ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاحوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعنى أنه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهم ولو احكمت الشريعة برفع حكم النسب فى كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى ان نوح انه ليس من أهلك (انه عمل غير صالح) قرأ الكسائى ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقر من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه أن سؤالك اياى أن أنجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعدما حكم عليه باهلاك بعيد فلذلك سأل سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز أن يعود الضمير فى أنه على ابن نوح أيضا ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابنيك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح فذف المضاف كما قالت الخنساء

عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافق والا لاحتدل أن يقول ابني من أهلى ويسأله نجاته وقد سبق منه النهى عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني فى الذين ظاهروا منهم مفرقون فكان يسأله على الظاهر الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لتبيناعليه السلام ويضمر ون الخلف له ولم يعلم بذلك حتى أطلع الله عليه وقوله ليس من أهلك أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة فى السر

(وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) بسم الله متصل باركبو واحلامن الواوى اركبوا فيها سمعين الله وأقائلين بسم الله وقت احرامها
 وقت ارسائها املان المجرى والمرسى للوقت واملانهم امام صدران كالأجراء والارساء حذف منها الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم
 ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم باركوب ثم
 أخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فخرت واذا أراد ان ترسوقال
 بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى امام صدره وقت حمزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمر والباقوت
 بضم الميم وفتح الراء (ان ربى لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم (وهى تجرى بهم) متصل بحذف دل عليه اركبوا فيها بسم الله
 كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر
 وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل (٣٥٣) موجة منه بالجبل فى تراكمها

وارتفاعها (ونادى نوح
 ابنه) كنعان وقيل يام
 والجهور على انه ابنه
 الصلى وقيل كان ابن امرأته
 (وكان فى معزل) عن أبيه
 وعن السفينة مفعول من
 عزله عنه اذا نجاه وأبعده أو
 فى معزل عن دين أبيه
 (يانى) بفتح الياء عاصم
 اقتصارا عليه من الالف
 المبدلة من ياء الاضافة من
 قولك يابنبا غيره بكسر
 الياء اقتصارا عليه من
 ياء الاضافة (اركب
 معنا) فى السفينة أى
 اسلم واركب (ولا تسكن
 مع الكافرين قال سآوى)
 الجأ الى جبل يعصمى من
 الماء) يعنى من الغرق
 (قال لاعاصم اليوم من
 أمر الله الامن رحم) الا
 الراحم وهو الله تعالى أولا

يحمل منها شيئا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وقال اركبوا فيها) يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فى السفينة
 (بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم) يعنى بسم الله اجراؤها وارساؤها وقال الضحاك كان نوح
 اذا أراد ان تجرى السفينة قال بسم الله فتجى وكان اذا أراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسوا
 تقف وهذا تعليم من الله لعباده أنه من أراد امرا فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت
 الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح فى سائر الامور (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) الموج
 ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الرياح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء
 بالسير ارسل الله المطر أربعين يوما و ليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنها أبواب
 السماء بماء منهمر وجرا نالارض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصفان السماء
 ونصفان الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل
 شئ وروى انه لما كثرت الماء فى السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حباشد فخرجت
 به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فالحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فالحقها الماء ذهبت حتى استوت
 على الجبل فامسا باغ الماء الى رقبتهما فغرت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما فلو رحم الله منهم
 أحد لرحم أم الصبي (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافرا (وكان فى معزل) يعنى عن نوح لم يركب
 معه (يانى اركب معنا) يعنى فى السفينة (ولا تسكن مع الكافرين) يعنى فتمهلك معهم (قال)
 يعنى قال كنعان (سآوى) يعنى سألتجى وأصير (الى جبل يعصمى) يعنى يعنى (من الماء قال) يعنى
 قال له نوح (لا عاصم) يعنى لا مانع (اليوم من أمر الله) يعنى من عذابه (الامن رحم) يعنى الامن رحمه
 الله فينجيه من الغرق (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) يعنى كنعان (وقيل) يعنى بعد ما تناهى
 الطوفان وأغرق الله قوم نوح (يا أرض ابلعى ماءك) أى اشر بيه (ويا سماء اقلعى) أى أمسكى (وغيض
 الماء) أى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب (وقضى الامر) يعنى وفرغ من الامر وهو هلاك
 قوم نوح (واستوت) يعنى واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالجيزة بقرب الموصل
 (وقيل بعدا) يعنى هلاكا (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب

(٤٥ - (خازن) - ثانى) عاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أى لا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما
 جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى
 السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحم الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين
 ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المغرقين) فصار أوفى كان فى علم الله (وقيل يا أرض ابلعى ماءك) انشفي وتشرى وبالبع النشف
 (ويا سماء اقلعى) أمسكى (وغيض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد (وقضى الامر) وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه
 (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودى) وهو جبل بالموصل (وقيل بعد اللقمة للظالمين) أى
 سحقا لقوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا بعدا بعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث اهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر فى
 هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان

والشعبى ان التنور هو الذى يخبز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواه عن ابن عباس أيضاً وهذا القول أصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان جملة على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة فى اسم الموضوع الذى يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام فى لفظ التنور للعهد وائس هنا معهود سابق عند السامع فوجب جملة على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأت الماء يشد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك قلت لا يبعد أن يكون ذلك التنور معلوماً عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنور من حجارة وكانت حواه تجبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا فى موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلت به امرأته فأخبرته وكان ذلك فى ناحية الكوفة وكان الشعبى يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبى اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور على بين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة نوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان (قلنا اجل فيها) يعنى قلنا لنوح اجل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) لا يستغنى أحدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرًا وأنثى خسر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه فى كل جنس منها فيقع الذكور فى يده اليمنى والانثى فى يده اليسرى فيجعلهما فى السفينة (وأهلك) أى واجل أهلك ولدك وعمالك (الامن سبق عليه القول) يعنى بالهلاك وأراد به امرأته وأهلها وولده كنعان (ومن آمن) يعنى واجل معك من آمن من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا فى عدد من حمل نوح معه فى السفينة فقال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظى لم يكن فى السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونسأؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلاث كنانين له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نساءهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس كان فى السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرحهم قال الطبرى والصواب من القول فى ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بانقله ولم يحدد عدداً بمقدار فلا ينبغي ان يجاوز فى ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك فى كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضاً بين الرجال والنساء وقصد نوح جميع الدواب والطير ليحملها قال ابن عباس أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق ابايس بذنبه فلم تنقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فيمنهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك فكلت زات على لسانه فلما اقلها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك على يا عدو الله قال لم تنقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى يا عدو الله قال لا بد من أن تحماني معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا انقله البغوى وقال الامام نضر الدين الرازى وأما الذى بروى ان ابايس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم نارى أو هوأتى فكيف يفر من الغرق وأيضا فان كتاب الله لم يبدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوى وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا اجلنا معك فقال انك سبب البلاء فلا اجملكما فقالتا اجلنا فصن نضمن لك أن لا نضر أحد اذ كرك فنقرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين لم تضره وقال الحسن لم يحمل نوح معه فى السفينة الا ما يلدو ويبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم

(قلنا اجل فيها) فى السفينة (من كل زوجين اثنين) تفسيره فى سورة المؤمنین (وأهلك الا من سبق عليه القول) عطف على اثنين وكذا (ومن آمن) أى واجل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا لله لم بأنه يختار الكفر بتقديره وارادته جل خالق العباد عن أن يقع فى الكون خلاف ما أراد (وما آمن معه الا قليل) نوح وأهله وبنوه الثلاثة عليه السلام كانوا ثمانية ونسأؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نساء وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافث ونسأؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء

(وكلم امر عليه ملا من قومه سخر وامنه) من عمله السفينة وكان يعملها في برية في ابعده موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا (٣٥١) منافانا سخر منكم) عند رؤية

الهلك (كما تسخرون) الهلاك
منا عند رؤية الفلك روى
ان نوحا عليه السلام اتخذ
السفينة من خشب الساج في
سنتين وكان طولها ثلثمائة
ذراعا وألفا ومائتي ذراع
وعرضها خمسون ذراعاً
أوسمائه ذراعاً وطولها في
السماء ثلاثون ذراعاً وجعل
طولها ثلاث بطون فجعل في
البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن
الاطول الدواب والانعام
وركب نوح ومن معه في
البطن الاعلى مع ما يحتاج
اليه من الزاد وحمل معه
جسد آدم عليه السلام
وجعله حاجزاً بين الرجال
والنساء (فسوف تعلمون
من آياته) من في محل نصب
بتعلمون أي فسوف
تعلمون الذي آتاه (عذاب
يخزيه) ويعني به آياهم
ويريد بالعذاب عذاب
الدنيا وهو الفرق (ويحل
عليه) وينزل عليه (عذاب
مقيم) وهو عذاب الآخرة
(حتى) هي التي يبدأ
بعدها الكلام أدخلت
على الجملة من الشرط والجزاء
وهي غاية لقوله ويصنع
الفلك أي وكان يصنعها
الى أن جاء وقت الموعد

أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً بعمل السفينة أقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب
ويضرب الحديد ويهيء القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يرون به وهو في عمله فيسخررون
منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة وأقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم أهل
التوراة ان الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله
ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق
سفلى ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى فضة نوح كما أمر الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح
السفينة في سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراعاً وعرضها خمسين ذراعاً وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً وكانت
من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن
الاطول الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال
قتادة وكان بابها في عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفاً ومائتي ذراعاً وعرضها ستون ذراعاً والقول
الاول أشهر وهو ان طولها ثلثمائة ذراعاً وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة
سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة أطباق
الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للاناس والطبقة العليا للطير فلما كثرت أرواث الدواب
أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح
على الخنزير فوقع منه الفأر فاقبلوا على الروث فاكوه فلما أفسد الفأر في السفينة جعل يقرضها و يقرض
حبابها أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة
وهي القطعة والقطا فاقبلوا على الفأر فاكلوه كلاً ۞ قوله سبحانه وتعالى (وكلم امر عليه ملا من قومه) أي جماعة
من قومه (سخر وامنه) يعني استهزأ به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجاراً وقيل قالوا
يا نوح ماذا تصنع قال اصنع بيتاً يمشى على الماء فضحكوا منه (قال) يعني نوحاً لقومه (ان تسخروا منا فانا نسخر
منكم كما تسخرون) يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لبتعريضكم لما يوجب سخط الله وعذابه
فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما
تسخررون قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله سبحانه
وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى ان انا زى غيب سخر يتكلم بنا اذ انزل بك العذاب وهو قوله تعالى (فسوف
تعلمون) يعني فسيترون (من آياته) يعني آياتنا يهينون أو أنهم (عذاب يخزيه) يعني يهينه ويخزل عليه
عذاب مقيم) يعني في الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الفرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب
الآخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له ۞ قوله عز وجل (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور) يعني وغلى
والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسم غير هذا فذلك جاء في
القرآن بهذا اللفظ فخطوبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربي وعجمي وقيل ان
لفظ التنور أصله أعجمي فتكلمت به العرب فصارعوا بيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور
فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه
الارض فارك السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوراً التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال
على فار التنور أي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد

وما بينهما من الكلام حال من يصنع أي يصنعها والحال أنه كلما امر عليه ملا من قومه سخر وامنه وجواب كما سخر واو قال استثناف على
تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخر وا بدل من مر أو صفة للا (اذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التنور) هو كناية عن اشتداد الامر
وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من ينجز حواء فصار الى نوح ضايعه السلام وقيل التنور وجه الارض

ان شاء) أى ليس الايمان بالعذاب الى وانما هو الى من كفرتم به (وما أتم بهمجز ين) أى لم تقدر واعلى الحرب منه (ولا ينفعكم نصحي) هو اعلام . وضع النى ايتى والرشد ليقتنى واسكنى انى نصحي مدنى وأبو عمرو ٧ (ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقداً فى الحكم لما عرف تقديره ان كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا (٣٥٠) فى ارادة المعاصى (هور بكم) فيتصرف فيكم على قضية ارادته (واليه ترجعون)

فيجاز بكم على اعمالكم (أم يقولون افتراه) بل يقولون افتراه (قل ان افتريته فعلى اجرامى) أى ان صح أنى افتريته فعلى عقوبة اجرامى أى افترائى يقال أجرم الرجل اذا أذنب (وأنا برىء) أى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلاوجه لاعراضكم ومعادنكم (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اقلنا من ايمانهم وأنه غير متوقع وفيه دليل على أن للإيمان حكم التجدد كانه قال ان الذى آمن يؤمن فى حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت فى الايمان باقرآن (فلا تبئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن حزناً بائساً مستكين والابتناس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقير والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وابدائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (واصنع الفلك باعينا) هو فى موضع الحال أى اصنعهما محفوظاً وحقيقته ملتبساً باعينا كأن الله معه اعيننا كآؤه من أن يزيد فى صنعته عن الصواب (روحينا) واننا ووحى اليك وانهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهم لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعهما مثل جوج الطير (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرورون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (واصنع الفلك) حكاية حال ماضية

ان شاء) يعنى قال نوح قومه حين استهجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله ينزله متى شاء وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم (وما أتم بهمجز ين) يعنى وما أتم بقائتین ان أراد الله نزول العذاب بكم (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم) يعنى ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم (ان كان الله يريد أن يغويكم) يعنى يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدى الى الهلاك (هور بكم) يعنى انه سبحانه وتعالى هو يملككم فلا تقدر ان يخرج من سلطانه (واليه ترجعون) يعنى فى الآخرة فيجاز بكم باعمالكم (أم يقولون افتراه) أى اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحى الذى جاءهم به (قل ان افتريته) أى اختلقته (فعل اجرامى) أى اثم اجرامى والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى أنها اكتسب الذنب واقتطعه (وأنا برىء مما تجرمون) يعنى من الكفر والتكذيب وأكثرا المفسرين على أن هذا من محاوره نوح قومه فهمى من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعنى المشركين من كفار مكة افتراه يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة فى قصة نوح ﷺ ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى (وأوحى الى نوح أنه ان يؤمن من قومك الا من قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضر بون نوح حتى يسقط فيلقونه فى لبدو يلقونه فى بيت يظنون انه قد مات فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم الى الله وروى ان شيخاً منهم جاء متسكماً على عصاه ومعه ابنه فقال يا بنى لا يعرفك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبا عبد الله من العصفاء أخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شججه شجوة منكورة فأوحى الله اليه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (فلا تبئس) يعنى فلا تحزن عليهم فأتى مملهمكم بما كانوا يفعلون) يعنى بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعانا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذرعلى الارض من الكافر بن ديار اوحى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمير الليثى انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فى خنقه فونه حتى يغشى عليه فاذا فاق قال رب اغفر اقومى فانهم لا يعلمون حتى تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتى قرن الا كان انحس من الذى قبله ولقد كان يأتى القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا ونحن وانا فلا يقبلون منه شيئاً فوشكنا نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ايلان نهار الآيات حتى بلغ رب لا تذرعلى الارض من الكافر بن ديار اوحى الله سبحانه وتعالى اليه (واصنع الفلك) يعنى السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع (باعيننا) قال ابن عباس مرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا (روحينا) يعنى باسناننا (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرورون) يعنى بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني فى امهال الكفار فأتى قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبني فى ابنك كعبان وامراتك واعلة فانهم ما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحاً فقال له ان ربك يأمرك أن تصنع الفلك فقال كيف أصنعها ولست نجاراً فقال ان ربك يقول اصنع فانك باعيننا فأخذ القودم وجعل ينجر ولا يخطئ فصنعها مثل جوج الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (واصنع الفلك) يعنى كما أمره الله سبحانه وتعالى قال

أعدائك (واصنع الفلك باعينا) هو فى موضع الحال أى اصنعهما محفوظاً وحقيقته ملتبساً باعينا كأن الله معه اعيننا كآؤه من أن يزيد فى صنعته عن الصواب (روحينا) واننا ووحى اليك وانهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهم لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جوج الطير (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرورون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (واصنع الفلك) حكاية حال ماضية

(أنزلكموها) أي الرحمة (وأنتم لها كارهون) لآثر يدينها والواو دخلت هنا تمة للميم وعن أبي عمر واسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن الاخلسة خفيفة فظنها الراوي سكوها وهو لحن لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر (و يا قوم لا أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة لانه مدلول قوله اني لكم نذير (مالا) أجزا يشقل عليكم ان أديتم (٣٤٩) أو على ان أيتيم (ان أجرى) مدني وشامي

وأبو عمرو وحفص
(الاعلى الله وما أنا بطارد
الذين آمنوا) جواب
لهم حين سألوهم
ليؤمنوا به أنفة من
المجالسة معهم (انهم ملاقوا
ر ٣٣) فيشكوتني اليه
ان طردتهم (ولكني
أراكم قوما تجهلون)
تسافهون على المؤمنين
وتدعونهم أراذل أو
تجهلون لقاء ربكم وأنهم
خير منكم (و يا قوم من
ينصرتني من الله) من
بمنعني من انتقامه (ان
طردتهم أفلا تذكرون)
تتعظون (ولا أقول لكم
عندي خزائن الله) فادعي
فضلا عليكم بالفني حتى
تجدوا فضلي بقولكم
وما نرى لكم علينا من فضل
(ولأعلم الغيب) حتى أطلع
على ما في نفوس أتباعي
وضمائر قلوبهم وهو
معطوف على عندى
خزائن أي لا أقول عندى
خزائن الله ولا أقول أنا أعلم
الغيب (ولا أقول اني ملك)
حتى تقبلوا ما أتت الا
بشر مثلنا (ولا أقول
للذين تزدري أعينكم)

يعني خفيت وألبست عليكم (أنزلكموها) الهاء عائدة على الرحمة والمعنى أنزلكم أيها القوم قبول الرحمة
يعني أنا لا تقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا (وأنتم لها كارهون) وهذا استفهام معناه الانكار أي
لا أقدر على ذلك والذي أقدر عليه أن أدعوكم الى الله وليس لي أن أضطركم الى ذلك قال قتادة والله
لو استطاع نبي الله لآلزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك (و يا قوم لا أسألكم عليه مالا) يعني لا أسألكم ولا أطلب
منكم على تبليغ الرسالة جعل (ان أجرى الاعلى الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) وذلك انهم طلبوا من نوح
أن يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك لانهم يعتقدون (انهم ملاقوا ر ٣٣) فلا
أطردهم (ولكني أراكم قوما تجهلون) يعني عظمة الله ووحدة نبوته وربوبيته وقيل معناه أنكم تجهلون
ان هؤلاء المؤمنون خير منكم (و يا قوم من ينصرتني من الله ان طردتهم) يعني من بمنعني من عذاب الله ان
طردتهم عنى لانهم مؤمنون مخلصون (أفلا تذكرون) يعني فتتعظون (ولا أقول لكم عندى خزائن الله)
هذا عطف على قوله لا أسئلكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندى خزائن الله يعني التي
لا يفنيها شيء فادعوكم الى اتباعي عليها لا اعطيكم منها وقال ابن الانباري الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو
منطوق عن الخلق وانما يجب أن يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك الا
الذين هم أراذلنا بادي الرأي وادعوا أن المؤمنين انما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين
له فقال مجيبا لهم ولا أقول لكم عندى خزائن الله التي لا يعلم منها ما ينطوى عليه عبادته وما يظهر منه الا هو وانما
قيل للغيب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول أولى لي بحصول الفرق بين قوله ولا
أقول لكم عندى خزائن الله وبين قوله (ولأعلم الغيب) يعني ولا ادعي علم ما يغيب عني مما يسرونه في نفوسهم
فسبيلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمائرهم الا الله (ولا أقول اني ملك) وهذا جواب لقولهم
ما نراك الا بشرا مثلنا أي لا ادعي اني من الملائكة بل أنا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وأبلغكم ما أرسلت به
اليكم **فصل** استدلل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه السلام قال
ولا أقول اني ملك لان الانسان اذا قال أنا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل
من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب ان
نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم أن الرسل لا
يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا ظن باطل وأن الرسل الى البشر انما يكونون
من البشر فلما قال سبحانه وتعالى (ولا أقول اني ملك ولم يرد ان درجة الملائكة أفضل من درجة الانبياء
والله أعلم) وقوله سبحانه وتعالى (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) يعني تحتقر وتستصغروا عينكم يعني
المؤمنين وذلك لما قالوا انهم أراذلنا من الرذالة وهي الخسة (ان يؤتوهم الله خيرا) يعني توفيقا وهداية وإيمانا
وأجرا (الله أعلم بما في أنفسهم) يعني من الخير والشر (ان اذالمن الظالمين) يعني ان طردتهم مكذبا ظاهرهم
ومبطلا لإيمانهم يعني اني ان فعلت هذا فإني أكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله فإنا من الظالمين (قالوا
يا نوح قد جادلتنا) يعني خاصمتنا (فأكثرت جدالنا) يعني خصومتنا (فأنا بما نعدنا) يعني
من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني في دعواك انك رسول من الله الينا (قال انما يأتيكم به الله

ولا أحكم على من استرذتم من المؤمنين لفقيرهم (لن يؤتوهم الله خيرا) في الدنيا والآخرة طوانه عليه مساعدة لكم ونزول اعلى هو اكتم الله أعلم
بما في أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا أطلع على خفي أسرارهم (ان اذالمن الظالمين) ان قلت شيئا من ذلك
والا زدراه افتعال من ذرى عليه اذا عابه وأصله تترى فابدلت التاء الالا (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثرت جدالنا فأنابنا
تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) في وعدك (قال انما يأتيكم به الله

(هل يستويان) يعني الفرقين (مثلاً) تشبهاً وهو نصب على التمييز (أفلا تذكرون) فتنفَعون بضرب المثل (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه
 أني لكم نذير مبين) أي باني والمعنى أرسلناه ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله أني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان
 والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وعاصم وحزة على إرادة القول (أن لا تعبدوا إلا الله) أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير
 أني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالام فيه (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف
 لانهم يملؤون القلوب هيبة (۳۴۸) والمجالس أبهة أولانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما تراك الا بشراً مثلنا)

أراد انه كان ينبغي أن
 يكون ملكاً أو ملكاً
 (وما تراك اتبعك الا الذين
 هم أراذلنا) أخسأ وناجع
 الارذل (بادى) وبالهمزة
 أبو عمرو (الرأى)
 وبغير همز أبو عمرو رأى
 اتبعوك ظاهر الرأى أو
 أول الرأى من بدا يبدو
 اذا ظهر أو بدأ يبدأ اذا
 فعل الشئ أو لا واتصابه
 على الظرف أصله وقت
 حدوث ظاهر رأيه-م أو
 أول رأيه-م خذف ذلك
 وأقيم المضاف اليه مقامه
 أرادوا أن اتباعهم لك شئ
 عن لهم بديهة من غير روية
 ونظروا ولو تفكروا ما اتبعوك
 وإنما استرذلو المؤمنين
 لفقرهم وتأخرهم في
 الاسباب الدنيوية لانهم
 كانوا جهالاً ما كانوا
 يعلمون الا ظاهراً من
 الحياة الدنيا فكان
 الاشراف عندهم من له جاه
 ومال كجاري أكثر التسمين
 بالاسلام يعتقدون ذلك
 ويبنون عليه اكرامهم

ضرب لهم مثلاً فقال تبارك وتعالى مثل الفرقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالأعمى وهو
 الذي لا يهتدى لرشد والاصم وهو الذي لا يسمع شيئاً البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشياء على ما هيها
 والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويحيب الداعي فمثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل
 في نفسه ومثل الكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه (هل يستويان مثلاً) قال الفراء
 لم يقل هل يستويان لأن الأعمى والاصم في حين كآتهم أو واحد وعثمان وصف الكافر والبصير والسميع في حين
 كآتهم أو واحد وعثمان وصف المؤمن (أفلا تذكرون) يعني فتعظون قوله عز وجل (ولقد أرسلنا
 نوحاً إلى قومه أني لكم نذير مبين) يعني أن نوحاً عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم أني لكم أيها
 القوم نذير مبين يعني بين النذارة أو خوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى
 (أن لا تعبدوا إلا الله أني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) يعني مؤلم موجه قال ابن عباس بعث نوح بعد
 أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفاً وخمسين
 سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومبث
 يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً وبعائة
 وخمسين سنة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح (ما تراك) يا نوح
 (الابشرا مثلنا) يعني آدمياً مثلاً لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمنع اشتهاه الى
 حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وإنما قالوا هذه المقالة ونسكوا بهذه الشبهة جهلاً منهم
 لان من حق الرسول أن يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المحجة
 الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله الى
 عباده ثم قال سبحانه وتعالى اخباراً عن قوم نوح (وما تراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) يعني
 سفلتنا والارذل الدون من كل شئ قيل هم الحاكمة والاسا كفة وأصحاب الصنائع الخسيسة وإنما قالوا ذلك
 جهلاً منهم أيضاً لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف والبال والمناصب العالية بل
 للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين (بادى الرأى) يعني
 انهم اتبعوك في أول الرأى من غير تثبت وتفكر في أمرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأى يعني
 اتبعوك ظاهراً من غير أن يتفكروا باطناً (وما تراك) لكم علينا من فضل) يعني بالمال والشرف والجاه وهذا
 القول أيضاً جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايان والطاعة لا بالشرف والرياسة (بل نزنكم
 كاذبين) قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ
 الجمع للواحد على سبيل التعظيم (قال) يعني نوحاً (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) يعني على بيان
 ويقين من ربي بالذي أنذرتكم به (وأتاني رحمة من عنده) يعني هداية ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم)

واهاتهم وانقذزل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحد من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (وما تراك) يعني
 علينا من فضل) في مال ورأى عنوانوا وأتباعه (بل نزنكم كاذبين) أي نوحاً في الدعوة ومتبعيه في الاجابة والتصديق يعني تواطأتم على
 الدعوة والاجابة تسيباً للرياسة (قال يا قوم أرايتم) أخبروني (ان كنت على بينة) برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي
 (وأتاني رحمة من عنده) يعني النبوة (فعميت عليكم) أي خفيت عليكم (فعميت عليكم) أي خفيت أي خفيت أي خفيت أي خفيت فلم تهتدتم
 كالأعمى على القوم دليلهم في المغازة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الأعمى لا يهتدى ولا يهتدى غيره

(الذين يصدون عن سبيل الله) يصفون الناس عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن
يعوجوا بالارتداد (وهم بالآخرة هم كافرون) هم الثانية لنا كيد كفرهم بالآخر (٣٤٧) واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا)

أى ما كانوا (مجزين في
الارض) بمجزين الله في
الديان يعاقبهم لو أراد
عقابهم (وما كان لهم من
دون الله من أولياء) من
يتولاهم فينصرهم منه
ويعنههم من عقابه ولكنه
أراد انظارهم وتأخير
عقابهم الى هذا اليوم وهو
من كلام الاشهاد (يضاعف
لهم العذاب) لانهم أضلوا
الناس عن دين الله يضعف
مكي وشامى (ما كانوا
يستطيعون السمع) أى
استماع الحق وما كانوا
يبصرون الحق (أولئك
الذين خسروا أنفسهم) حيث
اشترى عبادة الآله بعبادة
الله (وضل عنهم) وبطل
عنهم وضاع ما اشتروه وهو
(ما كانوا يفترون) من
الآلهة وشفاعتها (لاجرم
أنهم في الآخرة هم
الآخسرون) بالصد
والصدود وفي لاجرم أقوال
أحدها أن لاردل كلام
سابق أى ليس الامر كما
زعموا ومعنى جرم كسب
وفاعله مضمر وانهم في
الآخرة فى محل النصب
والتقدير كسب قولهم
خسرانهم فى الآخرة
وانها أن لاجرم كما تان

وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فية ولسترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب
حسابه وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقولون لا شهاد وفى رواية فينادى
بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم أللعنة الله على الظالمين قوله سبحانه وتعالى
(الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى أللعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين
يصدون عن سبيل الله يعنى ينعون الناس من الدخول فى دين الله الذى هو دين الاسلام (ويبغونها عوجا)
يعنى ويطلبون القاء الشبهات فى قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام (وهم بالآخرة هم
كافرون) يعنى وهم مع صدقهم عن سبيل الله يحدون البعث بعد الموت وينكرونه (أولئك) يعنى من هذه
صفتهم (لم يكونوا مجزين فى الارض) قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هار بين وقيل فأتين فى الارض
والمعنى أنهم لا يجزون الله اذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم فى قبضته وملكه لا يقدر على
الامتناع منه اذا طلبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يعنى وما كان لهؤلاء المشركين من أنصار
يعنونهم من دون الله اذا أرادهم سواء أوعذابا (يضاعف لهم العذاب) يعنى فى الآخرة يضاعف لهم العذاب بسبب
صدقهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون)
قال قتادة صموا عن سماع الحق فاليسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فأيأخذون به وقال ابن
عباس أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أهلك بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة ما فى الدنيا فانه قال
ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون وأما فى الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة
أبصارهم (أولئك الذين خسروا أنفسهم) يعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم
حظوظهم من رحمة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل كذبهم وافكهم وفريبتهم على الله
وادعاهم أن الملائكة والاصنام تشفع لهم (لاجرم) يعنى حقا وقال الفراء لا محالة (انهم فى الآخرة هم
الآخسرون) لانهم باعوا منازلهم فى الجنة واشتروا عوضها منازل فى النار وهذا هو الخسران المبين ﴿ قوله
عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) لماذا كرا الله عز وجل أحوال الكفار فى
الدنيا وخسرانهم فى الآخرة أتبعه به بذ كرا أحوال المؤمنين فى الدنيا وربحهم فى الآخرة والاخبار فى اللغة
هو الخشوع والخضوع وطماينة القلب واقظ الاخبار يتعدى بالى وباللام فاذا قلت أختب فلان الى كذا
فمعناه اطمأن اليه واذا قلت أختب له فمعناه خضع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى
جميع أعمال الجوارح وقوله وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهى الخضوع والخشوع لله عز وجل يعنى
ان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع فى الآخرة الا بحصول أعمال القلب وهى الخشوع والخضوع فاذا فرنا
الاخبار بالطمأنينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئين الى صدق وعد الله بالشواب
والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فرنا الاخبار بالخشوع
والخضوع كان معناه أنهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع
(اولئك) يعنى الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أخبر عن حالهم فى الآخرة بانهم من أهل
الجنة التى لا انقطاع لتعيمها ولا زوال ﴿ قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير
والسميع) لماذا كرا الله سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق
ومن الصمم عن سماعه وذ كرا أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والاتباع لاطاعة

ركبتا فصار معناهما حقا وان فى موضع رفع بانه فاعل لحق أى حق خسرانهم وثالثها أن معناه لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا
الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادة بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة (اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع

وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيات فقال له رجل وانت أي آية نزلت فيك فقال علي ما تقر الآية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد نشر يف هذا الشاهد وهو على لانصالة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلوا القرآن في التصديق بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ومن قبله)﴾ يعني ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم (كتاب موسى) يعني التوراة (امامو رحمة) يعني انه كان اماما لهم يرجعون اليه في أمور الدين والاحكام والشرائع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة ﴿وقوله تعالى (أولئك يؤمنون به)﴾ يعني أن الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (من الأحزاب) يعني من جميع الكفار وأصحاب الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والأحزاب الفرق الذين تجزوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء (فالنار موعده) يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع في أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بغت حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى باغى هذا الحديث لا يسمع في أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الأحزاب فانما موعده قال فالأحزاب أهل الملل كلها ﴿ثم قال سبحانه وتعالى (فلاتك في مرتبة من ربه)﴾ فيه قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراه والقول الثاني أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده يعني فلاتك في شك من ان النار موعده من كفر من الأحزاب والخطاب في قوله فلاتك في مرتبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وبعض هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني لا يصدقون بما أوحينا اليك أو من ان موعده الكفار النار قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني أي الناس أشد تعديا من اختراق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا أو ولدا في الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ورد في معرض المبالغة (أولئك) يعني المفترين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعني يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا (ويقول الشهداء) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الشهداء الخلق كلهم (هوؤلاء الذين كذبوا على ربهم) يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله (الأعنة الله على الظالمين) يعني يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز الماضي قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرر به ذنوبه تعرف ذنب كذا

(ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (اماما) كتابا مؤتمنا به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أي من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الأحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) مصيره ومورده (فلاتك في مرتبة) شك (منه) من القرآن أو من الموعده (انه الحق من ربك) ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو لئلك يعرضون على ربهم) يجسسون في الموقف وتعرض أعمالهم (ويقول الشهداء) هوؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ويشهد عليهم الشهداء من الملائكة والنبیین بانهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا (ألعنة الله على الظالمين) الكاذبين على ربهم والشهاد جمع شاهد كصحاب وصاحب وشهيد كشره وأشراف

على صحة هذا القول سيق الآيه وهو قوله وأتاك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار الآيه وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان جل الآيه على العموم أو لى فيندرج الكافر والمنافق الذى هذه صفته والمؤمن الذى يأتى بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد فى هذه الآيه هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه وتعالى أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار لا يلىق بحال المؤمن اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت غير الله استحق فاعلمها الوعيد الشديد وهو عذاب النار وبدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا غنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً غير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً ما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرض من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ربحها أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعودوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال وادنى جهنم تتعود منه جهنم كل يوم أنف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرأون بأعمالهم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال البغوى وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجه بغير سند والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها وليعتقدا فيه الصلاح وليقصدوه بالعبادة فهذا العمل هو الذى غير الله تعودوا بالله من الخذلان قال البغوى وقيل هذا فى الكفار يعنى قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وادته الآخرة غالبية فيجازى بحسناته فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة وروى يناعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة ثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة وأما الكافر فيطمع بحسناته فى الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً أخرجه البغوى بغير سند قوله سبحانه وتعالى (أفمن كان على بينة من ربه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآيه المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر فى هذه الآيه من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفمن كان على بينة من ربه أى كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم فى الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو فى ضلالة وكفر والمراد بالبينه الدين الذى أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينه اليقين يعنى أنه على يقين من ربه أنه على الحق (ويتلوه شاهد منه) يعنى ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلّفوا فى الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وبرايم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد أن جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيدوه ويسددهم ويقويه وقال الحسن وقتادة هو اسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنت التالى قال وما تعنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت انى هو ولكن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عمافى الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلوغه وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن على وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه

كان عملهم فى نفسه باطلا
لانه لم يعمل لغرض صحيح
والعمل الباطل لا ثواب له
(أفمن كان على بينة من ربه)
أمن كان يريد الحياة الدنيا
كمن كان على بينة من ربه
أى لا يعقبونهم فى المنزلة
ولا يقارونهم يعنى ان بين
الفر يقين تبايننا وأراد
بهم من آمن من اليهود كعبد
الله بن سلام وغيره كان على
بينته من ربه أى على
برهان من الله وبيان ان
دين الاسلام حق وهو
دليل العقل (ويتلوه)
ويتبع ذلك البرهان
(شاهد) يشهد بصحته
وهو القرآن (منه) من
الله وأمن القرآن فقد مر
ذكره آنفاً

(وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) أنه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو) أى أنزل

(٣٤٤)

ملتبساً بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا

عند ذلك أن لا اله الا الله وحده وأن توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قبل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا اجد ثوبهم اولان الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعالمهم بالجز عنه فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى باذنه أو بامر (فهل أتم مسلمون) متبعون للاسلام بعد هذه الحجّة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فغناه فانتبوا على العلم الذى أتم عليه وازدادوا يقيناً على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير محس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة

وتعالى فانوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم بان يا توابسورة مثله فلم يقدروا على ذلك ومعجز واعنه فكيف قال فانوا بعشر سور مثله مفتريات ومن معجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز فقلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم أولاً بعشر سور فلما معجز واتحداهم بسورة يونس وأنكر المبرهذه القول وقال ان سورة يونس نزلت أولاً قال ومعنى قوله في سورة يونس فانوا بسورة مثله يعنى مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فانوا بعشر سور مثله يعنى في مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمره بان يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (ان كنتم صادقين) يعنى في قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم انه لما شتمت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فانوا بعشر سور مثله مفتريات والثاني أمر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احتمال أن يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة للجزهم عنها واحتمل أن يكون المراد أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين أحدهما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين معجزهم فلما معجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى انبياه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم في ادعوتوهم اليه من المعارضة ومعجزوا عنه (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) يعنى فانتبوا على العلم الذى أتم عليه وازدادوا يقيناً وثباتاً لانهم كانوا عالمين بانه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (وأن لا اله الا هو) يعنى الذى أنزل القرآن هو الله الذى لا اله الا هو لا من تدعون من دونه (فهل أتم مسلمون) فيه معنى الامر أى أسلموا وأخلصوا لله العباداة وان حملنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أتم مسلمون الترعيب أى دو مواعلى ما أتم عليه من الاسلام قوله عز وجل (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) يعنى بعمله الذى يعمل من أعمال البر نزلت في كل من عمل عملاً يتغنى به غير الله عز وجل (نوف اليهم أعمالهم فيها) يعنى أجور أعمالهم التى عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المسكاره في الدنيا ونحو ذلك (وهم فيها لا يبخسون) يعنى انهم لا ينقصون من أجور أعمالهم التى عملوها لطلب الدنيا بل يعطون أجور أعمالهم كاملة موفرة (أولئك الذين ايس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) يعنى وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملاً لحافى غير تقوى يعنى من أهل الشرك أعطى على ذلك أجر في الدنيا وهو ان يصل رجلاً أو يعطى سائلاً أو يرحم مضطراً أو نحو هذا من أعمال البر فيعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في العيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله و يدفع عنه المسكاره في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب وبدل

والرزق وهم الكفار أو المنافقون (وأولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة على ما صنعوه أو صدقهم أى لم يكن لهم ثواب لانهم لم يربدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى

ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أفسح الناس صدر اولانه أشكل بتارك (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كتر أو جاء معه ملك) هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكثر لننفضه والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه مالا نر بده ولا تقترحه (انما أنت نذير) أي ليس عليك الآن تنذيرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أو تمها ونوا (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعلهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه و عليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح و صدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفهمهم واستهزائهم (أم يقولون) أم منقطة (افتراه) الضمير لما يوحى اليك (قل فاتوا بعشر سور) تحداهم أو لا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه ا كتب عشرة أسطر نحو ما ا كتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى عمالة

اليك ربك ان تبلغه الي من أمرك ان تبلغ ذلك اليه (وضائق به صدرك) يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه يا هم وذلك ان كفار مكة قالوا انت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك ذكر آلهتهم ظاهر فأ نزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لاختلاف الاعداد ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما نزل الله عليه الى أمته ولم يكتف منه شيئا وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانداز ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول أحد الان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الي من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فانت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك أجوبة أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة البلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثاني ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزل اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه وتمها ونوا به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضييق صدره لذلك وان باقى اليهم ما لا يقبلونه ويستهزؤن به فامر الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحى اليه وأن لا يلتفت الى استهزائهم وأن تحمل هذا الضرر أهون من كتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الحقيقة لان الانسان اذا علم أن كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم أن الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجبه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم ورددهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أي لعلك تارك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أي بان تتلوه عليهم (أن يقولوا) يعني مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كتر) يعني يستغنى به وينفقه (أو جاء معه ملك) يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي والمعنى انهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وانت عزيز عنده مع أنك فقير فلهذا أنزل عليك ما نستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ما لك يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل (انما أنت نذير) تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالشواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك (والله على كل شيء وكيل) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعني بل يقول كفار مكة اختلقه يعني ما أوحى اليه من القرآن (قل) أي قل لهم يا محمد (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات) لما قالوا له افتريت هذا القرآن واخترتته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخی لهم العنان وفاضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا الي اختلقته من عند نفسي ولم يوح الى شيء وان الامر كما قلت وأتم عرب مثلي من أهل الفصاحة وقرسان البلاغة وأصحاب اللسان فاتوا أتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به محتق من عند أنفسكم فانكم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه

كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واخترتته من عند نفسك وليس من عند الله أرخی معهم العنان وقال هبوا أي اختلقته من عند نفسي فاتوا أتم أيضا بكلام مثله محتق من عند أنفسكم فاتم عرب فصحاء مثلي

(ليلوكم) أى خلق السموات والارض وما بينهما الممتحن فهم اولم يخلق هذه الاشياء لانفسها (أيكم حسن عملا) أكثر شكرا وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة لله فن شكر وأطاع أتابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما شبه ذلك اختبار المختبر قال ليلوكم أى ليفعل بكم ما يفعله المبلى لحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ايقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاداجعله سحر افقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغبره ساحر حزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (الى امة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل (٣٤٢) والمعنى الى حين معلوم (ليقولن ما يحبس) ما يمنع من النزول استهجا لاله على وجه

التكذيب والاستهزاء
(الايوم يأتيهم) العذاب
(ليس) العذاب (مصروفا عنهم) ويوم منصوب بمصروفا أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا يستهزؤن) العذاب الذى كانوا يستهزؤن وانما وضع يستهزؤن موضع يستهجلون لان استهجلهم كان على وجه الاستهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو للجنس (منارحة) نعمة من صحة وأمن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم ثم نزعناها (منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لما سأل من الثقلب فى

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب لله مقادير الخلقى قبل أن يخلق السموات والارض خمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفى رواية فرغ الله من المقادير وأمر الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء خمسين ألف سنة قوله فرغ بدأ تمام خلق المقادير لأنه كان مشغولا ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقوله سبحانه وتعالى (ليلوكم) يعنى ليختبركم وهو أعلم بكم منكم (أيكم أحسن عملا) يعنى بطاعة الله وأورع عن محارم الله (ولئن قلت) يعنى ولئن قلت يا محمد طهؤلاء الكفار من قومك (انكم مبعوثون من بعد الموت) يعنى للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) يعنون القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة) يعنى الى أجل محدود وأصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكابه قال سبحانه وتعالى الى انقراض امة ومجى امة أخرى (ليقولن ما يحبس) يعنى أى شئ يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استهجا لاله بالعذاب واستهزاء يعنون أنه ليس بشئ قال الله عز وجل (الايوم يأتيهم) يعنى العذاب (ليس مصروفا عنهم) أى لا يصرفه عنهم شئ (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن) يعنى ونزل بهم وبالاستهزاء ثم قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقنا الانسان منارحة) يعنى رضاء وسعة فى الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ثم نزعناها (منه) يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به (انه ليؤس كفور) يعنى يظلم قانطامن رحمة الله آيسا من كل خير كفورا أى محمودا لنعمة تمناع عليه ولا قاييل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحد ها فان نزعنا عنك فينبى لى لك أن تصبر ولا تياس من رحمة الله فانه العواد على عبادته بالخبر وهو قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعنى ولئن نحن أنعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولن) يعنى الذى أصابه الخير والسعة (ذهب السيآت عنى) يعنى ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجرأة عليه لانه لم يصف الاشياء كلها الى الله وانما أضافها الى العوائد فلها ذمه الله تعالى فقال (انه لفرح خفور) أى انه أشرب بطر والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المراد والمستهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه ﴿ ثم استغنى فقال تبارك وتعالى (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) قال الفراء هذا الاستثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكر واعليها (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم مغفرة) يعنى لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى الجنة ﴿ قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل انبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى

نعمة الله نساء له (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله (ليقولن ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتني (انه لفرح) أشرب بطر (خفور) على الناس بما أذقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين صبروا) فى المحنة والبلاء (وعملوا الصالحات) وشكروا فى النعمة والرخاء (أولئك هم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى الجنة كانوا يقترحون عليه آيات نعمتنا لا استرشاد لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى ارشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم ما يقبلونه ويضحكون منه فهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزاءهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) أى اهلك تترك أن

اليك

المستقر الجنة والنار والمستودع القبر (كل في كتاب مبين) أي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها
 ﴿قوله عز وجل (وهو الذي خالق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) يعني قبل خلق
 السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوته خضراء ثم نظر لها بالهيبه فصارت ماء بر تعد ثم خلق الريح
 فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمره ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم
 خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم
 ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن
 قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش
 كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فح القبضة فارتفع دخان ثم
 قضاهن سبع سموات في يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها
 ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال
 بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن
 له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا
 يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي
 بالباب فأتى ناس من بني تميم فقالوا اقبلوا البشري يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا امرتين فتغير وجهه ثم دخل
 عليه ناس من أهل اليمن فقالوا اقبلوا البشري يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا
 جئنا لتتفق في الدين ولنسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء قبله
 وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك
 ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطامها فاذا السراب يقطع دونها وأيم الله لو ددت أنها ذهبت ولم أقم عن أبي رزين
 العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عمامة ما فوقه هواء وما تحته هواء
 وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال قال أحمد بن حنبل في عمامة ما فوقه هواء وما تحته هواء
 كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا
 غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذر كل شيء وقوله
 في عمامة وجدته في كتاب عمامة مقيد بالمد فان كان في الاصل ممدودا فعنه سحاب رقيق وير يدب قوله في عمامة
 أي فوق سحاب مدبر اله والياء عليه كما قال سبحانه وتعالى أمنت من في السماء يعني من فوق السماء وقال
 تعالى لا صلبنكم في جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أي ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله
 وما تحته هواء أي ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فعنه
 لاشئ ثابت لانه مما عمى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ
 غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أي ليس فوق العمى الذي هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لان
 ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروي صاحب الغرر بين قال بعض أهل
 العلم معناه أين كان عرش ربنا حذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية وابدل على ذلك قوله سبحانه
 وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الأثير العمامة في اللغة السحاب الرقيق وقيل
 الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا حذف وابدل على
 هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم في العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه
 الفطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والافلاندرى
 كيف كان ذلك العمامة قال الازهرى فنحن نؤمن به ولا نكفي صفته (م) عن عبد الله بن عمر بن العاص قال

(كل في كتاب مبين) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذي خلق السموات والارض) وما بينهما (في ستة أيام) من الاحد الى الجمعة تعليلا للتأني (وكان عرشه على الماء) أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض والماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض فيل بدأه بخلق ياقوته خضراء فنظر اليها بالهيبه فصارت ماء ثم خلق ريحاً فافقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار

(وان تولوا) وان تتولوا
 (فاني أخاف عليكم عذاب
 يوم كبير) هو يوم القيامة
 (الى الله مرجعكم) رجوعكم
 (وهو على كل شيء قدير)
 فكان قادراً على اعادتك
 (الانهم يننون صدورهم)
 يزورون عن الحق
 وينحرفون عنه لان من
 أقبل على الشيء استقبله
 بصدوره ومن ازور عنه
 وانحرف ثني عنه صدره
 وطوى عنه كشمه
 (ليستخفوا منه) ليطلبوا
 الخفاء من الله فلا يطلع
 رسوله والمؤمنون على
 ازورارهم (الاحين
 يستغشون ثيابهم) بتغطون
 بهما أي يريدون الاستخفاء
 حين يستغشون ثيابهم
 كراهة الاستماع كلام الله
 كقول نوح عليه السلام
 جعلوا أصابعهم في آذانهم
 واستغشوا ثيابهم (يعلم
 مايسرون وما يعلنون) أي
 لاتفاوت في علمه بين
 اسرارهم واعلانهم فلاوجه
 لتوصلهم الى ما يريدون من
 الاستخفاء والله مطلع على
 ثنيهم صدورهم واستغشائهم
 ثيابهم وتناقهم غير نافع
 عنده قيل نزلت في المنافقين
 (انه عليهم بذات الصدور)
 بما فيها (وما من دابة في
 الارض الا على الله رزقها)
 تفضلاً لاوجوباً (ويعلم

سجن في الدنيا حتى يفضى الى ذلك المعدل وأما كون الدنيا جنة الكافر وهو بالنسبة الى ما أعد الله له في
 الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضى الى ما أعد الله له في الآخرة
 وأما بضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانه اذا ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان الصبر
 عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع أحواله
 ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ويوت كل ذي فضل فضله) أي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في
 الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعانه في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على
 قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته
 دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود
 من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في
 الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشرة واحدة و بقيت له تسع
 حسنات ثم يقول ابن مسعود ذلك من غابت آحاده اعشاره و قيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل
 اطاعته (وان تولوا) يعني وان أعرضوا عما جئتهم به من الهدى (فاني أخاف عليكم) أي فقل لهم يا محمد
 اني أخاف عليكم (عذاب يوم كبير) يعني عذاب النار في الآخرة (الى الله مرجعكم) يعني في الآخرة
 فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته (وهو على كل شيء قدير) يعني من ايصال الرزق
 اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة ﴿وقوله سبحانه وتعالى (الانهم يننون صدورهم) قال ابن عباس
 نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلاً حاول الكلام حاولاً لم يظفر وكان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
 يحب وينطوى بقلبه على ما يكره فنزلت الانهم يننون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحاء
 والعداوة من نيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا امر
 برسول الله صلى الله عليه وسلم ثني صدره وظهره وطأ طأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقال قتادة كانوا يخنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل
 من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويخفي ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي
 يننون صدورهم أي يعرضون بقلوبهم من قولهم نثيت عناني (ليستخفوا منه) يعني من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا (الاحين يستغشون ثيابهم) يعني يغطون رؤسهم
 بثيابهم (يعلم مايسرون وما يعلنون انه عليهم بذات الصدور) ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين
 أضمر واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفي علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا
 التفسير وهو ما أخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عياش بن جعفر الخزرجي أنه سمع ابن عباس يقرأ
 الانهم يننون صدورهم قال فسأله عنها فقال كان أناس يستحيمون أن يتخفوا فيفضوا الى السماء وأن
 يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم ﴿وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة في الارض) الدابة
 اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذي أربع من الحيوان على سبيل العرف
 والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوانات (الاعلى الله رزقها) يعني هو المتكفل
 برزقها فضلاً منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظه على بمعنى
 من أي من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فن الله ورزقها فموتت جوعاً (ويعلم مستقرها
 ومستودعها) قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي اليه في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذي
 تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل

(الكتاب) أي هذا كتاب فهو خبر مبتدأ محذوف (أحكمت آياته) صفة له أي نظمت نظمار صينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم (ثم فصات) كما تفصل القلائد بانفرادك من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة أو فصل فيها ما يحتاج اليه العباد أي بين وخلص وليس معني ثم التراخي في الوقت ولكن في الحال (من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لاحكمت وفصلت أي من عنده احكامها ونقص ميلها (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أي لثلاث تعبدوا أو أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معني القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (انتي لكم نذير وبشير) أي من الله (وأن استغفروا ربكم) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أي استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة (بمتعمك متاعا حسنا) يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة

وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شئت قال شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قال يارسول الله عجز اليك الشيب قال شيتني هود وأخواتها الحاققة والواقعة وعم يتساءلون وهن أنك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شبهه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل (الكتاب أحكمت آياته) قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كانسخت هي الكتب والشرايع (ثم فصلت) يعني بينت وقال الحسن أحكمت آياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظمار صينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب الدالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وسمي في قوله ثم فصلت ليست هي التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعني الاحكام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها بآيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فأجرى السكل على البعض لان الحكم للغالب واجراء السكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعاما زيدا وانما أكلت بعضه وقوله تعالى (من لدن حكيم) يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله (خبير) يعني بأحوال عبادته وما يصلحهم (ألا تعبدوا الا الله) هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لثلاث تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلق الأنداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والادخول في دين الاسلام (انتي لكم منه) أي قل لهم يا محمد اني لكم من عند الله (نذير) ينذركم عقابه ان تبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه (وبشير) يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده (وأن استغفروا ربكم) أي استغفروا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا معني الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما التام كيد (بمتعمك متاعا حسنا) يعني انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالمسور والصبر على المقدور (الى أجل مسمى) يعني بمتعمك متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقانه حتى لا يجده ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى بمتعمك متاعا حسنا الى أجل مسمى قلت وأما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في

مرضية من عيشة واسعة وبعمة متباعدة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم

دون الله ما لينفعك) ان دعوته (ولا يضرك) ان خذاته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لينفعك ولا يضرك فكنتي عنه بالفعل
 ايجارا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم
 أعظم من الشرك (وان يمسك الله) يصيبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الاهو) الالهة (وان يردك بخير) عافية (فلا
 راد لفضله) فلا راد لمراده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرغبة الاله والاعتقاد الاعليه
 (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المعافي بالعباء اتبع النهى عن عبادة الاوثان ووصفها بانها

(٣٣٨)

لا تنفع ولا تضر ان الله هو
 الضار النافع الذي ان
 أصابك بضر لم يقدر على
 كشفه الا هو وحده دون
 كل أحد فكيف بالجماد
 الذي لا شعور به وكذا
 ان أرادك بخير لم يرد أحد
 ما يريده بك من الفضل
 والاحسان فكيف
 بالاوثان وهو الحقيقي اذا
 بان توجه اليه العبادة دونها
 وهو أبلغ من قوله ان
 أرادني الله بضر هل هن
 كاشفات ضره أو أرادني
 برحمة هل هن مسكات
 رحمته وانما ذكر المس في
 أحدهما والارادة في الآخر
 كانه أراد أن يذكر
 الامرين الارادة والاصابة
 في كل واحد من الضر
 والخير وانه لا راد لما يريد
 منهما ولا من يمل لما يصيب
 به منهما فافوز ال كلام بان
 ذكر المس وهو الاصابة في
 أحدهما والارادة في الآخر
 ليدل بما ذكر على ماترك
 على انه قد ذكر الاصابة
 بالخير في قوله يصيب به من

دون الله ما لينفعك) يعني ان عبده ودعوته (ولا يضرك) يعني ان تركت عبادته (فان فعلت) يعني
 مانهيتك عنه فعمدت غيري أو طلبت النفع ودفع الضر من غيري (فانك اذا من الظالمين) يعني لنفسك
 لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به
 غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع أيها الانسان من دون الله
 ما لينفعك الآية قوله تعالى (وان يمسك الله بضر) يعني وان يصيبك الله بشدة وبلاء (فلا كاشف له)
 يعني لذلك الضر الذي أنزله بك (الاهو) يعني لا غيره (وان يردك بخير) يعني بسعة ورخاء (فلا راد لفضله)
 يعني فلا دفع لرزقه (يصيب به) يعني بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده) قيل انه سبحانه
 وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع
 الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة
 ولهذا المعنى ختم الآية بقوله (وهو الغفور الرحيم) وفي الآية لطيفة أخرى وهي ان الله سبحانه وتعالى رجح
 جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على
 انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد
 لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده
 وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لنيوب عباده الرحيم يعني بهم قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس
 قد جاءكم الحق من ربكم) يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله
 عز وجل (فن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان نفع ذلك يرجع اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) أي على
 نفسه لان وبالرابع اليه فمن حكم الله بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم عليه بالاضلال ضل ولم ينتفع بشئ
 أبدا (وما أناع عليكم بوكيل) يعني وما أناع عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية
 منسوخة بآية السيف (واتبع ما يوحى اليك) يعني الامر الذي يوحى الله اليك يا محمد (واصبر) يعني على
 أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك (حتى يحكم الله) يعني ينصرك عليهم باظهار دينك (وهو خير
 الحاكمين) يعني انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه واطهار دينه وبقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل
 الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها
 مكية غير آية وهي قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال مرة بل هي مكية الا
 قوله سبحانه وتعالى فأهلك نارك بعض ما يوحى اليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان
 الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستمائة كلمة وتسعة آلاف وخمسة وتسعة

يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يأهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فمن اهتدى) استون
 واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فنانفع باختياره الانفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن أثر الضلال ما ضر الانفسه ودل اللام وعلى على
 معنى النفع والضرر (وما أناع عليكم بوكيل) بحفيظه وكول الى أمركم انما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايدانهم
 (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم. والغلبة (وهو خير الحاكمين) لانه اطاع على السر أمر فلا يحج الى بينة وشهود سورة هود عليه السلام
 مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار (وماتغنى الآيات) مانافية (والنذر) والرسل المنذرون أو الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون) (٣٣٧) الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم)

يعنى وقائع الله فيهم كما قال أيام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم نتجى رسالنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم نتجى رسالنا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم (كذلك حقا علينا نتجى المؤمنين) أى مثل ذلك الانجاء نتجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أى وحسب ذلك علينا حقا ينبجى بالتخفيف على وحفص (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم فى شك من دىنى) وصحته وسداده فهذا دىنى فاستمعوا وصفه ثم وصف دىنه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى الاصنام (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يمتكم وصفه بالتسوية ليربهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعسدون ما لا يقدر على شئ (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أى بان أكون كمن آمن بالله امرنى بذلك بماركب فى من العقل وبما أوحى

(وماتغنى الآيات والنذر) يعنى الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا فى حق أقوام علم الله أنهم لا يؤمنون لما سبق لهم فى الازل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعنى مشركى مكة (الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعنى من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعنى وقائع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب أياما والنعيم أياما كما قوله تعالى وذكركم بآيام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعابنون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب (فقل فانتظروا) يعنى قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب (انى معكم من المنتظرين) يعنى هلاكم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أنجى الله رسله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم نتجى رسالنا والذين آمنوا) يعنى من العذاب والهلاك (كذلك حقا علينا نتجى المؤمنين) يعنى كما أنجينا رسالنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك نتجيك يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخلص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بانه حق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا ^١ قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا فى أمرى ولم يؤمنوا بك (ان كنتم فى شك من دىنى) يعنى الذى أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم فى أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التى كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم فى شك من دىنى الذى أدعوكم اليه فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغى لكم أن تشكوا فى عبادتكم هذه الاصنام التى لا أصل لها البتة فان أصررتم على ما أتمتم عليه (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) يعنى هذه الاوثان واما ما راجب تقديم هذا النفي لان العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاختس الاشياء وهى الحجارة التى لا تنفع لمن عبدها ولا تضمران تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضرر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) والحكمة فى وصف الله سبحانه وتعالى فى هذا المقام بهذه الصفة أن المراد أن الذى يستحق العبادة فاعبده أنا وانتم هو الذى خلقكم أولا ولم تكونوا شيئا ثم يمتكم ثانيا ثم يحيمكم بعد الموت ثالثا كما كتفى بذكر الوفاة تنبيه على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكرفى هذا المقام ليكون أقوى فى الزجر والردع وقيل انهم لما استهجوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذى هو قادر على اهلاكم ونصرى عليكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعنى وأمرت بى أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكركم العبادة وهى من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الايمان لانه من أعمال القلوب (وان أقم وجهك للدين حنيفا) الواو فى قوله وان أقم واو عطف معناه وأمرت ان أقيم وجهى يعنى أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعنى مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين آخر وقد معناه أقم عمالك على الدين الحنيفى وقيل أراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفى غير ما نزل عنه (ولا تكونن من المشركين) يعنى ولا تكونن ممن يشرك فى عبادة به غيره فهلاك وقيل النهى عن عبادة الاوثان قد تقدم فى الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهى على معنى زائد وهو أن من عرف الله عز وجل وعرف جميع أسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغى له أن يلتفت الى غيره بالكلام هذا هو الذى تسميه أصحاب القلوب بالمشرك الحنفى (ولان دع من

(٤٣ - (خازن) - ثانى) فى كتابه (وان أقم وجهك للدين) أى وأوحى الى أن أقم ليشا كل قوله أمرت أى استقم مقبلا بوجهك على ما أمرت الله أو استقم اليه ولا تدع عمية ولا شهما لا (حنيفا) حالا من الدين أى الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من

لايختلفون فيه أخبر عن
كمال قدرته ونفوز مشيئته
انه لو شاء لآمن من في
الارض كلهم ولكنه شاء
ان يؤمن به من علم منه
اختيار الايمان به وشاء
الكفر من علم انه يختار
الكفر ولا يؤمن به وقول
المعتزلة المراد بالمشيئة
مشيئة القسر والاجلاء
أى لو خلق فيهم الايمان
جبراً لا آمنوا الكفر قد شاء
ان يؤمنوا اختياراً فلم
يؤمنوا دليله (أفأنت
تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين) أى ليس اليك
مشيئة الاكراه والجبس في
الايمان انما ذلك الى فاسد
لان الايمان فعل العبد
وفعله ما يحصل بقدرته ولا
يتحقق ذلك بدون
الاختيار وتاويله عندنا
ان الله تعالى اطلقوا أعظاهم
لآمنوا كلهم عن اختيار
ولكن علم منهم أنهم
لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك
وهو التوفيق والاستهام في
أفأنت بمعنى النفي أى لا تملك
أنت يا محمد أن تكبرهم
على الايمان لانه يكون
بالتصديق والاقرار ولا
يمكن الاكراه على التصديق
(وما كان لنفس أن
تؤمنن الا باذن الله)
بمشيئته أو بقضائه أو

وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدوة وولد بها من الناس والدواب فغن البعض الى البعض فغن
الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعاب الاصوات وعجوا جميعاً الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا
بما جاء به بونس وتابوا الى الله وأخلصوا النية فرحهم بهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم منازل بهم من
العذاب بعدما أنظلمهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من تو بهم ان ترادوا
المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري
بسنداه عن أبي الجلد خيلان قال لما غشي قوم بونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد
نزل بنا العذاب فأتري قال قولوا يا سحى وسحى محي الموتى ويا سحى لاله الا أنت فقالوا هاهنا فكشف الله
عنهم العذاب وتمعوا الى حين وقال الفصيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت
أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج بونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئاً
فقليل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيوجدوني كذاباً وكان من كذب ولا بينة له فقتل فانصرف
عنهم مغاضباً فالتقمه الحوت وسد تآني القصة في سورة والصفات ان شاء الله تعالى فان قلت كيف كشف
العذاب عن قوم بونس بعدما نزل بهم وقبل تو بهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل تو بته
قلت أجاب العلماء عن هذا باجوبة واحدة هان ذلك كان خاصاً بقوم بونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم بونس دنأ منهم
العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالر يرض بخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز
وجل علم صدق نيائهم في التوبة فقبل تو بهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه
ايمانه والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً) يقول الله عز وجل لانيه
محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في الارض كلهم جميعاً ولكن لم يشأ ان
يصدقك ويؤمن بك الا من سبق له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبق له من
الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا نسبية للنبي صلى الله
عليه وسلم لانه كان حر يصاعلى ايمانهم كلهم فاخبره الله انه لا يؤمن به الا من سبق له العناية الازلية فلا تتعب
نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أفأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يعني ليس ايمانهم
اليك حتى تكبرهم عليه وتحصر عليه ايمان المؤمنين واذلال الكافر بمشيتنا وقضائنا وقد رنا ليس ذلك
لاحد سوانا (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) يعني وما كان ينبغي لنفس خالقها الله تعالى أن تؤمن
وتصدق الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادي المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بامر
الله وقال عطاء بمشيئة الله ﴿قوله تعالى (ويجعل الرجس) يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط (على الذين لا يعقلون) يعني
بالياء ومعناه ويجعل الله (الرجس) قوله عز وجل (قل انظروا) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك
لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ﴿قوله عز وجل (ما ذاق السموات والارض) يعني ما ذاق خلق
الله في السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته في السموات الشمس والقمر وهما دليلان
على النهار والليل والنجوم مسخرها طاعة وغاربه وانزال المطر من السماء وفي الارض الجبال والبحار
والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر
وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

بتوفيقه وتسهيله أو بعلمه (ويجعل الرجس) أى العذاب أو السخط أو الشيطان أى وسائط (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) (على الذين لا يعقلون) لا يتفهمون بقولهم ويجعل حاد ويجي (قل انظروا) نظر استدلال واعتبار (ما ذاق السموات والارض) الشيطان

(فتكون من الخاسرين) أي فأنبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المربة عنك والتكذيب بآيات الله وأهو على طريق التهميش والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدك عن آيات الله بعد إذا نزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لأشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق أو خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أي وان كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نورا مبينا والخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عزا أخوك فهن أو ان للنفى أي فما كنت في شك فسل أي ولا تأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد بقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعانية احياء الموتى فان قلت انما يجي ان للنفى اذا كان بعده الاكفولة ان الكافرون الا في غرور قلت ذاك غير لازم الا ترى الى قوله (٣٣٥) ان أمسكهما من أحد من بعده

فان للنفى وليس بعده الا ان الذين حقت عليهم كملت ربك) ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبره الملائكة أنهم يموتون كفارا أو قوله لأملأن جهنم الآية ولا وقف على (لا يؤمنون) لان (ولوجاءتهم كل آية) تتعلق بما قبلها (حتى يروا العذاب الاليم) أي عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكتها تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعايمة ولم تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بحتفه (فمنعها ايمانها) بان تقبل الله ايمانها بوقوعه في وقت الاختيار الا قوم يونس استثناء منقطع أي ولكن قوم

(فتكون من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم أن هذا كله على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من عنده شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا أن المراد به غيره والله أعلم **قوله** سبحانه وتعالى (ان الذين حقت عليهم) يعني وجبت عليهم (كملت ربك) يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقنا هؤلاء النار ولا إلى وقال قتادة سخط ربك وقيل لعن ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب الاليم) فينبذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصر ففهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء **قوله** سبحانه وتعالى (فلولا) يعني فهلا (كانت قرية) وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان الاستفهام معنى الحجة والمراد هل كانت قرية (آمنت) يعني عند معانية العذاب (فمنعها ايمانها) يعني في حال اليأس (الاقوم يونس) هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعم ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله (لما آمنوا) يعني لما أخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختلّفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه **﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾**

على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبيرة وهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا قرية ينوي من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فإرسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقبل له أخبرهم أن العذاب مصعبهم الى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا انما نجرب عليه كذبنا فانظر وافان بات فيكم الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا أن العذاب مصعبكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا اتعشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبيرة غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غما أسودها ثلايدخن دخانها سديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطح حتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فخذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونساءهم وصبياهم ودوابهم وابسوا المسوخ

يونس أو متصل والجملة في معنى النبي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكه الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روي أن يونس عليه السلام بعث الى ينوي من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوخ كلهم وعجوا أربعين ليلة ورزوا الى الصعيد بانفسهم ونساءهم وصبياهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبان والدواب وأولادها فخن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرجعهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يقام الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا لما نزل بهم العذاب الى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محي الموتى ويا حي لا اله الا أنت فقالوا هاهنا كشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت أعظم منا واصل ان فعل بنا ما أنت أهله ولا نتفعل بنا ما نحن أهله

الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وأنت نبى يعرفونك بصفته عندهم وقد توجه
ههنا سؤال واعتراض وهو أن يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أو في نبوته حتى يسأل أهل
الكتاب عن ذلك وإذا كان شاكاً في نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال
والاعتراض ما قاله القاضى عياض فى كتابه الشفاء فإنه أورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك أن
يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما
أوحى اليه فإنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصرى وحكى عن قتادة أنه قال بلغنا أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا أن كلام القاضى عياض رحمه الله ثم اختلفوا
فى معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قواين أحدهما أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فى الظاهر
والمراد به غيره فهو كقوله أين أشركت ليحبطن عملاك ومعالم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت
أن المراد به غيره ومن أمثلة العرب * اياك أعنى واسمى بإجاره * فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد
يا أيها الانسان الشاك ان كنت فى شك مما أنزلنا اليك على لسان رسولىنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين
يقروءن الكتاب يخبروك بصحته وبدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى فى آخر هذه السورة قل يا أيها الناس
ان كنتم فى شك من دىنى الآية فبين أن المذكور فى هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور فى تلك الآية على
سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكاً فى نبوته كان غيره أولى بالشك فى نبوته وهذا
يوجب سقوط الشريعة بالكافية بما ذل الله من ذلك وقيل ان الله سبحانه وتعالى علم أن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يشك قط فيكون المراد بهذا التمهيج فإنه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لا أشك بأرب ولا
أسأل أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى
الله عليه وسلم فى قوله فان كنت فى شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه
حسن لكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخل فى هذا الخطاب كان الاعتراض
موجودا والسؤال وارد وقيل ان لفظه ان فى قوله فان كنت فى شك للنبي ومعناه ما أنت فى شك مما أنزلنا
اليك حتى تسأل فلان سؤال وان سألنا زددت يقينا والقول الثانى أن هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله
عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا فى زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون
وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون فى أمره الشاكون فيه فخطبهم الله عز وجل بهذا
الخطاب فقال تعجد وتعالى فان كنت أيها الانسان فى شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحده الله الضمير فى قوله فان كنت وهو يريد الجمع
لانه خطاب لجنس الانسان كما فى قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكبريم لم يرد فى الآية انسانا بعينه بل
أراد الجمع واختلفوا فى المسؤول عنه فى قوله تعالى فاسأل الذين يقروءن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون
من أهل التفسيرهم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لانهم هم الموثوق باخبارهم
وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الإخبار بصحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال
الضحك يعنى أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك
الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين
من الخبر بانك رسول الله حقا وأن أهل الكتاب يعامون صحة ذلك (فلان يكون من الماترين) يعنى من
الشاكين فى صحة ما أنزلنا اليك (ولان يكون من الذين كذبوا بايات الله) يعنى بدلائله وبراهينه الواضحة

(لقد جاءك الحق من
ربك) أى ثبت عندك
بالآيات الواضحة والبراهين
اللاشك أن ما أتاك هو الحق
الذى لا مجال فيه للشك
(فلان يكون من الماترين)
الشاكين ولا وقف عليه
للعطف (ولان يكون
من الذين كذبوا بايات
الله

(لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم ان فرعون أعظم شانا من ان يعرق وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فآلقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعيه من الربوبية محال وانه ما كان عاياه من عظم الملك (٣٣٣) آل أمره الى ماترون لعصيانه ربه

فما الظن بغيره (وان كثير من الناس عن آياتنا اغافلون واتقوا بنو اسرائيل مبوا صدق) منزلا صالحا مر ضيا وهو مصر والشام (ورزقاهم من الطيبات فما اختلفوا) في دينهم (حتى جاءهم العلم) أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلفت أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد واختلف بنو اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلفوا في صفته انه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم انه هو (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يميز الحق من المبطل ويجزي كلا جزاءه (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) لما قدم ذكر بنو اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد ان يؤكد

الرب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالتقى فرعون على الساحل أحر قصيرا كأنه نور فرآه بنو اسرائيل ففر فوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله بيدك يعني نعليك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كأنه قيل له تهجيك ولكن هذه النجاة إنما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع وكان فرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما رآه في درعه ذلك عرفوه (لتكون لمن خلفك آية) أي عبرة وموعظة وذلك أنهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت أبدا فآظمه الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت انزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والدلة ملقى على الارض لا يهابه أحد (وان كثير من الناس عن آياتنا اغافلون) قوله عز وجل (واقدم صدقنا بنو اسرائيل مبوا صدق) يعني أسكنهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد سخر وجههم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لا بد أن يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا قولان أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أوثق بنو اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنو اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وككفر به بعضهم بغياء وحسدا فولى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يجربون مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعمته ويفترون بذلك على المشركين فلما بعث كتبوه بغياء وحسدا واشار البقاء الياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون وقوله تعالى (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمرك وأمر نبوتك في الدنيا فدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وبمحمد نبوتك النار وقوله سبحانه وتعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال التقيضين عند الانسان لوجود ما رتبين أو لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكاً فاذا قيل فلان شك في هذا الامر فعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب وأخلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك أنه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا اليك يعني من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعني القرآن (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعني علماء أهل

علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وببالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فراضا وتقديرا وسبيل من خالجه شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلتها أو بمباحثة العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمرآة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه

ورده للايمان لما جاءه واما فعل جبريل من دس الطين في فيه فاما فعل ذلك بامر الله لان تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل ان يذمه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعله ما امره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم بعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما ان يتصرف بأمر الله فلا يفعله الا ما أمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه نهالان انما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبر انه أمره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التوكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت حينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة بخوابه أن يقال ان للناس في تلميل افعال الله قوانين أحدهما أن أفعاله لا تفعل وعلى هذا التقدير فلا يردها هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فاعلموا كذا أو امره ونواهيها لها غاية محمودة ومحبوذة لاجلها أمرها ونهياها على هذا التقدير قد يقال بما قال فرعون آمنت أنه لانه الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وقد علم جبريل انه من حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لنحقق معانيته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قاطع في وقت لا ينفعه دس الطين في فيه بتحقيق هذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للارحة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دعاه به بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فاما قال فرعون تلك الكلمة عند معانيته الفرق استعمل جبريل قدس الطين في فيه لئلا يسأ من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد أجبت دعوتكم كما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعله فيكون سعي جبريل في مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذ الماء أمره به وقدره وقضاه على فرعون وأما قوله لو منعه من التوبة كان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر بخوابه ما تقدم من ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعله الا ما أمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالامر به فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لا مأمورا وبن باز التسه بحسب الامكان فاذا أقرنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا ما أمرنا به واما من ايس مأمورا كما مرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به فانه اذا نفذ ما أمره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لم ادس الطين في في فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق افعال العباد خيرا وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذ لقضاء الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بحلال الله أن يأمر جبريل بان يذمه من الايمان بخوابه ان الله يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وأما قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله بخوابه انما فعل ذلك بامر الله منفذ الامر الله والله اعلم بمراده وأسراره كما به قوله سبحانه وتعالى (فاليوم نجيبك بيدك) أي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال أهل التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنوا اسرائيل مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمتهم عندهم وما حصل في قلوبهم من

(فاليوم نتجيبك) نلقيك
بنجوة من الارض فرماه
الماء الى الساحل كأنه نور
(بيدك) في موضع
الحال أي في الحل التي
لا روح فيك وانما أنت
بدن أو بيدك كاملا سويا
لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو
عريانا است الابدان من
غير لباس أو بدرعك
وكانت له درع من ذهب
يعرف بها وقرأ أبو حنيفة
رضي الله عنه بابدانك
وهو مثل قولهم هو باحرامه
أي ببدنك كله واقيا باجزائه
أو بدرعك لانه ظاهر
بينها

أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وفي رواية أخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول لا اله الا الله فبرجه الله أو خشية أن يرجه الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

﴿فصل في الكلام على هذا الحديث﴾ لأنه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فتقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول عن ابن زيد بن جدعان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخنا نبذ الاصل وقاوا لكنه كان سبيء الحفظو يغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذ لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الآخر شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخارى ورواه أيضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان هذا الحديث أصلا وان رواه ثقات ليس فيهم مترهم وان كان فيهم من هو سبيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه انما هو حزم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب أو عدى بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من حال البحر رأى من طين البحر كما في الرواية الاخرى

﴿فصل﴾ ووجه اشكاله ما اعترض به الامام نضر الدين الرازى في تفسيره فقال هل يصح أن جبريل يأخذ يملأه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه والجواب الاقرب أنه لا يصح لان في تلك الحالة امان يقال التكليف هل كان ثابتة أم لا فان كان ثابتة لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت حينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضا لو منعه من التوبة لكان قدر ضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضا فكيف يليق بحلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فهذا يبطله قول جبريل وما تنزل الا بأمر ربك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتا في تلك الحالة أم لا فان كان ثابتا لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان ويبدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا فلوننا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فان خبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون ممنعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أو لا فوس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والخبث على القلب ومنع الايمان وصور الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين بخلق الافعال من اعترف أيضا ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه أن يضل به ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق

(فاستقيا) فاقبأ على ما أفتأ عأ به من الدعوة والتبأغ (ولأنتبعأ سبيل الذين لأيعلمون) ولأنتبعأ طريق الجهلة الذين لأيعلمون صدق الإجابة وحكمة الإمهال فقد كآ بين الدعاء والإجابة أربعون سنة ولأنتبعأ بتخفيف النون وكسرها لألتقاء الساكنين تشبهأ بنون التشنية شأى وخطأه بعضهم لأن النون (٣٣٠) الخفيفة وأجة السكون وقيل هو أخبار عمأ يكون أن عأه وليس بنهى أو هو حال

رتقديره فاستقيا غير متبعين (وجاوزنا بيني اسرائيل البحر) هو دليل لئأ على خلدق الأفعال (فأنتبعهم فرعون وجنوده) فلحقهم يقال تبعته حتى أنتعته (بغيا) تطاولا (وعدوا) ظلموا واتصبا على الحال أو على المفعول له (حتى إذا أدركه الفرق) ولا وقف عليه لأن (قال آمنت) جواب إذا (أنه) حزة وعلى على الاستئناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما على حذف الباء التي هي صلة الإيمان (لأله الأ الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنأمن المسلمین) وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وأنأمن المسلمین كر وفرعون المعنى الواحد ثلاث مرآت فى ثلاث عبارآت حرص على القبول ثم لم يقبل به حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار (آلآن) أنؤمن بالساعة فى وقت الاضطرار حين أدركك الفرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين أله

تعالى قد أجيبت دعوتكم (فاستقيا) يعنى على تبليغ الرسالة وأمضيا الأمرى الى أن يأتهم العذاب (ولأنتبعأ سبيل الذين لأيعلمون) يعنى ولأتسلط طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لأخلف فيه ووعدى نازل بفرعون وقومه فلأتسبح لأقليل كآ بين دعاء موسى عأه السلام و بين الإجابة أربعون سنة قال الإمام نضر الدين الرأزى وأعلم أن هذا النهى لأبدل على أن ذلك قد صدر من موسى وهرون كآ أن قوله أئن أشركت ليحبطن عملك لأبدل على صدور الشرك منه ﷺ قوله عز وجل (وجاوزنا بيني اسرائيل البحر) أى وقطعنا بيني اسرائيل البحر وعبرناهم أياه حتى جاوزوه وعبروه (فأنتبعهم فرعون وجنوده) يعنى لحقهم وأدركهم (بغيا وعدوا) أى ظلموا وعدوا وأوقيل البغى طلب الإستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا فى القول وعدوا فى الفعل قال أهل التفسير أجمع يعقوب و بنوه الى يوسف وهم أثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك أنه لما أجب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالخروج بيني اسرائيل من مصر فى الوقت الذى أمرهما أن يخرجأ فيه بهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم ملكته خروج بجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أبن الخلد والخرج البحر أمأنا وفرعون وراءنا وقد كسنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى أن أضرب بعصاك البحر فضر به فأنفلق فكان كل فرق كالأطود العظيم وكشف الله عن وجه الأرض وأبسس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أئى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بنى اسرائيل من البحر دنأ جبريل بفرسه فلما وجد الحصان رجع الأئى لم يملك فرعون من أمره شيأ فنزل البحر وتبه جنوده حتى إذا اكتملوا جميعأ فى البحر وهم أولهم بالخروج انطمم البحر عليهم فلما أدرك فرعون الفرق أى بكلمة الأخلاص ظنأ منه أنها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى إذا أدركه الفرق قال) يعنى فرعون (آمنت أنه لأله الأ الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنأمن المسلمین) قال ابن عباس لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب به وقد كان فى مهل قال العلماء إيمانه غير مقبول وذلك أن الإيمان والتوبة عند معانة الملائكة والعذاب غير مقبولين وبدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لمأرا وأبأسنا وقيل أنه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الأقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لأجر لم ينفعه ما قال فى ذلك الوقت وقيل أن فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخائى سبحانه وتعالى فلهمذا قال آمنت أنه لأله الأ الذى آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لأصول الشك فى إيمانه ولمأرجع فرعون الى الإيمان والتوبة حين أغلق بابها بمأ بحضور الموت ومعأينة الملائكة قيل له (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يعنى آلآن تتوب وقد أضعفت التوبة فى وقتها وأثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمحاطب لفرعون بهذا هو جبريل عأه السلام وقيل الملائكة وقيل أن القائل لذلك هو الله تعالى لعرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد فى الأرض وبدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فاليوم ننجيك بيدك والقول الأول أشهر ويعضده ماروى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عأه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لأله الأ الذى آمنت به بنو اسرائيل قال جبريل بالمحمد ولورايتنى وأنا أأخذ من حال البحر فأسسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة

الفرق والعامل فيه أنؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضالين عن الإيمان روى أن جبريل أخرج

عأه السلام أنه بفتية ما قول الأمير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر زعمته ومجد حقه وأدعى السيادة دونه فكذب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزأه العبد أخرج على سيد الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر فلما أله الفرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه

العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالشارة تعظيما لها
 والمبشر بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاؤه زينة) هو ما يتزين به من اباوس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموالا)
 أي نقدا ونعماء وضعية (في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس (٣٢٩) عن طاعتك كوفي ولا وقف على

الدنيا لان قوله ليضلوا
 متعلق بآيت ربنا تكرر
 الاول للالحاح في التضرع
 قال الشيخ أبو منصور
 رحمه الله اذ اعلم منهم أنهم
 يضلون الناس عن سبيله
 آتاهم ما آتاهم ليضلوا
 عن سبيله وهو كقوله انما
 نملي لهم ليزدادوا انما
 فتكون الآية حجة على
 المعتزلة (ربنا طمس على
 أموالهم) أي اهلكها
 وأذهب آثارها لانهم
 يستعينون بنعمتك على
 معصيتك والطمس المحو
 والهلاك قيل صارت
 دراهمهم ودنانيرهم بحجارة
 كهيا آتاهم منقوشة وقيل
 وسائر أموالهم كذلك
 (واشدد على قلوبهم) اطبع
 على قلوبهم واجعلها قاسية
 (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء
 الذي هو اشدد (حتى يروا
 العذاب الاليم) الى ان يروا
 العذاب الاليم وكان كذلك
 فانهم لم يؤمنوا الى الفرق
 وكان ذلك ايمان بأس فلم
 يقبل وانما دعاءهم بهذا
 لما يس من ايمانهم وعلم
 بالوحى انهم لا يؤمنون فاما
 قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون
 فلا يسع له ان يدعو بهذا

ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون وأظهرهما على فرعون
 أمرهم بانخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى
 (وبشر المؤمنين) يعني بانه لا يصل اليهم مكرود ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون
 وملاؤه زينة وأموالا في الحياة الدنيا) لما أتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى أن القوم
 مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر
 أو لا سبب اقدامه على الجرائم التي كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم
 وعندادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت
 فرعون وملاؤه زينة وأموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث
 البيت الفاخر والاشياء الجليلة والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى (ربنا
 ليضلوا عن سبيلك) اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه
 الاموال سببا لضلهم لانهم بطروا وطغوا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما
 يؤل اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملاؤه زينة في الحياة الدنيا فاضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعني
 فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتح بها
 الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك (ربنا طمس على أموالهم) الطمس ازالة اثر
 الشيء بالمحو ومعنى طمس على أموالهم ازل صورها وهياكلها وقال مجاهد اهلكها وقال أكثر المفسرين
 امسخها وغيرها عن هيتها قال قتادة بلغنا ان أموالهم ووزر وعههم وجواهرهم صارت حجارة وقال
 محمد بن كعب القرظي صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله في فراشه فصار الحجر ين والمرأة قائمة تحبز
 فصارت حجر او هذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعاه على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ وقال ابن
 عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيتها صحاحا وانصافا واثلا وقيل ان عمر بن عبد
 العزيز بدع حجر يطع فيها شيء من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهي حجارة
 وقال السدي مسخ الله أموالهم بحجارة النخل والتمر والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات
 التسع التي أوتيت موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى
 لا تلبس ولا تنسرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى
 وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا
 السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يعني العرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية أخرى
 عنه قال موسى قبل أن ياتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله
 له دعاءه فخل بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه العرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعاءهم
 موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب
 عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله عز وجل لموسى وهرون (قد
 أجبت دعوتكما) انما نسب الدعاء اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن
 والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شر يك موسى في الدعاء فلذلك قال

(٤٢ - (خازن) - ناني)

الدعاء لانه أرسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على
 الكفر لا يكون كفرا (قال قتادة دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فثبت ان التأمين دعاء فكان
 اخفاؤه أولى والمعنى ان دعاءهم مستجاب ومطلبتا كائن واسكن في وقته

له وأولى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لانهم كانوا يمتنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم
 دليله قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم فرعون (وان فرعون لعال في الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) في الظلم والفساد وفي
 الكبر والعتو بادعائه الربوبية (٣٢٨) (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به و بآياته (فعليه توكوا) فاليه

أسندوا أمركم في العصمة
 من فرعون (ان كنتم
 مسلمين) شرط في التوكل
 الاسلام وهو أن يسلموا
 نفوسهم لله أي يجعلوا هاله
 سالمة خاصة لاحظ للشيطان
 فيها لان التوكل لا يكون مع
 التخليط (فقالوا على الله
 توكوا) انما قالوا ذلك لان
 القوم كانوا مخلصين لاجرم
 أن الله قبل توكلمهم وأجاب
 دعاءهم ونجاهم وأهلك من
 كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء
 في أرضه فن أراد أن
 يصلح للتوكل على ربه فعلية
 برفض التخليط الى الاخلاص
 (ربنا لتجعلنا فتنة للقوم
 الظالمين) موضع فتنة لهم أي
 عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا
 عن ديننا أي يضلوننا
 والفتن المضن عن الحق
 (ونجنا برحمتك من القوم
 الكافرين) أي من تديبهم
 وتسخيرهم (وأوحينا الى
 موسى وأخيه أن تبوأ
 لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ
 المكان اتخذه مباءة كقوله
 توطنه اذا اتخذه وطنا
 والمعنى اجعلنا بمصر بيوتا
 من بيوت مباءة لقومكما
 ومرجعا يرجعون اليه
 للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا

أشرفهم وهم ملا الذرية لانه كان أبأؤهم من القبط وأمهاتهم من نبي اسرائيل وقيل أراد باللاملا فرعون
 وانما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفتيح له (أن يفتنهم) أي يصرفهم
 ويصددهم عن الايمان وانما قال أن يفتنهم ولم يقل أن يفتنوه لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين
 لامره (وان فرعون لعال في الارض) يعني انه لغالب قهار متكبر فيها (وانه لمن المسرفين) يعني من
 المجاوزين الحد لانه كان عبداً فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل (وقال موسى)
 يعني لقومه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكوا) يعني فبه فتقوا ولا امره فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك
 أعدائه (ان كنتم مسلمين) يعني ان كنتم مستسلمين لامره قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله
 ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان
 التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره
 (فقالوا) يعني قال قوم موسى بحبيبين له (على الله توكنا) يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا
 (ربنا لتجعلنا فتنة للقوم الظالمين) يعني لا تظهرهم علينا ولا لاهلنا كبنينا لهم فيظنوا اننا لم نكن على الحق
 فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعدنا من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما
 عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا ففتنونا (ونجنا برحمتك من القوم
 الكافرين) يعني وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم
 ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل (وأوحينا الى موسى وأخيه) هرون (أن تبوأ لقومكما
 بمصر بيوتا) يعني اتخذ القوم كما بمصر بيوتاً للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذ مباءة أي وطنا
 والمعنى اجعلنا بمصر لقومكما بيوتاً نرجعون اليها للصلاة والعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف أهل
 التفسير في معنى هذه البيوت والقبلة فهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصل فيها وفسروا القبلة
 بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل
 الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا
 أنه قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهرون وهو قول مجاهد أيضاً قال ابن عباس
 قالت بنو اسرائيل لموسى لانستطيع أن نظهر صلاتنا مع القراعة فاذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم وأن
 يجعلوا بيوتهم قبلاً للقبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون
 معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي مقابلة يعني يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصالون
 اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهرون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا
 الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا فمما هنا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة في السبب فيه
 قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهرون بان يتبوأ لقومهما بيوتاً للعبادة وذلك مما يخص بالانبياء نخصا
 بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة ثم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة
 (وأقيموا الصلاة) يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه
 اذا صلوا في الكنائس والبيع الجاهلية أن يؤذوهم فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم خفية
 من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل
 موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمره أن يتخذوا مساجد في بيوتهم

بيوتكم قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في أول
 الامر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهر واعليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول
 الاسلام بمكة (وأقيموا الصلاة) في بيوتكم حتى تأمنوا (وبشئ المؤمنين) يا موسى ثني الخطاب أولاً ثم جمع ثم وحد آخر الان اختيار مواضع

(قالوا) لجهنم الشهوات (ان هذا السحر مبین) وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار
ومقولهم محذوف أى هذا سحر ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أى لا يظفر (قالوا
أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام أو عبادة فرعون (٣٢٧) (وأنكون لكما الكبرياء)
أى الملك لان الملوك

يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى من عند الله (قالوا ان هذا السحر مبین) يعنى ان هذا
الذى جاء به موسى سحر مبین يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) فيه حذف
تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا حذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم
قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى أنه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال (ولا يفلح
الساحرون) يعنى حاصل السحر تمويه وتخيل وصاحب ذلك لا يفلح أبد (قالوا) يعنى قال قوم فرعون لموسى
(أجئتنا لتلفتنا) يعنى لتصرفنا وتلونا (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنى من الدين (وتكون لكما الكبرياء)
يعنى الملك والسلطان (فى الارض) يعنى فى أرض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سعى الملك
كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما مؤمنين) يعنى صدقين (وقال فرعون اتونى بكل
ساحر عليم) يعنى ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التليس ليظهر أن ما أتى به موسى
سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أتم ملقون) انما أمرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال
والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد (فلما ألقوا) يعنى ما معهم
من الحبال والعصى (قال موسى ما جئتم به السحر) يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل
التوبيخ لهم (ان الله سيبطله) يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعنى
لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعنى ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه (بكلماته) يعنى
بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون)
قوله سبحانه وتعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه) لماذا كره الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام
من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الا ذرية
من قومه وانما ذكرك الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الانهماج بآيمان قومه
وكان يغم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستقرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان
له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمر اعظما ومع
ذلك فما آمن معه الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد
به الصغير وقلة العدد واختلفوا فى هاء الكناية فى قومه فقيل انهار ارجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى
وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من اولاده قال مجاهد هم اولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك
الآباء وبقى الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بنى اسرائيل
كانت المرأة فى بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشأ بين القبط فلما كان اليوم
الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انهار ارجعة
الى فرعون يعنى الاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون
آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطته قال الفراء سمو اذرية لان
آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمها تهم من بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه وأخواله فى الايمان
وذلك كما يقال لا ولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الانباء لان أمهاتهم من غير جنس الآباء (على
خوف من فرعون وملئهم) الملاء الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن

فرعون) الا طائفة من ذرارى بنى اسرائيل كأنه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة
من أبناءهم مع الخوف والضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن من آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وماشطته والضمير فى (وملائهم) يرجع الى
فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال بيعة ومضراً ولانه ذو أصحاب يأثمرون

(وشركاءكم) الواو بمعنى مع اي فاجعوا امركم مع شركائكم (ثم لا يكن امركم عليكم غمّة) أي غمّا عليكم وهما الوالم والغمّة كالسكر والكربة أو ملتبساني حفية وانغمّة السرة من غمّه اذا ستره ومنه الحديث لا غمّة في فرائض الله أي لا تستروا لكن يجاهر بها والمغنى ولا يكن قصدكم الى هلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً تجاهر وتبى به (ثم اقصوا الى) ذلك الامر الذي تريدون في أي أدوا الى ما هو حق عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه أو اضمنه واما ما مكنكم (ولا تنتظروا) ولا تمهلوني (فان توليتهم) فان أعرضتم عن تذكيري ونصحي (فما سألتكم من أجر) فأوجب (٣٢٦) التولى أو فاسألتكم من أجر ففاننى ذلك توليتكم (ان أجرى الاعلى الله) وهو الثواب

الذى يثبني به في الآخرة
 أي ما نصحتكم الله لا
 لغرض من أغراض الدنيا
 وفيه دلالة منع أخذ الاجر
 على تعلم القرآن والعلم
 الدينى (وأمرت أن أكون
 من المسلمين) من المستسلمين
 لاوامره ونواهيته أن أجرى
 بالفتح مدنى وشامى وأبو
 عمرو وحض (فكذبوه)
 فدأمو على تكذيبه
 (فنجيناه) من الفرق
 (ومن معه في الفلك
 وجعلناهم خلافت)
 يخلفون الهالكين بالفرق
 في السفينة (وأغرقتنا الذين
 كذبوا بآياتنا فانظر كيف
 كان عاقبة المنذرين) هو
 تعظيم لما جرى عليهم
 ونحو ذلك أنذرهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عن
 مثله وتسلية له (ثم بعثنا من
 بعده) من بعد نوح عليه
 السلام (رسلاً قومهم)
 أي هوداً واصلحوا إبراهيم
 ولوطاً وشعيباً (فخاؤهم
 بالبينات) بالحجج الواضحة

الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير
 لا ندعوا من امركم شيئاً الا أحضرتهم (وشركاءكم) يعنى وادعوا شركاءكم يعنى آلهتكم فاستعينوا بها
 لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم
 انها تضر وتنفع مع اعتقادهم أنها -م جساد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيك والتوبيخ لهم (ثم لا يكن امركم
 عليكم غمّة) يعنى لا يكن امركم عليكم خفياً مبهماً - ما ولا يكن امركم ظاهراً منكم كشفاً من قولهم غم
 الهلال فهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس (ثم اقصوا) ثم امضوا (الى) بما فى أنفسكم من مكره وما
 توعدونى به من قتل وطرود وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان ادامات ومضى وقيل معناه ثم اقصوا
 ما أتم قاضون (ولا تنتظروا) أى ولا تؤخرونى ولا تمهلونى بعد اعلامكم اياى ما أتم عليه وهذا الكلام
 من نوح عليه السلام على طريق التهجيز لهم أخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية
 فى التوكل على الله وأنه كان واثقاً بنصره اياه غير خائف من كيدهم علماً منه بانهم وآلهتهم اسلمهم نفع ولا
 ضرر وان مكرهم لا يصل اليه (فان توليتهم) يعنى فان أعرضتم عن قولى وقبول نصحى (فما سألتكم من أجر)
 يعنى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم ياخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئاً كان أقوى تأثيراً فى
 النفس (ان أجرى الا الله) أى ما توابى وجزأى على تبليغ الرسالة الا على الله (وأمرت أن أكون من
 المسلمين) يعنى اتى أمرت بدين الاسلام وأنماض فيه غير تارك له واء قبائمه وهلم تقبلوه وقيل معناه
 وأمرت أن أكون من المستسلمين لامر الله وامل كل مكره ويصل الى منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) يعنى
 فكذبوا نوحاً عليه السلام (فنجيناه ومن معه فى الفلك) يعنى فى السفينة (وجعلناهم خلافت) يعنى وجعلنا
 الذين نجيناهم معه فى الفلك سكان الارض بعد الهالكين (وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف
 عاقبة المنذرين) أى فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر امر من أنذرتمهم الرسل فلم يؤمنوا ولم
 يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعنى من بعد نوح (رسلاً الى قومهم) لم يسم هنامن كان بعد نوح من الرسل
 وقد كان بعد نوح هود وصالح وزهيرهم من الرسل (فخاؤهم بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمجربات
 الباهرات التى تدل على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل) يعنى ان أولئك الاقوام والامم التى
 جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح فى التكذيب ولم زجرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه
 من الكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعنى مثل اغراق قوم نوح بسبب تكذيبهم
 نوحاً كذلك نطمع على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم فى التكذيب ﴿قوله عز وجل﴾ (ثم بعثنا من بعدهم)
 يعنى من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون ومثله) يعنى أشرف قومه (بآياتنا فاستكبروا) يعنى عن
 الايمان بما جاء به موسى وهرون (وكانوا قوماً مجرمين) يعنى مستكسبين للآثم (فلما جاءهم الحق من عندنا)

المثبتة لدعواهم (فما كانوا يؤمنوا) فاصروا على الكفر بعد الحجىء (بما كذبوا به من قبل) من قبل حجيتهم يعنى
 يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فواقف فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد
 (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نطمع (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد فى التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى
 وهرون الى فرعون ومثله بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبيينها
 ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوماً مجرمين) كفار اذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها (فلما جاءهم الحق من
 عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله

لتبصر وافية طالب أرفاكم ومكاسبكم (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) سماع مذ كرمعتبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تتر به له عن
 اتخاذ الولد ونعجيب من كلامهم الحقاء (هو الغنى) علة لانفي الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف اليتيم قوي به أو فقير ليستهين به أو ذليل ليتشرف به
 والسكل أمانة الحاجة فن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد (٣٢٥) بعض الوالد فيستدعي أن يكون مركبا

وكل مركب يمكن وكل
 يمكن يحتاج الى الغير فكان
 حادنا فاستحال القديم
 أن يكون له ولد (له مافي
 السموات ومافي الارض)
 ملاك ولا يجتمع البنوة معه
 (ان عندكم من سلطان
 بهذا) ما عندكم من حجة
 هذا القول والباء حقها
 أن تتعاق بقوله ان عندكم
 على أن يجعل القول مكانا
 لسلطان كقولك ما عندكم
 بارضكم موز كانه قيل ان
 عندكم فيما تقولون سلطان
 ولما نفي عنهم البرهان
 جعلهم غير عالمين فقال
 (أتقولون على الله مالا
 تعلمون قل ان الذين يفترون
 على الله الكذب) باضافة
 الولد اليه (لا يفلحون)
 لا ينجون من النار
 ولا يفوزون بالجنة (متاع
 في الدنيا) أي افتراضهم
 هذا منفعة قليلة في الدنيا
 حيث يقيمون به رياستهم في
 الكفر ومناصبه النبي صلى
 الله عليه وسلم بالتظاهر به
 ثم اليناصر جمعهم ثم نذيقهم
 العذاب الشديد (المخلد
 بما كانوا يكفرون)
 بكفرهم (وانل عليهم)
 واقرأ عليهم (بنأ نوح)

لقد امتننا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطى بنا ثم
 فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما غنى نفسه وان لم يكن نائما هو ولا يعبره وهذا من باب نقل الاسم من
 المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأبصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وداضياء ﴿قوله تعالى
 (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبير فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه
 الاشياء كلها هو الاله العبود المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) يعني به قولهم
 الملائكة بنات الله (سبحانه) زه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغنى) يعني انه سبحانه وتعالى
 هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو
 الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها (له مافي السموات ومافي الارض) يعني انه مالك مافي
 السموات ومافي الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محمدهم وخالقهم ولما زه الله سبحانه وتعالى
 نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم
 من سلطان بهذا) يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم باغ في الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون
 على الله مالا تعلمون) يعني أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه مالا يجوز اضافته
 اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أي قل يا محمد هؤلاء
 الذين يخلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون أن له ولدا (لا يفلحون) يعني
 لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز
 بطلو به بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني قوله لا يفلحون ثم ابتداء فقال تعالى (متاع في الدنيا)
 وفيه اضمات قد بره لهم متاع في الدنيا يجتمعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة
 بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم اليناصر جمعهم) يعني بعد الموت (ثم نذيقهم
 العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم
 ويصفونه بما لا يليق بجلاله ﴿قوله سبحانه وتعالى (وانل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه
 السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما
 جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء ونساقه ليخف
 عليه ما يليق من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من
 العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم
 هلاكا وأعظمهم كفرا ووجودا ذكر الله قصتهم - وانه أهل كهم بالفرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار
 قريش فقال سبحانه وتعالى وانل عليهم نبأ نوح يعني واقرأ أعلى قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه
 يا قوم) وهم بنو قاييل (ان كان كبر) يعني ثقل (عليكم مقامي) يعني فيكم (وتذ كبرى آيات الله) يعني
 ووعظي اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك أنه عليه الصلاة
 والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله
 وتذ كبرى آيات الله يعني ووعظي بآيات الله وحججه وبياناته فغزمتهم على قتلى وطردي (فعلى الله
 توكلت) يعني فهو وحسبي وثقتي (فأجمعوا أمرهم) يعني فأحكموا أمرهم واغزموه واعليه قال القراء

خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل اذ ظرفا لقوله وانل بل التقدير واذا ذكر (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم) عظم وثقل
 كقوله وانها الكبيرة الاعلى الخاشعين (مقامي) مكاني يعني نفسه كقوله ولئن خاف مقام ربه جنتان أي خاف به أو قيامي ومكني
 بين أظهرهم ألف سنة الا خمسين عاما ومقامي (وتذ كبرى آيات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون
 مكانهم بينا وكلامهم مسدوعا (فعلى الله توكلت) أي فوضت أمرى اليه (فأجمعوا أمرهم) من أجمع الامر اذ انواه وعزم عليه

(لاتبديل لكلمات الله) لان تغيير لافواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدار بن هو الفوز العظيم) وكلما
 الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت (ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم
 وتهديدهم وتشاورهم في تديدهم هلاك (٣٢٤) وابطل أمرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعديل كأنه قيل مالي لا آخذن فقيل ان

العزة (لله) ان الغلبة
 والقهر في ملكه لا يملك
 أحدياً منها لاهم ولا غيرهم
 فهو يغلِبهم وينصرك عليهم
 كتب الله لا غابن أنا درسى
 انالنه ررسلنا اوبه يتعزز
 كل عزيز فهو بعزك ودينك
 وأهلك والوقف لازم على
 قولهم لثلا يصيران العزة
 مقول الكفار (جميعاهو
 السميع) لما يقولون (العلم)
 بما يدرون ويعزمون
 عليه وهو مكافئهم بذلك
 (ألا ان الله في السموات ومن
 في الارض) يعني العقلاء
 وهم الملائكة والثقلان
 وخصهم ليؤذن ان هؤلاء
 اذا كانوا له وفي ملكته
 ولا يصلح أحد منهم
 للربوبية ولأن يكون
 شريكاً له فيها فإراءهم
 مما لا يعقل أحق أن لا
 يكون له ندا وشريكاً وما
 يتبع الذين يدعون من
 دون الله شركاء) مانافية
 أي وما يتبعون حقيقة
 الشركاء وان كانوا
 بسموئها شركاء لان شركة
 الله في الربوبية محال (ان
 يتبعون الا ظن) الاظنهم
 أنهم شركاء الله (وان هم
 الايخرون) يحزرون

عليه قوله سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون
 وقال عطاء عن ابن عباس البشري في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة بعد خروج
 نفس المؤمن يرجعها الى الله تعالى ويشرح برضوان الله تعالى وقال الحمين هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه
 من جنته وكرمه وتوابه ويدل عليه قوله تعالى (لاتبديل لكلمات الله) يعني لا خلف لوعده الذي وعده
 أوليائه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسوله ولا تغيير لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعني ما
 وعدهم به في الآخرة (ولا يحزنك قولهم) يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء
 المشركين لك ولا يعمك تخويفهم اياك (ان العزة لله جميعاً) يعني ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعاً هو
 المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم لك منهم. وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعاً فيعز من
 يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة
 الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك أن العزة لله جميعاً وهو الذي يعز من
 يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله سبحانه
 وتعالى أن جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يساهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع)
 لا قوالكم ودعائكم (العلم) بجميع أحوالكم لا تخفي عليه خافية ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (لان الله من في
 السموات ومن في الارض) الأكمة تنبيهه معناه أنه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا الله عز وجل
 فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التي قبل هذه ألا ان الله ماني
 السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك قلت ان لفظه ما يدل على ما لا
 يعقل ولفظة من يدل على من يعقل فجمع الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع من في السموات
 ومن في الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظه من لمن يعقل فيكون المراد بمن
 في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء أيضاً وانما خصهم بالذكور لشر فهم
 واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجادات بطريق الاولى أن يكونوا في ملكه اذا
 ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدونها المشركون أيضاً في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا
 في جعل الاصنام شركاء لله معبودة ودونه (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) لفظه ما استهفامية
 معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقييح فعلهم يعني انهم ليسوا على شيء لانهم
 يعبدونها على أنها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (ان يتبعون
 الا الظن) يعني ان فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع لهم وأما نقرهم الى الله وذلك ظن منهم لاحقيقة له (وان
 هم الايخرون) يعني انهم الا يكذبون ﴿قوله عز وجل﴾ (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
 مبصراً) يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل لراحة لتسكنوا فيه والليل والسكون بالليل والنهار
 فيه وأصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصر او جعل النهار مضياً انتهت وافية لحواسكم وأسباب
 معايشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار ما يبصر ولكن لما كان مفهوماً من كلام
 العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير

ويقدرون أن يكونوا شركاء تقديراً باطلاً واستهفامية أي وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب يدعون وعلى
 الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على أحد مما للدلالة والمخوف مفعول يدعون أو موصولة
 معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاء وهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده
 بقوله (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي جعل لكم الليل مظالم لتسكنوا فيه من تعب التردد في النهار (والنهار مبصراً) مضياً

قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم إنما يحصل لهم في الآخرة لأن الدنيا لا تخلو من هم وغم وأنسكاد
 وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله وإذا كان العبد بهذه
 الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لأن مقام الولاية المعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن ﴿ وأما
 قوله سبحانه وتعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وأنه صفة لا ولياء الله ﴿ وقوله سبحانه
 وتعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عبادة بن الصامت
 قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة
 يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذي وله عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم
 البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ما سألتني
 عنها أحد غيرك منذ أتت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذي حديث حسن (خ) عن
 أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال
 الرؤيا الصالحة (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا
 المؤمن تكذب رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة لفظ البخاري واسلم إذا اقترب الزمان لم
 تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءاً من النبوة
 والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا يتحزبن من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال
 بعض العلماء ووجه هذا القول ناذا حملنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر
 هذا النص يقتضي أن لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح
 بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فإنه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفة من المعالوم أن
 معرفة الله في القلب لا تنفيذ الا الحقي والصدق فاذا رأى الولى رؤيا ورؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من
 الله عز وجل لهذا الولى قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيداً لرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءاً من
 أجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في
 اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لأنها جزء من النبوة
 وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم
 في النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام الوحي فهمي جزء من
 ستة وأربعين جزءاً وقيل ان المنام اهل أن يكون فيه اخبار بغيث وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير في
 جانب النبوة لانه لا يجوز أن يعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر
 بغيث أبداً فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيث يكون هذا القدر جزءاً من النبوة لأنه نبي واذا وقع ذلك
 لاحد في المنام يكون صدقاً والله أعلم وقيل في تفسير الآية أن المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الشفاء الحسن
 وفي الآخرة الجنة وبدل على ذلك ما روى عن أنى ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الرجل
 يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين
 الـووى قال العلماء معنى هذه البشرى المججلة بالخير وهي دليل للبشرى المؤخرة له في الآخرة بقوله بشرى أم
 اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المججلة دليل على رص الله عنه ومحبتة له ونحبيته الى الخلق
 كما قال ثم يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حده الناس من غير تعرض منه لمدهم والافتراض مذموم
 قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلاً نوراً فيفيض من ذلك النور الذي في
 قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيصبه الناس ويثنون عليه فذلك عاجل بشرى بمحبة الله
 له ورضوانه عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالباشرة من الله عند الموت وبدل

(الذين آمنوا) منصوب
 باضمار أعنى أولانه صفة
 لا ولياء أو مرفوع على أنه
 خبر مبتدأ محذوف اى
 هم الذين آمنوا (وكانوا
 يتقون) الشرك والمعاصي
 (لهم البشرى في الحياة
 الدنيا) ما بشر الله به
 المؤمنين المتقين في غير
 موضع من كتابه وعن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 هي الرؤيا الصالحة يراها
 المسلم أو ترى له وعنه عليه
 السلام ذهبت النبوة
 وبقيت المبشرات والرؤيا
 الصالحة جزء من ستة
 وأربعين جزءاً من النبوة
 وهذا الان مدة الوحي ثلاث
 وعشرون سنة وكان في
 ستة أشهر منها يؤمر في
 النوم بالانذار وستة أشهر
 عن ثلاث وعشرين سنة
 جزء من ستة وأربعين
 جزءاً وهي محبة الناس له
 والذي كره الحسن أولهم
 البشرى عند النزاع بان
 يرى مكانه في الجنة (وفي
 الآخرة) هي الجنسة

لهذه الفائدة (ولأصغر من ذلك) يعني من الذرة (ولأكبر) يعني منها (الافى كتاب مبين) يعنى في اللوح المحفوظ ﴿ قوله سبحانه وتعالى (الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اعلم أننا محتاج أولافى تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الآية هم الذين يذكرون الله ويؤمنون به ويحبون الله ويحبهون الله كما يحبون الله ويحبهون الله قال ابن جبير مرسل قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذا رزوا ذكروا الله وقال ابن زيد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لا ناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله نخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعل نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن أبي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبيد اليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجا على ركبته ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتبذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ فقام الرحمن يفرع الناس ولا يفرعون ويخاف الناس ولا يخافون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان أولياء من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكري يذكروهم هكذا ذكره البغوي وغيره سند وروى الطبري بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبيد الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلمنا نجيبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الا ان الحسد الا ان الحسد مدموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحسد يتمي ز والما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي أن يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه وقال أبو بكر الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولى الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلالة قدرة الله وان سمع آيات الله وان نطق بنطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقرب به الى الله لا يفتقر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى والذين آمنوا وقال المتكلمون والى الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو ان الايمان مبني على جمع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يبقى العبد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعني في الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شئ فانهم من نعم الدنيا ولذاتها

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) رفعها حزة على الابتداء والخبر (الافى كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ ونصها غير على نفي الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفي سبأ قدمت السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (الان أولياء الله) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة أو هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان الذي آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة خلقه أو هم المتحابون في الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية (لا خوف عليهم) اذا خاف الناس (ولا هم يحزنون) اذا حزن الناس

الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ثم الارزاق تخرج من الارض ولكن لما نبتت أسباجها بالاسماء نحو المطر الذي نبتت الارض
 النبات والشمس التي هما النضيج وينع الثمار أضيف انزالها الى السماء (قل الله اذن لكم) متعلق بارأيهم وقل تكسرير للتوكيد والمعنى
 أخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحرير فتمت تفعلون ذلك باذنه (أم) (٣٢١) على الله تفترون) أم أتم تكذبون

على الله في نسبة ذلك اليه
 أو الهمة للانكار وأم
 منقطعة بمعنى بل أفترون
 على الله تقريراً للافتراء
 والآية زاجرة عن التجوز فيما
 يسئل من الاحكام وباعته
 على وجوب الاحتياط فيه
 وأن لا يقول أحد في شيء
 جائزاً أو غير جائز إلا بعد ايقان
 واتقان والافهوم فتر على
 الدين (وما ظن الذين
 يفترون على الله الكذب)
 ينسبون ذلك اليه (يوم
 القيامة) منصوب بالظن
 وهو ظن واقع فيه أي
 شيء ظن المفترين في ذلك
 اليوم ما صنع بهم وهو يوم
 الجزاء بالاحسان والاساءة
 وهو وعيد عظيم حيث أبهم
 أمره (ان الله لذو فضل
 على الناس) حيث أنهم
 عليهم بالعقل ورحمهم
 بالوحي وتعاليم الحلال
 والحرام (ولكن أكثرهم
 لا يشكرون) هذه النعمة
 ولا يتبعون ما هدوا اليه
 (وما تكون في شأن)
 ما نافية والخطاب للنبي
 صلى الله عليه وسلم والشأن
 الامر (وما تلو من)
 التنزيل كأنه قيل وما تلو
 من التنزيل (من قرآن)

والحامي قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا الله محاذراً من الحرث والانعام نصيباً (قل الله اذن
 لكم) يعني قل لهم يا محمد الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل (أم على الله تفترون) يعني بل أتم كاذبون
 على الله في ادعائكم ان الله أمرنا بهذا (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعني اذ القوه
 يوم القيامة أي يحسبون أنه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع
 والوعيد العظيم لمن يفتري على الله الكذب (ان الله لذو فضل على الناس) يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب
 لبيان الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان
 ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وما تكون في شأن وما تلو من قرآن) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده
 والشأن الخطب والحال والامر الذي ينتق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع
 الشؤون تقول العرب ما شأن فلان أي ما حاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدراً اذا
 كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد
 في شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شأن الدنيا وحوائجك ويجوز أن يكون المراد منه القصد
 يعني قصد الشيء وما تلو من قرآن اختلفوا في الضمير في منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة
 القرآن شأن من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شأنه فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى
 وما تكون في شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكور لشره وعلومه تبت وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد
 تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تلو من القرآن من قرآن
 يعني من سورة وثني منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله المعنى
 وما تلو من الله من قرآن نازل عليك وأما قوله سبحانه وتعالى (ولا تعملون من عمل) فانه خطاب للنبي صلى الله
 عليه وسلم وأمه داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم أنه اذا خطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم
 داخلين في ذلك الخطب وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم
 داخلون في الخطابين الاوولين ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (الا كنا عليكم شهودا) يعني شاهدين لأعمالكم وذلك
 لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه لا يحدث ولا خافي ولا موجد الا الله تعالى فكل
 ما يدخل في الوجود من أحوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وهو شاهد عليه (اذ
 تفيضون فيه) يعني أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة
 الدخول في العمل على جهة الاتصاف اليه والانبساط فيه وقال ابن الأنباري معناه اذ تدفعون فيه وتنسبون
 في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشر ون فيه يقال أفاض القوم في الحديث اذا انشروا
 فيه (وما يعزب عن ربك) يعني وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شيء لانه عالم به وشاهد عليه
 وأصل العزب العزوب البعدي يقال منه كلام عازب اذا كان بعيد المطلب (من مثقال ذرة) يعني وزن ذرة والمثقال
 الوزن والذرة النملة الصغيرة الجراء وهي خفيفة الوزن جد (في الارض والفي السماء) فان قلت لم تقدم ذكر
 الارض على السماء هنا وقد ذكر السماء على الارض في سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء
 أن يقدم على الارض كما في سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على أهل الارض
 وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضوع

(٤١ - خازن) - (ثاني) لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكور تفخيم له ومن الله عز وجل (ولا تعملون)
 أتم جميعاً (من عمل) أي عمل (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصى عليكم (اذ تفيضون فيه) تخوضون من أفاض في الامر اذا
 اندفع فيه (وما يعزب عن ربك) وما يبعد وما يغيب بكمسر الاباء على حيث كان (من مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (في الارض والفي السماء)

كان (ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت) هو القادر على الأحياء والأمانة لا يقدر عليهم ما غيره (واليه ترجعون) والى حسابته وجزائه المرجع فيخاف ويرجى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد (٣٢٠)

من موعظة وتنبية على التوحيد والموعظة التي تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما في القرآن من الأوامر والنواهي داع إلى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب إذا الأمر يقتضي حسن المأمور به فيكون مرغوباً وهو يقتضي النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهي (وشفاء لما في الصدور) أي صدوركم من العقائد الفاسدة (وهدي) من الضلالة (ورحة للمؤمنين) لمن آمن به منكم (قل) يا محمد بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وبإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا أحدهما عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشئ فليخصوا هم بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام

الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك فيه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني حقيقة ذلك (هو يحيى ويميت) يعني الذي يملك ماني السموات والأرض قادر على الأحياء والأمانة لا يتعذر عليه شئ مما أراد (واليه ترجعون) يعني بعد الموت للجزاء ﴿وقوله عز وجل﴾ (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) قيل أراد بالناس قريشاً وقيل هو على العموم وهو الأصح وهو اختيار الطبري قد جاءكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة ما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبه والقرآن داع إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق (وشفاء لما في الصدور) يعني أن القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لأن داء الجهل أضرم للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي الأخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن منزيل لهذه الأمراض كلها لأن فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير وهو الدواء والشفاء لهذه الأمراض القلبية وإنما خص الصدر بالذكر لأنه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الإنسان لكان القلب فيه (وهدي) يعني وهو هدى من الضلالة (ورحة للمؤمنين) يعني وأعمة على المؤمنين لأنهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء في بفضل الله متعلقة بمضمرة استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءكم موعظة من ربكم والفضل هنا يعني الأفضال ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بأفضال الله عليكم ورحمته بكم وإرادته إخراجكم ﴿ثم قال سبحانه وتعالى﴾ (فبذلك فليفرحوا) أشار بذلك إلى القرآن لأن المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار إلى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا إشارة إلى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والآنعام فليفرحوا قال الواحدى الفاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر: فاذا هلكت فعند ذلك فاجزمي * فالفاء في قوله فاجزمي زائدة وقال صاحب الكشف في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وبإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا أحدهما عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط فكانه قيل إن فرحوا بشئ فليخصوا هم بالفرح فانه لا مفرح به أحق منهم والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب المشتهى يقال فرحت بكذا إذا أدركت المأمول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرحة في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أي ما آتاهم الله من الموعظ وشفاء الصدور وتليق اليقين بالإيمان وسكون النفس إليه (هو خير مما يجمعون) يعني من متاع الدنيا ولذاتها القانية هذا مذهب أهل المعاني في هذه الآية وإمام مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهل وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزبيته في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل الله تتعاقب بحذف يفسر ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (قل) أي قل يا محمد لكفار مكة (أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق) يعني من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما في الأرض بالانزال لأن جميع ماني الأرض من خير ورزق فآتها هو من بركات السماء (جعلتم منه) يعني من ذلك الرزق (حراماً وحلالاً) يعني ما حرمه على أنفسهم في الجاهلية من الحرث والآنعام كالبعيرة والسائبة والوصيلة

والحامي

في الحديث من هداة الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شك الفاقة كتب الله الفقيرين

عينه إلى يوم يلقاه وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبالنساء شامى فلتفرحوا بعقوب (قل أرايتم) أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بانزال أو بارأيتم أي أخبروني (جعلتم منه حراماً وحلالاً) فمضموم وقلم هذا حلال وهذا حرام كقوله ماني بطون هذه

أرأيتم ان أنا كم عذابه) الذي تستعجلونه (بيانا) نصب على الظرف أي وقت ييات وهو الليل وأنتم ساهون نأتمون لا تشعرون (أونهارا) وأنتم مشغولون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) أي من العذاب والمعنى ان العذاب مكر وموجب للنفور فأي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه بوجوب الاستعجال والاستفهام في ماذا يتعلق بأرأيتم لان المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أرادت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أتيتك ماذا (٣١٩) تظعنني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو

(أتم اذا ما وقع) العذاب
(أمنتم به) جواب الشرط
وماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراض والمعنى ان أنا كم
عذابه أمنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان
ودخول حرف الاستفهام
على ثم كدخوله على الواو
والفاء في أفامن أهمل
القرى أو أمن أهل القرى
(الآن) على ارادة
القول أي قيل لهم اذ
آمنوا بعد وقوع العذاب
الآن أمنتم به (وقد كنتم
به تستعجلون) أي بالعذاب
تكذبوا واستهزاء الآن
بمخلف الهمزة التي بعد
اللام والقاء حركتها على
اللام نافع (ثم قيل للذين
ظلموا) عطف على قيل
المضمر قبل الآن (ذوقوا
عذاب الخلد) أي الدوام
(هل تجزون الا بما كنتم
تكسبون) من الشرك
والتكذيب (ويستنبئونك)
ويستخبرونك فيقولون
(أحق هو) وهو استفهام

لهؤلاء المشركين من قومك (أرأيتم ان أنا كم عذابه بيانا) يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل لا يكون الا في البيت غالباً فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (أونهارا) يعني في النهار (ماذا يستعجل منه المجرمون) يعني ما الذي يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعني أي شيء يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا اجنبت على نفسك (أتم اذا ما وقع) يعني اذا ما نزل العذاب ووقع (أمنتم به) يعني أمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخات همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع (الآن) فيه اضمار تقديره يقال لهم الآن تؤمنون أي حين وقع العذاب (وقد كنتم به تستعجلون) يعني تكذبوا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بسبب شرهم وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يعني في الدنيا من الاعمال ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ويستنبئونك أحق هو) يعني ويستخبرونك يا محمد أحق ما عندنا به من نزول العذاب وقيام الساعة (قل اي ور بي) أي قل لهم يا محمد نعم ور بي (انه الحق) يعني ان الذي أعدكم به حق لاشك فيه (وما أنتم بمحزونين) يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شيء فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) يعني أشركت (مافي الارض) يعني من شيء (لافتدت به) يعني يوم القيامة والافتداء بمعنى البذل لما ينجو به من العذاب الا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه (وأسرروا الندامة) يعني يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضي والقيامة من الامور المستقبلية لان أحوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي والاسرار يكون بمعنى الإخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله وأسروا الندامة فقال أبو عبيدة معناه وأظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه أخفوا يعني أخفي الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتغييرهم لهم (لما رأوا العذاب) يعني حين عاينوا العذاب وأبصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله سبحانه وتعالى (وهم لا يظلمون) يعني في الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب الظالم (ألا ان لله مافي السموات والارض) يعني ان كل شيء في السموات والارض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شيء يفترق به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو أياضاً ملك لله فكيف يفترق من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه (ألا ان وعد الله حق) يعني ما وعد

على جهة الإنكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قل) يا محمد (اي ور بي) نعم والله (انه الحق) ان العذاب كائن لا محالة (وما أنتم بمحزونين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أي ولو أن لكل نفس ظالمة (مافي الارض) في الدنيا اليوم من خزانها ومواها (لافتدت به) جعلته فدية لها يقال ودها فافتدى ويقال افتداه ايضاً بمعنى فداء (وأسرروا الندامة لما رأوا العذاب) وأظهر وهما من قولهم أسر الشيء اذا أظهره وأخفوها عجزاً عن النطق لشدة الامر فاسر من الاضداد (وقضى بينهم بالقسط) بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وهم لا يظلمون) ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله (ألا ان لله مافي السموات والارض) فكيف يقبل الفداء وانه المتيب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله (ألا ان وعد الله) بالثواب أو بالعقاب (حق)

(قد خسر الدين كذبوا بقاء الله) على ارادة القول أي يتعارفون بينهم فأتين ذلك أوهى شهادة من الله على حسراتهم والمعنى أنهم وصعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناس فيه معنى التجب كأنه قيل ما أخسرهم (واما نرينك بعض الذي نعدهم) (٣١٨) من العذاب (أو تتوفينك) قبل عذابهم (فاليانصر جمعهم) جواب توفينك

وجواب نرينك محذوف
 أي واما نرينك بعض
 الذي نعدهم في الدنيا
 فذاك أو تتوفينك قبل
 أن نريك فنجن نريك
 في الآخرة (ثم الله شهيد
 على ما يفعلون) ذكرت
 الشهادة والمراد مقتضاها
 وهو العقاب كأنه قيل ثم الله
 معاقب على ما يفعلون وقيل
 ثم هنا معنى الواو (والكل
 أمة رسول) يبعث اليهم
 لينبئهم على التوحيد
 ويدعوهم الى دين
 الحق (فإذا جاء رسولهم)
 بالبينات فكذبوه ولم
 يتبعوه (قضى بينهم) بين
 النبي ومكذبيه (بالقسط)
 بالعدل فانجي الرسول
 وعذب المكذبين أو وكل
 أمة من الامم يوم القيامة
 رسول تنسب اليه وتدعى
 به فإذا جاء رسولهم الموقف
 يشهد عليهم بالكفر والايمان
 قضى بينهم بالقسط وهم
 لا يظلمون) لا يعذب أحد
 بغير ذنبه ولما قال واما
 نرينك بعض الذي
 نعدهم أي من العذاب
 استعجلوا ما وعدوا من
 العذاب نزل (ويقولون
 متى هذا الوعد) أي وعد

يعرف بهضهم بعضا إذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم إذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه هيبه وخشية وقيل ان أحوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لظهور ما يعاينون في ذلك اليوم (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) يعني أن من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لانه أثر الفاني على الباقي (وما كانوا مهتدين) يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار (واما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذاك (أو تتوفينك) قبل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فاليانصر جمعهم) يعني في الآخرة وفيه دليل على أن الله يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلمهم وخزيمهم في حال حياته في الدنيا وقد أراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيره ما أعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز وجل (ولكل أمة رسول) لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى (ولكل أمة لينبئهم على التوحيد) يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان به (فإذا جاء رسولهم) في هذا الكلام اضمار تقديره فإذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما أرسل به اليهم فكذبهم قوم وصدقهم آخرون (قضى بينهم بالقسط) يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما أنه في الدنيا وذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجج وازالة العذر فإذا كذبوا وسلمهم وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافر وينجي رسوله والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظملا لان قبل مجيء الرسول لا يكون ثواب ولا عقاب القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله إذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جى بالرسول لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعني من جزاء أعمالهم شيئا ولكن يجازى كل أحد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم (ويقولون) يعني هؤلاء الكفار (متى هذا الوعد) يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) يعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت واتباعك يا محمد أو ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (قل) أي قل لهم يا محمد (لأملك لنفسي ضرا ولا نفعا) يعني لأملك لنفسي دفع ضرا وأجلب نفع ولا أقدر على ذلك (الاماشاء الله) يعني أن أقدر عليه وأملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واطهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعيين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى (لكل أمة أجل) أي مدة مضر وبة ووقت معين (اذا جاء أجلهم) يعني اذا انقضت مدة أعمالهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذي أجل لهم ولا يستقدمونه (قل) أي قل يا محمد

العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين (قل) يا محمد (لأملك لنفسي ضرا) لؤلؤ
 من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة وعنى (الاماشاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ماشاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر
 وجلب العذاب (لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح
 فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قل)

ومنهم من يؤمن به) بلثي أو بالقرآن أي يصدق به في نفسهم - لم أنه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالفسدين) بالعاندين أو المصرين (وان كذبوك) وان تواعلي تكذيبك ويست من اجابتهم (فقل لي عملي) جزاء عملي (ولكم عملكم) جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس (٣١٧) يستمعون اليك اذا قرأت القرآن

وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أ تسمع أنك تقدر على سماع الصم ولو انضم الي صمهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون (أفانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) أنت حسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم الي فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمي الذي له في قلبه بصيرة قد يحدث وأما العمي مع الحق في جهد البلاء يعني انهم في اليأس من أن يقبلوا وصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر (ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فأحذر أن تفعل مثل فعله ﴿ قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به) يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيه أنه لا يؤمن (وربك أعلم بالفسدين) يعني الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يعني وان كذبك قومك يا محمد (فقل لي عملي) يعني الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عملكم) يعني الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والسكبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام غزالي الرأزي وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال مارفعت شيئاً من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا ﴿ قوله تعالى (ومنهم) يعني ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفانت تسمع الصم) يعني كما أنك لا تقدر على سماع الصم فكذلك لا تقدر على سماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعني ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجاهل اذا لم ينتفعوا بما لم يسمعوا وهم أيضاً كالصم الذين لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعني بإبصارهم الظاهرة (أفانت تهدي العمي) يريد عمي القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله أعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيئاً من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن (ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم - ما كان ظلماً منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالماً وانما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم) يعني واذا كرم يا محمد يوم نجتمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بقدر لبثهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حمله على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لم يلبثوا في الدنيا ايامهم في الدنيا استقلوا بها والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لم يلبثوا ايامهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعني

يظلمون) ولكن الناس حرة وعلى أي لم يظلمهم بسبب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالياه حفص (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي قبورهم لول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة وكان مخففة من الثقلة واسمها محذوف أي كأنهم و يتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنق على تقديرهم يتعارفون بينهم

(وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لاريب فيه من رب العالمين) داخل في خبر الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا لمتن الآية: الريب كاننا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كرم (أم يقولون افتراه) بل ايقولون اختلقه (٣١٦) (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فاتوا) اأنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي

شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فاتم مثلي في العربية (وادعو امن استطعتم من دون الله) أي وادعو امن دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) انه افتراه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم ناوله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بدية السماع قبل ان يفقهوه ويهلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على ناوله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشراذهم عن مفارقة دين آياتهم ومعنى التوقع في ولما ياتهم ناوله أنهم كذبوا به على البدية قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فدمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى

العظيم المجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولولم يكن كذلك لقد حو افه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه أحد من اهل الكتاب علم بذلك أن ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزله عليه وأنه مصدق لما بين يديه وأنه مجزؤه صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من اخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر (وتفصيل الكتاب) يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لاريب فيه من رب العالمين) يعني أن هذا القرآن لاشك فيه أنه من رب العالمين وأنه ليس مفترى على الله وأنه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعني أم يقول هؤلاء المشركون افتري محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل أم يعني الواو أي ويقولون افتراه (قل) أي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون (فاتوا بسورة مثله) يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فاتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فاتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فاتوا بسورة مثله فافادة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أميا لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان مجزأ في نفسه فقبل لهم فاتوا بسورة من مثله يعني من انسان أي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فاتوا بسورة مثله أي فاتوا بسورة تساوى سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فاتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها مجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدر واعليه وهو المراد من قوله (وادعو امن استطعتم من دون الله) يعني وادعو للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه (ان كنتم صادقين) يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعني القرآن أي كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريده انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرونها والجهلهم انهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك أنكروها والجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها (ولما ياتهم ناوله) يعني انهم كذبوا به ولم ياتهم بعد بيان ما يؤل اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما تؤل اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه ناولا ولا علموه ناولا ولا علموه ناولا وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم ناوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية أنبياءهم فيما وعدوهم به (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون

وجر بوقواهم في المعارضة وعرفوا مجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب) ان الذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلاهم قبل النظر في مجزاتهم وقبل تدبرها عناد وتقليد الآباء ويجوز أن يكون معنى ولما ياتهم ناوله ولم ياتهم بعد ناول ما فيه من الاخبار بالغيوب أي عاقبته حتى تبين لهم أنه كاذب أم صدق يعني أنه كتاب مجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ففسر عوا الى التكذيب به قبل أن ينظر وفي نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقيل أن يجربوا أخبارها بالخيالات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

(قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يرشده اليه (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يهدي) يقال هداه لاحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شري بمعنى اشترى ومنه قرآنة حزة على أمن لا يهدي بمعنى يهتدى لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش بانها الهاء ففتح أبو عمر ووبكر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهى قرآنة عبد الله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء (٣١٥) او كسرت لالتقاء الساكنين

وعن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره (قل) أى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا بلدهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدي للحق) يعنى أن الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره (أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم لا يهدي الا ان يهدي) يعنى ان الله هو الذى يهدي الى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا تهدي الا ان تهدي فان قلت الاصنام جادلات تصور هدايتها ولا ان تهدي فكيف قال الا ان يهدي قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر الا أن تحمل وتنقل فيبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن من يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الخالق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالتعجب من هدى الخالق الى الدين بما أظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فإلهم كيف تحكمون) قال الزجاج فى إلهم كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شرى كما وقيل معناه بشما حكمتكم اذ جعلتم لله شرى كما من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أى كثرهم الاظنا) يعنى وما يتبع أى كثر هؤلاء المشركين الا ما لعلم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالا كثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالا كثر الرؤساء (ان الظن لا يغنى من الحق شياً) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيئاً ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئاً (ان الله عليم بما يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين ﴿وقوله تعالى﴾ (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) يعنى وما كان ينبغى لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا أن محمد اصلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل أن هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكده هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصداقاً لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرر بهذا ان محمد اصلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن بالباطل حيث تزعمون

عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره (قل) أى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا بلدهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدي للحق) يعنى أن الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره (أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم لا يهدي الا ان يهدي) يعنى ان الله هو الذى يهدي الى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا تهدي الا ان تهدي فان قلت الاصنام جادلات تصور هدايتها ولا ان تهدي فكيف قال الا ان يهدي قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر الا أن تحمل وتنقل فيبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن من يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الخالق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالتعجب من هدى الخالق الى الدين بما أظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فإلهم كيف تحكمون) قال الزجاج فى إلهم كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شرى كما وقيل معناه بشما حكمتكم اذ جعلتم لله شرى كما من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أى كثرهم الاظنا) يعنى وما يتبع أى كثر هؤلاء المشركين الا ما لعلم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالا كثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالا كثر الرؤساء (ان الظن لا يغنى من الحق شياً) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيئاً ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئاً (ان الله عليم بما يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين ﴿وقوله تعالى﴾ (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) يعنى وما كان ينبغى لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا أن محمد اصلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل أن هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكده هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصداقاً لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرر بهذا ان محمد اصلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن بالباطل حيث تزعمون

أنهم أنادوا الله (وما يتبع أى كثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله والمراد بالا كثر الجميع (الاظنا) يفرد ليل وهو افتد اؤهم باسلافهم ظننا منهم أنهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شياً) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الخلق (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون منله فى علو أمره وانجازه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدم من الكتب المنزلة

تلاوة وعلى أى تابع ما أسلفت لان عمله هو الذى يهدى به الى طريق الجنة أو النار أو تقرأنى صحيفة ما قدمت من خيرا أو شر كذا عن الاخفش (وردوا الى الله مولاهم الحق) ربهم الصادق فى ربه بوينته لانهم كانوا يتولون ما ليس لرب بوينته حقيقة أو الذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم أحدا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يخفون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سوا باعياه من الفطرة (٣١٤) الحجيبة أو من يحميها من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما طييفة ان

يؤذيها أدنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فســـــــــ يقولون الله) فيسجيبونك عند سؤالك ان القادر على هذه هو الله (فقل أفلاتتقون) الشرك فى العبودية اذا اعترفتم بالربوبية (فذلكم الله) أى من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربه بوينته ثبانا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) أى لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطفى الحق وقع فى الضلال (فأتى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك)

انه من تلاه اذا تبعه أى تتبع كل نفس ما أسلفت لان العمل هو الذى يهدى النفس الى الثواب أو العقاب الثانى أن يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خيرا أو شر ورقى تبلى بالثناء المنة والثناء الموحدة ومعناه تخبر وتعلمو البلوا الاختبار ومعناه اختبارها ما أسلفت يعنى أنه ان قدم خيرا أو شر اقدم عليه وجوزى به (وردوا الى الله مولاهم الحق) الرد عبارة عن صرف الشئ الى الموضع الذى جاء منه والمعنى وردوا الى ما يظهر لهم من الله الذى هو مالكمهم ومتولى أمرهم فان قلت قد قال الله سبحانه وتعالى فى آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى فى اللغة يطاق على المالك و يطاق على الناصر فعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه فى الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا لله قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السماء والارض) أى قل يا محمد هؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعنى المطر والارض يعنى النبات (أم من يملك السمع والابصار) يعنى ومن أعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهى ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحى وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة (ومن يدبر الامر) يعنى ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون الله) يعنى أنهم يعترفون أن فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقرون بذلك (فقل) أى قل لهم يا محمد (أفلاتتقون) يعنى أفلا تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التى لا تنفع ولا تنفع ولا تقدر على شئ من هذه الامور (فذلكم الله ربكم الحق) يعنى فذلكم الذى يفعل هذه الاشياء و يقدر عليها هو الله ربكم الحق الذى يستحق العبادة لاهذه الاصنام (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعنى اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ما سواها ضلالا واطلا (فأتى تصرفون) يعنى اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستخرون العدول عن الحق الى الضلال الباطل (كذلك) أى كما ثبت أنه ليس بعد الحق الى الضلال (حققت) أى وجبت (كلمت ربك) فى الازل (على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم فى اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا بدافع (قل هل من شركائكم) أى قل يا محمد هؤلاء المشركين هل من شركائكم يعنى هذه الاصنام التى تزعمون انها آلهة (من يبدأ الخلق) يعنى من بقدر على ان يذئ الخلق على غير مثال سبق (ثم يعيده) أى ثم يعيده بعد الموت كهينته أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار (قل) أى قل أنت يا محمد (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) يعنى ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته (فأتى تؤفكون) يعنى فأتى تصرفون

مثل ذلك الحق (حققت كلمت ربك) كلمات شامى ومدنى أى كالحق وثبت ان الحق بعده الضلال أو كالحق أنهم تصرفون عن الحق فكذلك حققت كلمة ربك (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أى حق عليهم اتقاء الايمان أو حق عليهم كلمة الله أن ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون لتعليل أى لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرر بالاعادة لانه لظهور برهانها جهل أمر مسلماتها على أن فيهم من يقر بالاعادة ويحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الاتزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم (فأتى تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل

والذين كسبوا) عطف على الذين أحسنوا أي وللذين كسبوا (السيئات) فنون الشرك (جزاء سيئة بمنثلها) الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة
 سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدره بمنثلها (وترهقهم ذلة) ذل وهو ان (ما لهم من الله) من عقابه (من عاصم) أي لا بعضهم أحد من
 سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) أي جعل عليها (٣١٣) غطاء من سواد الليل أي هم سود

الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لا غشيت قطعاً مكي وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلماً صفة لقطع وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعاً فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة أو معنى الفعل في من الليل (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشروهم أي الكفار وغيرهم (جميعاً) حال (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) أي كذب الضمير في مكانكم لصدقه مسدقوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (ففرقنا بينهم) وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا (وقال شركاؤكم من عبده من دون الله من أولي العقل أو الاصنام ينقطعها الله عز وجل (ما كنتم ايانا تعبدون) أي كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم

ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبدًا قوله سبحانه وتعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما أتاهم من الكرامة شرح في هذه الآية حال من أقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعني والذين هملاوا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمنثلها يعني فالهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها العالمها من الواحدة الى العشرة الى السبعمان الى الأضعاف كثيرة وذلك تفضلاً منه وتكرماً وما أوالسيئات فانه يجازى عليها بمنثلها عدلاً منه سبحانه وتعالى (وترهقهم ذلة) قال ابن عباس بغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهو ان لعقاب الله اياهم (ما لهم من الله من عاصم) يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) يعني كأنما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشروهم جميعاً) الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجتمع الخلائق جميعاً لتوقف الحساب وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسألوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين (أنتم وشركاؤكم) يعني أنتم ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله (فزيلنا بينهم) يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي بهد قوله ثم نقول للذين أشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بأنه سيكون صار كالكاثر الآن قوله (وقال شركاؤهم) يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما ما هم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم أو لانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب (ما كنتم ايانا تعبدون) تبرأ العبودون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جاد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خالق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا أحياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم أو يبقئهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شئ من أفعاله وأحوال القيامة غير معلومة الاما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة فان قلت ان الاصنام قد أنكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون في يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة (فكفي بالله شهيداً بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم اغافلين) والمعنى قد علم الله وكفى به شهيداً انما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم اياناً من دون الله الا غافلين ما نشعر بذلك أم أقوله سبحانه وتعالى (هنالك تباوكل نفس ما أسلفت) فهو كالنتمة للآية المتقدمة والمعنى في ذلك المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تباوكل نفس ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو اقبح أم حسن أنافع أم ضار أم مقبول أم صرود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت

(٤٠ - (خازن) - ثاني) ان تتخذوا لله أنداداً فاطعموهم وهو قوله ويوم نحشروهم جميعاً نقول للملائكة هؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فكفي بالله شهيداً بيننا وبينكم) أي كفي بالله شهيداً او هو تمييز (ان كنا عن عبادتكم اغافلين) ان محففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هنالك) في ذلك المكان أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تباوكل نفس) تحبتر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو اقبح أم حسن أنافع أم ضار أم مقبول أم صرود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت

الله عليه وسلم في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكرم وعن أبي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكرم وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وعن أبي موسى الأشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة مناديا ينادى هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكروه بعناؤه وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حاكم شيء لم تعطوه قال فيتعجل لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجهه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على أن المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعو الى دار السلام فنبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وعمائيو كذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فائت لاهل الجنة أمر بن أحد هما الناضرة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حل الحسنى على الجنة ونيعها وحل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حل هذه الزيادة على الرؤية لأن الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله سبحانه وتعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المز يد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حلوا هذه الزيادة على غير الرؤية فاتتني ما قلتم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على امكان وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة واذا لم يوجد العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية ووجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة وأجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المز يد عليه بان المز يد عليه اذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالمدكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونيعها غير مقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا للنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأجيب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين حلوا الزيادة على غير الرؤية بأنه معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله أعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روى عن علي بن أبي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة ابواب القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا من يزيد يقول بحجهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى (ولا يرهق وجوههم) يعني ولا يعشى وجوه أهل الجنة (قتر) أى كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه (ولادلة) يعني ولا هو ان قال ابن أبي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يعني

(ولا يرهق وجوههم) ولا يعشى وجوههم (قتر) غيرة فيها سواد (ولادلة) ولا أثره وان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

(والله يدعو الى دار السلام) هي الجنة أضافها الى اسمه تعظيماً لها والسلام السلامة لان (٣١١) أهلها سالمون من كل مكروه وقيل

لنفوسهم والسلام بينهم وتسليم
الملائكة عليهم الا قبلا
سلاما سلاما (ويهدى من
يشاء) و يوفق من يشاء
(الى صراط مستقيم) الى
الاسلام أو طريق السنة
فالدعوة عامة على لسان
رسول الله بالدلالة والهداية
خاصة من اطف المرسل
بالتوفيق والعناية والمعنى
يدعو العباد كلهم الى دار
السلام ولا يدخلها الا
المهديون (للذين أحسنوا)
آمنوا بالله ورسوله
(الحسنى) المثوبة الحسنى
وهي الجنة (وزيادة) رؤية
الرب عز وجل كذا عن
أبي بكر وحذيفة وابن
عباس وأبي موسى
الاشعري وعبادة بن
الصامت رضى الله عنهم
وفي بعض التفاسير أجمع
المفسرون على أن الزيادة
النظر الى الله تعالى وعن
صهيب أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل
أهل الجنة الجنة يقول الله
تبارك وتعالى أمر يدون
شيئا أز يدكم فيقولون ألم
تبيض وجوهنا ألم تدخلنا
الجنة وتنجنا من النار قال
فيرفع الحجاب فينظرون الى
الله تعالى فما أعطوا شيئا
أحب اليهم من النظر الى
رهبهم ثم تلا الذين أحسنوا

كما ينالكم مثل الحياة الدنيا و عرفناكم حكمها كذلك نبين سبحانه وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك
سبباً ما وجب الزوال الشك والشبهة من القلوب قوله سبحانه وتعالى (والله يدعو الى دار السلام) لما ذكر الله
زهرة الحياة الدنيا وأنها فانية زائلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال فتادة الله هو السلام وداره الجنة فبلى
هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه أنه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء
والتغير وقيل أنه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لان الخلق ساموا من ظامه وقيل انه تعالى يوصف بالسلام
بمعنى ذى السلام أى لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم
للجنة وهو جمع سلامة والمعنى أن من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن
والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة
عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده أن دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل
على أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف
الا عظيماً وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة فى آيات كثيرة من كتابه (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم)
يعنى والله يهدى من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أو لاظهار للحجة
وخص بالدعوة ثانياً استغناء عن الخلق واظهار للقدرة فخلصت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر
قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب
يقظان فقالوا ان صاحبكم مثلاً فاضربوه مثلاً فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مآدبة وبعث داعياً
فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المآدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المآدبة فقالوا
أولوها يفقهها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الداعى محمد فمن أطاع محمد فقد أطاع
الله ومن عصى محمد فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انى رأيت فى المنام كأن جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه
اضرب له مثلاً وعن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلاً صراطاً
مستقيماً على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط
وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التي على كنفى
الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حد ودالله حتى يكشف السترو الذى يدعو من فوقه واعظ به أخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل (الذين أحسنوا الحسنى) قال ابن عباس للذين
شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم
به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تأنيب الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة
المحبوبة والخلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى (وزيادة) اختلف المفسرون
فى معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على أقوال القول الاول أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه
الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الاشعري وعبادة بن
الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدى ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول
أما المنقول فخاروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول
الله تبارك وتعالى أمر يدون شيئاً أز يدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال
فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى رهبهم تبارك وتعالى زاد فى رواية ثم تلا هذه الآية
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى

الحسنى وزيادة والمحب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لانه هذه العبارة وقال انه حديث مدفوع مع أنه مدفوع قد ورد صاحب
المصابيح فى الصحاح وقيل زيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان

كأما أنزلناه من السماء من السحاب (فاختاطبه) بالماء (نبات الأرض) أي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً (مما يأكل الناس) يعني الحبوب والثمار والبقول (والانعام) يعني الحشيش (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) زيتها بالنبات واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء في الزى وهو كلام فصيح جاءت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا خذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكنتها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الأرض (أنهم قادرون عليها) متمكنون من مفعولها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أناها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أسئلتهم واستيقانهم أنه قد سلم (ليلاً ونهاراً) جعلنا زرعها (حصيداً) شبيهاً بما يحصل من الزرع في قطعه واستنصاله (كان لم تغن) كان لم يغن زرعها أي لم يلبث حذف المتصاف في هذه المواضع لا بد منه يستقيم المعنى (٣١٠) (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كما به قيل كان لم تغن آفة (كذلك تفصل الآيات لقوم

يتفكرون) فينتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبيهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التفت وتكاثف وزين الأرض بمحضرتة ورفيفه والتبنيه على حكمة التشبيه أن الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شبيتها كما أن صفو الماء في أعلى الاناء قال ألم تر أن العمر كاس سلاقة * فأوله صفو وآخره كدر وحقيقته تزين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة نبتت بساتين الانسور يا حين الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة شقائق

وزوالها (كأما أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختاطبه) أي بالطر (نبات الأرض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مما يأكل الناس) يعني من الحبوب والثمار (والانعام) يعني وما يأكل كل الانعام من الحشيش ونحوه (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) يعني حسنها ونضرتها وجمتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) أي وزينت (وظن أهلها) يعني أهل تلك الأرض (أنهم قادرون عليها) يعني على جدادها وقطافها وحصادها ذلك كناية إلى الأرض والمراد النبات إذ كان مفهوماً وقيل رده إلى الثمرة والغلة وقيل إلى الزينة (أناها أمرنا) أي قضاؤنا بهلاكها (ليلاً ونهاراً) يعني في الليل والنهار (جعلنا حصيداً) يعني محصودة مقطوعة (كان لم تغن بالامس) يعني كأن لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الأرض وأصله من غنى فلان بالكان إذا أقام به وهو مثل ضرب به الله سبحانه وتعالى للمتشبهين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسنها وذلك أنه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بقيتكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن بغي في الأرض وتجب برفقها ووركن إلى الدنيا وأعرض عن الآخرة لان النباتات في أول بروزه من الأرض ومبدأ خروجه يكون ضعيفاً فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوى وحسن واكتسى كمال الرواق والزينة وهو المراد من قوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء وجعلت الأرض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس إذ البست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حجرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك أن الأرض متى كانت على هذه الصفة فإنه يفرح بها أصحابها ويعظم رجاءه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الأرض صاعقة أو برداً أو ريحاً فجعلها حصيداً كان لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبه بالدنيا ياتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولان المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيتها أتاه الموت بغمته فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع إذا انتهى وتكامل في الحسن إلى الغاية القصوى أتته آفة فتلف بالكلية ثم ان الله سبحانه وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على أن من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادراً على اعادة الاموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم في ثيب الطائع ويعاقب العاصي (كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون) يعني

الطريقة والحقيقة تجرح خلاف الخلف وتمام الانم وشوك الشرك وشيخ الشح وحطب العطب واعاع اللعب كما يدعو معاده كما يحين لا تحرت حصاده فتزايه الحياة مغترا كما يهيج النبات مصفر اقتغيب جنته في الرمس كأن لم تغن بالامس الى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليلاً بهلاك كثيره ولا بد من ترك ما زاد كالماء من أخذ الزاد وأخذ المال لا يتجول من زله كما أن خائض الماء لا ينجو من بلة وجمعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فعد دون النصاب بضحضاح ماء مجاوز بلا احتماء والنصاب كنه حائل بين المجتاز والجوازي المفاض لا يمكن الا بقطرة وهي الزكاة وعمارتها بذل الصلوات فتى اختلت القنطرة غرقته أمواج القناطر المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دين الامجاد كما أن الماء يجتمع في الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكذب البخيل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يفتى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف

(جاءتها) أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقته (ريح عاصف) دات عصف أي شديدة الهبوب (وجاءهم الموج) هو ماء على الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا جعل احاطة العدو بالخي مثلاً في الأهلاك (دعوا الله محاصرين له لدين) من غير إشرافك به لأنهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه الأهوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك (٣٠٩) غايه للتيسير في البحر ولكن

مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حينها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من محبي الريح العاصف وتراكم الامواج والظن والهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بديل من طنوا الان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض) يفسدون فيها (بغير الحق) باطلاً أي مبطلين (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) أي ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها (متاع الحياة الدنيا) حفص أي تمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيكم غيره بالرفع على انه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبني عليهم ومعناه انما بغيكم على أمثالكم وهو خبر متاع خبر بعد خبر أو متاع خبر مبتدأ أمضراً أي هو متاع الحياة الدنيا وفي الحديث أسرع الخير ثواباً صلة

بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرّة العظيمة بذلك (جاءت الريح عاصف) قيل ان الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فأقبلتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح شددت وأصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه أراد به ذات عصف أو لاجل ان لفظ الريح قديذ كر (وجاءهم الموج من كل مكان) يعني وجاء ركان السفينة الموج وهو الارتفاع وعلامة من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا أنهم أحيط بهم) يعني وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحذق وقيل المراد من الظن اليقين أي وأيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا الله محاصرين له الدين) يعني انهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحد سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا خلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لا ينجهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضرو بلاء أخلصوا الله الدعاء (لئن أنجيتنا) أي قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا (من هذه) يعني من هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بتخلصنا من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعني فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها (اذا هم يبغون في الارض بغير الحق) يعني انهم أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي تجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين قريظة (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) يعني ان وبال بغيكم راجع عليكم (متاع الحياة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغيكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزيد الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم لا يتيها أن يبغى بعضكم على بعض الاياماً قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها والبني من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بني جبل على جبل لاندك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعراً وكان المأمون يتمثل به فقال

يا صاحب البني ان البني مصرعة * فارجمع غير مقال المرء أعدله
فلو بني جبل يوماً على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

وقوله سبحانه وتعالى (ثم الينا مرجعكم) يعني يوم القيامة (فنبئكم) أي فنخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من البني والمعاصي فنجاز بكم عليهما قوله عز وجل (انما مثل الحياة الدنيا) يعني في دنائها

الرحم وأجمل الشرع قابا البني واليمين العاجرة وروى ثنتان يجله ما الله في الدنيا البني وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بني جبل على جبل لاندك الباغى وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البني والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم ولا يحق المكر السيء الا باهله ومن نكث فأنما ينكث على نفسه (ثم الينا مرجعكم فنبئكم بما كنتم تعملون) فنخبركم به ونجاز بكم عليه (انما مثل الحياة الدنيا

(فاتظروا) نزول ما اقترحه وود (اني معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم ووجودكم الآيات (واذا أذقنا الناس) أهل مكة (رحمة) خصبا وسعة (من بعد ضراء مستهم) (٣٠٨) يعني القحط والجوع (اذالهم مكر في آياتنا) أي مكر وابتائنا بدفعها وانكارها

روى انه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحياء فلم ارحهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجأة وهو كقوله وان نصهم سيئة بما قدمت أيديهم اذاهم يقظون أي وان نصهم سيئة فقتلوا واذا أذقنا الناس رحمة مكرها والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وانما قال (قل الله أسرع مكرًا) ولم يفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجأة دلت على ذلك كانه قال واذا ارحناهم من بعد ضراء فاجؤا ووقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعني الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اعلام بان ما تظنون خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل (هو الذي يسيركم في البر والبحر)

لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد متى نزل الآية الا هو (فاتظروا) يعني نزولها (اني معكم من المنتظرين) وقيل معناه فاتتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل اني معكم من المنتظرين ﴿قوله عز وجل (واذا أذقنا الناس رحمة) يعني رضاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعني من بعد شدة وبلاء ضيق في اعيانهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى أخضت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم تعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (اذالهم مكر في آياتنا) قال مجاهد أي تكذيب واستزراء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا او يدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبة على أثر سماء كانت من الليل فاما انصرفنا قبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب أخرجه في الصحيحين قوله على أثر سماء كانت من الليل أي مطر كان قد وقع في الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون أيضا فمن العرب من يجعل ذلك التأثير للطالع لانه ناء أي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفي النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحره قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكر لان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يمتثلون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاصد (قل الله أسرع مكرًا) أي قل لهم يا محمد لله أعجل عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء وان عذابه في هلاككم أسرع اليكم ما يأتي منكم في دفع الحق ولما قابوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القييمة السيئة الى يوم القيامة حتى يفترضوا بها ويجزون على مكرهم ﴿قوله تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) يعني هو الله الذي يسيركم في البر والبحر طلبا للمعاش وهو المهيء لكم أسباب السير في البر والبحر (حتى اذا كنتم في الفلك) يعني السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان أريد بها الواحد كان كبناء قفل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى (وجوز بهم) يعني وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكرون لغيرهم حالهم ليحجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقيع وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم عزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يردده الى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب (بريح طيبة) يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفرحوها) يعني وفرح ركبان تلك الفلك

بتلك

يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية في البحار أو يخلق فيكم السير بغيركم شامى

(حتى اذا كنتم في الفلك) أي السفن (وجوز بهم) أي السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (بريح طيبة) لينة

الهيوب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفرحوها) بتلك الريح لئلا تستقامتها

بالله جهداً بما نهم لا يبعث الله من يموت أو يوم القيامة ان يكن بعث ونشور (قل) أتنبؤن الله بما لا يعلم) أنخبرونه بكونهم شفعاؤنا عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوماً له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئاً وقوله (في السموات ولا في الارض) تأكيداً لئلا يفهم ان ما لم يوجد فيه ما فهمه معدوم (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه ذاته عن ان يكون له شريك وبالتالي حصة وعلى وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين تشركونهم به أو عن اشراكهم (وما كان الناس الا امة واحدة) حنفاً متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان حين لم يذره الله من الكافرين دياراً (فاختلفوا) فصاروا مللاً (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم منهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلاً (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه ولم يميز الحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة وهي ان هذه الدار دار

المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوا وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجاد لا تضر ولا تنفع وان العبادة اعظم انواع التعظيم فلا تليق الابن بضره وينفع ويحبي ويميت وهذه الاصنام جاد وحجارة لا تضر ولا تنفع (ويقولون هؤلاء) يعني الاصنام التي يعبدونها (شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعاني توهموا ان عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لستنا باهل ان نعبد الله ولكن نستعمل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبار عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن جرير عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت (قل) أي قل لهم يا محمد (أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) يعني أنخبرون الله انه شر يكاولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الازم والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجوداً لعلمه الله وحيث لم يكن معلوماً لله وجب ان لا يكون موجوداً ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا اراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون له شريك في السموات والارض ولا يعلمه شيء قوله سبحانه وتعالى (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا) يعني فتفرقوا الى مؤمن وكافر يعني كانوا اجياعاً على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذرئته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بعوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحاً وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع في ان يبصر الناس على دين واحد فانهم كانوا اولاً على الكفر وانما أسلم بعضهم فففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الآية ما يدل على أي دين كانوا من ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام قوله سبحانه وتعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني انه سبحانه وتعالى جعل لكل امة اجلاً وقضى بذلك في سابق الازل قال الكبي هي امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب (لقضى بينهم) يعني ينزل العذاب وتجيب العقوبة لا لكذبين وكان ذلك فصلاً بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤخذ احد الا بعد اقامة الحججة عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمتي لاجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن آخرهم رحمتي الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا (ويقولون) يعني كفار مكة (ولولا انزل عليه آية من ربه) يعني هلا نزل على محمد ما تفرحه عليه من الآيات (فقل) اي فقل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعني ان الذي سألتموه هو من الغيب وانما الغيب

تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) أي آية من الآيات التي افترحوها (فقل انما الغيب لله) أي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير

المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لوشاء الله ما تلوته عليكم) يعني لوشاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يأمرني بقراءته عليكم (ولأدراكم به) قال ابن عباس ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم غمرا من قبله) يعني فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى إلى هذا القرآن مدة أربعين سنة لم آتكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وعلموا أحواله وأنه كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك أربعون سنة ثم بعد الأربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز البلغاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ناقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله (أفلا تعقلون) يعني ان هذا القرآن من عند الله أو حاد إلى لا من قبل نفسي (ق) عن ابن عباس قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا ثم إن سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشر اوتوفي وهو ابن خمس وستين سنة أخرجه في الصحيحين (ق) عن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجه في الصحيحين (م) عن أنس قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ايس بالايض الامهق ولا بالآدم ليس بجعد قط ولا سبط رجل أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي بالمدينة عشر اوتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه وحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي وورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أصحها وأشهرها ورواهما مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس وانفق العلماء على ان أصحها ثلاث وستون سنة وتناولوا الباقي عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بانها حصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة أو نور آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالايض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الحص وهو كره المنظر ورواهما توهم الناظر أنه برص والمراد انه كان أزهر اللون بين البياض والحرة قوله عز وجل (فن أظلم من افترى على الله كذبا) يعني فزعم أن له شر يكاو ولد والمعنى اني لم أفتر على الله كذبا ولم أكذب عليه في قولي ان هذا القرآن من عند الله وأتم قد افترى على الله الكذب فزعم ان له شر يكاو ولد والله تعالى منزلة عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه مني من حيث اني افترى الله على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله أو حاد إلى وجب أن يقال ليس أحد في الدنيا أظلم على نفسه منكم من حيث انكم أنكرتم ان يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى (أو كذب بآياته) يعني يمجذبكون القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد (انه لا يفلح المجرمون) يعني المشركين وهذا وعيد وتأكيدهما سبق (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) يعني ويعبد هؤلاء

يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واظهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أعمى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحيا يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب التي لا يعلمها الا الله (ولأدراكم به) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لساني (فقد لبثت فيكم عمر من قبله) من قبل نزول القرآن أي فقد أدت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتهموني باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا انه ليس الامن عند الله لا من مثلي وهذا جواب عمادسوه تحت قوله انت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه (فن أظلم من افترى على الله كذبا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في أنه ذو شر يك و ذو ولد وان يكون تفاديا مما أضافوه إليه من الافتراء (أو كذب بآياته) بالقرآن فيه بيان ان الكاذب على الله والكذب بآياته في الكفر سواء (انه لا يفلح المجرمون) ويعبدون من دون الله مالا يضرهم) ان تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) ان عبدوها

اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها (لننظر كيف تعملون) أي لننظر أتعلمون خيرا أو شرافتعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعلمون لا بنظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا (٣٠٥) حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها

فناظر كيف تعملون (وإذا تولى عليهم آياتنا بينات) حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان (انت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغنيظنا من ذلك نتبعك (أو بدله) بان تجعل مكان آية عذاب آية رجة وتسقط ذكر الآلهة ودم عبادتها فامر بان يحجب عن التبسديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رجة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قل ما يكون لي) ما يحل لي (أن أبدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي (ان أتبع الا ما يوحى الي) لا أتبع الا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذي أتيت به من عند الله لا من عندي فأبدله (اني أخاف ان عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) أي يوم القيامة وأما الايتان بقرآن

الامم الخالية لما كذبوا رسالهم كذلك نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم (لننظر كيف تعملون) يعني خيرا أو شرافتعاملكم على حسب أعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم بريدناختبرأعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال أهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجزاء في وصف الله سبحانه وتعالى اظهارا للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ايجاز بهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ايبأولكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن أنى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وإذا تولى عليهم آياتنا بينات) يعني وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعني قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (انت بقرآن غير هذا أو بدله) قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبید الله بن أمية المخزومى والوايد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبى قيس العامرى والعاصم بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عبيها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فأجعل مكان آية عذاب آية رجة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام غفر الدين الرازى اعلم أن اقدم الكفار على هذا الالتباس يحتمل وجهين أحدهما أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لوجئنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله لآمنابك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثانى أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله انت بقرآن غير هذا أو بدله يحتمل أن يأتي بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الامع وجوده وهو أن يسدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله (قل) أي قل يا محمد هؤلاء (ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) يعني ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس الي وما يذنبني لي أن أغيره من قبل نفسي ولم أمر به (ان أتبع الا ما يوحى الي) يعني فيما أمركم به وأنها كم عنه وما أخبركم الا ما يخبرني الله به وان الذى أتيتكم به هو من عند الله لا من عندي (اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) أي قل لهم يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فعصيته بذلك أن يعذبني بعذاب عظيم في يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴿ قوله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء

(٣٩ - خازن) - (ثانى) آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله انت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي لقوله انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغرضهم في هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وابنه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أو يهلكه فيسخر وامنه فيجعله هو التبديل حجة عليه وتمحيها لاقرانه على الله (قل)

(فندر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهمون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يجعل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا يجعل لهم الشر ولا تقضى اليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فتمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً للحجة عليهم) (وإذا مس الإنسان) (٣٠٤) أصابه والمراد به الكافر (الضر دعانا) أي دعانا لآزالته (جنبه) في موضع الحال بدليل عطف

الحالين أي (أوقاعدا أوقائماً) عليه أي دعانا مضطجماً وفائدة ذكر هذه الاحوال ان المضرر لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حاله كلها كان مضطجعاً عاجزاً عن النهوض أوقاعدا لا يقدر على القيام أوقائماً لا يطيق المشي (فلما كشفنا عنه ضره) (أزلنا ما به) (مر كأن لم يدعنا إلى ضره) أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسى حاله الجهد أوامر عن موقف الابتهاج والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به والأصل كأنه لم يدعنا نخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) (للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته) (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو في (وجاءتهم رسلهم) للحال أي ظلموا بالكذب

سبحانه وتعالى (فندر الذين لا يرجون لقاءنا) يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (في طغيانهم) يعني في تمردهم وعتوهم (يعمهمون) يعني يترددون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهداً ان تخلفني فإني أنا بشر أعذب كما يعذب البشر فأبصر رجل من الساميين سبيته أو بعثته أو جلده فاجعلها له صلاة وزكاة وقرية تقر به بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ﴿قوله عز وجل﴾ (وإذا مس الإنسان الضر) أي الشدة والجهد والمراد بالإنسان في هذه الآية الكافر (دعانا جنبه) أي على جنبه مضطجعاً (أوقاعدا أوقائماً) يريد جميع حاله لان الإنسان لا ينفك عن إحدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعياً في جميع حاله الى أن ينكشف ضره سواء كان مضطجعاً أوقاعداً أوقائماً وقال الزجاج وجاز أن يكون المعنى اذا مس الإنسان الضر جنبه أو مسه قاعداً أو مسه قائماً وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعني فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه (مر) يعني على طريقته الأولى قبل مس الضر (كأن لم يدعنا) فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وإنما أسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضره) والمعنى انه استمر على حاله الأولى قبل أن يسه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء والضييق والفقر (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وإنما سمي الكافر مسرفاً لانه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في البحار والسواحب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدتها يعني خدامها وقال ابن جرير في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كآزبن لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الإنسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حاله مجتهداً في الدعاء طالبا من الله ان يزيل ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولاً وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابراً عند البلاء شاكراً لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضياً بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكراً لله عز وجل في جميع أحواله ولبيد لم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم في جميع أفعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يعني أهلكنا الامم الماضية من قبلكم بخوف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعني لما أشركوا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) يعني فكذبوهم (وما كانوا يؤمنوا) يعني هذه الامم برسليهم وصدقوهم بما جاؤا به من عند الله (كذلك نجزي القوم الجرمين) يعني كما أهلكنا

الحالين أي (أوقاعدا أوقائماً) عليه أي دعانا مضطجماً وفائدة ذكر هذه الاحوال ان المضرر لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حاله كلها كان مضطجعاً عاجزاً عن النهوض أوقاعدا لا يقدر على القيام أوقائماً لا يطيق المشي (فلما كشفنا عنه ضره) (أزلنا ما به) (مر كأن لم يدعنا إلى ضره) أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسى حاله الجهد أوامر عن موقف الابتهاج والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به والأصل كأنه لم يدعنا نخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) (للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته) (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو في (وجاءتهم رسلهم) للحال أي ظلموا بالكذب

وقد جاءتهم رسلهم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا يؤمنوا) ان بقوا لم يهلكوا لان الله علم منهم انهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا واعتراض واللام لتأكيد النفي يعني ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم للرسول وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان أزموا الحجة بيعة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك (نجزي القوم الجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على

(تجرى من تحتهم الانهار) بيانها وتفسيرها اذا التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عمك (٣٠٣) فيكون له نور او قائد الى الجنة والكافر

والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز أن يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص واطنائف وبصائر بنور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز أن يكون المعنى ويشبههم على الهداية وقيل معناه بإيمانهم بهم يهديهم بهم لدينه أى يتصدق بهم هدايتهم (تجرى من تحتهم الانهار) يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من أعلى أسمرتهم وقصورهم فهو كقولهم سبب حانته وتعالى قد جعل لك تحتك سر يلمر به أنه تحتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى باسرها (في جنات النعيم) يعنى ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أى دعائهم فيها (سبحانك اللهم) وهي كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء وتقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبهه بعضه ابعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقدير لله عز وجل والشناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكرو التحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتخيطون قالوا فبالطعام قال جشاء وشرح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرفا ﴿وقوله سبحانك وتعالى﴾ (وتحيتهم فيها سلام) يعنى يحيى بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييتهم الملائكة بالسلام وقيل تأنيتهم الملائكة من عندهم بالسلام (وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا أن جشاءة من المفسر بن جلاوة التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب الأكل والمشروب وانهم اذا اشتروا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يتدنون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والشناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث ﴿وقوله سبحانك وتعالى﴾ (ولو يجعل الله للناس الشر) يعنى ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه ضرورة ومكرهه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله ولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله ولده بما يكرهه أن يستجاب له فيه (استجبالهم بالخير) يعنى كاستجبالهم بالخير وكما يحبون أن يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتجميل تقديم الشيء قبل وقته والاستجبال طاب المجلسة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتجميل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤل يقول لو أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي يستجبالون به استجبالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم يعنى فرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل يفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر. وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا نجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافر من العذاب كما جعل لهم خير الدنيا من المال والولد الجمل قضاء آجالهم وهلاكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله

الذي يخرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عمك (تجرى من تحتهم الانهار) يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من أعلى أسمرتهم وقصورهم فهو كقولهم سبب حانته وتعالى قد جعل لك تحتك سر يلمر به أنه تحتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى باسرها (في جنات النعيم) يعنى ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أى دعائهم فيها (سبحانك اللهم) وهي كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء وتقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبهه بعضه ابعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقدير لله عز وجل والشناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكرو التحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتخيطون قالوا فبالطعام قال جشاء وشرح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرفا ﴿وقوله سبحانك وتعالى﴾ (وتحيتهم فيها سلام) يعنى يحيى بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييتهم الملائكة بالسلام وقيل تأنيتهم الملائكة من عندهم بالسلام (وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا أن جشاءة من المفسر بن جلاوة التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب الأكل والمشروب وانهم اذا اشتروا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يتدنون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والشناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث ﴿وقوله سبحانك وتعالى﴾ (ولو يجعل الله للناس الشر) يعنى ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه ضرورة ومكرهه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله ولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله ولده بما يكرهه أن يستجاب له فيه (استجبالهم بالخير) يعنى كاستجبالهم بالخير وكما يحبون أن يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتجميل تقديم الشيء قبل وقته والاستجبال طاب المجلسة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتجميل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤل يقول لو أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي يستجبالون به استجبالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم يعنى فرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل يفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر. وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا نجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافر من العذاب كما جعل لهم خير الدنيا من المال والولد الجمل قضاء آجالهم وهلاكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله

الذي يخرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عمك (تجرى من تحتهم الانهار) يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من أعلى أسمرتهم وقصورهم فهو كقولهم سبب حانته وتعالى قد جعل لك تحتك سر يلمر به أنه تحتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى باسرها (في جنات النعيم) يعنى ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أى دعائهم فيها (سبحانك اللهم) وهي كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء وتقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبهه بعضه ابعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقدير لله عز وجل والشناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكرو التحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتخيطون قالوا فبالطعام قال جشاء وشرح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرفا ﴿وقوله سبحانك وتعالى﴾ (وتحيتهم فيها سلام) يعنى يحيى بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييتهم الملائكة بالسلام وقيل تأنيتهم الملائكة من عندهم بالسلام (وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا أن جشاءة من المفسر بن جلاوة التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب الأكل والمشروب وانهم اذا اشتروا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يتدنون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والشناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث ﴿وقوله سبحانك وتعالى﴾ (ولو يجعل الله للناس الشر) يعنى ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه ضرورة ومكرهه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله ولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله ولده بما يكرهه أن يستجاب له فيه (استجبالهم بالخير) يعنى كاستجبالهم بالخير وكما يحبون أن يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتجميل تقديم الشيء قبل وقته والاستجبال طاب المجلسة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتجميل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤل يقول لو أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي يستجبالون به استجبالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم يعنى فرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل يفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر. وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا نجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافر من العذاب كما جعل لهم خير الدنيا من المال والولد الجمل قضاء آجالهم وهلاكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله

(وقدره) وقدر القمر أى وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذامنازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أى عدد السنين والشهور فما كتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبسا (بالحق) (٣٠٢) الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا (يفصل الآيات) مكى وبصرى وحفص

خص الشمس بالضياء لأنها أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لأنه أضعف من الضياء ولأنهما لو تساوا يلم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكل وأقوى من النور المختص بالقمر (وقدره منازل) قيل الضمير فى وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدرلها منازل أو قدر سيرهما منازل لا يجاوزانها فى السير ولا يقصران عنها وإنما وحد الضمير فى وقدره للإيجاز أو اكتفى بذلك كراحد هما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع الى القمر وحده لأن سير القمر فى المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لأن الشهور المعتمدة فى الشرع مبنية على رؤية الألهة والسنه المعتمدة فى الشرع هى السنه القمرية الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى الشرطين والبطين والثريا والدبران والطفعة والهنة والذراع والنثرة والطرف والجهمة والزبرة والصفرة والعواء والسمك والغفر والزباني والا كليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابج وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهى مقسومة على اثني عشر برجاً وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت لىكل برج منزلان وثلاث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلاً منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتري ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعاً وعشرين اختفى ليلة واحدة (لتعلموا عدد السنين) يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها (والحساب) يعنى وتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها (ما خلق الله ذلك الا بالحق) يعنى للحق واطهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا (يفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله وحدانيته (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لايات لقوم يتقون) تقدم تفسير هذه الآية فى نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالشواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلاناً بمعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى مالكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول أى ذؤيب الهذلى * اذا سعته النحل لم يرج لسعها * أى لم يخفها والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون فى ثوابنا (ورضوا بالحياة الدنيا) يعنى اختاروها وعملوا فى طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها (واطمأنوا بها) يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التى حصلت فى قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها أزلت عن قلوبهم والوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعنى عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أى معرضون (أولئك ماواه النار بما كانوا يكسبون) يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم - هم ربهم بإيمانهم) يعنى يهديهم ربهم الى الجنات ثوابهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا أن المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عمك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة مبتدأ وماواه مبتدأ ثان

وبالنون غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان فى اختلاف الليل والنهار فى مجيء كل واحد منهما خلف الآخر وفى اختلاف لونهما) وما خلق الله فى السموات والارض من الخلائق (لايات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا يخفون به بآلهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق وألا يؤمنون حسن لقاءنا كما يؤمله السعداء أو لا يخافون سوء لقاءنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقي (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبر ان (أولئك ماواه النار) فالتك مبتدأ وماواه مبتدأ ثان

والنار خبره والجملة خير أوائك والباء فى (بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذوف دل عليه

والكفار

الكلام وهو جوزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) يسدد هم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق

السديد المؤدى الى الثواب ولذا جعل

(عز يز عليه ما عنتم) شديده عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتمكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حر يص عليكم) على ايمانكم (بالؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان أعرضوا عن الايمان بك وناصروك (فقل حسبي الله) فاستعن بالله وفوض اليه أمورك فهو كافيك معرفتهم وناصرك عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) فوضت أمري اليه (وهو رب العرش) هو أعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجر وقرى بالرفع على نعت الرب جل وعز عن أبي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية (سورة بونس عليه السلام) مائة وتسع آيات مكية ولذا ما بعدها الى سورة النور ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الر) ونحوه مما لجزءه على وأبو عمرو وهو تعديده للحروف على طريق التحدي (تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة

القرن الذي كنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشاً جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مئلك كمثل نخلة في كديبة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق بخلقنا من خير فربهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أخرجه الترمذي وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عام غم له على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم أيها الناس رسول من أنفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (عز يز عليه ما عنتم) أي شديده عليه عنتمكم يعني مكرهكم وقيل يشق عليه ضلالكم (حر يص عليكم) يعني حر يص على ايمانكم وايمانكم وايمانكم وقال قتادة حر يص على هدايتكم وان يهديكم الله (بالؤمنين رؤف رحيم) يعني أنه صلى الله عليه وسلم رؤف بالطيعين رحيم بالذنبيين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماسح الذي مسحوا به في الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ايس بعده نبي وقد سماه الله وفارحيا قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه وفارحيا وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فان تولوا) يعني فان أعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصروك للحرب (فقل حسبي الله) يعني يكفيني الله وينصرني عليكم (لا اله الا هو عليه توكلت) يعني لا على غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكور لانه أعظم الخلق فيدخل مادونه في الذكور فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فادونه أو يكون خصه بالذكور نشر يفاله كما يقال بيت الله وروي عن أبي بن كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولاً وفي رواية عنه قال أحدث القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة بونس عليه الصلاة والسلام﴾

نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك مما نزلنا عليك الى آخر الثلاث آيات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكية الآيتين وهي قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والي تلها وهي مائة وتسع آيات وألف وثمانمائة واثنتان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه أنا الله أرى وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من أسماء القرآن وقيل هي اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما فيه كفاية (تلك آيات الكتاب) المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي أنزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده أن ينزل عليه كتاباً بالآية محوه الماء ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظه تلك الاشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وفي قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التي قبل

رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أو لا يرون) يعنى المنافقين وبالتناء حزة خطاب للمؤمنين (أنهم يفتنون) يتلون بالخط والمريض وغيرهما (في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم (ولا هم يذكرون) لا يعتبرون أو بالجهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاضطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكار اللوحى وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لتنصرف فانا لانصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قدم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (انصد جاءكم رسول) محمد عليه السلام

بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق سمى الشك في الدين مرضا لانه فساد في القاب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج (فزادتمهم) يعنى السورة من القرآن (رجسالي رجسهم) يعنى كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما تجددوا نزول سورة أو استنزلوا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسالا لانه أقبح الاشياء وأصل الرجس في اللغة الشئ المستقذر (وماتوا) يعنى هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعنى وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزيدا ايمانا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لعة بيضاء في القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لعة سوداء في القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود قوله سبحانه وتعالى (أولايرون) قرئ ترون بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على أنه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض (أنهم يفتنون) يعنى يتلون (في كل عام مرة أو مرتين) يعنى بالامراض والشدائد وقيل بالفحط والجذب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يعنى من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله (ولا هم يذكرون) يعنى ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (واذا ما أنزلت سورة) يعنى فيها عيب المنافقين وتو بعضهم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من أحد) يعنى هل أحد من المؤمنين يراكم ان قدم من مجلسكم فان لم يرههم أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحد يراهم من المؤمنين أقاموا لبثوا على تلك الحال (ثم انصرفوا) يعنى عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي بسمهون فيها ما يكرهون (صرف الله قلوبهم) يعنى عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم على فسادهم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعنى لا يفقهون عن الله دينه ولا شئ يأفوه نفعهم قوله سبحانه وتعالى (انصد جاءكم رسول من أنفسكم) هذا خطاب للعرب يعنى لقد جاءكم ايها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكره البغوي باسناد الشاعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شئ ما ولدني الا نكاح كذا قال أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعنى من ضرهاو ربيعتها ويمانها فامار بيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم وأما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان آمنه لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم تر غيب العرب في نصره والايمان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته ونفخهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والحيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يلوونكم) يقربون منكم
(من الكفار) القتال
واجب مع جميع الكفرة
قريبهم وبعيدهم ولكن
الأقرب فالأقرب أوجب
وقد حارب النبي صلى الله
عليه وسلم قومه ثم غيرهم
من عرب الحجاز ثم الشام
والشام أقرب إلى المدينة
من العراق وغيره وهكذا
المفروض على أهل كل ناحية
ان يقاتلوا من ولهم
(وأيجدوا فيكم غلظة)
شدة وعنفة في المقاتل قبل
القتال (واعلموا أن الله
مع المتقين) بالنصرة والغلبة
(وإذا ما أنزلت سورة)
مأصلة مؤكدة (فإنهم)
فمن المنافقين (من يقول)
بعضهم لبعض (أي يكفرون)
هذه السورة (إيماناً)
انكاراً واستهزاء بالمؤمنين
وأيكم مرفوع بالاستهزاء
وقيل هو قول المؤمنين
للحج والتبني (فأما
الذين آمنوا فزادتهم إيماناً)
يقينا وثباتاً وأخشية أو
إيماناً بالسورة لانهم لم يكونوا
آمنوا بها تفصيلاً (وهم
يستبشرون) يعدون
زيادة التكليف بشارة
التشريف

طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي وغيره وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع
يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة إذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج إذا وجب عليه
وأما فرض الكفاية من الفقه فهو أن يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا وإذا قعد أهل بلد عن تعلمه
عصوا جميعاً وإذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى يبلغ درجة الفتيان سقط الفرض عن الباقيين وعليهم تقليده
فيما يقع لهم من الحوادث عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي
على أدناكم أخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك
طريقاً يفتلتمس فيه علمه أسهل الله له طريقاً إلى الجنة أخرجه الترمذي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر وبن
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة وأوسنة قائمة وفريضة
عادلة أخرجه أبو داود الآيات المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها وأما ليس بمنسوخ والسنة
القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في
امتنائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدمي عظماء في ملكوت السموات وأخرجه الترمذي موقوفاً
وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ﴿قوله سبحانه وتعالى (يا أيها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار) أمر وابتقال الأقرب فالأقرب إليهم في الدار والنسب قال
ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام
أقرب إلى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلوونهم من الكفار العرب
فقاتلهم حتى فرغوا منهم فامروا بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يومنون أو يعطوا الجزية عن يد وينقل
عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة
صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ
لانه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرسدهم الطريق الاصلح وهو أن يبدؤوا بقتال
الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان
قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً قومه ثم اتقل
منهم إلى قتال سائر العرب ثم اتقل إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم اتقل إلى
غز الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم اتقلوا إلى العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الامصار
لانه اذا قاتل الأقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الأبعد ﴿قوله سبحانه وتعالى (وأيجدوا فيكم غلظة)
يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبر على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين)
يعني بالعون والنصرة ﴿قوله عز وجل (وإذا ما أنزلت سورة فأنهم يكفرون) يعني يكفرون بكلام الله
وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أي يكفرون هذه يعني
السورة إيماناً يعني تصديقاً ويقيناً وإنما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض
المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يعني تصديقاً ويقيناً وقر به من الله
ومعنى الزيادة ضم شيء إلى آخر من جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا أقر وابتزول سورة من القرآن عن
ثقة واعترفوا أنهم امن عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف إيماناً وقد تقدم بسط الكلام على
زيادة الإيمان في أول سورة الانفال (وهم يستبشرون) يعني أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيئاً
بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا إيماناً وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكما يحصل الزيادة في الإيمان

يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري وأما نفس الآية فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزوة لم يتخلف عنه الا منافق أو صاحب عذر فلهما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسامون جميعا الى الغزوة وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكنيتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شيء فاللازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وما تجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فاولا يعنى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذ ارجعوا اليهم من غزوهم لعلمهم يحذرون يعنى مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بآمرهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم ومعنى ذلك أن الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وأن الله يريد اعداء دينه وتقوية بنيته صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا ارجعوا من ذلك النفر الى قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلمهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقه في الدين ويمكن أن يجاب عنه بانهم اذا علموا أن الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها في الدين وأما الاحتمال الثاني وهو أن يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى الموادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البداية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طائفة وقع بطائفة ليتفقهوا في الدين وبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم لعلمهم يحذرون يعنى باس الله ونقمته اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على أنه يجب أن يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والاصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان على المنهج القويم والاصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين أعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذي وأصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقهيا وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر اذا الجهاد بالحجاج أعظم أثر من الجهاد بالنصال والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذ ارجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة لتفقه

على كل واحد جزء أحسن
 عمل كان لهم فيلحق
 مادونه به توفيرا لاجرهم
 (وما كان المؤمنون
 لينفروا كافة) اللام
 لتأ كيد النبي أي أن نفيرا
 الكافة عن أوطانهم لطلب
 العلم غير صحيح للافضاء الى
 المفسدة (فلولا نفر) حين
 لم يكن نفيرا الكافة فهلا نفر
 (من كل فرقة منهم
 طائفة) أي من كل جماعة
 كثيرة جماعة قليلة منهم
 يكفونهم النفير (ليتفقهوا
 في الدين) ليتكفوا الفقاهة
 فيه ويتجشموا المشاق في
 تحصيلها (ولينذروا قومهم)
 وليجعلوا مرمي همهم
 الى التفقه وانذار قومهم
 وارشادهم (اذارجعوا
 اليهم) دون الاغراض
 الحسيسة من التصدر
 والترؤس والتشبه بالظلمة
 في المراكب ولللابس
 (لعلهم يحذرون) ما يجب
 اجتنابه وقيل ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كان
 اذا بعث بعثا بعد غزوة
 تسوك بعد ما أنزل في
 المتخلفين من الآيات
 الشداد اتسق المؤمنون
 عن آخرهم الى النفير
 وانقطعوا جميعا عن التفقه
 في الدين فامروا أن ينفر
 من كل فرقة منهم طائفة الى
 الجهاد ويبقى سارهم

أدخله الجنة وأرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجره وغنيمته والذي نفس محمد بيده ما من كام
 يكام في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كام لونه لون دم وريح يحرر محمدا في سبيل الله والذي نفس محمد بيده لولا
 أن أشق على المسلمين ما قدمت خلاف سرية تغزوني في سبيل الله أند اولكن لأجد سعة فاجلهم ولا يجدون
 سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزوني في سبيل الله فاقتل ثم أغزوا فاقتل ثم
 أغزوا فاقتل لفظ مسلم والبخاري بمعناه (ق) عن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال أي الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب
 يعبد الله وفي رواية يتقى الله ويدع الناس عن شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 من احتبس فرسان في سبيل الله بما ناب الله وأصد يقابو عده فإن شعبه وره وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة
 يعني حسنات (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله
 قدمه النار (م) عن أبي مسعود الانصاري البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة
 عن خريم بن فانك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة
 ضعف أخرجه الترمذي والنسائي قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية قال عكرمة
 لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من
 المنافقين هلك من تخلف فزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست
 في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجذبت بلادهم فكانت القبيلة
 منهم تقبل باسمها حتى يحلوا بالمدينة من الجهاد ويقبلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فارتل الله عز وجل الآية يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين
 فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشائرتهم وحذر قلوبهم أن يفعلوا فعلهم اذارجعوا اليهم فذلك قوله
 سبحانه وتعالى و لينذروا قومهم اذارجعوا اليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال كان ينطلق من كل
 حى من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في
 دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا عما نقول اعشائرنا اذا انطلقنا اليهم
 فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله وبيعتهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا
 أتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وأن ينذروا قومهم اذارجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام
 وينذروهم النار ويذروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في
 البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن الخطب ما ينتفعون به وودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى
 فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم
 حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يتفقون
 الخير وقد طائفة (ليتفقهوا في الدين) ليسمعوا ما أنزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس (اذارجعوا اليهم
 لعلهم يحذرون) وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويركعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصابة يعني السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد
 نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من
 بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكت السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله
 سبحانه وتعالى ليتفقهوا في الدين بقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذارجعت اليهم لعلهم

(ولا يرغبوا) ولأن يضوا (بانفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه أي لا يختاروا بقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمر وابلان يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة (ذلك) النهي عن التخلف (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا تخمة) مجاعة (في سبيل) (٢٩٤) الله في الجهاد (ولا يطؤون موطننا) ولا يدوسون مكاننا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا) يعني ولأن يرغبوا (بانفسهم عن نفسه) يعني ليس لهم أن يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبة والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك) بانهم (لا يصيبهم) في سفرهم وغزواتهم (ظمأ) أي عطش (ولا نصب) أي تعب (ولا تخمة) يعني مجاعة شديدة (في سبيل الله ولا يطؤون موطننا يغيظ الكفار) يعني ولا يضعون قدما على الارض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار ونغمهم وخزهم (ولا ينالون من عدونيا) يعني أسرا وقتلا وهزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك فإلا كان أو كثيرا (الا كتب لهم به عمل صالح) يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمر به أو نهاه عنه أن يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحر كته وسكونه كلها احسانات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحر كته وسكونه كلها سيئات الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزى بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعدد ما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الازاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد يقولون في هذه الآية انها لأول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم قال هذا هو الصحيح لانه لا تميز الطاعة والواجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا غيره من الأئمة والولاة قالوا اذا ندبوا أو عينوا الا نالوا وسوغنا المندوب أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لأدى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم ﷺ وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعني في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعني تمرة فادونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون واديا) يعني ولا يجاوزون في مسيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه (الا كتب لهم) يعني كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجز بهم) الله يعني يجازيهم (أحسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام نضر الدين الرازى فيه وجهان الأول أن الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والباح فأنه سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى أن الاحسن صفة للجزاء أى يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وأنه من أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة بروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها في رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمّن الله ان خرج في سبيله لا يخرجه الا لجهاد في سبيله وإيمانى وتصديقاً برسلى فهو على ض من أن

وأخفاف رواحلهم وأرجلهم (يغيظ الكفار) يغيظهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدونيا) ولا يصيبون منهم اصابة بقتل أو أسرا أو جرح أو كسراً وهزيمة (الا كتب لهم به عمل صالح) عن ابن عباس رضى الله عنهما لسكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكوراً من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطاء ديارهم مما يغيظهم وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابنى عامر وقد قدام بعد تقضى الحرب والموطئ امام صدر كالمورد وامام كان فان كان مكانا فغنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (ولا ينفقون نفقة) في سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل

ما أنفق عثمان رضى الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى ارضاف ذهابهم وجميعتهم وهو كل منفرج ادخله

بين جبال وآكام يكون منفذ للسبيل وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الارض (الا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجز بهم الله) متعاقب بكتب أى أثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم

(حتى اذا ضاقت عليهم

الارض بما رحبت)

برحبها أى مع سعتها

وهو مثل للحيرة فى

أمرهم كأنهم لا يجدون

فيها مكانا يقرون فيه قلقا

وجزعا (وضاقت عليهم

أنفسهم) أى قلوبهم لا

يسعها أنس ولا سرور لانها

خرجت من فرط الوحشة

والغم (وظنوا أن لا ملجأ

من الله الا اليه) وعلموا

أن لا ملجأ من سخط الله

الا الى استغفاره (ثم تاب

عليهم) بعد خمسين يوما

(ليتوبوا) ليكنونوا من

جلة التوابين (ان الله هو

التواب الرحيم) عن أبى

بكر الوراق أنه قال التوبة

النصح أن تضيق على

التائب الارض بما رحبت

وتضيق عليه نفسه كتوبة

هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين

آمنوا اتقوا الله وكونوا مع

الصادقين) فى إيمانهم

دون المنافقين أو مع الذين

لم يتخلفوا أو مع الذين

صدقوا فى دين الله نية

وقولا وعملا والآية تدل

على أن الاجماع حجة لانه

أمر بالسكون مع الصادقين

فلزم قبول قولهم (ما كان

لاهل المدينة ومن حولهم

من الاعراب أن يتخلفوا

عن رسول الله) المراد

بهذا النفي النهى رخص

هؤلاء بالذكروا استوى

بها ملك غسان فاحرقتهما فى التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت أنام يعنى أقصد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا المع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور
قوله انخلع من مالى أى أخرج منه جميعه وأصدق به صكما يخلع الانسان قيمه قوله ما علمت أحد من
المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث أحسن مما أبلانى البلاء والابتلاء يكون فى الخير وفى الشر واذا أطلق
كان فى الشر غالباً فاذا أريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلانى أى أنعم على قوله أن لا يكون
كذبتة هكذا هو فى جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظه لازادة ومعناه أن لا يكون
كذبتة وقوله فاهلك هو بكسر اللام وار جاؤه أمر ناتأخيره وقوله فى الرواية الاخرى يحطمكم الناس أى
يطؤكم ويزدحجون عليكم وأصل الوطاء الكسر وقوله سائر الليل يعنى باقى الليل وقوله وآذن بتوبة الله
علينا أى اعلم والأذان الاعلام والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) يعنى
بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعاً (وضاقت عليهم أنفسهم)
يعنى من شدة الغم والحزن وبجانبه الناس ايهم وترك كلامهم (وظنوا) يعنى وأيقنوا وعلموا (أن لا ملجأ)
يعنى لا مفزع ولا مفر (من الله الا اليه) ولا عاصم من عذابه الا هو (ثم تاب عليهم) فيه اضمار وحذف
تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما احسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه
وقوله ثم تاب عليهم تأكيده لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم
بيان انه عطف على قوله لعتاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين
خلفوا ﴿ وقوله تعالى (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم فى الماضى ليكون ذلك داعياً لهم
الى التوبة فى المستقبل فيرجعوا ويداوموا عليها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم
ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عاداتهم فى الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك (ان الله هو
التواب) يعنى على عبادته (الرحيم) بهم وفيه دليل على أن قبول التوبة ببعض الرجة والكرم والفضل
والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله) يعنى فى مخالفة
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وكونوا مع الصادقين) يعنى مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فى الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا فى البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن
جبير مع الصادقين يعنى مع أبى بكر وعمر وقال ابن جرير مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت
نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية
وقيل كونوا مع الذين صدقوا فى الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا وبالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل
على فضيلة الصديق لان الصديق يهدى الى الجنة والكاذب الى الفجور كما ورد فى الحديث وقال ابن مسعود
الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولا أن يعدا حدكم صاحبه شيئاً ثم لا ينجزه اقرؤا ان شتمت وكونوا مع الصادقين
وروى أن أبابكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار فى يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا منأما مير ومنكم
أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك
هم الصادقون من هم قالت الانصار أنت هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين فامركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء رأتم الوزراء وقيل
مع يعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ما كان لاهل
المدينة) يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار (ومن حولهم من الاعراب) يعنى سكان البوادي
من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام فى كل الاعراب لان اللفظ عام وجهه على العموم أولى
(أن يتخلفوا عن رسول الله) يعنى اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهى أى ليس لهم أن يتخلفوا عن

كل الناس فى ذلك لقرابهم منه ولا يخفى عليهم خروجه

ما تعدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجوان يحفظنى الله فيما
 بقى قال فانزل الله عز وجل اقدتاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى
 بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله
 وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد ان هدى الى الاسلام أعظم فى نفسى
 من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يكون كذبه فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل
 قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيء خلفون بالله لكم اذا انقلبتم
 اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون بخلفون لكم
 لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا أيها الثلاثة عن
 أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا
 وايس الذى ذكر مما خلفنا عن الغزواتما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا بمن حلف له وان تذر اليه فقبل
 منه وفى رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبي ولم يبه عن كلام أحد من المتخلفين
 غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا
 يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك الميزة فلا
 يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يسلم على قال وأنزل الله عز وجل تو بننا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين
 بقى الثالث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى
 معتنية بامرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه
 فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرج به البخارى ومسلم يشرح غريب هذا
 الحديث قوله حين تواقنا على الاسلام التوافق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحة الجمل والناقاة
 القويان على الجمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمفازة البرية
 الفقراء سميت بذلك تفاقوا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره
 لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله فانانا ايها اصعرو بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل قوله
 وتفرط الغزواتى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المغيب المشار اليه
 بالغيب يقال فلان ينظر فى عطفه اذا كان محجبا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان
 خيالا فبه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان فى البرية فى وقت الهاجرة كأنه ماء والمبيض بكسر الياء
 لابس البياض قوله كن اباخيشمة معناه أنت اباخيشمة وقيل معناه اللهم اجعله اباخيشمة أى لتوجد ياهذا
 الشخص اباخيشمة حقيقة قوله الذى لزمه المنافقون يعنى عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى
 وطنه قوله حضر فى بنى البث أشد الحزن كأنه لشده يظهر قوله زاح عنى الباطل أى زال وذبح عنى
 وأجعت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جد لأى فصاحة وقوة فى الكلام بحيث أخرج عن عهدة
 ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد وهو الغضبان قوله قماز الوابؤنبوننى أى يلوموننى أشد
 اللوم قوله حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فهاهى بالارض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الارض
 ونوحشت على وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فاما صاحبى فاستكنا يعنى خضعوا وسكنوا قوله تسورت
 حائط أبى قتادة أى علوته وصعدت سورته وهو علاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من الجحيم والروم
 والضيعة مفعلة من الضياع والاطراح قوله فتيمنت بها التنور فسجرت به أى فقصدت بالصحيحة التى أرسل

القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قر يمانسه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظر إلى واذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا باقتادة أنشدك بالله هل تعلم اني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاصت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشي في سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام من قدم بالطعام ببيعته بالمدينة يقول من بدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشبهون له الى حتى جاءني فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبها فقرأه فاذا فيه ما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضبعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أضيامن البلاء فتيهمت بها التور فسجرت به حتى اذا مضت أربعون من الخميس واستلبت الوحى واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرك أن تعزل امرأتك قال فقلت أطلقتها أم ماذا فعل قال لا بل اعتزلها ولا تقر بها قال وأرسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحق باهلك فكوفى عندهم حتى يقضى الله في هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تذكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقر بنك فقالت انه والله ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري بنى ما يقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها أو نارجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكم لى لنا خسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فيبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل عن اقد ضاقت على نفسى وضافت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سبلع يقول باعلى صوتيه يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم قبلى وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوتيه يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوتهما اياه يبشرنه والله ما ملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أنا ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلقانى الناس فوجا فوجا يهنؤنى بالتوبة ويقولون ايمنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله بهرول حتى صاحنى وهناتى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا يسأها المطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سراسر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قر قال وكان يعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى أن اتخاع من مالى صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى أمسك نسهمى الذى يخير قال وقت يا رسول الله ان الله انما تجانى بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان أحد من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى الله والله

الغزوة والله ما جعت قبلها راحلتين قط - حتى جهتم ما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حشد يد واستقبل
سفر ابعد او مفاز واستقبل عدوا كثيرا ارجل للمسلمين امرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فاخبرهم بوجههم
الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجتمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان
قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الاظن أن ذلك سيخفي له ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزار رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فابا اليها اصغر فتجهز رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدوا لكي أنجهز معهم فارجع ولم أقض شيئا فاقول في نفسي أنا قادر على
ذلك اذا أردت فلم يزل يتأدى بي حتى استمر بالناس الجدا فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا
والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتأدى بي حتى أسرعوا
وتفارط الغزو ففهممت أن أرتحل فادرهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اداخرجت في الناس
بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لأرى لى أسوة الارجل ما مغمصا عليه في النفث أو رجلا
من عنده الله من الضعفاء ولم يدكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نبوك فقال وهو جالس في القوم
بنبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ
ابن جبل بش ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الاخذ برافسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيديها هو
كذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبأخيمة فاذا هو أبو خيمة
الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لزمه المنافقون قال كعب فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد توجه فأقلا من تبوك حضر في بني فطفقت أتذكر الكذب وأقول ثم أخرج من سخظه غدا واستعنت
على ذلك بكل ذي رأى من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم فادمازاح عنى الباطل
حتى عرفت انى ان أنجو منه بشئ أبدا فاجعت صدقه فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادم وكان اذا قدم
من سفره بدأ بالسجدة فرقع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه
ويخلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله
عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال لى تعال جئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال ما
خلفك ألم تكن قد اتبعت ظهرك قال قلت يا رسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرايت أنى
سأخرج من سخظه بعد إذ رقدت أعظيت جدلا ولكنى والله لقد علمت ان حدثتك اليوم حديث كذب
ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجوفيه عقبي
الله وفى رواية عفوا الله عز وجل والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك
قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت وثار رجال من بني
سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك أذنت ذنبا قبل هذا القدم عزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما اعتذرا اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك
قال فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسى قال ثم قلت
لهم هل لى هذا أحدمى قالوا نعم لقيه معك رجلا ن قالوا مثل ما قلت وقيل لهما مثل . قيل لك قلت من هما قالوا
سرة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الوافى قال قد كروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدر ارفيهما أسوة
قال فضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا بها الثلاثة من بين
من تخلف عنه قال فاجتنبنا الاس أو قال تغبروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فماهى بالارض التى
أعرف فلبت على ذلك خمسين ليلة فاما صاحبى فاستكاثا وقعدا فى بيوتهما بكيان وأما ما فكنت أشب

العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والازاد والماء قال الحسن
كان العسرة منهم نحر جون على بعير واحد يعتقونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك
وكان زادهم النمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم نحر جون وماءهم الا تمرات اليسيرة بينهم فاذا
بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلا كها حتى يجد طعمها ثم نحر جها من فيه و يعطيها صاحبه ثم يشرب عليها
جرعة من الماء و يفعل صاحبه كذلك حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فوضوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم على صدقهم و يقينهم رضی الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لى تبوك في قيظ شديد فزنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينخر
بعيره فيعصر فرثه فيشربه و يجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى
يظن ان رقبة ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خير افادع الله
قال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى أرسل الله سبحانه فطرت فلوأمامهم من
الارعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر أسنده الطبري عن عمر رضي الله عنه قوله تعالى (من بعد ما كاد تزيغ
قلوب فريق منهم) يعني من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالتهم
والزيغ في اللغة الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم
لكنهم صبروا واحتسبوا واندما على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعني انه
سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق تو بتهم فزقهم الابابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة أو لا ثم
ذكرها تانياً فافائدة التكرار قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أو لا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا
لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيماً شأنهم وليعلموا أنه سبحانه وتعالى
قد قبل تو بتهم وعفاه عنهم ثم اتبعه بقوله (انه بهم رؤف رحيم) تأكيدا لذلك ومعنى الرؤف في صفة الله
تعالى أنه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم مالا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان
تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة تكون مع الكراهة
وقوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا فائدة هذا العطف بيان قبول تو بتهم وهم كعب بن
مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون
مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي ابابة وأصحابه وذلك انه لم
يخضعوا كما خضع أبو ابابة وأصحابه فتاب الله على أبي ابابة وأصحابه وأخرهم هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب
عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن
عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائداً كعب من بني حنيفة عمي قال وكان أعلم قومه
وأوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب
يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم أتخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط لاني غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدنا
تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم
وبين عدوهم على غير معاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقتنا على
الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك

عسرة من الظهر يعتقب
العسرة على بعير واحد ومن
الزاد تزودوا التمر المدود
والشعير المسوس والاهالة
الزنجحة وبلغت بهم الشدة
حتى اقتسم التمرة اثنان
وربما صها الجماعة ليشرىوا
عليها الماء ومن الماء حتى
نحروا الابل وعصروا
كرشها وشرى به في شدة
زمان من حجارة القيط
ومن الجذب والتحط (من
بعد ما كاد تزيغ قلوب
فريق منهم) عن الثبات
على الايمان وعن اتباع
الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد صبر
الشأن والجملة بعده في
موضع النصب وهو كقولهم
ليس خلق الله مثله أي ليس
شأن خلق الله مثله يزيغ
جزرة وحفص (ثم تاب
عليهم) تكرر للتوكيد
(انه بهم رؤف رحيم وعلى
الثلاثة) أي وتاب على
الثلاثة وهم كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال
ابن أمية وهو عطف على النبي
(الذين خلفوا) عن الغزو

به أتم في هذه الحالة أيضاً وقوله سبحانه وتعالى (وما كان الله ليعضلكم) يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لو تآتم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووقفكم للايمان به برسوله وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فاعلمهم أن ذلك ليس بضائرهم (حتى يبئّن لهم ما يتقون) يعني ما يأتون وما يذرون وهو أن يقدم اليهم النهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلهذا منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤخذهم بعمل الأبعد أن يبين لهم ما يجب عليهم أن يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبما نهى لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والسبب في هذا في أمر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقبل تحريم الحجر وصرّف القبلة الى الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الحجر وصرّف القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الحجر قد حرمت والقبلة قد صرّفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره ففتح على ضلال فانزل الله عز وجل وما كان الله ليعضلكم يعني وما كان الله ليبيطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ (ان الله بكل شيء عليم) يعني انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهىكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من أمره ونواهيه (ان الله له ملك السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيها مما عبده وما يملكه يحكم فيهم بما يشاء (يحجي ويميت) يعني انه تعالى يحجي من يشاء على الايمان ويميته عليه ويحجي من يشاء على الكفر ويميته عليه لاعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره بمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم ﴿ قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم عدم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لأنه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان لله خمسة ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشرّف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسة والرسول فهو تشرّف له وأما معنى توبته الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وبما وقع في قلوب بعضهم انا لا تقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوسوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره امامن باب الصغار وامامن باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معا لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوا من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تبييناً على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد باغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم (الذين اتبعوه) في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفاً ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (في ساعة العسرة) يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة

(وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أي ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من حاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحجي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي) أي تاب عليه باذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (والمهاجرين والانصار) فيه بث للمؤمنين على التوبة وانه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في غزوة تبوك ومعناه في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في

الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه ما لا يفعله فيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربي لأن النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوي فيه القريب والبعيد ﴿ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) يعني تبين لهم أنهم ماتوا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال تبارك وتعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يتخلف وعده ﴿ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فعناه وما كان طلب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله إلا من أجل موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له وجاء إسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أنزل الله خبرا عن إبراهيم أنه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أنتستغفر لأبيك وهما مشركان فتعال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فأنبت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله لا يقول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك يعني إن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لأنه إنما استغفر لأبيه وهو مشرك لما كان الموعد الذي وعده أن يسلم (فلماتبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الهاء في آياه راجعة إلى إبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك أن أبا إبراهيم وعدا إبراهيم أن يسلم فقال إبراهيم سأستغفر لك ربي يعني إذا أسأمت وقيل إن الهاء راجعة إلى الأب وذلك أن إبراهيم وعدا أباه أن يستغفر له وجاء إسلامه ويؤكده هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالياء الموحدة فلماتبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لإبراهيم وبأن له أن أباه عدو لله يعني يموت على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى إبراهيم أن أباه عدو له فالتبرأ منه وقيل لماتبين له في الآخرة أنه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ياتي إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لأعصيك فيقول إبراهيم يارب أنك وعدتني إن لا تخزيني يوم يبعثون فأخزيتني أخزيتني من أبي فيقول الله تبارك وتعالى إنى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ماتحت رحمتك فينظر فإذا هو بذبح متلطيخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره فالتبرأ منه والقفرة غبرة يعولها سواد الذئب نذال محجمة ثم ياء مشناة من تحت ثم خاء محجمة هو ذكر الضباع والائتي ذبيحة ﴿وقوله تبارك وتعالى (إن إبراهيم لأواه حلیم) جاء في الحديث إن الأواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الأواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الأواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الأواه الموقن وقال كعب الأحبار هو الذي يكثر التأوه وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوه من النار قبل أن لا ينفع أوه وقال عقبه بن عامر الأواه الكثير الذي كره الله عز وجل وقال سعيد بن جبيرة هو المسبح وعنه أنه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفا وقر قال المتضرع أيقانا وزوال الطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوه وهو قول الرجل عن شدته خوفه وخزته أوه والسبب فيه أن عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويستدسها فالإنسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحلیم فعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه أو أتاه بكمروه ثم يقابله بالاحسان والالطف كما فعل إبراهيم بأبيه حين قال له لئن لم تنته لارجنك فاجابه إبراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحلیم السيد وإنما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام مهديين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليبين سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له أصراره على الكفر فاقتدوا

وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر إبراهيم فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) أي وعدا أبوه إياه أن يسلم أو هو وعدا أباه أن يستغفر وهو قوله لا استغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفارة سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام الذي به يغفر له (فلماتبين له) من جهة الوحي (له) لإبراهيم (أنه) إن أباه (عدو لله) بأن يموت كافرا وانقطع رجاءه عنه (تبرأ منه) وقطع استغفاره (ان إبراهيم لأواه) هو المتأوه شققا وفرقا ومعناه أنه لفرط ترجمه ورفقه كان يتعطف على أبيه الكافر (حلیم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن اذى لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لارجنك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرني وأُنزل الله في أبي طالب أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شان أبي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولا قلت الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى أنك لا تهدي من أحببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فنع من الاستغفار والله أعلم مراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه عند الموت قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فابي فانزل الله أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولا لنعيرني قريش يقولون انما جعله على ذلك الجزع لاقرت بها عينك فانزل الله الآية (ق) عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبه تغلى منه أم دماغه وفي رواية يغلى منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا أنال كان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فاخرجته الى ضحضاح وقال أبو هريرة برودة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبره آمنه فوقه حتى جيت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن برودة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال وأكثر ظني انه قال قبره آمنه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله اناراً بنا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبره آمنه فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فمارؤى بكياً أكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزي عن برودة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبره آمنه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما أبكك قال مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجراً فبكيت ثم دعابرحلته فركبها فاسار الاهنهية حتى قامت الناقلة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرني الآية (ق) عن أبي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبره آمنه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبره فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لآبيه فانزل الله هذه الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من آباؤنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي بالذم أفلا تستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لآبيه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها لآيه عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلاً يستغفر لآبويه وهما مشركان فقلت له أنتستغفر لآبويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لآبيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها لآيه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى

وحده وأخلصه والعبادة

ولله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء والضراء وروى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من بدى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا وأخرى (السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة إنما سمى الصائم سائحاً لتركه اللذات كما هم من المطعم والمشرب والنكاح وقال الأزهرى قيل للصائم سائح لأن الذي يسبح في الأرض متعبه إلا زاد معه فكان ممسكاً عن الأكل وكذلك الصائم ممسك عن الأكل وقيل أصل السياحة استمرار الذهاب في الأرض كالماء الذي يسبح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله أئذنى لي في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عمك رمة السائحون هم طلبة العلم لأنهم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلبه وقيل إن السياحة لها أثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لأن السائح لا بد أن يلتقي أنواعاً من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها يلقى العلماء والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركاتهم ويرى العجائب وآثار قدرة الله تعالى فيتفكر في ذلك فيدله على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته (الراكون الساجدون) يعني المصائب وإنما عبر عن الصلاة بالرکوع والسجود لأنهما معظم أركانها وبهما يميز المصلي من غير المصلي بخلاف حالة القيام والقعود لأنهما حالة المصلي وغيره (الأمرون بالمعروف) يعني يأمرون الناس بالإيمان بالله وحده (والناهون عن المنكر) يعني عن الشرك بالله وقيل إنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه أو نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الحسن أمانتهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهلهم ولم ينهوا عن المنكر حتى اتهموا عنه وأما دخول الواو في الناهون عن المنكر فإن العرب تعطف بالواو على السبعة ومنها قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى في صفة الجنة وفتحت أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو أن الموصوفين بهذه الصفات الست هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون إلى قوله الساجدون مبتدأ خبره الأمرون يعني هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون لحدود الله) قال ابن عباس يعني القائلين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدّون لفرائض الله المنتهون إلى أمره ونهيه فلا يضيعون شيئاً من العمل الذي أؤمهم به ولا يرتكبون منيها ما هم عنه (و بشر المؤمنين) يعني بشر يا محمد الصادقين بما وعدهم الله به إذا وفوا الله تعالى به فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل و بشر من فعل هذه الأفعال التسع وهو قوله تعالى التائبون إلى آخر الآية بان له الجنة وإن لم يغز ^ب قوله عز وجل (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى) الآية واختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والد علي وذلك إن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال أي عم قل لاله الإله كامة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة أرغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعود إن لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أناعلى ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لاله الإله

وابعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق (الحامدون) على نعمة الصائمون لقوله عليه السلام سياحة أمتي الصيام أو طلبة العلم لأنهم يسبحون في الأرض يطلبون في مظانه أو السائرون في الأرض للاعتبار (الراكون الساجدون) المحافظون على الصلوات (الأمرون بالمعروف) بالإيمان والمعرفة والطاعة عن الشرك والمعاصي ودخلت الواو للاشعار بان السبعة عقيدة تام أوللتبضاد بين الأمر والنهي كافي قوله ثيبات وأبكارا (والحافظون لحدود الله) أو أمره ونواهيها أو معالم الشرع (و بشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام إن يستغفر لاني طالب فنزل (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى) أي ما صح له الاستغفار في حكم الله

(الأن تقطع قلوبهم) شامى وحزرة وحفص أى تقطع غيرهم تقطع أى الأن تقطع قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء فينشد يسألون عنه وأما مادامت سالمة مجتمعة فالرابة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصوير الحال زوال الرابة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أوفى (٢٨٤) القبور أوفى النار أو معناه الآن يتوبون أوفى تقطعها قلوبهم ندماً وأسفاً على قتلهم يظهر

هدم بنيانهم ريبة أى حرارة وغىظاً في قلوبهم (الأن تقطع قلوبهم) أى تجعل قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء أماً بالسيف وأماً بالموت والمعنى أن هذه الريبة باقية في قلوبهم إلى أن يموتوا عليها (والله عليهم) أى باحوالهم وأحوال جميع عبادهم (حكيم) يعنى فيما حكم به عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العبة وكانوا سبعين رجلاً قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسى أن تمنعوا منى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فمالنا قال الجنة قالوا لربح البيع لا تقبل ولا نستقبل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعانى لا يجوز أن يشتري الله شيئاً هو له فى الحقيقة لان المشتري إنما يشتري ما لا يملك والاشياء ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا ايها الكسب جرى هذا مجرى التلطف فى الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل فى سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله فى سبيل الله عوضه الله الجنة فى الآخرة جزاء بما فعل فى الدنيا جعل ذلك استبدالاً واشترى فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها فى سبيل الله وفى جميع وجوه البر والطاعة (يقاتلون فى سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبايعه وقيل فيه معنى الامر أى قاتلوا فى سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعنى فيقتلون أعداء الله ويقتلون فى طاعة الله وسبيله (وعدا عليه حقاً) يعنى ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقاً (فى التوراة والانجيل والقرآن) يعنى ان هذا الوعد الذى وعده الله تعالى للمجاهدين فى سبيله قد أنبته فى التوراة والانجيل كما أنبته فى القرآن وفيه دليل على أن الامر بالجهاد موجود فى جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن أوفى بعهده من الله) يعنى لأحد أوفى بالعهده من الله (فاستبشروا ببيعكم الذى يبيعكم به) يعنى فاستبشروا ايها المؤمنون بهذا البيع الذى يبيعكم الله به (وذلك) يعنى هذا البيع (هو الفوز العظيم) لانه راجح فى الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله يبيعك وجعل الصفتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعته يبيعه الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببيعها وقال قتادة تامنهم فأغلى لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (التائبون) قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضاً وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة لجميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا لا لاول كان الوعد بالجنة خاصاً بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعنى المؤمنين المذكورين فى قوله ان الله اشترى وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعنى الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصى لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل بامور أربعة اولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها فى المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعموديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص فى توبته (العابدون) يعنى الطيبين

(والله عليهم) بعزائهم (حكيم) فى جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) مثل الله انابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشراء وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقها وصر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرؤها فقال بيع والله صريح لا تقبله ولا نستقبله نخرج الى الغزى واستشهد (يقاتلون فى سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أى نارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حمزة وعلى (وعدا عليه) مصدر أى وعدهم بذلك وعدا (حقاً) صفة أخبر بان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أنبته فى التوراة والانجيل والقرآن) وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدا عليه ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرم مناف كيف باكرم الاكرمين ولا ترى ترغيباً فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذى يبيعكم به) فافرحوا غاية الفرح فانكم تبيعون فانيبايع (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابداً انكم ممن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره (العابدون) أى الذين عبدوا الله

فانكم تبيعون فانيبايع (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابداً انكم ممن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره (العابدون) أى الذين عبدوا الله

والله يحب المطهرين) قبل لما نزلت منى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قبا، فإذا الأنصار جلوس فقال المؤمنون أتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أتى عليكم فالذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط والنجاسات باليد ثم نتبع الاضغاث بالماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عا في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء ومعنى محبة الله إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب

(٢٨٣)

بمحبه (أفن أسس بنيانه) وضع أساس ما بينه (عسلى تقوى من الله) ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمسك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينال التقوى والشفا الجرف والشفير وجرف الوادى جانبه الذى ينحفر أصله بالماء ونحرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشقى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل تخلف من خالف

الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكونه هو لا يعنى أهل قبا بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصى وهى الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها أثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصى وقيل يحتمل أنه محمول على كلا الأمرين يعنى طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصى وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضاع عنهم بما اختاروه لا لنفسهم من المداومة على محبة الطهارة قوله سبحانه وتعالى (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعنى طلب بنيانه المسجد الذى بناه تقوى الله ورضوانه والمعنى أن الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) الشفا هو الشفير وشفا كل شئ حر فومنه يقال أشقى على كذا اذا نامنه وقرب أن يقع فيه والجرف المكان الذى أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهرة وما يجرفه السيل من الاودية فينحفر بالماء فيبقى واهيا هار أى هائر وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذى ندعى بعضه فى أثر بعض كما بهار الرمل والشئ الرخو (فانهار به) يعنى سقط بالباني (فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) والمعنى أن بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور باهله فيها وهذا مثل ضرب به الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط فى نار جهنم ولان الباني الاول قصد بنيانه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والباني الثانى قصد بنيانه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ماتنا هى بناؤهم حتى وقع فى النار ولقد ذكرنا أنه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبه) يعنى شكوا نفاقا (فى قلوبهم) والمعنى أن ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة فى قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه نقل ذلك عليهم وازدادوا غمما وخرابوا بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة فى قلوبهم وقيل أنهم كانوا يحسبون أنهم محسنون فى بناءه كما حجب العجل الى بنى اسرائيل فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لا ي سبب أمر بتخريبه وقال السدى لا يزال

وألفه ليس بالف فاعل انما هى عينه وأصله هور فقامت الفالتحركها وانفتاح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنهه أمره أفن أسس بنيانه أم من أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وجزرة ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وجزرة فى رواية ويحيى (فانهار به فى نار جهنم) فطاح به الباطل فى نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل شرح المجاز فى بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو فى قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (والله لا يهدى القوم الظالمين) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبه فى قلوبهم) لا يزال الهدم سبب شك ونفاق زاد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم

شيء ولا يقرؤن فصليت بهم ولا أحسب إلا أنهم يتقربون إلى الله ولم أعلم ما في أنفسهم فعذره عمر فصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب المصارع أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأمرهم أن لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضاران أحدهما الآخر وقوله سبحانه وتعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس معناه لا تصل فيه أبدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في مسجد الضرار (مسجد أسس على التقوى) اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد أسس يعني بني أصله ووضع أساسه على التقوى يعني على تقوى الله عز وجل (من أول يوم) يعني من أول يوم بني ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى (أحق أن تقوم فيه) يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمرو بن يزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة وبدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين أسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصي فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبري هذان رواب في الجنة أخرجه النسائي قوله رواب يعني ثواب يقال رتب بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقناة أنه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ويدل على أنهم أهل قباء ما روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية أبي داود والترمذي موقوفا على أبي هريرة وراه البغوي من طريق أبي داود مرفوعا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية وما يدل على فضل مسجد قباء ما روى عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتي قباء راكبوا ماشيا زادا في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبوا ماشيا وكان ابن عمر يفتله أخرجه الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم وأخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائي عن أسد بن ظهير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يعني من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني أسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا الا أن جيراننا من اليهود رأيناهم يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسبوا وعن قناة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا اننا نغسل عنائنا الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول أن التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني أن الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد

(لا تقم فيه أبدا) للصلاة (مسجد أسس على التقوى) اللام للابتداء وأسس ذمته وهو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (من أول يوم) من أيام وجوده قيل القياس فيه مذلانه لابتداء الغاية في الزمان ومن لابتداء الغاية في المكان والجواب ان من عام في الزمان والمكان (أحق أن تقوم فيه) مصليا (فيه رجال يحبون أن يتطهروا

المنافقين بنوامسجد اضرارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخدام
ابن خالد ومن دارء أخرج هذا المسجد وتعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناء مجمع وزيد ومعتب بن قشير
وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأذعر وبتل بن الحرث وبيجاد بن عثمان وبيحج بنو
هذا المسجد ضرار يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفر وافيته بالله ورسوله (وتفرقوا بين المؤمنين)
لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوامسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف
وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما أرادوا بينائه فلما فرغوا
من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله اننا قد بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الشامية واننا نحب أن تأتي بنا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قد منان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه ﷺ وقوله سبحانه
وتعالى (وارصاد المن حارب الله ورسوله) يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفرو بنو ارساد يعني
انتظار واعداد المن حارب الله ورسوله (من قبل) يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد
حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية
دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليهم اقال أبو عامر بلى ولكنك
أدخلت في الحنيفية ما لبس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بياء نقيية فقال أبو
عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه الناس أبا عامر
الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لأجد قوم يقاتلونك الا قاتلتك
معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يشس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل الى
المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا الى مسجد افاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فأتى
بجند من الروم فاخرج محمد وأصحابه فبنوامسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى
وارصادا يعني انتظار المن حارب الله ورسوله يعني أبا عامر الفاسق ليصلي فيه اذ ارجع من الشام من قبل
يعني ان أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن) يعني الذين بنوا المسجد
(ان أردنا) يعني ما أردنا بينائنا (الاحسنى) يعني الا للفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة
على أهل الضعف والمجزم عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم
لكاذبون) يعني في قلوبهم وحلفهم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بندي
أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه
وبأنتهم فأنزل الله هذه الآية وأخبره خبر مسجد الضرار وما هو به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعمار بن السكن ووحشي ا فقال لهم انظروا الى هذا المسجد الظالم أهله
فاهدوه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك
أنظروني حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فاخذ من سيف النخل فاشعله ثم خرجوا يشدون حتى دخلوا
المسجد وفيه أهله فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك
الموضع كناسة تاتي فيها الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروى ن بنى
عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسألوه ان ياذن لمجمع بن جارية ان
يؤمهم في مسجدهم فقال لا ونعمة عين أليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع يا أمير المؤمنين لا تجلس على
فوالله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم ما أضمر واعيته ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا

(وتفرقوا بين المؤمنين)
لانهم كانوا يصلون محبة بين
في مسجد قباء فارادوا أن
يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم
(وارصاد المن) واعداد
لاجلس من (حارب الله
ورسوله) وهو الراهب
أعدوه ليصلي فيه ويظهر
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل كل مسجد بنى
مباهاة أو رياء أو سمعة أو
لغرض سوى ابتغاء وجه
الله أو جمال غير طيب فهو
لاحق بمسجد الضرار (من
قبل) متعلق بحارب أى من
قبل بناء هذا المسجد يعني
يوم الخندق (وليحلفن)
كاذبين (ان أردنا الا
الحسنى) ما أردنا بيناء هذا
المسجد الا الخصلة الحسنى
وهي الصلاة وذكر الله
والتوسعة على المصلين
(والله يشهد انهم لكاذبون)
في حلفهم

وروجها اليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) بعفو الحربة ٧ (وقل) هؤلاء الثائبين (اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أي فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كإرأيتهم وتبين لكم أو غير الثائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روى أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بلا مس معنالا يكامون ولا يجاسون فإلهم فنزلت وقوله تعالى فسيري الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تكبر ومجازاة عليه (وآخرون مرجون لامر الله) بغير همز مدني وكوفي غير أبي بكر مر جؤن غيرهم من أرجيته وأرجائه إذا أخرته ومنه المرجئة أي وآخرون من المتخلفين موقوفون الى أن يظهر أمر الله فيهم (أما يعذبهم) أن أصرروا ولم يتوبوا (وأما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة (٢٨٠) كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع تخلفوا عن غزوة

تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليهم) برجائهم (حكيم) في أرجائهم وأما للشك وهو راجع الى العباد أي خافوا عليهم العذاب وأرجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السواري واطهار الجزع والغم فإما علموا أن أحد لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت نوبتهم فرجهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغيروا ومدني وشامي وهو مبتدأ خبره محذوف أي جازيناهم روى أن بني عمر بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعنوا الى رسول

السائل أخذ الصدقة بكفه لئيمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربو أي تكبر يقال ما لشيء يربو إذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها لغتان المهر أول ما يولد والفضيل ولد الناقة الى أن يفصل عنها وقوله سبحانه وتعالى (وأن الله هو التواب الرحيم) تأكيد لقوله سبحانه وتعالى لم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وينبئهم بان الله هو التواب الرحيم وقوله عز وجل (وقل) أي قل يا محمد هؤلاء الثائبين (اعملوا) يعني الله بطاعته وأداء فرائضه (فسيري الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للطبعين ووعيد عظيم للذنبين فكأنه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا أما رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اياه على أعمالكم وأما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المذنبين (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سرهم وعلايتهم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من خيرا وشرا فيمجازيكم على أعمالكم وقوله سبحانه وتعالى (وآخرون مرجون) أي مؤخرون والارجاء التأخير (لامر الله) يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستقر واعليه والقسم الثاني الثائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعد ما عترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى أن يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله أمرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التلوية والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هل كانوا بعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويفرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أما يعذبهم وأما يتوب عليهم) يعني أن أمرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليهم) يعني بما في قلوبهم (حكيم) يعني بما يقضى عليهم وقوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا) نزلت في جماعة من

الله صلى الله عليه وسلم أن يأتهم فاتاهم فصرى فيه خستهم اخوانهم بنو غنم ابن عوف وقالوا بنى مسجدنا ونرسل الى رسول الله يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذي قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنيانا مسجد الذي العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سأله ايتان المسجد فنزلت عليه فقال لو حشى قاتل حزة ومعين بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة بلقي فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضارا) مفعول له وكذا ما بعد أي مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) وتقوية للنفاق

الصدقة من أوساخ الناس فإذا أخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ وكان ذلك الاندفاع جارياً بجمري التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيتهم بها منقطعاً عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيتهم أنت بها القول الثالث أن تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيتهم ضميراً مخاطباً ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكيتهم أنت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيتهم بمعنى ترفع منازلهم عن منازل المنافقين إلى منازل الأبرار المخلصين وقيل معنى وتزكيتهم أي تنجي أموالهم ببركة أخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه (وصل عليهم) يعني ادع لهم واستغفر لهم لأن أصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه السنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول أجر لك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال بعضهم يجب على الامام أن يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روى عن عبدالله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه أبي بصرة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى آخر جاء في الصحيحين بقرته وقوله سبحانه وتعالى (ان صلاتك) وقرئ صلواتك على الجمع (سكن لهم) يعني أن دعائك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تثبت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى أن صلواتك توجب سكن نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم (والله سميع) يعني لا قوالهم أولدائك لهم (عليم) يعني بنيتهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) هذه صيغة استفهام الآن المقصود منه التقرير بفشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة وبذلك الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معناباً لا يكلمون ولا يجالسون فبابا لهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيباً لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عبادة قيل لافرق بين عن عبادة ومن عبادة اذا لافرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق واعلم عن في هذا الموضوع أبلغ لان فيه تبشير بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها بقرته وقوله سبحانه وتعالى (وياخذ الصدقات) يعني يقبلها ويثب عليها وانما ذكر لفظاً لاخذاً ترغيباً في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تصدق منه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الاخذ إلى نفسه وان كان الفقير أو السائل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات ونشر فيها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت ثمرة فتر بوفى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كجباري أحدكم فلوه أفضيله لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يرب في أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرج الترمذي ولفظه ان الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربها لأحدكم كما يرب في أحدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويعتق الله الرابو بر في الصدقات وقوله من كسب طيب أي حلال وذ كر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير أو

(وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها (ان صلواتك) صلواتك كوفي غير أبي بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لانها للجنس (سكن لهم) يسكنون اليه وطمأن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) لدعائك أو سميع لاعترا فهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد المتوب عليهم أي ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت (وياخذ الصدقات) ويقبلها اذا صدرت على خلوص النية وهو لا تخصيص أي ان ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها

خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمع زيد وعمر او لو اوفى الآية أحسن من الباء لانه أر بد
 معنى الجمع لاحقيقة الخلط ألا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع
 بينهما ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (عسى الله أن يتوب عليهم) قال ابن عباس وجهور المفسر بن عسى من الله
 واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني لفظه عسى
 هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه أبعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل
 كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظه عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون
 العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله (ان الله غفور
 رحيم) وهذا يفيد انجاز الوعد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (خدم من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) قال
 ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبابة وصاحبيه انطلق أبو لبابة وصاحبه فاتوا بأموالهم
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ أموالنا تصدق بها عنا وصل علينا يا رب دون استغفر لنا وطهرنا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخذ شيئاً منها حتى أو مر به فانزل الله عز وجل خدم من أموالهم صدقة
 الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه
 الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا أموالهم صدقة فوجب الله سبحانه
 وتعالى أخذها وصار ذلك معتبراً في كل توليهم لتسكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون
 ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو
 وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال
 بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ان يجب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر
 الفقهاء واستدلوا بها على ان يجب أخذ الزكاة أما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا بد وان
 تكون منتظمة متناسبة فلو جلدنا على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها
 ولان جمهور المفسر بن ذكر وفي سبب نزولها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول الاخير فانهم
 قالوا المناسبة حاصلة ايضاً على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا وأقروا أن السبب الموجب للتخلف
 هو حب المال أمر وابتدأ الزكاة التي هي طهرة فلما أخرجوها علمت صحة قلوبهم وصحة توليهم ولا يمنع من
 خصوص السبب العموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يباغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم
 قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلان يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم
 في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خدم من أموالهم صدقة الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أي
 خذ يا محمد من أموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة
 فيجوز للإمام أو نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من أموالهم ولفظة
 من تقتضي التبعية وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها ووصفها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خدم من أموالهم صدقة
 يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركاك الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم
 ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي
 فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعي بأنه لا يلزم
 من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقاً ولا علماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول أن معناه
 خذ يا محمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثاني أن يكون تطهرهم
 متعلقاً بالصدقة تقديره خدم من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان

(عسى الله أن يتوب عليهم)
 ان الله غفور رحيم) ولم
 يذكر تو توبهم لانه ذكر
 اعترافهم بذنوبهم وهو
 دليل على التوبة (خذ
 من أموالهم صدقة) كفارة
 لذنوبهم وقيل هي الزكاة
 (تطهرهم عن الذنوب
 وهو صفة لصدقة والتاء
 للخطاب أو اغيبة المؤنث
 والتاء في (وتزكهم)
 للخطاب لا محالة (بها)
 بالصدقة والتركية مبالغة
 في التطهير وزيادة فيه
 أو بمعنى الانماء والبركة في
 المال

والله لو تيقن أن نفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعزنا
 فربطوا أنفسهم في سوارى المجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم منهم فرأهم فقال من هؤلاء فقالوا
 هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أمر بطلاقهم - رغبتوا عني
 وتخلفوا عن الغزوة مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم
 فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا
 واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فانزل الله خذ من أموالهم
 صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت هذه الآية في أبي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد
 نزلت في أبي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقة فندم على ذلك وربط
 نفسه بسارية وقال والله لا أحل نفسي ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فكث سبعة
 أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرج مغشيا عليه فانزل الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل
 نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحنى جناح رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمله بيده
 فقال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله
 صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا أبا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم
 لان لفظه من تقتضى التبعية وقال الحسن وقداة وهو لاء سوى الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتي خبرهم وأما
 تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء
 ومعناه انهم أقروا بذنوبهم وفيه دققة وهي أنهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين
 ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة
 أم لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقرن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب
 والعزم على تركه في المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ب وقوله سبحانه وتعالى (خلطوا
 عملا صالحا وآخر سيئا) قيل أراد بالعميل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم
 عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع أعمال
 البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والمسلم على العموم أولى
 وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن
 أبي عثمان قال ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الاممة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد
 جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا فالمخلوط به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق
 فاما قولك خلطته فانهما يحسن في الموضوع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته
 الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخطت الماء باللبن فتتوب الوادع الباء فيكون معنى الآية على
 هذا خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وأنكره الامام غفر الدين الرازي وقال اللاتق بهذا
 الموضوع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصل معا في كل واحد منهما على حاله كما هو
 مذهبا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم
 والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالمحاطة وانه بقى كل
 واحد منهما كما كان من غير أن يتأثر أحدهما بالآخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول

فاطلقهم فقالوا يا رسول الله
 هذه أموالنا التي خلفتنا
 عنك فتصدق بها وطهرنا
 فقال ما أمرت أن آخذ
 من أموالكم شيئا فنزل خذ
 من أموالهم صدقة
 (خلطوا عملا صالحا)
 خروجا الى الجهاد (وآخر
 سيئا) تخلفا عنه والتوبة
 والاثم وهو من قولهم بعت
 الشاة شاة ودرهما أى شاة
 بدرهم قالوا بمعنى الباء
 لان الواو لا جمع والباء
 للاصاق فيتناسبان أو
 المعنى خلط كل واحد منهما
 بالآخر فكل واحد منهما
 مخلوط ومخلوط به كقولك
 خلطت الماء واللبن تريد
 خلطت كل واحد منهما
 بصاحبه بخلاف قولك
 خلطت الماء باللبن لانك
 جعلت الماء مخلوطا باللبن
 مخلوطا به واذا قلت به بالواو
 فقد جعلت الماء واللبن
 مخلوطين ومخلوطا بهما
 كانك قلت خلطت الماء
 باللبن واللبن بالماء

(ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم والمبتدأ منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت
ومن أهل المدينة قوم (مردوا) (٢٧٦) على النفاق) أي تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الأول

على القليل لان لفظه من التبعية ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن
الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما الطبري فانه أطلق القول ولم يعين أحدا من
القبائل المذكورة بل قال في تفسيره هذه الآية من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب
منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي (ومن أهل المدينة) من الاوس
والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) فيه تقديم وتأخير تقديره وعن حواكم من الاعراب ومن أهل
المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني مردوا على من نوا عليه يقال مرد فلان على ربه اذا عتوا وتجبر ومنه الشيطان
المارد وتمرد في معصيته أي مردن وثبت عليها واعتمادها ولم ينب منها قال ابن اسحق لجوافيه وأبو غيره وقال
ابن زيد أقواما عليه ولم يتو بوا معه (لا تعلمهم) يعني أنهم بلغوا في النفاق الى حيث أنك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء
خاطر كواطلاءك على الاسرار (نحن نعلمهم) يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت
(سنعذبهم مرتين) اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على أن العذاب الثاني هو عذاب القبر
بدليل قوله (ثم يردون الى عذاب عظيم) وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا أنه سبحانه وتعالى يعذب
المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة أما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها
فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
يا فلان فانك منافق فخرج من المسجد أناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان
صح هذا القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعلمه الله حالهم وسماهم لانه سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن
نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان أحكام
الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجوع
مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها اخرج من نار تظهر في
أكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال
والاولاد في الدنيا والآخرة عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحد ودعوتهم في الدنيا والآخرة عذاب
القبر وقال ابن اسحق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والآخرة
عذاب القبر وقيل احدا هم اضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والآخرة عذاب القبر
وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والآخرة احرقتهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم
يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم بخلدون فيه قوله عز وجل (وآخرن اعترفوا بذنوبهم) فيه قولان
أحدهما أنهم قوم من المنافقين نابوا من نفاقهم وأخلصوا وخبثت هذه القول أن قوله تعالى وآخرن اعطف
على قوله وعن حولكم من الاعراب منافقون والعطف موهم وبعضه ما نقله الطبري عن ابن عباس أنه قال
هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في جماعة من المسلمين من أهل المدينة تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختاف المفسرون في عددهم فروى
عن ابن عباس أنهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبیر
وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة
أبو ابابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك أنهم كانوا يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أن نكون من الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه في الجهاد واللاء فاجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا

لا يتخلون من أن يكون كلاما
مبتدأ أو صفة لمنافقون
فصل بينهما وبينه بمعطوف
على خبره ودل على
مهارتهم فيه بقوله
(لا تعلمهم) أي يخفون
عليك مع فطنتك وصدق
فراستك لفرط تنوهم في
تحمي ما يشكك في
أمرهم ثم قال (نحن
نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله
ولا يطلع على سرهم غيره
لانهم يبطنون الكفر في
سويداء قلوبهم ويبرزون
لك ظاهرا كظاهر
الخلصين من المؤمنين
(سنعذبهم مرتين) هما
القتل وعذاب القبر أو
الفضيحة وعذاب القبر أو
أخذ الصدقات من أموالهم
ونهبك أبدانهم ثم يردون
الى عذاب عظيم) أي
عذاب النار (وآخرن)
أي قوم آخرون سوى
الذكور بن (اعترفوا
بذنوبهم) أي لم يعتدروا
من تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة كغيرهم ولكن
اعترفوا على أنفسهم بانهم
بش ما فعلوا ناديين وكانوا
عشرة فسبعة منهم لما
بلغهم ما نزل في المتخلفين
أو تقوا أنفسهم على سوارى
المسجد فقدم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موقنين فسأل عنهم فذكر والله
لأنهم أقسموا أن لا يتخلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لأحلهم حتى أومر فيهم فنزلت

تعالى عنهم فهو لاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محبسا بهلا وكان أنسب قر يش لقر يش وأعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه وبالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطاحه بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسموا على يده وصالوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام وأما السابقون من الانصار فهم الذين يابعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا ستة نفر أسعد بن زراره وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن الجحلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معمر وعبد الله بن عمرو بن حرام وأبو جابر وسعد بن عباد وسعد بن الربيع وعبد الله بن رباح فهؤلاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة يعلمهم القرآن فأسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقى اللفظ مجمولا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف اللفظ المجمع اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ايضا ان الهجرة طاعة عظيمة ومربية عالمية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصره فانها مربية عالمية ومنقبة شريفة لانهم نصره وارسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم فلذلك أنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴿ قوله تعالى ﴾ (والذين اتبعوهم باحسان) قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلخوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترجون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدثكم أنفق مثل أحد ذهب ما بلغ مدأ حدهم ولا نصيفه أراد بالقرن في الحديث الاول أصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشرين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من أعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم أنفقوا بذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله سبحانه وتعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضي الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليه من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدون فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) قوله سبحانه وتعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبلغوي والواحدى وابن الجوزي انهم من اعراب منبجة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب منافقون وما ذرورة مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا هؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون

الاولى وكانوا سبعة نفر
وأهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين (والذين اتبعوهم
باحسان) من المهاجرين
والانصار فكانوا سائر
الصحابة وقيل هم الذين
اتبعوهم بالايمان والطاعة
الى يوم القيامة والخبر
(رضي الله عنهم) بأعمالهم
الحسنة (ورضوا عنه) بما
أفاض عليهم من نعمته
الدينية والدنيوية (وأعد
لهم) عطف على رضى
(جنات تجري تحتها
الانهار) من تحتها مكى
(خالدون فيها أبدا ذلك
الفوز العظيم ومن حولكم
يعنى حول بلدكم وهي
المدينة (من الاعراب
منافقون) وهم جهينة
وأسلم وأشجع وغفار كانوا
نازلين حولها

٢ قوله ستة نفر المعدود هنا
خسة والسادس عقبة بن
عامر كافي المواهب وقوله
في الطامش سبعة تبع فيه
الكشاف وهو مخالف لما
في المواهب وما هنا اه

لما بقوا ولون اذا توجهت عليهم الصدقة (علميم) بما يضره (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق في الجهاد والصدقات (قربات) أسبابا للقربة (عند الله) وهو مفعول ثان ليتخذ (وصلوات الرسول) أى دعاءه لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى (ألا انها) أى النفقة أو صلوات الرسول (قربة لهم) قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرقى التنبيه والتحقيق المؤذين بنبات الامر وتمكنه وكذلك (سيد خلمهم الله في رحمة) جنته وما في السنين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها (ان الله غفور) يستر عيب الخلل (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفة لهم (من المهاجرين) تبين لهم وهم الذين صلوا الى القبليتين أو

محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الا ما يسوءهم (والله سميع) يعنى لا قوا لهم (علميم) يعنى بما يخفون فى ضمائرهم من النفاق والغش واردة السوء للمؤمنين نزات هذه الآية فى اعراب أسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بنى تميم وبنى أسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر ابن صعصعة فقال رجل خابوا وخسر وا قال نعم هم خير من بنى تميم وبنى أسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر بن صعصعة وفى رواية أن الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعتك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ان كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بنى تميم وبنى عامر وأسد وغطفان قال خابوا وخسر وا قال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم فى رواية له ما أنى لم أقلها لكن الله قالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قر يش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ويتخذ ما ينفق قربا عند الله) جمع قر به أى بطاب بما ينفق القر به الى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعنى ويرغبون فى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى (ألا انها قر به لهم) يحتمل أن يعود الضمير فى انها الى صلوات الرسول ويحتمل أن يعود الى الانفاق وكلاهما قر به لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى الأول بحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قر به لهم (سيد خلمهم الله فى رحمة) وهذه النعمة هى أقصى مرادهم (ان الله غفور) للمؤمنين المنفقين فى سبيله (رحيم) يعنى بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء فى السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبليتين وقال عطاء بن أبى رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السابق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زباد قلت يوم محمد بن كعب القرظي ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ما بينهم وأردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسبهم ومسيبهم وأوجب لهم الجنة فى كتابه فقلت له فى أى موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحانه الله أنقرأ والسابقون الاولون الى آخر الآية فأوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية فى قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شريط فى التابعين شريطه وهى أن يتبعوهم فى أعمالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكانت لم أقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء فى أول الناس اسلاما بعد اتفاهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة على بن أبى طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا فى سنة وحث اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغوا الصحيح أنه لم يكن بالغوا وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان على بن أبى طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضى الله

(وسيرى الله عملكم ورسوله) أتوبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى تردون اليه وهو عالم كل سر وعلاية
 (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم على حسب ذلك (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) اتركوهم ولا توبخوهم
 (فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس) لتعليل لترك معانبتهم (٢٧٣) أى ان المعاتبه لاتنتفع فيهم ولا تصاحبهم لانهم

أرجاس لاسـ...بيل الى
 تطهيرهم (ومأواهم جهنم)
 ومصيرهم...م النار يعنى
 وكفتهم...م النار عتابا
 وتوبيخا فلا تكفوا
 عتابهم (جزاء بما كانوا
 يكسبون) أى يجزون
 جزاء كسبهم (يحلفون
 لكم اتعرضوا عنهم) أى
 غرضهم بالخلف بالله طلب
 رضاكم لينفعمهم ذلك فى
 دنياهم (فان تعرضوا عنهم
 فان الله لا يرضى عن القوم
 الفاسقين) أى فان رضاكم
 وحدكم لا ينفعهم اذا كان
 الله ساخطا عليهم وكانوا
 عرضة لعاجل عقوبته
 وأجلها وانما قيل ذلك
 لثلاثيتوهم ان رضا المؤمنين
 يقتضى رضا الله عنهم
 (الاعراب) أهل البدو
 (أشدكفرا وفاقا) من
 أهل الحضرة لجفائهم
 وقسوتهم وبعدهم عن
 العلم والعماء (وأجدر
 ان لا يعلموا) وأحق بان لا
 يعلموا (حدود ما أنزل الله
 على رسوله) يعنى حدود
 الدين وما أنزل الله من
 الشرائع والاحكام ومنه
 قوله عليه السلام ان الجفاء

(وسيرى الله عملكم ورسوله) يعنى فى المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم أم لا (ثم تردون الى عالم
 الغيب والشهادة فينبئكم) يعنى فيخبركم (بما كنتم تعملون) لانه هو المطلع على ما فى ضمائركم من الخيانة
 والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم) يعنى اذا رجعتهم من
 سفرهم اليهم يعنى الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين (لتعرضوا عنهم) يعنى لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ولا
 توبخوهم بسبب تخلفهم (فاعرضوا عنهم) يعنى فدعوهم وما اختاروا والانفسهم من النفاق وقيل ير يدترك
 الكلام يعنى لانكم موهم ولا تجالسوهم فاما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا
 تكلموهم قال أهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصبح فاعطوا اعراض المقتضى ثم ذكر
 العلة فى سبب الاعراض عنهم فقال تعالى (انهم رجس) يعنى أن بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة
 (ومأواهم) يعنى مسكنهم فى الآخرة (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يعنى من الاعمال الخبيثة فى الدنيا
 قال ابن عباس نزلت فى الجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أبى حلف نأبى صلى الله
 عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه
 فانزل الله عز وجل هذه الآية التى بعدها (يحلفون لكم اتعرضوا عنهم) يعنى يحلف لكم هؤلاء المنافقون
 اتعرضوا عنهم (فان تعرضوا عنهم) يعنى فان رضيت عنهم أي المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عندهم (فان
 الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يعنى أنه سبحانه وتعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى
 عنهم أبداً وقوله سبحانه وتعالى (الاعراب أشدكفرا وفاقا) نزلت فى سكان البادية يعنى ان أهل
 البدو أشدكفرا وفاقا من أهل الحضرة قال أهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبة فى العرب وجعه
 العرب ورجل أعرابى اذا كان بدو يا يطلب مساقط الغيث والكلاوي يجمع الاعرابى على الاعراب
 والاعرابى فبن استوطن القرى والمدن العربية فهمم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابى اذا
 قيل له ياعر بنى فرح بذلك والعربى اذا قيل له ياعر اعرابى غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين
 والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب فى كون الاعراب أشدكفرا وفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء
 وسماع القرآن والسنن والمواظ وهو قوله سبحانه وتعالى (وأجدر) يعنى وأخلق وأحرى (الايعلموا)
 يعنى بان لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعنى الفرائض والسنن والاحكام (والله عليم) يعنى بما فى
 قلوب عباده (حكيم) فمافرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) يعنى لا يرجو
 على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق فى خوف أو رياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من
 الاعراب من يعتقد أن الذى ينفقه فى سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفا من المسلمين وأمر آة لهم
 ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه (ويتر بص) يعنى وينتظر (بكم الدوائر) يعنى بالدوائر تقلب الزمان
 وصروفه التى تاتى مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعنى تقلب الزمان فموت الرسول ونظير
 المشركون (عليهم دائرة السوء) يعنى بل بتقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون فى

(٣٥ - خازن) - ثانياً) والقسوة فى الفداين يعنى الاكرة لانهم يفدون أى يصيحون فى حروثهم والقديد الصياح (والله
 عليم) باحوالهم (حكيم) فى امهالهم (ومن الاعراب ما يتخذ ما ينفق) أى يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا تقيّة من
 المسلمين ورياء لوجه الله وابتغاء الثموبة عنده (ويتر بص بكم الدوائر) أى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم
 عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أى عليهم بدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين السوء مسكى

المعتزون من الاعراب ليؤذن لهم) يعني وجاء المعتذر ون من أعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزوه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاععن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على
 حلاتنا وأولادنا ومواسينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم
 وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء بن رخصة وقيل هم من أسد وغطفان وقال ابن عباس هم
 الذين تخافوا بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعتذر ون أى المقصرون يعني
 أنهم قصر اولم يبالعوا فيما اعتذروا به والمعتذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ
 عند النحاة المعتذرون أذغمت التاء في الذال اقرب مخرجهم ما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال
 اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذر وافدل ذلك على
 فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذرا اذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد
 * ومن يبيك حولا كاملا فقد اعتذر * يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذر الذي هو التقصير يقال
 عذرت عذرا اذا قصر ولم يبلغ فعلى هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن
 المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لم يادكرهم قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله)
 فالما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى عن أبي عمرو بن العلاء انه لما
 قيل له هذا الكلام قال ان قومنا كفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذر ون
 وتختلف آخرون لالعذر ولا اشبهه عذرا جرة على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم
 منافقوا الاعراب الذين ما جاؤا وما اعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان
 (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم لانه سبحانه
 وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر
 والنفاق وما تواعيهم ﴿ قوله عز وجل (ليس على الضعفاء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين
 تخلفوا عن الجهاد واعتذروا واعتذرا باطلة عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم وأخبر
 أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن
 الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيا والنساء ومن خلق في أصل الخليقة ضعيفا نحيفا
 ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضي فقال سبحانه وتعالى
 (ولا على المرضى) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضي فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة
 وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجردون ما ينفقون)
 يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجردون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان
 العاجز عن نفقة الغزو ومعتذر (حرج) أى ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج أى أنهم في التخلف عن
 الغزو وقال الامام نضر الدين الرازي ليس في الآية أنه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج
 ليعين المجاهدين بمقدار القدرة ما يحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كالأروبالاعليهم
 فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو بشرط معين وهو قوله سبحانه
 وتعالى (اذا نصحوا الله ورسوله) ومعناه أنهم اذا أقاموا في البلد احترزوا عن افشاء الاراجيف واثارة
 الفتن وسعوا في ايصال الخير الى أهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاوا بما يصلح بيوتهم وأخلصوا
 الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري مجرى النصيحة ورسوله
 (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد أباحه

المعتذر ون من الاعراب
 ليؤذن لهم) هو من عذر
 في الامر اذا قصر فيه وتواني
 وحقيقته أن يوهم ان له
 عذرا فيما فعل ولا عذر له أو
 المعتذرون بادغام التاء في
 الذال ونقل حركتها الى
 العين وهم الذين يعتذرون
 بالباطل قيل هم أسد
 وغطفان قالوا ان اناءعيا لا
 وان بنا جهدا فاذن لنا في
 التخلف (وقعد الذين
 كذبوا الله ورسوله)
 منافقون الاعراب الذين لم
 يجيئوا ولم يعتذروا وظهر
 بذلك انهم كذبوا الله
 ورسوله في ادعائهم الايمان
 (سيصيب الذين كفروا
 منهم) من الاعراب (عذاب
 أليم) في الدنيا بالقتل
 وفي الآخرة بالنار (ليس
 على الضعفاء) الهرمي
 والزمنى (ولا على المرضى
 ولا على الذين لا يجردون
 ما ينفقون) هم الفقراء
 من منسنة وجهينة و نبي
 عذره (حرج) اثم وضيق
 في التأخر (اذا نصحوا الله
 ورسوله) بان آمنوا في
 السر والعلن وأطاعوا كما
 يفعل الناصح بصاحبه (ما
 على المحسنين) المعتذرين
 الناصحين (من سبيل)

(واذا أنزلت سورة) يجوز أن يراد سورة بتامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كاه وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بان آمنوا وهي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنتك أولو الطول منهم) ذو والفضل والسعة (وقالوا ذرنا نحن مع القاعدتين) مع الذين لهم عذري في التخلف كالمرضى والزمنى (رضوا بان يكونوا مع الخوالم) أى النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الهلاك والشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع الدارين لا طلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أعد تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (وجاء دليل على أنها مخلوقة (وجاء

من ذلك الشيء الذى وقع الاهتمام به وقيل أيضا انما كرر هذا المعنى لانه أراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها وبالآية الاخرى أقواما آخرين منهم * المقام الثانى فى وجه بيان ما حصل من التفاوت فى الالفاظ فى هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للموال والاولاد فسن العطف عليه بالفاء فى قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلماذا أنى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لانه قال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيذ فيدل على أنهم كانوا محبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفى اسقاط حرف لانه دليل على انه لا تفاوت بين الامر بين قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا أن يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل فى أحكام الله محال وانه انما ورد حرف اللام لغناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا الابان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى فى الآية الاولى فى الحياة الدنيا وقال تعالى هنا فى الدنيا والفائدة فى اسقاط لفظة الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت فى الخسة الى حيث انها لا تستحق أن تذكروا تسمى حياة بل يجب الاقتصاد عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيه على كمال دناءتها فهذه جل فى ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل (واذا أنزلت سورة) يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل أن يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد (أن) أى بان (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد فى المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل أحد فى كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهرا للعموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم أن تؤمنوا بالله وأولادكم جاهدوا مع رسوله فانها حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها فى الدنيا والآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (استأذنتك أولو الطول منهم) قال ابن عباس يعنى أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبرائهم وفى تخصيص أولى الطول بالذ كر قولان أحدهما ان الذم لهم أئزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص أولى الطول بالذ كر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعنى أولى الطول (ذرنا نحن مع القاعدتين) يعنى فى البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى (رضوا بان يكونوا مع الخوالم) قيل الخوالم النساء اللواتي يتخلفن فى البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بان يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالم جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله فى الامر بالجهاد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هم خير منهم يعنى الرسول والمؤمنين (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالمطالب ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أعد تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وجاء

في خاطره ان الله منها عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الاطهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم ولا تستغفر لهم وهذا التاويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله أعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية بن عباس وساقه سياقه هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لمات عبد الله بن أبي بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله صلى الله عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاول وقوله صلى الله عليه وسلم سأز يد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن بن عمر فان فيه لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لذت وهذا تنقيد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضها ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لذت فقد علم أنه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم أني خيرت مشكلا مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال أن المنهي عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لاولئك المنافقين الخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ٧ ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطيبا للقلوب الاحياء من قراياتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من الخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محي الدين النووي انما اعطاه قيصه ليكفنه فيه تطيبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فاجابه اليه وقيل بل اعطاه مكافاة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسرى يوم بدر قيصا وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الابداء له وقابله بالحسنى وألبسه قيصه كفننا وصلى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خاق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب أن يكافئه بها وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كام فيما فعل بعد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يقني عنه قيصي وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروى أنه أسلم ألف من قومه لما أراده تبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم ﴿١﴾ وقوله سبحانه وتعالى (ولاتنقم على قبره) يعني لا تنقم عليه ولا تقول دفنه من قوهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق أدنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحته الفسق وغيره فالفائدة في وصفه بكونه فاسقا به ما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضر لاحد سوا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا أمر مستقبح عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر ﴿٢﴾ قوله تعالى (ولاتنجبكم أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) الكلام على هذه الآية في مقامين ١ المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه أن تجد النزول له شأن في تقرير ما نزل أولاً وتأكيداً واردة أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذباً للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأييد والمبالغة في التحذير

(ولاتنقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل لانهم أي أنهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولاتنجبكم أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) التكرير للمبالغة والتأكيد وان يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولان كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى

يا عمر فلما سأ كثر عليه قال اني خيرت فاخترت لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له زدت عليه اقال فضلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزات الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاستقون قال فحجبت بعده من جرائي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم وأخرجه الترمذي وزاد فيه فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن أبي بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفت فيه من ريقه وألبسه قميصه والله أعلم قال وكان كساعبا ساقيا قال سفيان وقال أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس عبد الله قميصك الذي يلبى جلدك قال سفيان فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قيصا فوجدوا قيص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه

﴿فصل﴾ وقد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم أنه لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه وأن يصلى عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر ابن الخطاب من افراد البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفت عليه من ريقه وألبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وايس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم أنه صلى عليه أولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه نائبا بعدما أدخل حفرته فاخرج منه ما نزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفت عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن أبي طيب القاب ابنه عبد الله فإنه كان صحابيا مخلصا مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عادته في مرضه وأنه سأله أن يستغفر له وأن يعطيه قميصه وأن يصلى عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفت في جلدته ودلاه في حفرته فهذه جل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفت في جلدته ودلاه في قبره جملة منقطة عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن أبي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غلب عليه فنفاق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلثة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرفهم صدرا وكان أبر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوم النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم أني من أبر الناس بابي وان أمرتني أن أتيتك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نفعو عنه وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى أن ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات أبو سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وسأله أن يصلى عليه فضلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعا قاله ولطلبته وفول عمر تصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق أن عمر وقع

من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا لا تنفروا في الحر) قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين تنبسطا (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون)
استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة (٢٦٧) الا بدكان أجهل من كل جاهل

(فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) أي فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويكفون كثيرا جزاء في العقبى الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يكفون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم (جزء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعت الله) أي ردك من تبوك وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنونك للخروج) الى غزوة بعد غزوة تبوك (فقبل لن تخرجوا مسمى أبدا) ويسكون الباء جزء وعلى أبو بكر (وان تقاتلوا مسمى عدوا) مسمى حفص (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) أول مادعيتم الى غزوة تبوك (فاعتدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد وسأل ابن عبد الله بن أبي وكان مؤمنا ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم اباه في قبصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنتم أرجوان

ايثار الراحة والقه ودمع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا في الحر) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون) يعني قل يا محمد هؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافاك عن الجهاد في الحر ان نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يفتقون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يتبعوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلان تنفروا في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون فامر الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلفه (وليبكوا كثيرا) يعني مكان ضحككم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا أن معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول أعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل (جزء بما كانوا يكسبون) يعني أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فاقبوا فان أهل النار يكونون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل السماء فتفرغ العيون فلوان سفتنا جربت فيها لجرت قوله سبحانه وتعالى (فان رجعت الله) يعني فان ردك الله يا محمد من غزائك هذه (الى طائفة منهم) يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الاعداد (فاستأذنونك للخروج) يعني فاستأذنتك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة أخرى (فقل ان تخرجوا مسمى أبدا) يعني فقل يا محمد هؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا مسمى أبدا لالي غزوة ولا الى سفر (ولن تقاتلوا مسمى عدوا انكم) يعني لانكم رضيتم بالقعود أول مرة) يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فاعتدوا مع الخالفين) يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفا كثيرا لخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) الآية قال قتادة بعث عبد الله بن أبي ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فيها عمر عن ذلك فانه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم يدخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك لتؤتيني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه في قميصه صلى الله عليه وسلم ونفت في جلده ودلاه في قبره فانزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله أتصلى على ابن أبي ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا وكذا أعدد عليه قوله فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر عنى

يؤمن به ألف من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعني صلاة الجنازة روى انه أسلم ألف من الخرج لما رآه يطلب التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لاحد (أبدا) ظر فلتصل وكان عليه السلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل

(سخر الله منهم) جازاهم على سخرتهم وهو خبر غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابييه في مرضه نزل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) وقد مر أن هذا الامر في معنى الخبر كأنه قيل ان يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم) والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم لتكثير وليس على التحديد والغاية إذ لو استغفر لهم مدة حياته ان يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر ان كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذلك

(٢٦٦)

السبعين من بين سائر

ذلك الثواب الموعود به ﴿وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخرتهم ﴿ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ﴿وقوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر فلن يغفر الله لهم وإنما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حذرة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان أحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة تتبع فهدى الخصى الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر خصلي فسأز يدن علي السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سوا عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم (ق) ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن أبي سائل جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأز يدن علي السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ولا تصلى على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاذني رواية فترك الصلاة عليهم ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عقوبتهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يوفق للايمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ﴿وقوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك وأقام بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج الى الجهاد فاختر والاعتود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) والمعنى انهم فرحوا بسبب الخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى

الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع وترو وأول الاشفاق اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجع الكثير من النوعين لان فيها أوتارا ثلاثة واشفاقا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو إضافة الأحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرر العشرة مرتين والثلاثون تكرر يرها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكالاحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه جاز أن يكون تخصيص

ايشار

السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك) إشارة الى اليأس من المغفرة (بانهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله)

ولا يغفران للكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والظغيان (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلبهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا والمخالفة أو مخالفتين له (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وكيف لا يكونون وما فيهم من المؤمنين

يتناجون به فيما بينهم - من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شيء (الذين) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجرح على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم (يلمزون المطوعين) يعيبون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق بيلمزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فداء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعمالي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله حتى صولحت بماض امرائه عن ربع الثمن على الثمانين ألفاً وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجدون الاجهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجير على صاعين فتركت صاعا لعمالي وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى

وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في إيمانهم فكذبوا أو اتمنوا على دينهم فخانوا أو وعدوا في أمر الدين ونصره فآخفوا وجزوا في خصوصاتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمرو ورواه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال أكثرنا ثمنا وحكي الخطابي قول آخر ان معناه التحذير للإسلام ان يعتاد هذه الخصال وحكي أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشبه إشارة كقولته صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام نضر الدين الرازي ظاهر هذه الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالي في الاحتراز عنه فاذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به ^ووقوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) يعني هؤلاء المنافقين (ان الله يعلم سرهم) يعني ما نطوى عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفى من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شيء منها (وأن الله علام الغيوب) وهذا مبالغته في العلم يعني ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم ^وقوله عز وجل (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية (ق) عن أبي مسعود النبوى قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير فقاوا لمرءه وجاء رجل فنصصق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الاجهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك باربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعمالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى الجملاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجير المراء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت أحدهما لعمالي وأتيتك بالآخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل وان كان أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلمزون يعيبون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه (والذين لا يجدون الاجهدهم) يعني أبا عقيل الانصارى والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح غيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي ياتي به فيصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فيصدق به لان الغنى أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي أخرج القليل انما أخرج عن ضعف وجهه وفد يؤثر المحتاج الى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيسخرون منهم) يعني ان المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يهرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من برجوا ما عند الله من الخير والثواب ببذل الموجودات

فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فانالنا أقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضاً بسنده قال بهض العلماء أنه لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لأن الله سبحانه وتعالى منه من قبولها منه مجازاة له على أخلافه بما عاهد الله عليه واهانته له على قوله انما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقة عليه اهانته له ويعتبر ذيره به فلا يتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها و يعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذى حق حقه وصدقته منه ووصلت القرابة فأت ابن عم له فورث منه ما لا فلم يف بمعااهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن وبجاءه نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بنى عمرو بن عوف خرجا على ملا قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلاجه وقال ابن السائب ان حاطب ابن أبي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه جهده لذلك جهدا شديدا خلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لا صدقن منه ولا صلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بمعااهد الله عليه فنزلت هذه الآية حاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليمصدقن وليفعلن فيه أفعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بمعااهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقة (ولنكونن من الصالحين) يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلاجه) يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيئا (وتولوا) يعني عماعاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعني عن العهد (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) يعني فاعقبهم الله نفاقا بان صيرهم منافقين يقال أعقب فلان ندامة اذا صارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم (الى يوم يلقونه) يعني انه سبحانه وتعالى حرّمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه (بما خلفوا الله ما وعدوه) يعني الصدقة والانفاق في سبيله (وبما كانوا يكذبون) يعني في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خصم جفر قال الشيخ محي الدين النووي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشکلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والاكثر هو وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافة وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه وعده وآمنه وخاصمه وعاهد من الناس لأنه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخادين في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه

(ولنكونن من الصالحين) باخراج الصدقة (فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال وتالوا مذاهم (بخلاجه) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) مصررون على الاعراض (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فاورثهم البخل نفاقا كما في قلوبهم لانه كان سببا فيه (الى يوم يلقونه) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بما خلفوا الله ما وعدوه) وبما كانوا يكذبون (بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد نفاق

مخافة أن أخاط بخطيئته أو تصيبني قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس قلت ما قال مصعب خلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشقني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بصحابه خلفه وباللله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ثم نعمتهم جميعاً الى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي ابن سلول للادوس انصروا وأخاكم فوالله ما مثلنا او مثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يا كلك وقال لئن رجعتنا الى المدينة ليعخرجن الأعمز منها الاذل فسعى بهما رجل من المساميين الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله خلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الآية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسوا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقاً لئن شمر من الخير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر خلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر خلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم أنزل علي نبيك تصديق الصادق منافق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرق هذه الآية حتى بلغ فان تبوءوا بك خيراً لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلتها وأبأستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني أظهروا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقاً لئن شمر من الخير وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي ابن سلول لئن رجعتنا الى المدينة ليعخرجن الأعمز منها الاذل وستاتي القصص في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وهو بما لم ينالوا) قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقاتله خشيته ان يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان همه قوله لئن رجعتنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وأمره ان يرسل اليهم من يضرب وجوهه واحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعتنا الى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي ابن سلول تاجاً فلم يبالوا اليه (وما نتموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله) يعني وما أنكر واعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضعه الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم أن تقوموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا أشراً بطراً وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيئاً ولا يتعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر

مانقم الناس من أمة * الا أنهم يحلمون ان غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وانما اراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيئاً فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب

أي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل يوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم

(وهو بما لم ينالوا) من قتل محمد عليه السلام أو قتل عامر لده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا ابن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نتموا) وما أنكروا وما عابوا (الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله) وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه اثني عشر ألفاً فاستغنى

(ورضوان من الله) وشي من رضوان الله (أ كبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) اشارة الى ما وعدوا الى الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا (يا أيها النبي جاهد الكفار) (٢٦١) بالسيف (والمنافقين) بالحقبة (واغلظ عليهم) في الجهادين

تحت العرش فتدخل عليهم كشيان المسك الأبيض قال الامام نجر الدين الرازي حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بديل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة للجنة قال الازهرى عدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به يمدن عدو نافي هذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله أ كبر) يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم أ كبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يدك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى بار بنا وقد أعطينا ما لم نعط أحد من خلقك فيقول ألا اعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط بعدة عليكم أبدا وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) يعني بالسيف والمحاربة والقتال (والمنافقين) يعنى وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لظاهره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهب الرقى عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه فان لم يستطع فليكنه في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعنى اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا معنى بالنفاق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبرى وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة أن الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحق عليهم نار و بترك الرقى بهم نار وبالانتها نار وهذا هو قول ابن مسعود (واغلظ عليهم) يعنى شدد عليهم بالجهاد والارهاب (وما أوأهم جهنم وبئس المصير) يعنى أن جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان فت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمهم وبما لهم فأتى أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كرامة الكفر وأقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال انى مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله سبحانه وتعالى أمر باجراه الاحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكّل سرّهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون وقوله عز وجل (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امرأته مصعب بن قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا فنحن شرمن حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عبد الله لا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن وأن تصيبني فارعة وأن أخلط بخطيئته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا

عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحقبة وتستهمل معه الغلظة ما أمكن منها (وما أوأهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسبهم مع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خافناهم وهم ساداتنا فنحن شرمن الجبر فقال عامر بن قيس الانصارى للجلاس أجل والله ان محمد صادق وأنت شرمن الجبر وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره خلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شرمن الجبر وأهى استهزأهم فقال الجلاس يا رسول الله

والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم

وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهو النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بهض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة ﴿١﴾ وقوله سبحانه وتعالى (يامرون بالمعروف) يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة (وينهون عن المنكر) يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده (ويقيمون الصلاة) يعني الصلاة المفروضة ويتمون أركانها وحدودها (ويؤتون الزكاة) يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ما يقضون أيديهم (ويطيءون الله ورسوله) يعني فيما يامرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم (أولئك) يعني المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات (سيرجهم الله) لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان والسين في قوله سيرجهم الله للمبالغة والتوكيد (ان الله عز بز حكيم) وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يتمتع عليه شيء أرادوه فهو قادر على ائصال الرحمة لمن أرادوا ائصال العقوبة لمن أرادوا الحكيم هو الذي يدبر عبادته على ما يقتضيه العدل والانصاف (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) اما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يتحير في حسناتها الناظر لانه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغاير للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الأخرى البساتين التي يتزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن طيبة) يعني ومنازل يسكنونها طيبة (في جنات عدن) يعني في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قال استل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من أولوة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوقه حراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم نخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصدقيين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقوله عدن داره يعني دار الله وهو من أب حذف المضاف تقديره عدن دار أصفياء الله التي أعدها لوليائه وأهل طاعته والمقر بين من عباده عن ابى موسى الأشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتنهما وما فيهنما وجنتان من ذهب آيتنهما وما فيهنما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الراء الكبرياء على وجهه في جنة عدن أخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمر وابن العاص ان في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والبروج له خمسة آلاف باب لا يدخله الا النبي أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة خيامه على حافته وقال مقاتل والسكبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجان حوطا محذقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها وهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من

(يامرون بالمعروف) بالطاعة والايمان (وينهون عن المنكر) عن الشرك والعصيان (ويقيمون الصلاة) ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرجهم الله (السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في سائق منك يوما) (ان الله عز بز) على غالب كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضح كلا موضعه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد (في جنات عدن) هو علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرفت ان الذي والى وضعا لوصف المعارف بالجل وهي مدينة في الجنة

كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافتهم فاستمتعتم بخلافتكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلافتهم) محلهما رفع أي أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم (٢٥٩) استمتعتم بخلافتكم كما استمتعوا بخلافتهم

أي تلذذوا بإسلاذ الدنيا
والخلاق النصيب مشتق
من الخلق وهو التقدير أي
ما خلق للإنسان بمعنى قدر
من خير (وخضتم) في
الباطل (كالذي خاضوا)
كالنوح الذي خاضوا أو
كالخوض الذي خاضوا
والخوض الدخول في الباطل
واللهو وانما قدم فاستمتعوا
بخلافتهم وقوله كما استمتع
الذين من قبلكم بخلافتهم
مغن عنه ليدم الأولين
بالاستمتاع بما أو توامن
حظوظ الدنيا والتهاهم
بشهواتهم الغانية عن النظر
في العاقبة وطلب الفلاح في
الآخرة ثم شبه بعد ذلك
حال المخاطبين بحالهم
(أولئك حبطت أعمالهم
في الدنيا والآخرة في مقابله
قوله وآتيناهم أجره في الدنيا
وأنه في الآخرة لمن الصالحين
(وأولئك هم الخاسرون)
ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال
(ألم ياتهم نبأ الذين من قبلهم
قوم نوح) هو بدل من
الذين (وعاد وعود وقوم
إبراهيم وأصحاب مدين)
وأهل مدين وهم قوم
شعيب (والمؤتفكات)
مدائن قوم لوط واتفكهن
انقلاب أحوالهن عن الخير

وأولاداً فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) يعني بطشاً ومنعة (وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافتهم)
يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورؤاها عوضاً عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خاق
الله للإنسان وقدر له من خير كما يقال قسم له (فاستمتعتم بخلافتكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم أيها
المنافقون والكافرون بخلافتكم (كما استمتع الذين من قبلكم بخلافتهم) فإن قلت ما الفائدة في ذكر
الاستمتاع بالخلاق في حق الأولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانياً ثم أعادته ذكره في حق الأولين ثالثاً
قلت فأنته أنه يذم الأولين بالاستمتاع بما أو توامن حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر
فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع إلى
ذكر حال الأولين ثالثاً وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل
بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل فاتكسر برهنالاً كيد وتقيح فعلهم وفعل من
شابههم في فعلهم وقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) معطوف على ما قبله ومستند إليه يعني وسلكتم في
فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسوله والاستهزاء بالمؤمنين (وأولئك
حبطت أعمالهم) يعني بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) يعني إن أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في
الآخرة بل يعاقبون عليها (وأولئك هم الخاسرون) والمعنى أنه كباطل أعمال الكفار الماضين وخسروا
تبطل أعمالكم أيها المنافقون وتخسرون (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتهم قلنا يا رسول الله
اليهود والنصارى قال فن ﴿ وقوله تعالى (ألم ياتهم) رجوع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يات هؤلاء
المنافقين والكفار وهو استهزاء بهم بمعنى التقرير أي قد أتاهم (نبأ) يعني خبر (الذين من قبلهم) يعني الأمم
الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكتهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسولنا ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم
نوح) يعني أنهم أهلكوا بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح العقيم (وعود) أهلكوا بالرجفة (وقوم
إبراهيم) أهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب أهلكوا
بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) يعني المنقلبات التي جعل الله عالمها سافلها وهي مدائن قوم لوط وإنما ذكر
الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك
قريب من أرض العرب فكانوا يعرفون أخبارهم ويعرفون أخبارهم (أنتمهم وسلمهم بالبينات) يعني بالمعجزات
الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار
فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتبطل أعمالكم النعمة كما جعلت لهم (فما كان الله ليظلمهم) يعني بتبجيل
العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني إن الذين استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم
﴿ قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة
والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعدهم ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف
المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والحيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فإن
قلت أنه سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض
فما الفائدة في ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والأكابر

إلى الشر (أنتمهم وسلمهم بالبينات) فاصح منه أن يظلمهم بأهلكتهم لأنه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في التناصر والتراحم

(ان نفع عن طائفة منكم) بتو بنهم واخلصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصر بن علي النفاق غير ثابتين منه ان نفع تعذب طائفة غير (٢٥٨) عاصم (النافقون والدافاق) الرجال المنافقون كانوا اثلاثمائة والنساء المنافات مائة

أظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد أظهرتم الايمان وذلك أن المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو ككفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (ان نفع عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون أن الطائفتين كانوا اثلاثة فالواحد طائفة والاثنتان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عني عنه رجل واحد وهو مخاشن بن جبر الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا ازال أسمع آية تقرأ أعني ما تنشره منها الجلود ونجيب منها القلوب اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك لا يقول أحدنا غسملت أنا كفت أنا دفت فاصيب يوم القيامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه عنه قوله سبحانه وتعالى (المنافقون والمنافات بعضهم من بعض) يعني انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان غيره أنا منك وأنت مني أي أمرنا واحد لا مباينة فيه (يا مروان بالمتكبر) يعني يا مروان بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (ويهنون عن المعروف) يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقبضون أيديهم) يعني عن الانفاق في سبيل الله تعالى وفي كل خير (نسوا الله فنبسبهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ذاته لاننا لو جئناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذمنا عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وأضافان النسيان في حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكرنا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على من أوجه الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فممن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى (ان المنافقين هم الفاسقون) يعني هم الخارجون عن الطاعة (وعدا الله المنافقين والمنافات والكفار) يقال وعده بالخير وعداؤه وعده بالشر وعداؤه قالوا عديت في الخير والشر (نار جهنم خالدين فيها) فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها (هي حسبهم) يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (واعنهم الله) يعني وأبعدهم من رحمته وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فمعناه قلت ليس ذلك تكرار او بيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقائل أن يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايام ولا يتمتع أن يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزهر يروحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني أن العذاب المقيم هو العذاب المجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم عنه قوله سبحانه وتعالى (كالذين من قبلكم) هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كأفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الأمر بالمتكبر والنهي عن المعروف وقبض الأيدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدوهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا

وسبعين (بعضهم من بعض) أي كأنهم نفس واحدة وفيه نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحافون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يا مروان بالمتكبر) بالكفر والعصيان (ويهنون عن المعروف) عن الطاعة والايمان (ويقبضون أيديهم) شحنا لمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله (نسوا الله) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فنبسبهم) فتركهم من رحمته وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو الترد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم (وعدا الله المنافقين والمنافات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هي) أي النار (حسبهم) فيه دلالة على عظم عذابها وانه بحيث لا يزداد عليه (واعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مبدومين ملحقين بالشياطين الملاعين (ولهم عذاب مقيم) دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر وأولاد الخائفين الملباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسمه ارهم الكاف في (كالذين من قبلكم

وأولاد الخائفين الملباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسمه ارهم الكاف في (كالذين من قبلكم

(ولئن سألتهم ليقولن إنما
 كنا نخوض ونلعب) بينا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يسير في غزوة تبوك وركب
 من المنافقين يسرون بين
 يديه فقالوا انظروا الى هذا
 الرجل يريد أن يفتح
 قصور الشام وحصونها
 هيئات فاطلع الله نبيه
 على ذلك فقال احبسوا
 على الركب فانهم فقال قاتم
 كذا وكذا فقالوا يا نبي الله
 لا والله ما كنا في شيء من
 أمرك ولا من أمر أصحابك
 ولكن كنا في شيء مما يخوض
 فيه الركب ليقصر بعضنا
 على بعض السفر أي ولئن
 سألتهم وقات لهم لم قاتم ذلك
 لقالوا إنما كنا نخوض
 ونلعب (قل) يا محمد (أبالله
 وآياته ورسوله كنتم
 تستهزون) لم يعبا باعتذارهم
 لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا
 كانهم معترفون باستهزائهم
 وبانه موجود فيهم حتى
 ونحوها باخطائهم موقع
 الاستهزاء حيث جعل
 الاستهزاء به يلي حرف التقرير
 وذلك إنما يستقيم بعد
 ثبوت الاستهزاء
 (لا تعتذروا) لا تشتموا
 باعتذاركم الكاذبة فانها
 لا تنفعكم بعد ظهور سركم
 (قد كفرتم) قد أظهرتم
 كفركم باستهزائكم (بعد
 إيمانكم) بعد اظهاركم الإيمان

ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه واحلهم فضر بها حذيفة
 حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحد ابارسول الله
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عددهم كلهم فقال حذيفة هلا بعنت اليهم من
 يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر باصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة (م) عن
 قيس بن عباد قال قلت لعمار أريت قتالكم أرايا أتموه فان الرأي يخطئ ويصيب أم عهد اعهد اليكم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهد الي الناس
 كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمتي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجردون رجبها حتى يلبح
 الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة جراح من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم
 قوله سبحانه وتعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزولها على ما قال
 زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما قرأتنا رغبة بطنونا وأكذبنا
 السنة وأجبنا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله
 ابن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول إنما
 كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وآياته ورسوله كنتم تستهزون ما يزيد به قال
 محمد بن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو ودبيعة بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال
 قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجوه هذا
 الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيئات فاطلع الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال
 نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فانهم فقال قاتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله إنما كنا نخوض
 ونلعب فانزل الله فيهم ما نسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة
 تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك فيسيل
 كانوا يقولون ان محمد ابرع أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما بعدهم من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد
 يزعم أنه أنزل في أصحابنا قرآن إنما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا
 على الركب فدعاهم وقال لهم قاتم كذا وكذا فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد
 هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض
 في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق باللاعب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع
 الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلاوث وأذى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء
 المنافقين (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون) فيه توبيخ وتقرير للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف
 تقدمون على إيقاع الاستهزاء بالله يعني بفرأض الله وحده وأحكامه والمراد بآياته كتابه ورسوله محمد
 صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام قال بعض المسلمين
 الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وإنما ذكره وذلك على طريق
 الاستهزاء قوله عز وجل (لا تعتذروا وقد كفرتم بعد إيمانكم) يعني قل هؤلاء المنافقين لا تعتذروا وبالباطل
 ومعنى الاعتذار محو أثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللامعة عن الجاني قد كفرتم بعد
 إيمانكم يعني أن الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلهدا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا وقد
 كفرتم بعد إيمانكم فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد إيمانكم قلت معناه

الايان ايها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنون حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان وشفع لهم في الآخرة بايمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب (٢٥٦) للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم

الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتمك أسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد وديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الجير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فخره وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وأتم شر من الجير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والسكبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون ويخلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يخلف لكم ايها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير عائذ على الله تعالى لان في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوه هما قاتل كتنفي بذكر أحد هما عن الآخر وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله (ان كانوا مؤمنين) يعني ان كانوا هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده في الآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نفسه أو أنكره فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (أنه من يحاد الله ورسوله) يعني أنه من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعادة واشتمت قافه من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده وخالفه في أمره وقيل معنى يحاد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فان له نار جهنم) أي حقى أن له نار جهنم (خالدا فيها) يعني على الدوام (ذلك الخزي العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة ﴿ قوله عز وجل (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبهم) يعني تخبر المؤمنين (بمافي قلوبهم) يعني بمافي قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثت عن أخبارهم وأثارها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذلك سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذلك كالأسماء رحمة منه على المؤمنين لتلايعير بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا) أمر تهديد فهو كقوله اعلموا ما شئتم (ان الله مخرج) أي مظهر (ما تخدرون) والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفا رسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكر والى في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمره وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوهه واحلمهم وكان معه عمار بن ياسر يقود

فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالخلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) أي ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من أرضيت الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولك احسان زيد واجاله رخصني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (ألم يعلموا أنه) أن الامر والشان (من يحاد الله ورسوله) يجاوز الحد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاققة من الشق (فان له) على حذف الخبر أي حقى أن له (نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون) خير بمعنى الامر أي ليحذر المنافقون (ان تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكي ويصري (تنبهم بمافي قلوبهم) من الكفر والنفاق والضمان للمنافقين لان السورة اذا نزلت في

ناقة

معناهم فهي نازلة عليهم دليله قل استهزؤا أو الاولان للمؤمنين والناس للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود

اليه (قل استهزؤا) أمر تهديد (ان الله مخرج ما تخدرون) مظهر ما كنتم تخدرونه أي تخدرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفي استهزأهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت أني قدمت جلدات مائة وأنه لا ينزل فينا شيء فضحنا

(وممن الذين يؤذون النبي

ويقولون هو أذن) والاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جلته أذن سامعة وايدأوهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والغيرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وتناء عليه فقال (قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غيره ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين الخالص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدق كقولهم صادقون عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف يني عن الباء (ورجحة) بالعطف على أذن ورجحة

أن يضعها في صنف واحد وتفر يقها أولى وقال ابراهيم النخعي ان كان المال كثيراً يجرى في صنفه على الاصناف وان كان قليلاً يضعه في صنف واحد وقال مالك يتجرى موضع الحاجة منهم ويقدم الادنى فالاولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وان رأى في صنف آخر في عام حوّلها اليهم وكل من دفع اليه شيئاً من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم الغني فلا يعطى بعده شيئاً وان كان محترفاً لكان لا يجرد له حرفة فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حرفة وقال أحمد بن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهماً وقال أبو حنيفة أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان أعطيته أكثر من ذلك أعطي من يظنه فقيراً فبان انه غني فهل يجزى فيه قولان ولا يجوز أن يعطى صدقته ان تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والدان ولا ولدان وان سفل ولا زوجته ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم انا آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالى بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأعلمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين وانفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكى عن عمر بن عبد العزيز انه رد صدقة جملة من خراسان الى الشام فردّها الى مكانها من خراسان والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (وممن الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا نفعوا ولا فأننا نخاف أن يباغوا علينا ولو لم يباغوا علينا لكانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو المطلب بل نقول ما شئنا ثم نأتية وننكر ما قلنا ونختلف في صدقنا بما نقول فانما محمد أذن أي يسمع كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو أذن أي ذو أذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان أزم ثم تأثر الشعر أجر العينين أسفع الخدين مشوه الخلق وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فليتنظر الى نبتل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفتعل ذلك فقال انما محمد أذن فمن حدثه شيئاً صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتية ونختلف في صدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (قل أذن خير لكم) يعني هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ أذن خير من فوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمنتكم له (ورجحة) أي هورجحة (الذين آمنوا منكم) وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رجحة للمؤمنين الخالصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رجحة لانه يجزى أحكام

جزء عطف على خير أي هو أذن خير وأذن رجحة لا يسمع غيرهما ولا يقبل (الذين آمنوا منكم) أي وهو رجحة للذين آمنوا منكم أي أظهرها

الديون (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن الام الى في الاربعه الاخيره للابيدان باتهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره لان في الوعاء فنبه على أنهم احقء بان توضع فيهم الصدقات و يجعلوا مظنة لها وتكرير في في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشهارة بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فإلهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها وان قاسمها وسهم المؤلفه قلوبهم سقط باجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضى الله عنه لان الله اعز الاسلام وأغنى عنهم والحكمه متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء

فيصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه * الصنف السادس ﴿ قوله سبحانه وتعالى (والغارمين) أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسما ان لا يوفونهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذ لم يكن لهم مال يفي ديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم اذ انوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا أغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا خمسة لغازي في سبيل الله أو عامل عليها أو غارم أو لرجل أسير اعادة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغني أخرجه أبو داود ومرسلان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم وراه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه امامن كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئا * الصنف السابع ﴿ قوله تعالى (وفي سبيل الله) يعني وفي النفقة في سبيل الله وأراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزو وما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسائح والحولة فيعطون ذلك وان كانوا أغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عندها كثيرا أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرّف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره واقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه * الصنف الثامن ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل للملازمة الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتني وليدا * الى ان شئت واكتهلت لداق

فكل مر يد سفر امباح ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع ﴿ وقوله تعالى (فريضة من الله) يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة (والله اعلم) يعني بمصالح عباده (حكيم) يعني فيما فرض لهم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقض ولا خلل * المسئلة الرابعة ﴿ في أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى أنه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهاهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلفه ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فارت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحد ادفع حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقي وذهب جماعة من العلماء الى أنه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمي هذه لاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا يخرج عن هذه الثمانية لا يجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبيرة وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلحق لنا الصدقة وان مولى القوم منهم أخرجه الترمذى والنسائى * الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسامون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من أشرف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهو لاء أساموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أساموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم أشرف قومهم مثل عدى بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألف القومهم وترغيبا للمشاهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والنبي عن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسامين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازأهم من المسامين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم أولضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانى الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدى بن حاتم جاء أبا بكر بثلاثمائة من الابل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجى اسلامهم فيجوز للامام أن يعطي من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن ان يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسامون الى ذلك * الصنف الخامس * قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المسكاتبين في دفع اليهم ليعتقوا به وهذا من مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدر عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو من مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعنق الرقاب فيشتري به عبيدو يعتقون ويدر عليه ما روى عن ابن عباس انه قال لا بأس أن يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولا سكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضى التبعية القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشتري به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط في سهم الرقاب أن يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدر عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي أن الاصناف الاربعة المتقدمة ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا أما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل

(والمؤلفة قلوبهم) على الاسلام أشرف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا وقوم منهم أساموا فيعطيهم تقرير الهل على الاسلام (وفي الرقاب) هم المكاتبون يعانون منها

أُس فلو كان المسكين أسوأ حالاً من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين أحسن حالاً من الفقير ولأن الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فثبت لهم ملكاً مع اسم المسكنة لأن السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولأن الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين وخجة أخرى حنيئة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير قوله أو مسكيناً ذامراً بصفة وصف المسكين بكونه ذامراً وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضرر والشدة ولأن الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها واحتج أيضاً بقول الراعي أما الفقير الذي كانت حالته وفق العيال فلم يترك له سبب واحتج أيضاً بقول الاصمعي وأبي عمرو بن العلاء أن الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل إن كل محتاج إلى شيء فهو مفقر إليه وإن كان غنياً عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أتمم الفقراء إلى الله فثبت لهم اسم الفقر مع وجود المال والجواب عن هذه الخجة ما قوله أو مسكيناً ذامراً بصفة وهو حجة للذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لأنه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذامراً بصفة فدل على أنه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والالم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين أنه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفرد بالاسم جاز إطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة إن الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى أخرجه النسائي وأبو داود وله في رواية أخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيهما لغني ولا لقوي مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الشافعي ولفظه إن رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيهما لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغني الذي يمنع من أخذ الصدقة فقالوا لا أكثر من درهمه أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم من مالك خمسين درهماً أو قيمتها لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئله في وجهه خوش أو خدوش أو كدوش قيل يا رسول الله وما يعني قال خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من خمسين درهماً من الزكاة وقيل أر بعين درهمين أو درهمين عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة وقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك الزمان أر بعين درهماً * الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جبهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر به قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا أن الشافعي يقول هو أجره عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح أن الشافعي والمطلب لا يجوز أن يكون عاملاً على الصدقات لما روى عن أبي رافع

انهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجراً وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها إلى الأصناف وهو المروى عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئاً فهو أضعف حالاً منه وعند الشافعي رحمه الله على العكس (والعاملين عليها) هم السعاة الذين يقبضونها

جزأها مائة أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقه أخرجه أبو داود
 فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في إيجاب الزكاة على
 الاغنياء وصرها للمحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول أن المال محبوب بالطبع وسببه
 ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوب لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال
 محبوب بالطبع فاذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات
 المقربة الى الله عز وجل فافتقدت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله
 فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قدوة القلب
 وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقبل ذلك المال الذي هو سبب
 اقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة
 على العبد واخراج المال مشق على النفس فوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة
 أصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع الخرج لها طيبة بهان نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع أن المال
 مال الله والاعنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزانه الذين هم أغنياء بدفع طائفة
 من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد
 العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم
 الامين الذي ينفذ ور بما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي أمر له به
 أحد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء بما تعلق قلوبهم بالاموال التي ايدي الاغنياء فوجب الله
 عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطيبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان
 الاصلية اذا أمسك بقي معطالا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير
 ذلك المال معطالا بالكلية (المسئلة الثانية) الآية تدل على أنه لاحق لاحد في الصدقات الا هؤلاء
 الثمانية وذلك مجمع عليه لان كماله انما تنفذ الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما في كلمة ان للثبات
 وكلمة ما للنفى فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عماءه فدلك على ان الصدقات
 لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية (المسئلة الثالثة) في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء
 والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير
 والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير لذي لا يسأل والمسكين السائل وقال
 ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولو كان الفقير من أنقى نفسه وثيابه ولا يقدر
 على شيء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال
 الشافعي رضي الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمانا كان أو غير زمن والمسكين من له
 مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقعا الكفايته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حال من الفقير
 وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حال من المسكين ومن الناس من قال لافرق بين الفقير
 والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف
 الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلولم تكن حاجتهم أشد من
 حاجة المساكين لم يبدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال البيهقي

لمأرى لبيد النور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا أن الفقير انما سمي فقير الزمانته وحاجته
 الشديدة وتمنعه الزمانته من التقاب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال
 اللهم احبني مسكينا وامتنى مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث

(ويخافون بالله ان جلة المسلمين) وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين في تظاهرون بالاسلام
 تقية (لويجدون ملجأ) مكانا يلجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيراها (أو مدخلا) أو نفقا يندسون
 فيه وهو مقتل من الدخول (٢٥٠) (لولا اليه) لا قبلوا نحوه (وهم بمجموحون) يسرعون اسرعا لا يردهم شيء من الفرس

الجوح (ومنهم) ومن
 المنافقين (من يلمزك في
 الصدقات) يعيبك في
 قسمة الصدقات ويطعن
 عليك (فان أعطوا منها
 رضوان لم يعطوا منها اذ
 هم يستخطون) اذ اللفجاة
 أي وان لم يعطوا منها فاجوا
 السخط وصدقهم بان
 رضاهم وسخطهم لانفسهم
 للدين وما فيه صلاح أهله
 لانه عليه السلام استعطف
 قلوب أهل مكة يومئذ
 بتوفير الغنائم عليهم
 فضجر المنافقون منه (ولو
 أنهم رضوا ما آتاهم الله
 ورسوله وقالوا حسبنا الله
 سيؤتينا الله من فضله
 ورسوله انالى الله راغبون)
 جواب لو محذوف تقديره
 ولو أنهم رضوا لكان خيرا
 لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما
 أصابهم به الرسول من
 الغنيمة وطابت به نفوسهم
 وان قل نصيبهم وقالوا
 كفانا فضل الله وصنعه
 وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا
 غنيمة أخرى فيؤتينا
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أكثر مما آتانا اليوم
 انالى الله في أن يغنمنا
 ويحولنا فضل راغبون ثم

(ويخافون بالله) يعني المنافقين (انهم لمنكم) يعني على دينكم وملتكم (وما هم منكم) يعني أنهم كاذبون
 في أيماهم (واسكنتم قوم يفرقون) يعني أنهم يخافون أن تظهروا على ما هم عليه من النفاق (لويجدون
 ملجأ) يعني حزا وحصنا ومعقلا يلجئون اليه وقيل لوجود ما هو بالهر بوالله وقيل لوجود ما آمنون
 عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولغار قوكم (أو مغارات) يعني غيراها في الجبال جمع مغارة وهو
 الموضع الذي يغور فيه الانسان أي بسـ متر (أو مدخلا) يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في
 الارض كنفق البر بوع وقال الحسن وجهاب دخوله على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا اليه)
 والمعنى أنهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة وأضيقتها لولا اليه
 أي لرجعوا اليه ونحزوا فيه (وهم بمجموحون) يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى أن المنافقين لشدة
 بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لوقدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه
 لشدة بغضهم اياكم قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات) نزلت في ذي الخويصرة التميمي
 واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (ق) عن أبي سعيد الخدري قال بينهما نحن عند رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو يقسم فيأناؤه ذوا الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وبلك من يعدل اذ لم اعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب
 انذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم
 وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يرفقون من الدين وفي رواية من الاسلام كما
 يمرق السهم من الرمية وقال الكبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه
 الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
 يقسم ذهابا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك ان تعدل فاعدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
 وبلك فمن ذابعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا من يهواه
 فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات
 وفي تفرقتها ويطعن عليك في أمرها يقال همزه ولزمه بمعنى واحد أي عابه (فان أعطوا منها) يعني من
 الصدقات (رضوا) يعني رضوا عنك في قسمتها (وان لم يعطوا منها اذ هم يستخطون) يعني وان لم تعطهم منها
 عابوا عليك وسخطوا (ولو أنهم رضوا) يعني ولو أن المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا
 (ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) يعني ما يحتاج
 اليه (انالى الله راغبون) يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغنيننا عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس
 وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم وأعود عليهم قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين)
 الآية اعلم أن المنافقين لما لزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في
 هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولانعلق لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم منها شيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلمزونه ويعيرون عليه فلا طعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات
 عن زياد بن الحرث الصدائي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فبايعته فأناه رجل فقال أعطني من
 الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو

بين مواضعها التي توضع فيها اذ (انما الصدقات للفقراء والمساكين) قصر جنس الصدقات على الاصناف
 المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم
 فيحتمل أن تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة بن عباد وغيرهما من الصحابة والتابعين

(ان يتقبل منكم) أنفق طوعاً وكرهاً ونحوه استغفر لهم ولا نستغفر لهم وقوله أسئئ بنا وأحسني لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
 أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ولم تستغفر لهم ولا نولمك أسأت الدنيا وأحسنت وقد جاز عكسه في قولك رحم الله زيد ومعنى عدم القبول
 انه عليه السلام بردها عليهم ولا يقبلها ولا يشبهها الله وقوله طوعاً أي من غير الزام من الله ورسوله وكرهاً أي ملزمين وسمى الزاماً كراهيها لانهم
 منافقون فكان الزامهم الاتفاق شاقاً عليهم كالأكره (انكم) تعليل لرد انفاقهم (٢٤٩) (كنتم قوماً فسقين) متمردين

عائين (وما منعهم أن يقبل
 منهم نفاقهم) وبالباية جزء
 وعلى (الأنهم كفروا)
 أنهم فاعل منع وهم وأن
 تقبل مفعولاه أي وما
 منهم قبول نفاقهم الا
 كفرهم (بالله ورسوله ولا
 يؤتون الصلاة الا وهم
 كسالى) جمع كسلان (ولا
 ينفقون الا وهم كارهون)
 لانهم لا يريدون بهما وجه
 الله تعالى وصفهم بالطوع في
 قوله طوعاً وسلبه عنهم
 ههنا لان المراد بطوعهم
 أنهم يبدلون من غير الزام
 من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أو من رؤسائهم
 وما طوعهم ذلك الاعن
 كراهة واضطرار لاعن
 رغبة واختيار فلا تجيبك
 أموالهم ولأولادهم إنما
 الله يريد ليعذبهم بها في الحياة
 الدنيا) الاعجاب بالشيء أن
 تسر به سرور راض به
 متعجب من حسنه والمعنى
 فلا تستحسن ما أتوا من
 زينة الدنيا فان الله إنما
 أعطاهم ما أعطاهم
 ليعذبهم بالمصائب فيها أو
 بالاتفاق منه في أبواب الخير

نزلت في الجدين قيس المنافق وذلك أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال أنا أعطيكم
 مالي فانزل الله عز وجل رد عليه قل أي قل يا محمد هذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا طوعاً وكرهاً يعني
 أنفقوا طائعين من قبل أنفسهم أو مكرهين بالاتفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالاتفاق (لن يتقبل منكم) لان
 هذا الاتفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق
 ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياء وسمعة فإنه لا يقبل منه ﴿ ثم علل سبب منع القبول بقوله (انكم) أي لانكم
 (كنتم قوماً فسقين) والمراد بالفسق ههنا الكفر وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما منعهم أن تقبل منهم
 نفاقهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله) أي المانع من قبول نفاقهم هو كفرهم بالله ورسوله (ولايأتون
 الصلاة الا وهم كسالى) جمع كسلان يعني متشاغلين في الايمان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها
 ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً فلذلك ذمهم مع فعلها (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم كانوا يعتقدون
 الاتفاق في سبيل الله مغرماً ومنع ذلك الاتفاق مغناً (فلا تجيبك) يا محمد (أموالهم ولأولادهم) هذا
 الخطاب وان كان مختصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم الا أن المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تجيبوا باموال
 المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد أنه ليس لغيره مثله وهذا
 يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان أن لا يجيب
 بشيء من أمور الدنيا ولذاتها فان العباد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثير ماله وولده فيكثر اعجاب به ماله
 وولده فيبطر ويكفر بنعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا)
 فان قلت كيف يكون المال والولد عذاباً في الدنيا وفيه ما للذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة
 في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تجيبك أموالهم ولأولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في
 الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذاباً في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلها فاذا
 حصل ازاد التعب وتحمل المشاق في حفظها وازداد الحزن والنغم بسبب المصائب الواقعة فيها فمعنى هذا
 القول لا حاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد
 من بني آدم مؤمنهم وكافرهم فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا اليراد
 بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو أن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة وأنه يشاب
 بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً في الدنيا وأما المنافق فإنه لا يعتقد كون الآخرة
 له وانه ليس فيها ثواب فبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والنغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه
 في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم
 همما في الدنيا أخذاً لكافة منهم والنفقة في سبيل الله غير متباين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يشاب
 بالولد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمع وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على
 تخليفه عندهم لا يحمدونهم في الاحرة على ملك لا يعذره (وتزهد أنفسهم) يعني وتخرج أنفسهم (وهم
 كافرون) والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عقابتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة قوله عز وجل

(٢٢) - (خازن) - (ثاني) وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبي أولادهم أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها
 وكل هذا عذاب وتزهد أنفسهم وهم كافرون وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصح لانه
 أخذ برأى اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والامانة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه
 وكذا ارادة الامانة على الكفر

(وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكابدوزورا والآراء في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهوتا بيدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أي على رغم منهم (ومنهم من يقول انذني ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الامم بان لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنتك أمتت أولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجدي بن قيس المنافيق قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني بينات (٢٤٨) الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فاتركي (ألا في الفتنة سقطوا) يعني ان

الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف (وان جهنم محيطة بالكافرين) الآن لان أسباب الاحاطة معهم أو هي تحيط بهم يوم القيامة (ان تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذي نحن متمسون به من الحذر والتهيؤ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أي قضى من خير أو شر (هو مولانا) أي الذي يتولانا وتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنون أن لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تر بصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسين) وهما النصر والشهادة (ونحن تر بصوننا) أي احدى السوآيين اما (أن يصيبكم الله بعداب من

أحبابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبي بن ساول يوم أحد حين انصرف باصحابه عنكم (وقلبوا لك الامور) يعني وأجالوا فيك وفي أمرك وفي ابطال دينك الرأي والغوا في تخذيل الناس عنك وقصدتهم تشببت أمرك (حتى جاء الحق) يعني النصر والظفر (وظهر أمر الله وهم كارهون) يعني ذلك قوله عز وجل (ومنهم من يقول انذني ولا تفتني) نزلت في الجدي بن قيس وكان من المنافقين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجدي بن قيس يا أبا وهب هل لك في جلاذي الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجدي رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بحب النساء واني أخشى ان رأيت بنات الاصفر ان لا أصبر عنهن انذني لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجدي بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعني من المنافقين من يقول انذني لي يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني بينات الاصفر وهم الروم (ألا في الفتنة سقطوا) يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه (وان جهنم محيطة بالكافرين) يعني يوم القيامة تحيط بهم ونجمهم فيها (وقوله سبحانه وتعالى (ان تصبك حسنة تسؤهم) يعني ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان تصبك مصيبة) يعني من هزيمة أو شدة (يقولوا) يعني المنافقين (قد أخذنا أمرنا) يعني أخذنا أمرنا بالجهد والحزم في القعود عن الغزو (من قبل) يعني من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعني مسرورين لمسانالك من المصيبة وسلامتهم منها (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) يعني قل يا محمد هؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلمنا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكره وانزل به أو يجلب لنفسه نفعاً اراده لم يقدر له (هو مولانا) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في جميع أمورهم (قل هل تر بصون بنا) يعني قل يا محمد هؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أيها المنافقون (الا احدى الحسينين) يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما أن يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الآخرة واما أن يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله في رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه في الجهاد في سبيلي واما انابي وتصد بقرسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلاً مانالاً من أجر أو غنيمة أخرجاه في الصحاحين (وقوله سبحانه وتعالى (ونحن تر بصوننا) يعني ونحن نتظر بكم احدى السوآيين (أن يصيبكم الله بعداب من عنده) يعني فيهلككم كما هلك من كان قبلكم من الامم الخالية (أو يديننا) يعني أو يصيبكم ايدي المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهرنا عليكم (فتر بصوا انامعكم تر بصوننا) قال الحسن فتر بصوا مواعيد الشيطان انام تر بصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه (قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً)

عنده) وهو قارة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو بعداب) (بايدنا) وهو القتل على الكفر (فتر بصوا) بنا ما ذكرنا (انامعكم تر بصوننا) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) في وجوه البر (طوعاً أو كرهاً) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها حزة وعلى وهو أمر في معنى الخبر ومعناه هكذا هو بالنصب فيما يديننا من النسخ ولعله بالرفع فلتنظر الرواية اه مصححه

(ولو أرادوا الخروج لاعدوا له) للخروج أو للجهاد (عدة) أهبة لانهم كانوا ميسرولما كان ولو أرادوا الخروج معطيما معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن ثبطوا عن الخروج لكره انبعاثهم (فثبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بانترهيد فيه (وقيل اعدوا) أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالسوسة (مع) (٢٤٧) القاعدين) هو ذم لهم والحاق بالنساء

والصبيان والزمنى اللذين
شأنهم القعود في البيوت
(لو خرجوا فيكم مازادوكم)
بخر وجههم معكم (الا
خبالا) الافسادا وشرا
والاستثناء متصل لان
المعنى مازادوكم شيئا الا
خبالا والاستثناء المنقطع
أن يكون المستثنى من غير
جنس المستثنى منه كقولك
مازادوكم خيرا الا خبالا
والمستثنى منه في هذا
الكلام غير مذكور واذا
لم يذ كر وقوع الاستثناء من
الشيء فكان استثناء متصلا
لان الخبال بعضه (ولا
وضعوا اخلاصكم) واسعوا
بينكم بالتضريب والنمائم
وافساد ذات البين يقال
وضع البعير وضعه اذا أسرع
وأوضهته أنا والمعنى ولا
وضعوا ركائبهم بينكم والمراد
الاسراع بالنمائم لان الركاب
أسرع من المشي وخطفي
المصحف ولا أوضهوا زيادة
الاف لان الفتحة كانت
تكتب ألفا قبل الخط
العربي والخط العربي
اخترع قر يمان نزول

صلى الله عليه وسلم مخبرا في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في
التخلف من غير عذر فعبرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) يعنى الى الغزو
معكم (لاعدوا له عدة) انهى الله باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح (ولكن كره الله
انبعاثهم) يعنى خروجهم الى الغزو معكم (فثبطهم) يعنى منعهم وجبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله
سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصر فهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان
خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم ما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال
ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم لم ياذنه لهم بالقعود
والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه
تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا بقى فلم عاتب الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فتقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التأمل والتدبر في
حاله فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه أذن لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم
بالقعود (وقيل اعدوا مع القاعدين) معناه انهم لما استأذنوه في القعود قيل لهم اعدوا مع القاعدين وهم
النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم البعض اعدوا مع
القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه
في القعود فقال لهم اعدوا مع القاعدين فاغتموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى
بان ألقى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ﷺ ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من
المفاسد فقال تعالى (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) يعنى لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو
مازادوكم الافسادا وشرا أصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذامن
الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم مازادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافسادا ويقاع الجبن
والفشل بين المؤمنين بهو بل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم (ولا وضعوا اخلاصكم) يعنى ولا سرعوا
فيكم وساروا بينكم بالقاء النيمة والاحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يعنى يطلبون لكم ما فتنتون
به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم سنهزمون منهم وسيظهرون
عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي نجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر (وفيكم سماعون لهم)
قال مجاهد يعنى وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم
مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة
لضعف القلب فيقبلونها منهم فان قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين
قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولار بما أورد ذلك
القول في قلوب صفة المؤمنين في بعض الاحوال (والله اعلم بالظالمين) وهذا عيد وتهديد للمنافقين الذين
يقول الفتنة والشبهات بين المؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعنى لقد طلبوا صد

القرآن وقد بقى من تلك الالف ا ترى الطباع فكاتبوا صورة الهمة لفارق فتحها ألفا أخرى ونحوه ولا ذبحه (يبغونكم) حال من الضمير
في أوضعوا (الفتنة) أى يطلبون ان يفتنوك بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أى نماعون
حديثكم فينقلونه اليهم (والله اعلم بالظالمين) بالمنافقين (لقد ابتغوا الفتنة) بصد الناس أو بان يفتكوا به عليه السلام ليله العقبة أو
بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة تبوك

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما
تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب
﴿فصل﴾ استدل بهذه الآية من يرى جواز صدو والذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين أحدهما انه
سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقه الذنب الوجه الثاني انه سبحانه وتعالى قال لم أذنت
لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول اننا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك بوجوب صدو
الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظماله عفا
الله عنك ما صنعت في أمري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ في
ابتداء الكلام وافتتاحه يدل على تعظيم المخاطب به قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل
عفا الله عنك الاحرمة * تعود بفضلك ان أبعد * ألم تر عبادا عدا طوره
ومولى عفاور شيدا هدى * أفلى أقالك من لم يزل * يقبل ويصرف عنك الردى
والجواب عن الثاني أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما أن يكون قد صدر
عنه ذنب في هذه الواقعة أو لافان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو ليليق فقوله عفا الله عنك
يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب
امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض في كتابه
الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى
نهي فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال
نقطوبه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعامه الله بما لم يطلع عليه من
سرهم أنه لو لم ياذن لهم لتعدوا وانه لاجرح عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والريق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال
الداودي انها كرامة وقال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندي ان معناه
عفاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعني في التخلف عنك وهذاجملى على ترك الاولى
والاكمل لاسما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يتبين لك الذين صدقوا) يعني في
اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) معنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف
المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن
يجاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى فى ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره (وانه علم بالمتقين)
يعنى الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يعنى فى التخلف عن الجهاد معك يا محمد
من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون لقوله (وارتابت قلوبهم) يعنى شكك
قلوبهم فى الايمان وانما أضاف الشك والارتباب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا دخله الشك
كان ذلك نفاقا (فهم فى ريبهم يترددون) يعنى أن المنافقين متحذرون لامع الكفار ولا مع المؤمنين وقد
اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقيل انها منسوخة بالآية التى فى سورة النور وهى قوله
سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن
لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون
الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن فى التخلف فكان رسول الله

(حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) يتبين لك الصادق فى العذر من الكاذب فيه وقيل شيان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوب مع ان له ذلك اتركه الا فضل وهم يعاتبون على ترك الا فضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنونك فى ان يجاهدوا (باموالهم وأنفسهم والله عليهم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتابت قلوبهم) شكوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم (فهم فى ريبهم) يترددون) يتحذرون لان التردد يبدن المتحذركان الثبات يبدن المستبصر

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة (في سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فبادرو اليه ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر أى لو كان (٢٤٥) مادعوا اليه مغننا (قريبا) سهل المأخذ

(وسفرا قاصدا) وسطا
مقاربا والقاصد والقصد
المعتدل (لاتبعوك)
لوافقوك في الخروج
(ولكن بعدت عليهم
الشقة) المسافة الشاقة
الشاقة (وسيحلفون بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم)
من دلائل النبوة لانه أخبر
بما سيكون بعد القبول
فقالوا كما أخبروا بالله
متعلق بسيحلفون أو
هو من جملة كلامهم والقول
مراد في الوجهين أى
سيحلفون بمعنى المتخلفين
عند رجوعك من غزوة
تبوك معتذرين يقولون
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
أو سيحلفون بالله يقولون
لو استطعنا وقوله لخرجنا
سد مسد جوابي القسم ولو
جميعا ومعنى الاستطاعة
استطاعة العدة أو استطاعة
الابدان كأنهم تمارضوا
(بهلكون انفسهم) بدل
من سيحلفون أو حال منه
أى مهلكين والمعنى أنهم
يهلكون بها بالخلف
الكاذب أو حال من لخرجنا
أى لخرجنا معكم وان
أهلكا أنفسنا وألقيناها

حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فامعنى هذا الامر قلت من العلم ما من جملة على الوجوب
ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدي
نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان ابا
أيوب الانصاري شهيد بدر او المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخاف عن غزوة غزاها المسلمون
بعده فقل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفر واخفاوا وقالوا لا نجدنى الا خفيفا أو ثقيلًا وقال
الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله
الخفيف والثقل فان لم يكنى الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو وكنت والي على
حصن فقلت شيئا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزوة فقلت يا عم أنت معتذر
عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من محبة يتتليه والصحيح هو القول
الاول انها منسوخة وأن الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك
وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد
من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله) فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس
سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض أو مقعد
أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بما له بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو وبماله فيكون مجاهدا
بماله دون نفسه (ذلكم) يعني ذلكم الجهاد (خير لكم) يعني من القعود والتناقل عنه وقيل معناه ان الجهاد
خير حاصل لكم ثوابه (ان كنتم تعلمون) يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل (لو كان عرضا قريبا) فيه
اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعني غنيمة سهلة قربا بالتناول والعرض ما عرض لك من منافع
الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر (وسفرا قاصدا) يعني سهلا قريبا
(لاتبعوك) يعني لخرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق
على الانسان سلاوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعاني تلك
المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزور الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا
السبب ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبي عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو
قوله تعالى (وسيحلفون بالله) يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة
(لو استطعنا لخرجنا معكم) يعني الى هذه الغزوة (يهلكون انفسهم) يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة
والنفاق وفيه دليل على ان الأيمان الكاذب تهلك صاحبها (والله يعلم انهم لكاذبون) يعني في ايمانهم وهو
قوله لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل (عفا الله عنك لم أذنت لهم)
قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عتاب الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أى في اذنه لمن أذن له في
التخلف عنه من المنافقين حين تبوك لغزور الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنتك
لهؤلاء المنافقين استأذنتك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الاودي اثنتان فعلهما

في النهلكة بما نحمها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم انهم لكاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو مرادف لها
وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكروه لسائر الانبياء عليهم السلام
(لم أذنت لهم) بيان لما كفى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزوة حين استأذنتك واعتلوا بك بعلمهم وهلا استأذنت بالاذن

الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك
 (فصل) في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدي أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
 منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعاً على باطن أبي بكر الصديق في سره
 وإعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختر صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها
 أن هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم لم أبكر دون غيره من أهله
 وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره ومنها أن الله سبحانه وتعالى عاب أهل
 الأرض بقوله تعالى الاتنصره وقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها أن سيدنا
 أبابكر رضي الله تعالى عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازمه وهذا
 دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها ما أنسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا
 دليل على فضله ومنها أن الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني
 اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لأبي بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء أن أبابكر كان
 ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الأحوال ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق إلى الإيمان
 بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر إلى الإيمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير
 فآمنوا على يدي أبي بكر ثم جملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في
 موقف من غزواته الا وأبو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة
 فكان ثانيه ومنها انه ثانيه في تربيته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق ومنها ان الله
 سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها ان الله
 سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على أبي بكر
 واختصاصه بهادليل على فضله والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وأيدته بجنود لم تروها) يعني وأيد النبي صلى
 الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقى الرعب في قلوب
 الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي أعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره وصرف
 عنه كيد الأعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا
 السفلى) يعني كلمة الشرك فهي سفلى إلى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا والله عز بز حكيم) قال ابن عباس
 هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية إلى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا فداها فيما
 بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقبلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده
 الله سبحانه وتعالى حقا وصدقاً قوله سبحانه وتعالى (انفروا خفافاً وثقالاً) يعني انفروا على الصفة التي يخف
 عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يتقبل عليكم فيها وهذا ان الوصفان يدخل تحتها ما أقسام كثيرة فلهذا
 اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شباباً وشيوخاً وقال ابن
 عباس نشاطاً وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافاً من المال يعني فقراء وثقالاً
 يعني أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لاضيعه له والثقل الذي له الضيعة بكره أن يدع ضيعته ويروي عن
 ابن عباس قال خفافاً أهل اليسرة من المال وثقالاً أهل العسرة وقيل خفافاً يعني من السلاح مقلين منه
 وثقالاً يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل
 خفافاً من الحاشية والاتباع وثقالاً مستكثرين منهم وقيل خفافاً يعني مسرعين في الخرج والفرز وساعة
 سماع النفير وثقالاً يعني بعد التروى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الأحوال كلها داخله
 تحت قوله تعالى انفروا خفافاً وثقالاً يعني على أي حال كنتم فيهما فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد

(وأيدته بجنود لم تروها) هم
 الملائكة صرفوا وجوه
 الكفار وأبصارهم عن أن
 يروه وأيدته بالملائكة يوم
 بدر والاحزاب وحنين
 (وجعل كلمة الذين
 كفروا) أي دعوتهم إلى
 الكفر (السفلى وكلمة
 الله) دعوته إلى الاسلام
 (هي) فصل (العليا)
 وكلمة الله بالنصب يعقوب
 بالعطف والرفع على
 الاستئناف أوجه اذهي
 لم تنزل كانت عالية (والله
 عز بز) يعز بنصره أهل
 كلمته (حكيم) بذل أهل
 الشرك بحكمتهم (انفروا
 خفافاً) في النصور
 لنشاطكم له (وثقالاً) عنه
 لمشقة عليكم أو خفافاً لقله
 عيالكم وثقالاً اكثرتها
 أو خفافاً من السلاح وثقالاً
 منه أو ركبانا ومشاة أو
 شباباً وشيوخاً أو مهازيل
 وسبانا أو صحاحاً ومرضى

ويقول اللهم ان الاجر اجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال
ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بيت شعر تام غير هذا البيت
أخرجه البخارى بطوله * شرح غريب ألفاظ الحديث قولها لم أعقل أبوى الا وهما يدينان الدين يعنى
أنهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك النعماء بفتح الباء من برك وكسر الغين الموحدة اسم موضع بينه وبين
مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء لبني نعلبة قوله تكسب
المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعه وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حتى المعدوم
الذى يتعذر كسبه على غيره والقول الثانى انه يملك الشئ المعدوم المتعذر ان لا يتقدر عليه فقيهه وصفه
بالاحسان والكرم والسكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بأمر العيال واقراء الضيف
ونواب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده ألاك جارأى حام وناصر ومدافع عنك
والاستعلان والاعلان اظهار الخفى وقوله فيمنقذ النساء عليه يعنى يزدحم عليه والذمة العهد والامان
واخفاره ناقضها واللاية الجبل والحررة الارض التى تعلوها شجرة سوديقال افعلى الشئ على رسلك بكسر الراء
أى على هيفتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهير وقت شدة الحر والنطاق حبل أو نحوه
تشدبه المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفها من أعلاه الى أسفله لثلاث يصل الى الارض وقولها
ثقف لئن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير
أول الليل وبتشديد هاء سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال
نعق الراعى بالغنم اذا دعاهما لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه فى الحديث وهو
الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلقا يقال غمس فلان حلقا فى آل فلان اذا
أخذ بنصيب من عهدهم وحلقهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب
الفرس بقرب تقريبا اذا عدادون الاسراع والكنانة هى الجمبة التى تجعل فيها السهام والازلام
القداح التى كانوا يستسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعنان الغبار يقال مارزأت فلانا شيا أى
ما أصبت منه شيا والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيا وقوله فى أى أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن
وقوله مبيضين هو بكسر الياء أى هم ذونياب بياض والمريد الموضوع بوضع فيه الثمر كالبيدر وقوله هذا الجمال
هو بالحاء المهملة يعنى هذا الحمل والمحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر وأبقى ذخر وأدوم منقعة فى الآخرة
لاجمال خبير يعنى ما يحمل من خبير من الثمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذى
نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خبير وقد روى هذا الجمال الجليم من
التجمل والرواية الاولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا فى أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل
أنت بمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعمأ بصارهم جعل الطلب يضربون يمينا وشمالا
حول الغار يقولون لود خلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت فى بعض
التفسير شعرا وقد نسب الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع يوقرنى * ونحن فى سد فى ظلمة الغار

لا تخش شيئا فان الله نالنا * وقد تكفل لي منه باظهار

وانما كيد من تخشى بواوره * كيد الشياطين قد كادت لكفار

والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنهى منهم الى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فانزل الله سكينته عليه) يعنى فانزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى

فانزل الله سكينته ما أتى
فى قلبه من الامنة التى
سكن عندها وعلم أنهم
لا يصلون اليه (عليه) على
النبي صلى الله عليه وسلم
أو على أبى بكر لانه كان
يخاف وكان عليه
السلام ساكن القلب

فدفع اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عمر بن
فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخذ به في عبد
الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقبة بن مالك بن جعشم ان اباها أخبره انه سمع سراقبة بن مالك بن
جعشم يقول جاء نارسول كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دبة كل واحد
منهم المني قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدح أقبل رجل منهم حتى قام علينا
ونحن جلوس فقال يا سراقبة اني قد رأيت آتفا أسودة بالساحل أراها محمد أو أصحابه قال سراقبة فعرفت أنهم
هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا أو فلانا انطلقوا باعيننا يتبعون ضالة لهم ثم ابست في المجلس
ساعة ثم قلت قد دخلت فامرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء الكمة فتجسها على وأخذت رجلي
نخرت به من ظهر البيت فخط بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي
حتى دنوت منهم فعثرت في فرسي فخررت عنها فقممت وأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازالام
فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازالام تقرب بي حتى اذا سمعت
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يد افرسي في الارض حتى
بلغنا الركبتين فخررت عنهما ثم زجرتها فمضت فلم تسكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذ لاثر بديها عشان
ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازالام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقوا فركبت فرسي
حتى جثمت ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبص عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك لدية وأخبرتهم ما أخبر ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم
يرزأ في ولم يسألوا في الآن قالوا اخف عنا ما استطعت فسألته ان يكتب لي كتاب من فامر عمر بن فهيرة
فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخذ به في عروة بن الزبير ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجار اقافلين من الشام فكسا الزبير
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حرا الظهيرة فانقلبوا يوم بعد ما طالوا
انتظارهم فلما أروا الى بيوتهم وفي رجل من يهود على ظهر أطم من أطامهم لا يرمي نظرا اليه فبصر برسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب
هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فنار المسلمون الى السلاح فقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة
فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر
للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظلل عاينه
بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو
ابن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي
فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مر بد التمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغلامين فسأواهما بالمر بدلية فخذنه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في
بنيانه ويقول هذا الجمال لاجل خبير وهذا أبرر بنا وأطهر

العماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبو بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسبح في
الارض فأعبد ربى فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبو بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نواب الحق فانالك جار فأرجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل
معه ابن الدغنة فظاف ابن الدغنة عشية في أشرف قر يش فقال لهم ان أبو بكر لا يخرج مثله ولا يخرج
أن يخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نواب الحق فلم
تكذب قر يش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت قر يش جوار ابن الدغنة وأمنوا بأب بكر وقالوا لابن الدغنة
مر بأب بكر فليعبد ربك في داره وليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فاننا نخشى ان يفتن
نساءنا وبنائنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربك في داره ولا يستعلن بصلاته
ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا ببناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذ
عليه نساء المشركين وأبناءؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بلاء لا يملك عينيها اذا
قرأ القرآن فانزع ذلك أشرف قر يش من المشركين فأساوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا
أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربك في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا ببناء داره فاعلن بالصلاة
والقراءة فيه وانا قد خشيت أن يفتن نساءنا وبنائنا فانهم أحب أن يقتصر على أن يعبد ربك في داره فعل
وان أبي الأنا يعلن بذلك فسله أن يرديك ذمتك فاننا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر
الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على
ذلك واما أن ترجع الى ذمتي فاني لأحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني
أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للمسلمين اني رأيت داره هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتيين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة
ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة ونجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك يا أبي أنت وأمي قال نعم خبس أبو بكر نفسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كاتتا عنده من ورق السمرو وهو الخبط أربعة
أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوماني بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل
هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم متفنعاني ساعة لم يكن ياتين فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به
في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك يا أبي أنت وأمي يا رسول الله قال فاني قد أذن
لي في الخروج قال أبو بكر الصحبة يا أبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو
بكر فذهب يا أبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمن قالت عائشة
فجهزناهما أحت الجهار وصنعناهما مسفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به
فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور
فكمنافيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما
بسحر فيصبح مع قر يش بمكة كبات فلا يسمع أمر ايكاد ان به الاوعاه حتى ياتهم ما يخبر بذلك حين يتخطا
الظلام ويرعى عليهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهم ما حتى تذهب ساعة من
العشاء فيبيتان في رسل حتى ينقح بهما عامر بن فهيرة بغاس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث
واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدى هادي يات
والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلقا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قر يش فامناه

تناقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كلمته اعانوه ولم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد (اذ اخرجوا الذين كفروا) يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرج فيه كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله (ثاني اثنين) يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر (اذ هما في الغار) يعني اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة (اذ يقول صاحبه لا تخزن) يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تخزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بكما هم يفرح من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخزن (ان الله معنا) يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية غير ابي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبني على الحوض وصاحبني في الغار اخرجته الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبعثت يداي يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والنسب يد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من أجل مناقبه والنضالة من أوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقة أهله وماله وورثته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاودة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان عملي كما عمل به يوم واحد من أيامه وليلة واحدة من لياليه أما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فمما انتهى اليه قال والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكفنته ووجدني بجانبه نقبا فشق ازاره وسد هابه وبقى منها ثقبان فالتصمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت فذاك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم اتقص عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا تؤدوني الزكاة فقال لومنعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقات يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجباني في الجاهلية خوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينما نص وأناحي اخرجته في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال اذ كرا الطاب فامشي خلفك واذ كر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهى الى الغار قال كانك يا رسول الله حتى استبرأ الغار فدخل فاستبرأ ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان اقتل فانار رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

بذ كرسياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخاري

عن عائشة قالت لم أعقل أبوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر عليهما يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طر في النهار بكرة وعش. يا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك

(اذ اخرجوا الذين كفروا) أسند الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه (ثاني اثنين) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وأبو بكر واتصبا به على الحال (اذ هما) بدل من اذ اخرجته (في الغار) هو نقب في أعلى ثور وهو جبل في بطن مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان (صاحبه) لا تخزن ان الله معنا) بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله جامتين فباضتا في أسفله والغنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم ففعلوا بترددون حول الغار ولا يفتنون قد أخذ الله أبصارهم عندهم ولما من أنكر محبة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة

(والله لا يهدي القوم الكافرين) حال اختيارهم الثبات على الباطل (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا) أخرجوا (في سبيل الله) اتناقلتم) تناقلتم وهو أصله الآن التاء أدغمت في التاء فصارت ثاء ساكنة (٢٣٩) فدخلت ألف الوصل لئلا يتبدأ بالساكن أي

تباطأتم) إلى الأرض ضمن معنى الميل والاختلاص فعدى إلى أي ما تم إلى الدنيا وشبهها ونها وكرهتم مشاق السفر ومتاعه أي ملتتم إلى الإقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وحظ وقيط مع بعد الشقة وكثرة العدو وفشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه في غزوة الأورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (أرضيتم بالحياة الدنيا من متاع الآخرة) بدل الآخرة (فما

(والله لا يهدي القوم الكافرين) يعنى أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أيهم لم يسبق له في الأزل أنه من أهل النار ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله اتناقلتم إلى الأرض) نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الأورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفره بعد ما فاوز وعددا كثيرا ورجل للمسلمين أمرهم ليمتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتناقلوا فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم يعنى قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفروا في سبيل الله أي أخرجوا إلى الجهاد يقال استنفر الامام الناس إذا حثهم على الخروج إلى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وإذا استنفرتم فأنفروا والاسم النفر اتناقلتم أي تناقلتم وتباطأتم عن الخروج إلى الغزوة إلى الأرض يعنى لزمتم أرضكم ومساكنكم وإنما استتقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة إلى كثرة الاستعداد من العدد وال زاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) يعنى أرضيتم بحفض العيش وزهرة الدنيا ودعوتهم من نعيم الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) يعنى ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونيعم الآخرة باقى على الابد فلهدا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة إلى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تناقلهم عن الجهاد أمر منكرو فلو لم يكن الجهاد واجبا لعاتبهم على ذلك التناقل ويؤكده هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهي قوله تعالى (الأنفروا) يعنى ان لم تنفروا أيها المؤمنون إلى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه (يعذبكم عذابا أليما) يعنى في الآخرة لان العذاب الليم لا يكون إلا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فمتناقلوا فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قومًا غيركم) يعنى خيرامنكم وأطوع قال سعيد بن جبيرهم أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على أنه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه إلى الخروج إلى حيث استنفروا حصلت النصره بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تناقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصره بغيرهم وحصلت العتبي لهم لثلاثتهم وان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل إلا بهم وهو قوله تعالى (ولا تنصروه شيئا) قيل الضمير راجع إلى الله تعالى يعنى ولا تنصروا الله شيئا لانه غنى عن العالمين وانما تنصرون أنفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ولا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره على أعدائه ولا يتخذله (والله على كل شيء قدير) يعنى انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل (الأنصروه فقد نصره الله) يعنى الاتنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن

ينصروه وعده كائن لا محالة (والله على كل شيء) من التبديل والتعذيب غيرهما (قديرا) الاتنصروه فقد نصره الله الاتنصروه فسينصروه من نصره حين لم يكن معه الرجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصروه في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت

الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما استسكت به من ملّة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامّة معاش
العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متواليّة ور بما وقعت حروب في
بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال ففسؤوا يعني آخر وأتخر يم شهر الى
شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر فيستحلون الحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير
تحريم صفر آخر وه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم
على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فنجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في
صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي
القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه شهر ذي الحجة وهو شهر
الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمبى وأعلمهم ان أشهر النسيء
قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض
وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم
وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مسمتانف الايام واختلافوا في أول من نسا النسيء فقال ابن عباس
والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسا النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية
الكناني وقال الكلابي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في
الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام يخطب الناس فيقول لامر دلم افضيت أنا الذي لأعاب ولا أجاب فيقول له
المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك
حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في
الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه
وسلم وقال عبد الرحمن بن زبد بن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القامس قال شاعرهم
* وفي ناسي الشهر القامس * وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوير عن
الضحاك عن ابن عباس ان أول من سبب النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذي صح من حديث
أبي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي أول من سبب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو
ابن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء عز زيادة في
الكفر يعني زيادة كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم
ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة أخره الى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فاقوعوه في غير وقته من الاشهر
الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يضل به الذين كفروا) قرئ بضل بفتح الياء وكسر الضاد
ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ بضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلواهم وحلواهم
عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان
الذين كفروا يتز بين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابيعهم والآخذين بافعالهم وهذا الوجه أقوى
الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) يعني يحلون ذلك
الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر الحرم عاما فيجعلونه حلالا لا يغير وافيه ويحرمونه عاما
فيجعلونه محرما لا يغيرون فيه (ليواطوا) يعني ليوافقوا (عدة ما حرم الله) يعني أنهم ما حلوا شهر من
الحرم الا حر ما شهر امكانه من الحلال ولم يحرموا شهر من الحلال الا حلوا مكانه شهر من الحرام لاجل
أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لافي الحكم كذلك قوله
سبحانه وتعالى (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل

(يضل) كوفي غير أبي بكر
(به الذين كفروا) بالنسيء
والضمير في (يحلونه عاما
ويحرمونه عاما) للنسيء
أى اذا أحلوا شهرا من
الاشهر الحرم عاما رجعوا
حرموه في العام القابل
(ليواطوا عدة ما حرم
الله) ليوافقوا العدة التي
هي الاربعة ولا يتخلفوها
وقد خالفوا التخصيص
الذي هو أحد الواجبين
واللام تتعاقب يمحله
ويحرمونه أو يمحرمونه
فحسب وهو الظاهر
(فيحلوا ما حرم الله) أى
فيحلوا بما وطأه العدة
وحدها من غير تخصيص
ما حرم الله من القتال
أو من ترك الاختصاص
للشهر بعينها (زين لهم
سوء أعمالهم) زين
الشيطان لهم ذلك فحسبوا
أعمالهم القبيحة حسنة

وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يهجه ولم اجاء الاسلام لم يرد لها الاحرمه وتعظيمه لان الحسنات والطاعات فيها تضعف وكذلك السيئات أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم (ذلك الدين القيم) يعني ذلك الحساب المستقيم والعدو الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدو في صومهم ونجهم وأعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم وربح مضر الذي بين جدى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيديسه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيديسه بغير اسمه قال أليس التبدل الحرام قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيديسه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا واستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يباغ عن أى على من بعض من سمعه ثم قال ألهل بلغت الأهل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد ﷻ وقوله تعالى (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الأشهر أى لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعال المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى المعاصي وقيل ان الكناية ترجع الى الأشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجر في الأشهر الحزم والظلم فيهن أعظم منه في ما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعلوا حلالا حراما ولا حراما حلالا كفعال أهل الشرك وهو النسب وقيل ان النفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقى الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والأشهر الحرم المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الأشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الأشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدبروا ولا تنفشلوا ولا تتجنبوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم فقال قوم كان كبير احرامهم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الأشهر الحرم وفي غيرها وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهرى وسفيان الثورى قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزاها وازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن حريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح ما يحمل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) يعني بالنصر والمعونة على أعدائهم قوله سبحانه وتعالى (انما النسب زيادة في الكفر) النسب في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسب في البيع ومعنى النسب المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة

واحد فرد وهو رجب لترجيبي العرب اياه أى لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أى الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعنى أن تحريم الاربعه الاشهر هو الدين المستقيم ودين ابراهيم واسماعيل وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسب فيفيروا (فلا تظلموا فيهن) في الحرم أو في الاثني عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصي (وقاتلوا المشركين كافة) حال من الفاعل والمفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا ان الله مع المتقين) أى ناصر لهم حتى على التقوى بضمان النصرة لاهلها (انما النسب) بالهزمة مصدر نساء اذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهر آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زيادة في الكفر) أى هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم

يوم يحمي عليها فلما
حذفت النار قيل يحمي
لاتقال الاستناد عن النار
إلى عليها كما تقول رفعت
القصة إلى الأمير فان لم تذكر
القصة قلت رفع إلى الأمير
(فتكوى بها جباههم - م
وجنوبهم - م وظهورهم)
وخصت هذه الأعضاء لأنها
كانوا إذا أبصروا الفقير
عبسوا وإذا صمهم واياهم
مجلس ازوروا عنه وتولوا
باركانهم وولوه ظهورهم
أو معناه يكوون على
الجهات الأربع مقاديمهم
وما خبرهم وجنوبهم - م
(هذا ما كنتم لانفسكم)
يقال لهم هذا ما كنتموه
انتفع به نفوسكم وما علمتم
أنكم كنتموه لتستضر به
أنفسكم وهو توبيخ
(فدقوا ما كنتم تكفرون)
أي وبال المال الذي كنتم
تكفرونه أو وبال كونكم
كانتم في (ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا)
من غير زيادة والمراد بيان
ان أحكام الشرع تبنت على
الشهور القمرية المحسوبة
بالأهلة دون الشمسية (في
كتاب) الله فيما أنبته وأوجبه
من حكمه وفي اللوح (يوم
خلق السموات والأرض
منها أربعة حرم) ثلاثة
سردنوا القعدة للقعود عند
القتال وذو الحجة للحج
نحرم لقتال فيه

حتى جلت فلم أتقار حتى قت فقات يارسول الله فذاك أبي وأمي بن هم قال هم الاكثر من أموال الامن قال
هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم صاحب ابل ولا بقرو ولا
غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه تنطحه بقر ونها ونطوه باظلافها كلما نفدت
آخرها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس هذا اللفظ مسلم وقره البخارى فى موضعين ﴿ وقوله تعالى
(يوم يحمي عليها) يعنى على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة (فى نار جهنم
فتكوى بها جباههم) يعنى بالكنوز جباه كانوا فيها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لا يوضع دينار
على دينار ولا درهم ولا درهم وسكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم فى موضع على حدته قال بعض العلماء إنما
خص هذه الأعضاء بالسكى من بين سائر الأعضاء لان الغنى صاحب المال اذا أتاه السائل فطلب منه شيئا تبدو
منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكالح وتجمع أسارير وجهه فيتجمع جبينه ثم ان كرر
السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح فى السؤال ولا يظهره
واعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهى النهاية فى الرد والغاية فى المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل
وهذا دأب مانع البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الأعضاء الثلاثة بالسكى يوم القيامة ﴿ وقوله
سبحانه وتعالى (هذا ما كنتم لانفسكم) أى يقال لهم ذلك يوم القيامة (فدقوا ما كنتم تكفرون) أى
فدقوا عذاب ما كنتم فى الدنيا من الاموال ومنعمت حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت
المدينة فبينما أنا فى حلقة فيها ملامن قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم
فقال بشر الكافرين برضف يحمي عليه فى نار جهنم فيوضع على حافة ندى أحدهم حتى يخرج من غض
كتفيه ويوضع على غض كتفيه حتى يخرج من حامة نديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فآرأيت أحدا
منهم يرجع اليه شيئا قال فادبر فابتعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم
فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا هذا اللفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها وزاد البخارى ١ قلت من هذا قالوا
أبو ذر قال فقلت اليه فقلت ماشى سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الاشياء سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم
﴿ قوله عز وجل (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر
وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة
القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يعتد بها المسلمون فى صيامهم
ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة
الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة مائة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص
السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم
نارة فى الشتاء ونارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذى كانت العرب
تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم نارة فى وقتهم ونارة فى المحرم ونارة فى صفر ونارة فى غيره من الشهور فاعلم
الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التى يعتدونها بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو
قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (فى كتاب الله) يعنى فى اللوح
المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه
آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم الذى أوجبه وأمر عباده بالاخذ به (يوم
خلق السموات والأرض) يعنى أن هذا الحكم حكمه وقضاه يوم خلق السموات والأرض أن السنة اثنا عشر
شهرا (منها) يعنى من الشهور (أربعة حرم) وهى رجب فردو وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متواليه
وإنما سميت حرما لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان أحدهم لقي قاتل أبيه

الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في منزله ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الإسلام قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال إخراجه لا احتياج غيره إليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يابني الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا تطيب ما بقي من أموالكم وانما فرض الموارث لتكون ان بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له الا أخبرك بخير ما يكثر المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرتة وادامها أطاعته واذا غاب عنها حافظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كالمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذا كرو قلب شاكرو وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال القول الأول وهو ما ذكرناه عن ابن عمر ان كل مال أديت زكاته فليس يكنز ولا يجرم على صاحبه ا كتنازه وان كثروا ن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفو وغفرانه ويبدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحى عليها نار جهنم فيكوى بها جنبه وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعصه بافواها كلما مر عليه وألاها رده عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالبقرة والغنم قال ولا صاحب بقرة ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة يطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عصاء ولا جلاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه وألاها رده عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الأولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس والعصاء هي الشاة المتتوبة القرنين وانما استثنائها لانها لا تؤلم بنطحها وكذا الجلاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ به زمتيه يعني شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذبح وهي صفة أخبت الحيات والزبيبتان هما الذبذبان في الشدقين والهمزتان عظيمتان اثنتان في اللحيين تحت الاذنين وقوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله) يعني لا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها لم يقل ينفقونها لان رد الكفاية الى المال المكسور هو أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكفاية الى الفضة لانها أغلب أموال الناس (فبشرهم بعذاب أليم) يعني الكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فمارأني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فحنت

(ولا ينفقونها في سبيل الله)

الضمير راجع الى المعنى لان كل واحد منها دنانير ودرهم فهو كقوله وان طانقتان من المؤمنين اقتتلوا وأريد الكسور والاموال أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله

فاني وقيارها بالغير وقيار كذلك وخصا بالذكور من بين سائر الاموال لانها قانون التمول وأثمان الاشياء وذكور كثرهما دليل على مساوئهما (فبشرهم بعذاب أليم) ومعنى قوله

حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبي حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية
صاغرين وجرى عليه حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا ان كثير من الاحبار والرهبان) قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان
من النصارى وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا دليلا على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا أموال
الناس بالباطل واعلمهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله
تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو
أعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من أجله آكلوا أموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون
الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمساححة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بأيديهم كتبيا يحرقونها
ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها غنا قليلا وهي المال التي كانوا يصبونها من سفلتهم
على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وقوه لذهبت عنهم
تلك المال كل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار
والرهبان يذكرون في تاولها وجوها فاسدة باطلة ويحرقون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع
الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكتزون الذهب والفضة) أصل الكنز في اللغة جعل
المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب
والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد
على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخيل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة
منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانى الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قريح طريقة
الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال
ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى
وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع
الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا
بأبي ذر فقلت ما نزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت بأومعاوية في هذه الآية والذين يكتزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان
يبنى وينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان ان أقدم المدينة فقدمتها فكثرت على
الناس حتى كانوا لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تمنحيت فكنت قريبا فذاك الذي
أنزلني هذا المنزل ولو امر على عبد حبشي سمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال
وجبت فيه الزكاة فلم تؤد ذلك ورؤى عن ابن عمر أنه قال له اعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين
يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد ذلك
ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهر اللاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك
عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى
منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما أدبت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد
زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوي به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروى عن علي بن أبي
طالب قال أربعة آلاف فافوقها كنز وما دونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه
اليه وروى الطبري بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى

(ولو كره المشركون يا أيها
الذين آمنوا ان كثير من
الاحبار والرهبان ليأكلون
أموال الناس) استعار
الاكل للاخذ (بالباطل)
أى بالرشا في الاحكام
(ويصدون) سفلتهم (عن
سبيل الله) دينه (والذين
يكتزون الذهب والفضة)
يجوز أن يكون اشارة الى
الكثير من الاحبار
والرهبان للدلالة على اجتماع
خصتين ذميتين فيهم
أخذ الرشا وكنز الاموال
والضن بهما من الانفاق في
سبيل الخير ويجوز أن
يراد المسلمون الكاذبون
غير المنفقين ويقرن بينهم
وبين المرتشين من أهل
الكتاب تغليظا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما أدى
زكاته فليس بكنز وان كان
باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يرك
فهو كنز وان كان ظاهرا
ولقد كان كثير من الصحابة
رضى الله عنهم كعبد الرحمن
ابن عوف وطلحة يفتنون
الاموال ويتصرفون فيها
وما عابهم أحد عن اعراض
عن القنية لان الاعراض
اختيار للافضل والاقتناء
مباح لا يذم صاحبه

حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله ونحريم ما أحل الله كما يطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم (والمسح ابن مريم) عطف على أخبارهم أي اتخذوه ربا حيث جاء لود ابن الله ومأمروا بالعبادة الواحدة ويجوز الوقف عليه لأن ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا لواحد (الاله الا هو سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن الاشرار (يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) مثل حالهم في طاعتهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيدوه ببلغه الغاية القصوى من الاشرار ليطفئه بنفسه أجرى ويأبى الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع في مقابلة يريدون والا يقال كرهت أو بغضت الا زيدا (هو الذي أرسل رسوله) محمد عليه السلام (بالقرآن (ودين الحق) الاسلام (ايظهره) ليعليه (على الدين كله) على أهل الاديان كلها أو يظهر دين الحق على كل دين

دون الله يعني أنهم اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك أنهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبل أنفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن علي بن حاتم قال أثبت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعه يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم وانكسرتهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله ابن المبارك وهل يدل الدين الامم الملك * وأخبار سوء ورهبانها

(والمسيح ابن مريم) يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والجلول اعتقدوا فيه الالهية (ومأمروا) يعني ومأمروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة أنبيائهم (الاي عبدوا الها واحدا) لأنه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (الاله الا هو سبحانه عما يشركون) أي تعالى الله وتنزه عن أن يكون له شريك في العبادة والاحكام وأن يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال (يريدون) يعني يريد رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفؤا نور الله بافواههم) يعني يريدون لئلا يظلال الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تتكديهم اياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجز له باقية على الابد الدالة على صدقه وثالثها أن دينه الذي أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والالتقيا دلامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجزيد النصر واللاء الكلمة واطهار الدين بقوله (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) يعني ويأبى الله الا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون قوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله) يعني أن الله الذي يأبى الا أن يتم نوره هو الذي أرسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) يعني بالقرآن الذي أنزل عليه وجعله هاديا اليه (ودين الحق) يعني دين الاسلام (ليظهره) يعني ليعليه (على الدين كله) يعني على سائر الاديان وقال ابن عباس الها في ايظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الها راجعة الى الدين الحق والمعنى اي يظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو أن لا يعبد الله الا به وقال أبو هريرة والضحاح ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين الا دخلوا الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ومهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا بر الا دخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزير أو بذل ذليل اما أن يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما أن يذلهم فيدينون له أخرجه البغوي بغير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد الالات والعزى فقلت يا رسول الله انى كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ماشاء الله ثم بعث الله محمدا بمحاطبة تتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خيرة فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعي وقد أظهر ان الله دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بان أبان لكل من سمع أنه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين

ذلك قولهم بافواهم) أى
قول لا يعضده برهان ولا
يستند الى بيان فها هو الا
لفظ يفوهون به فارغ عن
معنى تحته كالاتي الماهلة
(يضاهون) قول الذين
كفروا من قبل) لا بد فيه
من حذف مضاف تقديره
يضاهى قولهم قولهم ثم
حذف المضاف وأقيم الضمير
المضاف اليه مقامه فانقلب
مر فوعا يعنى ان الذين كانوا
فى عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اليهود
والنصارى يضاهى قولهم
قول قدامتهم يعنى أنه كفر
قديم فيهم غير مستحدث
أو الضمير للنصارى أى
يضاهى قولهم المسيح ابن
الله قول اليهود عزير ابن
الله لانهم أقدم منهم
يضاهون عاصم وأصل
المضاهاة المشابهة والاكثر
ترك الهمز واشتقاقه من
قولهم امرأة ضهياء وهى
التي أشبهت الرجال بانها
لا تحيض كذا قاله الزجاج
(قاتلهم الله) أى هم أحقاء
بان يقال لهم هذا (أنى
يؤفكون) كيف يصرفون
عن الحق بعد قيام البرهان
(اتخذوا) أى أهل الكتاب
(أخبارهم) علماءهم
(ورهبانهم) نساكهم
(أربابا) آلهة (من دون
الله

غادر حرافة قالوا ان الله لم يقذف التوراة فى قلب عزير إلا أنه ابنه فعد ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى
هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا فى اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فأخبر الله تعالى به عنهم وأظهره
عابهم ولا عبرة بانكار اليهود وذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح
ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وعثمانين سنة يصلون
الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص
قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرناو النار
مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فانى سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمدا
الى فرس كان يقابل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى
فقالوا له من أنت قال أنا عذوكم بولص فقد نوديت من السماء أنه ليس لك توبة حتى تنصروا وقد تبنت وأنتكم
فادخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتهم فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان
الله قبل تو بتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمدا الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخرا
يعقوب والآخرا ملكان فعلم نسطور ان عيسى ومرمى والاله ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان
ولكنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى
الخلوة وقال له أنت خالصتى وادع الناس لماء امتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت
عيسى فى المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد منهم انى سأذبح نفسى تقر بالى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح
نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخرا الى ناحية أخرى وأظهر
كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فقبه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال
فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام نضر الدين الرازى بعد أن حكى هذه الحكاية والاقرب
عندى أن يقال لعله ذكر لفظ الابن فى الانجيل على سبيل التشرىف كجوردا لفظ الخليل فى حق ابراهيم على
سبيل التشرىف فبالغو وفسر والفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفساهوا هذا المذهب
الفاسد فى اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال (ذلك قولهم بافواهم) يعنى أنهم يقولون
ذلك القول باستمته من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعانى لم يذكر الله قولنا بالافواه والالسن
الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له (يضاهون) قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال
مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفروا من قبل) قال قتادة والسدى معناه ضاهت
النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه
يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله
كفرا اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد أن من كان فى عصر
النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قاله أولوهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله
وقال بن جرير قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقابلة ولكن على التعجب أى حق أن يقال لهم هذا
القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه فانه ما أعجب فعله (أنى يؤفكون) يعنى
أنى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجج بان الله واحد فلو ولد تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب
على عادة العرب فى مخاطبتهم فانه سبحانه وتعالى عجب بنبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم
على الباطل قوله سبحانه وتعالى (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يعنى اتخذ اليهود
والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أربابا من

وسلم لما وجهه الى اليمن امره أن يأخذ من كل عالم أى محتلم دينارا أو عدله من المعافرة ثياب تكون باليمن
أخرجه أبو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغنى
والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وإنما تؤخذ من الأحرار البالغين
وذهب قوم الى أن على كل موسر أو بعة دنائير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول
أصحاب الرأي ويدل عليه ما روى عن أسلم أن عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب بأربعة دنائير
وعلى أهل الورق بأربعين درهما ومع ذلك أزرأق المسلمون وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك في الموطأ قال
أصحاب الشافعي أقل الجزية دينارا ليزاد على الدينار بالاتراضي فإذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضربنا على
المتوسط دينارين وعلى الغنى بأربعة دنائير قال العلماء إنما أقر أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل
الشرك حرمة آباؤهم الذين انقروا على الدين من شريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل وأيضا
فإن بأيديهم كتب قديمة فربما تنكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهالوا لهذا
المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب إقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن
دمائهم وإمهالهم رجاء أن يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا وصدقوا إذا رآوا محاسن الإسلام وقوة
دلالة وكثرة الداخلين فيه ﷺ قوله عز وجل (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله)
الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمه أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين
الحق يدنه في هذه الآية فآخبر عنهم أنهم أثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لانه لا فرق بين
من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا أنهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب
أخذ الجزية منهم وإبقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعلمهم بتفكيرون
فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير إنما
قال هذه المقالة لرجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال إن الله فقير ونحن أغنياء فعلى
هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد أو ما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا
على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وإنما يركب فرسا واحدا
منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعلمه يجالس الواحد منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس
أنه قال إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزير كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا
التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا
الله عزير وأبتهل اليه أن يرد اليه التوراة فيبينها هو صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل
جوفه فعادت اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد أتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله
ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه
مشله فقالوا ما أوتي عزير بهذا إلا أنه ابن الله وقال السكبي إن نختصر لما غزيت المقدس وظهر على بني
اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير إذا كان صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت
المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزير ليجددهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما أماته الله
مائة سنة قال فأتى ملكا ببناء فيه ماء فشرب منه فقلت له التوراة في صدره فلما أنهم قال أناعزير فكدبوه وقالوا
إن كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم إن رجلا منهم قال إن أبي حدثني عن جدى إن
التوراة جعلت في خابية ودفتت في كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعاروضوها ما كتب لهم عزير فلم يجدوه

(وقالت اليهود) كاهن
أو بعضهم (عزير بن الله)
مبتدأ وخبر كقوله المسيح
ابن الله وعزير اسم
أعجمي ولجيمته وتعريفه
امتنع صرفه ومن نون
وهم عاصم وعلى فقد جعله
عربيا (وقالت النصارى
المسيح ابن الله)

هو الحق يقال فلا بد من
 بكذا اذا اتخذ دينه ومعتقده
 (من الذين أتوا الكتاب)
 بيان للذين قبله وأما
 الجوس فلحقون بأهل
 الكتاب في قبول الجزية
 وكذا الترك والهنود
 وغيرهما بخلاف مشركي
 العرب لما روى الزهري
 أن النبي عليه السلام
 صالح عبدة الاوثان على
 الجزية الامن كان من
 العرب (حتى يعطوا
 الجزية) الى أن يقبلوها
 وسميت جزية لانه يجب
 على أهلها أن يجزوه أى
 يقضوه وأهى جزاء على
 الكفر على التحميل في
 تذييل (عن بد) أى عن
 يد موثبة غير متمتع ولذا
 قالوا أعطى بيده اذا انقاد
 وقالوا زرع يده عن الطاعة
 أوحى يعطوها عن يده الى
 يد نقد غير نسيئة لامبعوثا
 على يد أحد ولكن عن
 يد المعطى الى يد الآخذ
 (وهم صاغرون) أى
 تؤخذ منهم على الصغار
 والنذل وهو أن يأتيها
 بنفسه ماشيا غير راكب
 ويسلمها وهو قائم والمتسلم
 جالس وان يتسلل لتسلية
 ويؤخذ بتليبه ويقال
 له أدا الجزية باذمى وان كان
 يؤديها ويؤخذ في فقهه
 وتسقط بالاسلام

الكتاب) يعنى أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يُعطوا الجزية) وهى ما يعطى الماهد من أهل
 الكتاب على عهده وهى الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزائها فى حقن دماهم (عن بد)
 يعنى عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى شيئا كرهه من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس
 يعطونها بابديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقد الانسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام
 المسلمين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو النذل والاهانة يعنى يعطون الجزية وهم أذلاء
 مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائمون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من
 أحدهم وتوطأ عنقه وقال السكبي اذا أعطى يصفع ففاهه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب فى لحيته
 ويقال له ادحق الله يا عدو الله وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين
 عليهم

فصل فى بيان أحكام الآية * اجتمعت الاممة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود
 والنصارى اذ لم يكونوا عر باوختلفوا فى أهل الكتاب العرب وفى غير أهل الكتاب من كفار الجهم فذهب
 الشافعى الى ان الجزية على الاديان لاعلى الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجماء ولا تؤخذ
 من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أكيدر
 دومة فاخذته فاتوا به فخن دمه وصالحه على الجزية فأخرجه أبو داود وقال الشافعى وهو رجل من العرب
 يقال انه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعى الى ان الجزية تؤخذ من
 جميع الكفار الا المرتد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي الجهم ولا
 تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربى كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من الجهمى
 كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فانفتت الصحابة على جواز الاخذ منهم وبدل عليه ماروى عن بحالة بن
 عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر أخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب
 ذكرا المجوس فقال ما أدرى كيف أصنع فى أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أنى سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول سنواهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك فى الموطأ عن ابن شهاب قال بلغنى ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرى وان عمر أخذها من مجوس فارس وان
 عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه مالك فى الموطأ وفى امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى
 شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ
 من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا فى أن المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن
 على بن أبى طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم
 وانفقوا على تحريم ذبائحهم ومنا كحتمهم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل فى دين اليهود والنصارى من
 غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحمل
 منا كحتمهم وذبائحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ مجئ محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شرعهم بشرى يعته
 فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومنا كحتمهم ومن شككنا فى أمرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله
 يقرون بالجزية تغلبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومنا كحتمهم تغلبا للتحريم ومنهم نصارى العرب من
 تؤخ وبمراء ونى تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسبيلهم سبيل أهل
 الكتاب فهم فى أهل الكتاب كاهل البدع فى المسلمين وأما قدر الجزية فاقها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه
 ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط وبدل عليه ماروى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه

الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهى القرابان النهى عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تكبيرهم منه (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدمهم عليكم من الارقاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر حبيج الاسلام (ان شاء) هو تعليم لتعليق الامور بمشيئة الله تعالى لتقطع الآمال اليه (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) في تحقيق آمالكم أو عليم بمصالح العباد حكم فيما حكم وأراد ونزل في أهل الكتاب (قائلوا الذين لا يؤمنون بالله) لان اليهود مثنية والنصارى مثلية (ولا باليوم الآخر) لانهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون أن لا كل في الجنة ولا شرب (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) لانهم

فيها الامساك اذ في رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاههم عمر في خلافته وأجل لمن يقدم ناجر اثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ مسلا (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قديس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من أقصى عدن الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام عرضا * والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر أن يقيم فيها بعد الهد وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا بذن مسلم وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) يعني العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على براءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) يعني فقرا وفاقة وذلك ان أهل مكة كانت معاشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله عز وجل وان خفتم عيلة (فسوف يغنيكم الله من فضله) قال عكرمة فاغناهم الله بان أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقناة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها (ان شاء) قيل انما شرط المشيئة في الغني المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهاج الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد أمه من كل أحد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (ان الله عليم) يعني بما يصلحكم (حكيم) يعني أنه تعالى لا يفعل شيئا الا عن حكمة وصواب فن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذلل والصغار على أهل الكتاب فقال تعالى (قائلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) قال مجاهد نزلت الاية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الزوم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال السكيتي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزيرة أصابها أهل الاسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين والمعنى قائلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت ايمانهم بالله ليس كما يمان المؤمنون وذلك أن اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وقيل من اعتقد أن عزير ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما ايمانهم باليوم الآخر فليس كما يمان المؤمنون وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كما يمان المؤمنون وان زعم أنه مؤمن وقوله تعالى (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) يعني ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناها أنهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناها لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرقوهما وأتوا بالحكم من قبل أنفسهما (ولا يدينون دين الحق) يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناها ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم (من الذين أتوا لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة ولا يعلمون بما في التوراة والانجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي

(اذ) بدل من يوم (اعجبتكم كثيرتمكم) فادرك المسامحة كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهم مواحي بلغ فاهم مكتوب بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الاعمال العباس اخذ بالجمادى وابتها أبو سفيان بن الحرث ابن عمه اخذ بركابه فقال للعباس

(٢٢٨)

صح بالناس وكان صيدا فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك

لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلقي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماه به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهمزوا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشي وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تكن عنكم شيئا وضافت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدر ية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بشباب السفر أى ملتبسها والمعنى لم نجد واما موضعا لفراركم عن أعدائكم فكانها ضاقت عليكم (ثم ولتيم مدبرين) ثم انهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) رحمة التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة آلاف أو ستة عشر ألفا (وعذب

مواطن كثيرة يوم حنين) اذ اعجبتكم كثيرتمكم) يعنى حين قائم ان تغلب اليوم من قلة (فلم تكن عنكم) يعنى كثيرتمكم (شيئا) يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدو ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) يعنى بسعتها وفضائها (ثم ولتيم مدبرين) يعنى منهزمين (ثم أنزل الله سكينته) يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهى فعيلة من السكون وذلك أن الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحررا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله تعالى (على رسوله وعلى المؤمنين) انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذييل المشركين وتجيئهم للقتال لان الملائكة لم تقابل الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعنى بالاسر والقتل وسبي العيال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعنى في الدنيا ثم اذا أفضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعنى فيهدى به الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث أسلموا وقد مواعى رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فن عليهم وأطلق سبيهم (والله غفور) ان تاب (رحيم) بعباده وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من اصناف الكفار وقيل بل أراد جميع اصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لاجتماع العين سموا نجسا على النجس لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أنجاس العين كالكب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحذون فلا يتوضؤون (فلا يقربوا المسجد الحرام) المراد منهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويقو كدهذا قوله تعالى سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هاني قال العلماء وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام * أحدها الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذميا كان أو مستأما: الظاهر هذه الآية وبه قال الشافعى وأجد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد بدخول الحرم * القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهايم ونصفها حجازى وقيل كلها حجازى وقال ابن السكيتي حد الحجاز ما بين جبل طي وطريق العراق سمي حجاز لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحرابي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر مقام من المسافر وهو ثلاثة أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك

الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد

فيها ذلك على من يشاء) وهم الذين أسلموا منهم (والله غفور) يستر كفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصر الولي بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذو ونجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقد قدر الان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولا تهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مابغة في وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا

وقتل أبو عامر أمير المساميين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصروهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقدم بها غنائم حنين وأوطاس وتآلف أناس منهم أبو سفيان ابن حرب والحرب بن هشام وسهيل بن عمرو والقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك إن ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تطر من دماهم قال انس حدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارس الى الانصار فجمعهم في قبة من آدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فها انصار اماذا ورأينا يا رسول الله لم يقولوا شيئا وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تطر من دماهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أعطى رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون أن تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رجالكم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قدر ضينا قال فانكم ستجدون بهدي أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكأنهم وجدوا اذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجركم ضلالا فهذا كم الله في وكنتم متفرقين فالصمكم الله في وعالة فأغناكم الله في كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أم قال فإنا معكم أن نجيءوا رسول الله كما قال شيئا قالوا الله ورسوله أم قال لو شتمت قلم جثتنا كذا وكذا أترضون أن تذهب الناس بالشاة والبيير وتذهبوا بالنبي الى رجالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلكت الناس وأديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة ابن حصن والقرع ابن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس ابن مرداس

أنجعل نهبي ونهب العبيد * مدين عينة والقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مساميين فسألوه أن يرد عليهم ما لهم وسببهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون وأحب الحديث الى أصدقها فاختاروا احدي الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استأيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فامانين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اذ عليهم الا احدي الطائفتين قالوا اننا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فإثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان أرد إليهم سببهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك اننا لندري من أذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه أنهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في

وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهم ساءوا الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه
العباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو أسامة بن زيد لأمه أمهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته
(م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فترمت أنا وأبو سفيان
ابن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له
بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجزاعي فلما التقى المسلمون والكفار ولي المسلمون مدبر بن فطيق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي عباس ناد أصحاب السمره فقال العباس وكان رجلا صيفا فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمره قال
فوالله لكان عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا البيك لبيك قال فاقتتلوا والكفار
والدعوة في الانصار بقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج
فقالوا يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته
كالمطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حذى الوطيس قال ثم أخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن زجوه الكفار ثم قال انهزم موارب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال
على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً فوالله حذى
الوطيس أي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من
العرب وهي مما اقتضبه وأنشأه والوطيس في اللغة التنوير وقوله حدهم كليلاً يعني لا يقطع شيئاً (م) عن سلمة
ابن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً قال فلما اغشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم وقال شأهت الوجوه فما خلق الله منهم
إنساناً إلا ملاعنيه تراب تلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقدم رسول الله غنائمهم بين المسلمين
أخرجه مسلم زيادة فيه قال سعيد بن جبيرة أمداً الله بنيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين وروى أن رجلاً من بني نصر يقال له شجرة قال للؤمنين بعد القتال ابن الخليل الباقي والرجال عليهم
ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم إلا كهينة الشامة وما كان قتلنا إلا بأيديهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلاً من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب
شاة أن كشفناهم فيبيننا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قتلنا عندنا من رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا قال فانهم زمننا
وركبوا أكتافنا فكانت أياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح أنها لم تقابل إلا
يوم بدر وإنما كانت الملائكة يوم حنين مدداً وعونا وذكر البغوي أن الزهري قال بلغني أن شيبه بن عثمان قال
استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعمان بن أبي طلحة وكانا
قد قتلنا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ماني نفسي فالتفت اليّ وضرب في صدرى وقال
أعينك بالله يا شيبه فأرعدت فرائصي فنظرت اليه وهو أحب الي من سمعي وبصرى فقات أشهد أنك رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ماني نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا
أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأشعر بين يقال له أبو عامر
وأمره على الجيش فسار الى أوطاس فاقتتلوا وهاجموا وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون
عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصرى فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فبين أخذ

وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل (انقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (في مواطن كثيرة) يعني أما كن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاد برودة في حديثه قائل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى انقد نصركم الله في مواطن كثيرة (ويوم حنين) يعني ونصركم الله في يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم وادقريب من الطائف بينهما وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى الحجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ كثيرا كانوا واقفا وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النضري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فالتقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش ان تغلب اليوم من قلة فسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى أنفسهم وذكروا ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكي ابن جرير الطبري ان القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم تنادوا يا حياحة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكرونا ان الطلقاء انجفوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هر بوا (ق) عن أبي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم ولينتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس حسر الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانوا رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفيان بن الحرث يقوده بغلته فنزل ودعوا استنصرو وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا اجر البأس تنق به وان الشجاع منا للذي يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وليسلم عن أبي اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررت يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسر اليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قومارماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقوده فنزل ودعا واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبي اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قومارماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفرق قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذا رمى القوم بأسرهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا اجر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالوحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم

دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (انقد نصركم الله في مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقرينة والنضير والحبيبة وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنًا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها (ويوم) أى واذا كروا يوم (حنين) واد بين مكة والطائف كانت فيه الواقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة فساعت رسول الله عليه الصلاة والسلام

والعمارة (وأولئك هم الفائزون) لأنهم والمختصون بالفوز دونكم (ببشرهم ربهم) يبشرهم حزمة (برجة منه ورضوان وجنات) تكبير الم بشر لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبدان الله عنده أجر عظيم) لا ينقطع لما أمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الي ذلك ويحببه ومنهم من تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلائتي فنضيع فيجلس معهم وبدع الهجرة فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان) أي آثروه واختاروه (ومن يتولم منكم) أي ومن يتول الكافرين (فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقاربكم وعشيرتكم أبو بكر (وأموال افرتموها) غشون كسادهها) فوات رقت نفاقها (ومساكن رضونها أحب اليكم

أرى بنى عمكم يستقون العسل واللبن وأنتم تستقون اللبن من حجة بكم أم من نخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنانا من حاجة ولا نخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فآتيناه بآناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجلتكم كذا فافضوهوا فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلى وحض حرم قوله عز وجل (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بآموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله من افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وإنما يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الإطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة (وأولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الفائزون) يعني بسعادة الدنيا والآخرة (ببشرهم ربهم) يعني يخبرهم بهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستبشر بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ثم ذكر الخبر الذي يبشرهم به فقال تعالى (برجة منه ورضوان) وهذا أعظم اليشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا (خالدين فيها) يعني في الجنان وفي النعيم (أبدا) يعني لا انقطاع له (ان الله عنده أجر عظيم) يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطاحته وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعاقب به أهلها وأولاده يقولون نشدك الله أن لا نضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء يعني بطانة وأصدقاء نفسون اليهم أسراركم وتؤثر من المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حل هذه الآية على ترك الهجرة مشكلا لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزلوا والأقرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالهجرة كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فقد كر الله أن يقاطع الرجل أهل وأقاربه في الدين واجبة فامؤ من لا يوالي الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى (ان استحبوا الكفر على الإيمان) يعني ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الإيمان بالله ورسوله (ومن يتولم منكم فأولئك هم الظالمون) يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسأموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا ووقفنا وأرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد ل هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ان كان آباؤكم وأبنائكم وأزواجكم وعشيرتكم) أي على الجمع وعشيرتكم العشيبة هم الاذنون من أهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم (وأموال افرتموها) يعني اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادهها) يعني بفراقكم لها (ومساكن رضونها) يعني تستوطنونها راضين بسكنهاها (أحب اليكم من الله ورسوله) يعني أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله (وجهاد في سبيله) فبين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليعبق الدين سليما وأخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدينوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله (فتر بصوا) أي فاتتظروا (حتى يأتي الله بامر) يعني بقضائه وهذا أمر تهديد ونحوه وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني الخارجين عن طاعته

الله ورسوله وجاهد في سبيله فتر بصوا حتى يأتي الله بامر) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) والآية تنهى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبيل اليقين اذا لا يجد عند أروع الناس ما يستحب له

(ولم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في أبواب الدين بان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع محوف اذا المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد (٢٢٣) نفى تلك الخشية عنهم (فعمى اولئك ان

يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الاتفاع باعمالهم لان عمى كلمة اطماع والمعنى انما استقيم عمارة هؤلاء ونكون معتداهم عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أ جعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة باعمالهم المنبئة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر

(ولم يخش الا الله) يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله خشية الناس (فعمى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعمى من الله واجب يعني وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمن فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد وأراح أعداء الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح النزل ما يهبها للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان أو كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه الترمذي عن عمرو بن عبس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى أخرجه النسائي قوله سبحانه وتعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن الزعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر هاو وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر ان كنتم سبقتهمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعلم المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الآية وأخبرنا عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب وطلحة بن أبي شيبه افتخروا فقال طلحة أن اصاحب البيت بيدي مفتاحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليه هاو وقال علي ما أدري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية أ جعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقى الحاج وكان العباس بن عبدالمطلب بيده سقاية الحاج وكان يهبها في الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشيدته وهو مرتبه (كن آمن بالله واليوم الآخر) فيه حذف تقديره كما يمان من آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد في سبيل الله) أي وجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره أ جعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله (لا يستوون عند الله) يعني لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا الا مع الايمان به (والله لا يهدي القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال استسقى فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال استسقى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تعلموا النزل حتى أضع الحبل على هذا يعني عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال مالي

وظفق على رضى الله عنه يوم نحه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكروا مساوينا وتدع محاسنا فقيل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلي رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا

يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساونا وتكفون محاسنا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن يعمر وامساجد الله أوجب الله على المسلمين منهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما أن المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشديدها ومرمتها عند خرابها فممنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني أن المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فممنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل بغير إذن مسلم عزروا أن دخل باذن لم يعزروا ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثيابه بنائلا الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها ﷺ وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقدمه وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب وقال ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك أن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجودوا للاصنام فلم يزدوا وبذلك من الله الابداء وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يسئل من أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرک يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهد بن علي رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم (أولئك حبطت أعمالهم) يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف وسقى الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها ثمر مع الكفر (وفي النار هم خالدون) يعني من مات منهم على كفره ﷺ قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل أن الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضوع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر وأنه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون في الآخرة فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجد فان قلت لم يذكرا الايمان برسول الله مع أن الايمان به شرط في صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمد انما ادعى النبوة طلب الرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما ادعى الايمان بالله واليوم الآخر لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وتذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن الاعتبار باقامة الصلاة وابتداء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تلزم لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤدبا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه ﷺ وقوله تعالى

ولان كل بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد واذ لم يصلحوا لان يعمرها وجنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمر والمسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وهو أكد اذطر يقه طريق السكاية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باعتبارهم بعبادة الاصنام وهو خال من الوار في يعمر والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وعبادته (أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) دائمون (انما يعمر مساجد الله) عمارتها ما استمر منها وقها وتنظيفها وتنويرها باصباح وصياتها مما لم تبين له المساجد من أحداث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم (من آمن بالله واليوم الآخر) ولم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم ان الايمان بالله قرينة الايمان بالرسول لاقتراهما في الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها وأدلى عليه بقوله (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) وفي قوله

(قاتلوهم) ووعدهم النصر لينتقلوهم ووضح نيانهم بقوله (يعذبهم الله يا ايديكم) قتلا (ويجزهم) أسرا (وينصركم عليهم) يغلبكم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما القوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (ويتوب الله على) (٢٢١) من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان

بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قو لهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله اعلم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) في قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا) ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم (أم منقطعوا لهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركوا على ما أنتم عليه حتى يبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المحاصنين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم

قوله سبحانه وتعالى (قاتلوهم يعذبهم الله يا ايديكم) ير يد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله يا ايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله يا ايديكم وبين قوله وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين تقضوا العهد وبدوا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى (ويجزهم) يعني ويذهبهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان (وينصركم عليهم) يعني بان يظفركم بهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني ويرى عداء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تآذنه من خصمه ثم مكنته الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا للقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى أخذوا ثأرهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بكر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعاقب بالاول والمعنى ويهدى الله من يشاء الى الاسلام فبين عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهدى به الى الاسلام كما فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهوؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فأسلموا (والله اعلم) يعني بسر ان عبادته ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة في توب عليه ويهدى به الى الاسلام (حكيم) يعني في جميع أفعاله قوله عز وجل (أم حسبتم أن تتركوا) هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى أظنتم أيها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا يظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أراد بالعلم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام نضر الدين الرازي ونقل الواحدى عن الزجاج أى العلم الذى يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفسون اليهم أسرارهم وقال قتادة وليجة يعنى خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء وأياء يعنى لا تتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال أبو عبيدة كل شئ أدخلته فى شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون فى القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختصه بخديعة أمره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذها الانسان معتمدا عليه وليس من قو لهم فلان وليجة فى القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذاهنئى المؤمنين عن موالاته المشركين وان يفسوا اليهم أسرارهم (والله خبير بما تعملون) يعنى من موالاته المشركين واخلاص العمل لله وحده قوله سبحانه وتعالى (ما كان للمشركين ان يعمروا مسجدا لله) يعنى به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية ان جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا

والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنى العلم نبي المعلوم كقولك ما علم الله منى ما قيل فى تريد ما وجد ذلك منى والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خبير بما تعملون) من خير أو شر فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجدا لله) مسجدا لله مكى وبصرى يعنى المسجد الحرام وانما جمع فى القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها

من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وان نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم) أي نقضوا العهد المؤكدة بالإيمان (وطعنوا في دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أوزعماء قریش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمی فی دین الاسلام طعننا ظاهر اجاز قتلہ لان العہد معقودہ معہ علی أن لا یطعن فاذا طعن فقد نكث عہدہ وخرج من الذمة أئمة همزین کوفی (۲۲۰) وشامی الباقون همزة واحدة غیر مدودة بعدہا یا مکسورة أصلها أئمة

لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الاخرى فن حقق الهمزین أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فكسرتها (انهم لا إيمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا إيمانهم لانه أراد إيمانهم التي أظهرها ثم قال لا إيمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعي رحمه الله انهم لا يوفون به الا ان يمينهم عين عنده حيث وصفها بالنكث لا إيمان شامى أى لا اسلام (لعلهم ينهون) متعلق بقاتلوا أئمة الكفر وما ينهون ما اعترض أى ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظام وهذا من غاية كرمه على السبي ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا إيمانهم) التي حلفوها في

ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يترك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبابكر ما كان أفقهه يعنى بذلك ما ذكره أبو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا فرق بين شيتين جمع الله بينهما يعنى الصلاة والزكاة (ق) عن أبي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخاف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لا بى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه بالحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (وان نكثوا إيمانهم) يعنى وان نقضوا عهدهم (من بعد عهدهم) يعنى من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحد من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) يعنى وعابوا دينكم الذي أتم عليه وقد حوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمی اذا طعن في دین الاسلام وعابه ظاهر الا يبق له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قریش وهو قوله تعالى (فقاتلوا أئمة الكفر) يعنى رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبى جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قریش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الانباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قاتل أهل هذه الآية بعد ولم يات أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (انهم لا إيمان لهم) جمع بين أى لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم باليهود وقرئ لا إيمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان أى اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم (لعلهم ينهون) أى لكي ينهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا إيمانهم) يعنى نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا ابني بكر على خزاعة (وهووا باخراج الرسول) يعنى من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة (وهم بدؤكم) يعنى بالقتال (أول مرة) يعنى يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا ننصرف حتى نستاصل بمجدوا وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتخشونهم) يعنى اتخافونهم أي المؤمنون فتركوا قتالهم (فأله أحق أن نخشوه) يعنى في ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده

المعاهدة (وهووا باخراج الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال والبادى قوله
أظلم فإينعكم من أن تقاتلوهم ويختم بترك مقاتلتهم وحضهم عليهم عما هم ووصفهم بما يوجب الحظص عليها من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أتخشونهم) توبيخ على الخشية منهم (فأله أحق أن نخشوه) بان نخشوه فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) فإخشوه أى ان قضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه ولما وبختم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله

(ان الله يحب المتقين) يعني ان قضية التقوى ان لا يسوي بين القبيلتين يعني التي أبيع فيها لنا كثيرين أن يسبحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضواكم وظاهر واعياكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاختذ الاسر (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل عمر ومجتاز ترصدونهم به واتصابه على الظرف (فان نابوا) (٢١٨) عن الكفر (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فاطلقوا عنهم بعد

تجعلوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعني ان قضية التقوى تقتضي ان لا يسوي بين القبيلتين يعني الوافي بالعهود والناكث له والغادر فيه ﷺ قوله سبحانه وتعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهداه أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء الحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة الضرورية التي يكون معها انسلخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (وخذوهم) يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوه في أي وقت وأي مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعني وأسروهم (واحصروهم) أي واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحضروهم واقصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشيء أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رسدا حتى تاخذوهم من أي وجه توجهوا وقيل معناها اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان نابوا) يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان (وأقاموا الصلاة) يعني وأتوا أركان الصلاة المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة عليهم طيبة بما أنفسهم (فخلوا سبيلهم) يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم (ان الله غفور) يعني لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة (رحيم) يعني باوابانه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء ﷺ قوله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجرته حتى يسمع كلام الله) يعني وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرت بك بقتالهم وقتلهم بعد انسلخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي أنزل عليك وهو القرآن فاجرته حتى يسمع كلام الله ويعرف بالله من الثواب ان آمن وماعليه من العقاب ان أصر على الكفر (ثم أبلغه مأمته) يعني ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) أي لا يعبدون دين الله وتوحيدهم فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التجب ومعناه اتخذ أي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يهدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزاعة وبنو مدلج وبنو الدليل قبائل من بني بكر كانوا يدخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة (فاستقاموا الحكم) يعني على العهد (فاستقيموا لهم) يعني ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خيانة

الاسر والحصار أو فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فاجرته) أحد مر تفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر أي وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مأمته) داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الإقامة في دارنا ويمكن من العود (ذلك) أي الامر بالاجازة في قوله فاجرته (بانهم قوم لا يعلمون) بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى

يسمعوا أو يفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استهفام في معنى الاستنكار فضرِب أي مستنكار أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطعموا في ذلك ولا تحذوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أي ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبني ضمرة فتر بصوا أمرهم ولا تقاتلوههم (فاستقاموا الحكم) ولم يظهر منهم نكث أي فاقاموا على رفاة العهد (فاستقيموا لهم) على الوفاء وما شرطية أي فان استقاموا الحكم فاستقيموا لهم

(ان الله برىء من المشركين) أى بان الله حذف صلة الاذان تخفيفاً (ورسوله) عطف على المنوى فى برىء أو على الابتداء وحذف الخبر أى
ورسوله برىء وقرىء بالنصب عطفاً على اسم ان والجر على الجوارأ وعلى القسم (٢١٧) كقوله لعمر ك وحكى ان اعرابىاسمع

رجلا يقرؤها فقال ان كان
الله برىء من رسوله فانا
منه برىء فلبيه الرجل الى
عمر فحسبى الاعرابى قراءته
فغندها أمر عمر سمى بتعلم
العربية (فان تبتم) من
الكفر والغدر (فهو) أى
التوبة (خيراكم) من
الاصرار على الكفر (وان
توليتهم) عن التوبة أو تبتم
على التولى والاعراض عن
الاسلام (فاعلموا انكم غير
مجزى الله) غير سابقين
الله ولا فاتين أخذه وعقابه
(وبشر الذين كفروا
بعذاب أليم) مكان بشارة
المؤمنين بنعيم مقيم (الا
الذين عاهدتم من المشركين
استثناء من قوله فسيحوا
فى الارض والمعنى براءة
من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم من المشركين فقولوا
لهم سيحوا الا الذين
عاهدتم منهم (ثم لم ينقصوكم
شيأ) من شروط العهده أى
وفوا بالعهد ولم ينقصوه
وقرىء لم ينقصوكم أى عهدهم
وهو البقي لكن المشهورة
أباغ لانه فى مقابلة الختام
(ولم يظاھروا عليكم
أحدا) ولم يعاونوا عليكم
عدوا (فأتوا اليهم عهدهم)
فادوه اليهم تاما كاملا (الى
مدتهم) الى تمام مدتهم

الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذى وقال ويروى موقوفا عليه وهو
أصح وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجرات فى الحجّة التى حج فيها فقال أى
يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر أخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن أبى أوفى
والغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبيرة والسدى وروى ابن جرير عن مجاهد ان يوم الحج
الاكبر أيام منى كماها وكان سفيان الثورى يقول يوم الحج الاكبر أيام منى كماها لان اليوم قد يطلق ويراد به
الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجبل لان الحروب دامت فى تلك الايام ويطلق عليه ايوم واحد وقال
عبد الله بن الحرب بن نوفل يوم الحج الاكبر الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين
لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده
فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال
الزهري والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج والاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنعصان أعمالها عن
الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة
فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر فى خطبته ان الزمان قد استدار وأبطل النسئ وجميع
أحكام الجاهلية وقوله سبحانه وتعالى (ان الله برىء من المشركين ورسوله) فيه حذف والتقدير واذان
من الله ورسوله بان الله برىء من المشركين وانما حذف الباء لدلالة الكلام عليها وفى رفع رسوله وجوه
الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمرة والتقدير ان الله برىء من المشركين ورسوله أيضا برىء الثانى تقديره
برىء الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله فى محل الرفع بالابتداء وبرىء خبره ورسوله عطف على المبتدا
فان قلت لافرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله برىء من
المشركين ورسوله فافائدة هذا التكرار قلت المقصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية
البراءة التى هى نقيض المواالات الجارية بحرى الزجر والوعيد والذى يدل على صحة هذا الفرق انه قال فى أولها
براءة من الله ورسوله الى يعنى برىء اللههم وفى الثانية برىء منهم وقوله تعالى (فان تبتم) يعنى فان رجعت
عن شرككم وكفركم (فهو خيراكم) يعنى من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله فى التوبة
والافلاخ عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتهم) يعنى أعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك
(فاعلموا انكم غير مجزى الله) فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله سبحانه وتعالى قادر على ازال العذاب
بهم وهو قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعنى فى الآخرة ولفظ البشارة هنا ما ورد على سبيل
الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم من
المشركين) هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى
الامن عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حتى من كنانة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأتمام
عهدهم الى مدتهم وكان قد بقى من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى
(ثم لم ينقصوكم شيأ) يعنى من عهدهم التى عاهدوهم عليها (ولم يظاھروا) يعنى ولم يعاونوا (عليكم أحدا)
يعنى من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام
خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا فى الارض
الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم (فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم) والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه
قيل لهم بعد ان أمر وافي الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا

(٢٨ - (خازن) - ثانى) والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمر وافي الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا

اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعوا الوافى كالغادر

قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن تميم سالت عليا أباي شيء بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا بنفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبي هريرة أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذون في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلى بن أبي طالب فأمره أن يؤذن براءة قال أبو هريرة فأذن معناني أهل منى براءة أن لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الأكبر الحج والعمرة الحجة والعمرة الحجة الأصغر قال فبدأ أبو بكر إلى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين يأيمها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل قد يتوهم متوهم أن في بعث علي بن أبي طالب بقرأة أول براءة عز ل أبي بكر عن الامارة وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على أن أبا بكر لم يزل أميراً على الموسم في تلك السنة أول حديث أبي هريرة المتقدم أن أبا بكر بعثه في رهط يؤذون في الناس الحديث وفي لفظ أبي داود والنسائي قال بعثني أبو بكر بقر فيمن يؤذن في يوم النحر يعني ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني أبو بكر فيه دليل على أن أبا بكر كان هو الأمير على الناس وهو الذي أقام للناس حجهم وعصمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عياي يؤذن في الناس براءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد وتفضله السيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة أذاحة هذه العلة اثلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عاداتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطيبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل إنما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلى خلف أبي بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر أميراً على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان أبو بكر الامام وعلي المؤمن وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان أبو بكر المتولى أمر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقديم أبي بكر على علي وفضله عليه وإنه أعلم وقوله تعالى (واعلموا أنكم غير معجزى الله) يعني ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصاحبة واطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الارض أربعة أشهر عالمين انكم لا تجزون الله بل هو يعجزكم وياخذكم لانكم في مملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما مهاكم هذه المدة لانه لا يخاف القوت ولا يعجزه شيء (وأن الله معجزى الكافرين) يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله عز وجل (وأذان من الله ورسوله) الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل (الى الناس يوم الحج الأكبر) اختلفوا في يوم الحج الأكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفه وروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول

(واعلموا انكم غير معجزى الله) لانفوتونه وان أمهلكم (وأن الله معجزى الكافرين) من ظلم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الى الناس) ارتفاعه كارتفاع براءة علي الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايدان وهو الاعلام كما أن الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية أن الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجود الاعلام بما ثبت وانما علفت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة محتضة بالمعاهدين والناس كثرين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهدوا ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الأكبر) يوم عرفه لان الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والالحاق والرمي ووصف الحج بالأكبر لان العمرة تسمى الحج الأصغر

أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه إلى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده باربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان وقيل إن المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتمطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة إلا الإسلام أو القتل فيصير هذا داعياً لهم إلى الدخول في الإسلام وإثلاً ينسب المسلمون إلى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر فإما من لم يكن له عهد فإما أجله انسلاخ الأشهر الحرم وذلك خمسون يوماً قال الزهري الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال والقول الأول أصوب وعليه الأكثر ونزلت في شوال لأن ما كان من ربيع الآخر من كان له عهد دون الأشهر فإما من كان له عهد من ربيع الأول لان الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن أمر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر إلا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل اليهود وغيرهم بعد انقضاء الأجل وقال محمد بن سحوق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريش عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم اني ناشد محمدا * حلف أينا وأبيه إلا تلبدا
كنت لنا أباً وكنا ولدا * نمت أسلمنا ولم نزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يا توما ددا
فيهم رسول الله قد تجردا * في فيلتي كالبحر يجري من ددا
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا * ان شيم خطب وجهه تر ددا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا ان لست تنجني أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم وتجهزوا إلى مكة ففتحت جهنم سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقبل له المشركون بمحضر دن ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبابكر في تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من سورة براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء ليقراها على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله باني أنت وأمي أنزل في شأني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الرجل من أهلي أما ترضى يا أبابكر أنك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميراً على الحاج وعلي بن أبي طالب يؤذن براءة فلما كان

لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وان يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك ان انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا واننا ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرمح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم أو عشر من ذي الحجة والحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرماً لانهم آمنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على الثغالب لان ذوالحجة والحرم منها والجهور على اباحة القتال في الأشهر الحرم وان ذلك قد نسخ

هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة (من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) من لا بداء الآية متعلق
بمحذوف وليس بصلة كما في قولك (٢١٤) برئت من الدين أي هذه براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول

كتاب من فلان إلى فلان
أو مبتدأ التخصيص بها بصفتها
والخبر إلى الذين عاهدتم
كقولك رجل من بني تميم
في الدار والمعنى إن الله
ورسوله قد برأنا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين
وإنه منبذ إليهم (فسبحوا
في الأرض أربعة أشهر)
فسبحوا في الأرض كيف
شئتم والسيح السبر على
مهل روى أنهم عاهدوا
المشركين من أهل مكة
وغيرهم من العرب فنكثوا
الإناس منهم وهم بنو ضمرة
وبنو كاتبة فنبذ العهد إلى
الناكثين وأمر وأن
يسبحوا في الأرض
أربعة أشهر أمينين أي
شأن الأيتام لهم وهي
الأشهر الحرم في قوله فإذا
انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا
المشركين وذلك أصيانة
الأشهر الحرم من القتل
والقتال فيها وكان نزولها
سنة تسع من الهجرة وفتح
مكة سنة ثمان وكان الأمير
فيها عتاب بن أسيد وأمر
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأب بكر على موسم سنة
تسع ثم أتبعه علياً راكب
العضباء ليقراها على أهل
الموسم فقبل له لو بعث بها

الرحمن الرحيم ووضعتهم وها في السبع الطوال ما حل لكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كثير ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور وذوات العدد وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان
يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكرونها كذا وكذا وإذا نزلت عليه الآية يقول ضعوا هذه
الآية في السورة التي يذكرونها كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر
القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظنفت انهما وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لئانها
منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعت في السبع الطوال
آخر جه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الانفال ذكر العهود
وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني علي بن أبي طالب لم
لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابني إن براءة تزات بالسيف وإن بسم الله الرحمن الرحيم أمان
وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال
المبرد لم تفتح هذه السورة الشربة بسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة
وعيد ونقض عهد فلذلك لم تفتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر في كل سورة بكاتب بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر في براءة بذلك
فضمنت إلى الانفال لشبهها بها وقيل إن الصحابة اختلفوا في أن سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة
واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانها من نزولها في القتال ومجموعهما معاً مائة وستين آيات
فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين
الصحابة تركوا بينهما فرجة تفيها على قول من يقول انها سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تفيها
على قول من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) يعني هذه براءة من الله
ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أو براءة أي انقطعت بيننا العصمة ولم
يبق بيننا علاقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينتفضون عهوداً كانت بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى وأما تخافن من
قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ إليهم عهودهم قال الزجاج أي قد برى الله
ورسوله من اعطاهم العهود والوفاء بها إذا نكثوا (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم إلا أنه هو الذي عاقدهم
وأصحابه بذلك راضون فكانهم هم عقدوا وعاهدوا وقوله سبحانه وتعالى (فسبحوا في الأرض) أي فسبحوا
في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحداً من المشركين وأصل السياحة الضرب في الأرض
والإتساع فيها والبعدهن مواضع العمارة قال ابن الأنباري قوله فسبحوا فيه ضمير أي قل لهم فسبحوا
وليس هذا من باب الأمر بل المقصود منه الإباحة والاطلاق والإعلام بحصول الأمان وزوال الخوف يعني
سبحوا في الأرض وأتم آمنون من القتل والقتال (أربعة أشهر) يعني مدة أربعة أشهر واختلف العلماء
في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين برى الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدته عهداً أقل من أربعة أشهر رفعه إلى

أربعة

إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عنى الأرجل منى فلما دعا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أميراً ومأموراً قال مأموراً فلما كان قبيل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام
على يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بربع أن

يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا واجاهدوا معكم فالواثك منكم) جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا (وأولوا الارحام بعضهم
أولى ببعض) وأولوا القربان أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته وأنى الووح وأنى القرآن
وهو آية الموارث وهو دليل لنا على تورث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) (٢١٣) فيقضى بين عباده بما شاء

من أحكامه قسم الناس
أربعة أقسام قسم آمنوا
وهاجروا وقسم آمنوا
ونصروا وقسم آمنوا ولم
يهاجروا وقسم كفروا ولم
يؤمنوا

سورة التوبة مدينة
وهي مائة وتسع وعشرون
آية كوفي ومائة وثلاثون
غيره

له أسماء براءة التوبة
المشقة المبعثرة المشردة
المنزوية الفاضحة المثيرة
الحافرة المنكحة المدممة

لان فيها التوبة على المؤمنين
وهي تقشش من النفاق
أى تبرئ منه وتبعثر عن
أسرار المنافقين وتبعث
عنها وتبهرها وتحفر عنها

وتفضحهم وتنكحهم
وتشردهم وتخزهم وتدمم
عليهم وفي ترك التسمية في

ابتدائها أقوال فعن علي
وابن عباس رضى الله عنهم
ان بسم الله أمان وبراة
نزلت لرفع الامان وعن

عثمان رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا نزلت عليه
سورة أو آية قال اجعلوا في

الموضع الذى بذ كرفيه
كذا وكذا ونوفى رسول

وهاجروا واجاهدوا معكم) اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل
من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة
الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح وبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة وبجواب عن هذا
بان المراد منه الهجرة المحصورة من مكة الى المدينة فاما من كان من المؤمنين في بلديخاف على اظهار دينه من
كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلديخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى (فالواثك منكم) يعنى
انهم منكم وأتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاوابن أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين
المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم من
وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاوابن أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق وقوله
تعالى (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى
نزلت هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أى في الميراث فينهب هذه الآية ان سبب القرابة أقوى
وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعنى في حكم الله وقيل
أراد به في الووح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهى ان قسمة الموارث مذكورة في سورة النساء من كتاب
الله وهو القرآن وتمسك أصحاب الامام أبى حنيفة بهذه الآية في تورث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام
الشافعي رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت
هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة الموارث واعطاء أهل الفروض فروضهم
وما بقى فللعصابات وقوله سبحانه وتعالى (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى
عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة التوبة

وهى مدينة باجماعهم قال ابن الجوزى سوى آيتين فى آخرها قد جاءكم رسول من أنفسكم فانه ما نزلنا بمكة
وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف
وأربعمائة وثمانون حرفا وهذه السورة أسماء عشرة سورة توبة وسورة براءة وهذا ان الاسمان
مشهوران وهى المشقة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها نقشش من النفاق أى تبرئ منه وهى المبعثرة
لانها تبعث عن أخبار المنافقين وتبعث عنها وتبهرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة
العذاب قاله حذيفة وهى المنزوية لان فيها خزى المنافقين وهى المدممة سميت بذلك لان فيها هلاك
المنافقين وهى المشردة سميت بذلك لانها شردت جوع المنافقين وفرقتهم وهى المثيرة سميت بذلك لانها
أثارت مخازى المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبيرة قال قال ابن عباس
سورة التوبة فقال بل هى الفاضحة ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد الاذ كرفيهما قال قلت
سورة الانفال قال نزلت فى بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة بنى النضير أخرجاه فى الصحيحين
فصل فى بيان سبب ترك كتابة التسمية فى أول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم
على ان عمدتم الى الانفال وهى من المشائى والى براءة وهى من المثين فقرتم بينهم ولم تكتبوا سطر بسم الله

الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العهود وفى براءة تبتاعهم ودفلك قرنت بينهما
وكانتا مدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال
وبراة سورة واحدة نزلت فى القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال

بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القربان حتى نسخ ذلك بقوله وأولوالارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والعداينة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توابعهم في الميراث ولايتهم حزة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر من آمن وهاجر ولم أبق للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت (٢١٢) الهجرة فرضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة

(بعضهم أولياء بعض) يعني في العون والنصرة دون أقر بأثمهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون أقر بأثمهم وذوى ارحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قر بيه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حينما كانوا فصار ذلك منسوخاً بقوله تعالى وأولوالارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﷻ وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعني آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شئ) يعني من الميراث (حتى يهاجروا) يعني الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) يعني ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصر) يعني فعليكم نصرهم واعانتهم (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير) والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) يعني في النصر والمعونة وذلك أن كفار قر يش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعاً قال ابن عباس يعني في الميراث وهو أن يرث الكفار بعضهم من بعض (الانفعاء لهو تسكن فتنه في الارض وفساد كبير) قال ابن عباس الا تأخذوا في الميراث بما أمر تكلم به وقال ابن جرير الاتعوانوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى الاتعوا له وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تسكن فتنه في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (ورزق كريم) يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضاً ثم ذكر في هذه الآية ما آمن به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشئ مرة بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلماذا كرهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقاً وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقاً يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمناً حقاً النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتكبير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقاً لا تلحقهم فيه غصاصة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولاً الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى أرض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الهجرة ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى أصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية أصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بما راده ﷻ وقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا من بعد

لا يخرج من الايمان) وان استنصروكم) أي من أسلم ولم يهاجر (في الدين فعليكم النصر) أي ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز انكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدى حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات المواالات بينهم ومعناه نهى المسلمين عن مواالات الكفار وموارثتهم وإيجاب مباحة ذنوبهم ومصارفتهم وان كانوا أقرب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال (الاتعوا له أي الاتفعلوا ما أمر تكلم به من توصل المسلمين وتولى بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم يجعلوا قرابة الكفار كقرابة (تسكن فتنه في الارض وفساد كبير)

تحصل فتنه في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما يبصروا يدوا واحدة على الشرك كان الشرك (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقضيته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لانه فيه ولا تنفيس ولا تكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد

(واتقوا الله) فلان تصدقوا على شيء لم يعهد اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) في ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع أسير من (الاسارى أبو عمر و جمع أسرى

(٢١١)

(ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا أضاعاها و يثيبكم في الآخرة (و يغفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية) وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فافتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرة أوقية معه فلما أسرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شيء خرجت به لتسعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركني أنكشف فر يشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خرجك من مكة وقالت لها انى لأدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقيم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد أنك صادق وأشهد أن لا اله الا الله وأنت عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابني أخيه عقيل ونوفل بن الحرث فاسما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم (من الاسرى) يعني الذين أسرتوهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) يعني ايماناً وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) يعني من الفداء (و يغفر لكم) يعني ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعني باهل طاعته قال العباس فابداني الله خيرا مما أخذ مني عشيرين عبدا كلهم تاجر يضرب بحال كبيراً دناهم بضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أتتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى (وان يردوا) يعني الاسارى (خياتك) يعني أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعني فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعني فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قبلوا منهم وأسرهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يمكن من كل احد يخونه أو ينقض عهده (والله عليم) يعني بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعني حكمه بأنه يجازى كل بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب وقوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا وجاهدوا وصدقوا بالله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني بذلوا انفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أحبابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (أولئك) يعني المهاجرين والانصار

حلالا طيبا روى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكفوا عما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وأحل لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فإلهنا ﷻ وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يعني وخافوا الله أن تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به واعملا أن الله قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية) وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فافتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرة أوقية معه فلما أسرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شيء خرجت به لتسعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركني أنكشف فر يشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خرجك من مكة وقالت لها انى لأدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقيم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد أنك صادق وأشهد أن لا اله الا الله وأنت عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابني أخيه عقيل ونوفل بن الحرث فاسما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم (من الاسرى) يعني الذين أسرتوهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) يعني ايماناً وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) يعني من الفداء (و يغفر لكم) يعني ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعني باهل طاعته قال العباس فابداني الله خيرا مما أخذ مني عشيرين عبدا كلهم تاجر يضرب بحال كبيراً دناهم بضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أتتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى (وان يردوا) يعني الاسارى (خياتك) يعني أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعني فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعني فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قبلوا منهم وأسرهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يمكن من كل احد يخونه أو ينقض عهده (والله عليم) يعني بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعني حكمه بأنه يجازى كل بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب وقوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا وجاهدوا وصدقوا بالله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني بذلوا انفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أحبابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (أولئك) يعني المهاجرين والانصار

وهاجروا) من مكة حبلا لله ورسوله (وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) اي آووه الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك)

في عتاب الاولياء (لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) أن لا يعذب أحد على العمل بالجهاد وكان هذا الاجتهاد منهم لانهم نظر وا
في ان استبقاهم ربما كان (٢١٠) سببا في اسلامهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد وخصي عليهم ان قتلهم اعزل للاسلام

واما فداء جعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاءوا قتلوهم وان شاءوا استعبدهم وان شاءوا فادوهم وان شاءوا اعتقوهم قال الامام غير الدين ان هذا السلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فداء ميزيل حكم الآية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاها ما تدلان على أنه لا بد من تقديم الانحان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أو بعين أوقية والاقوية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف درهم

فصل قد استدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء ويانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لني أن تكون له أسرى صريح في النهي عن أخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فاما ما يقتلوهم بل أسر وهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبيكان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لني أن تكون له أسرى حتى يشحن في الارض يدل على انه كان الاسر مشر وعاول لكن بشرط الانحان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضی الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الانحان في الارض قتل جميع الناس فدل الآيه على جواز الاسر بعد الانحان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول لان سلم ان أخذ الفداء كان محرما واما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة فعبه عتاب اطيع على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمعهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبيكان يحتمل أن يكون لاجل أن بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فيكي النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم قوله عز وجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا مغنما جعلوا له للقران فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحد من شهد بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جرير لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فلهوا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمر بانه عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدر الا وأحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الانحان في القتل أحب الى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نتجامة غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) يعني فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم

وأهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله في اللوح أن لا يعذب أهل بدر أو كان لا يؤخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته أي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز أن يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها أبدا (مسكم) لنا لكم واصابكم (فيما أخذتم) من فداء الاسرى (عذاب عظيم) روى أن عمر رضی الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبيكان فقال يا رسول الله اخذت برني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء نباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قرية منه وروى انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء نجامة غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الانحان في

القتل أحب الى (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يدعوا أي يديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء حلالا لانه من جملة الغنائم والفداء للتيسير والسبب محذوف ومعناه قد أحلت لكم الغنائم فكلوا (حلالا) مطلقة عن العتاب والعقاب من حل العقاب وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكل حلالا (طيبا) لذبا هنيئا أو حلالا بالشرع طيبا بالطبع

يعنى حتى يذل الكفر باشاعة
القتل في أهله ويعز الاسلام
بالاستيلاء والقهر ثم الاسر
بعد ذلك روى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أتى
بسبعين أسيراً فيهم العباس
عمه وعقيل فاستشار النبي
عليه السلام أبا بكر فيهم
فقال قومك وأهلك
استبقهم لعل الله يتوب
عليهم وخذ منهم فدية تقوى
مها أصحابك وقال عمر رضي
الله عنه كذبوك وأخرجوك
فقدمهم واضرب أعناقهم
فان هؤلاء أئمة الكفر وان
الله أغناك عن الفداء
ممكن عليا من عقيل وجزء
من العباس ومكنى من
فلان لنسب له فلنضرب
أعناقهم فقال عليه السلام
مهلك يا أبا بكر كمثل
ابراهيم حيث قال ومن
عصاني فانك غفور رحيم
ومهلك يا عمر كمثل نوح
حيث قال رب لا تذرعلى
الارض من الكافر بن
ديارا ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم ان
شتم قتلتموهم وان شتم
فادبتموهم واستشهد منكم
بعدتهم فقالوا بل نأخذ
الفداء فاستشهدوا باحد
فلما أخذوا الفداء نزلت
الآية (تر بدون عرض
الدينيا) متاعها يعنى الفداء
سماه عرض الفدية بقائه وسرعة
فناؤه (والله ير يد الآخرة)

من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصاني فانك غفور رحيم ومهلك
يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومهلك يا عمر مثل نوح
قال رب لا تذرعلى الارض من الكافر بن ديارا ومهلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا طمس على
أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أتم
عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بقداء واضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر
الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإرا أيتنى في يوم أخوف أن تقع على الحجارة من السماء
من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب
فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فاعدا ان يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت
وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبأ كيت لبكائك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى
على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قريبة من نبي الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عليه ما كان انبي أن تكون له أسرى حتى يشخن في الارض الآية أخرج
هذا الحديث الترمذى مختصراً وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوى وأخرج مسلم في
أفراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم
فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى
يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب
اعناقهم فتممكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن جزء من العباس فيضرب عنقه وتمكنى من فلان
نسيب لعمرفاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال
أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقلت
يا رسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبأ كيت لبكائك كما
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من
هذه الشجرة للشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبى أن يكون له أسرى
حتى يشخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدى في مسنده
عن عمر بن الخطاب من افراده مسلم بزىادة فيه أما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان انبى أن تكون له أسرى
يعنى ما كان ينبى ولا يجب لنبى وقال أبو عبيدة معناه لم يكن لنبى ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان
لنبى أن يجبس كافر اقدر عليه وصار في يده أسير الفداء والمن والاسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع (حتى
يشخن في الارض) الانحان فى كل شئ عبارة عن قوته وشده يقال انحن المرض اذا اشتدت قوته عليه
والمعنى حتى يبالغ فى قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر
الاسارى (تر بدون عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعنى تر بدون أيها المؤمنون
عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضاً لانه لا نبات لها ولا دوام في مكانها
تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله ير يد الآخرة)
يعنى انه سبحانه وتعالى ير يدكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا
انقطاع (والله عزيز) لا يقهر ولا يغلب (حكيم) يعنى فى تدبيره ما أحجده قال ابن عباس كان ذلك يوم
بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى الى فى الاسارى فاما ما بعد

أى كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) (٢٠٨) التعريض بالمبالغة في الحث على الأمر من الحرص وهو أن ينهك المرض

حتى يشرف على الموت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا وغلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده (بانهم قوم لا يفقهون) بسبب ان الكفار قوم جهلة يقانلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقبل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقا تل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم أن لا يفر واو ثبت الواحد للعشرة ثم نقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) عاصم وحزرة (فان يكن منكم مائة صابرة) بالياء فيهما كوفي وافقه البصري في الاولى والمراد الضعف في البدن (يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) ونكر بمقاومة الجماعة لاكثر من مائتين قيل التخفف وبعده

في غزوة بدر وقيل القتال على هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين قوله عز وجل (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال عدوهم والتحرير في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزير ونسهيل الخطب فيه كأنه في الاصل ازالة الحرص وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا (صابرون) يعني عند اللقاء محتمسين أنفسهم يغلبوا مائتين يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فياصبروا ولا يجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين و يدل على أن المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى أوجب أولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء (وان يكن منكم مائة) يعني صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) فخالصه وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بانهم قوم لا يفقهون) يعني ان المشركين لا يقانلون اطلب ثواب وخوف عقاب انما يقانلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب أن لا يفر مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فمما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فنقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أي المؤمنين وعلم أن فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان يكن منكم مائة صابرة محتمسة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفر وا فاما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر ورجى بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا لولن في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستائن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وخدمتهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن علينا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثيرا الخطب فادخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نار فقال له العباس قطع رحلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبههم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لي ايبن قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وبشد قلوب رجال حتى تكون أشد

للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذا الحال قد تنفاوت بين مقاومة العشرة من المائتين والمائة لاتفك وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالفين (ما نأجبي) ما صلح ولا استقام (أن تكون له أسرى) ان تكون بصرى من

عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره (يوسف اليكم) يعني أجره في الآخرة ويحمل لكم عوضه في الدنيا (وَأْتَمَّ لَانْتِظَامُونَ) يعني وأتم لا تنقصون من نواب أعمالكم شيئاً قوله تبارك وتعالى (وَأَنْ جَنَحُوا) لَمْ فَجَنَحْهَا) لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأعداد القوة وما يرهب العدو أمرهم بعد ذلك أن يقبلوا منهم الصلح ان مالوا إليه وسألوه فقال تعالى وان جنحوا للسلم يعني مالوا الى السلم يعني الصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها أي مل إليها يعني الى المصالحة روى عن الحسن وقتادة أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تنضم من الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام أن يصالح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز أن يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشر كين جاز أن يهادنهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح أهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى (وتوكل على الله) يعني فوض أمرك الى الله وبإعانة من الله معكم ليكون عوناً لك في جميع أحوالك (انه هو السميع) يعني لا قوا لهم (العليم) يعني باحوالهم وقوله عز وجل (وان يريدوا أن يخدعوك) يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى وان أرادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم (فان حسبك الله) يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته (هو الذي أيدك بنصره) يعني هو الذي قواك وأعانك بنصره يوم بدر وفي سائر أيامك (وبالمؤمنين) يعني وأيدك بالمؤمنين يعني الانصار فان قلت اذا كان الله قد أيد بنصره فأى حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فالله الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي أيدك بنصره لان أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة وأما الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي أقامهم انصره ثم بين كيف أيدهم بالمؤمنين فقال تعالى (وألف بين قلوبهم) لو أنفقت مافي الارض جميعاً ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) وذلك ان العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والافتة العظيمة والانفس القوية والعصبية والانتواء على الضغينة من أدنى شيء حتى لو أن رجلاً من قبيلة اطم لطمه واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا آثارهم لا يكادياً تلف منهم قبايل فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلب تلك الحالة فالتفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصاراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك مجزأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالاً فهدانا كم الله بي وفي الآيات دال على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء وأراد ذلك لان تلك الالفة والمحبة إنما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزيز حكيم) يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبيرة أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء

جنح له وإليه مال (للسلم) للصلح و بكسر السين أبو بكر وهو مؤث تأنيث ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) فمل إليها (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطنهم المكرفي جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم (انه هو السميع) لا قوا لك (العليم) باحوالك (وان يريدوا أن يخدعوك) يمكروا ويغدروا (فان حسبك الله) كافيك الله (هو الذي أيدك) قواك (بنصره وبالمؤمنين) جميعاً وبالانصار (وألف بين قلوبهم) قلوب الاوس والخزرج بعد تعدادهم مائة وعشرين سنة (لو أنفقت مافي الارض جميعاً ألفت بين قلوبهم) أى بلغت عداوتهم مبلغاً لو أنفقت منفق في اصلاح ذات بينهم مافي الارض من الاموال لم يقدر عليه (ولكن الله ألف بينهم) بفضل ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحابب وأماط عنهم التباغض والتماقت (انه عزيز) يقهر من يخدعونك (حكيم) ينصر من يتبعونك (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك

رجلا قال لابن سيرين ان فلانا وصي بثلاث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن محيرز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واثاث الخيل عند الشنات والغارات وقيل رباط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت الحمارية عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك رباط بنية الغزاة كان في سبيل الله (ق) عن عروة ابن الجعد البارق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنمية (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرساني سبيل الله ايمان الله وتصديق بوعده فان شعبه يور به وورثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزير فاما الذي هي له أجر فرجل رباطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج أو روضة فاصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفاً وأشر فبين كانت له آثارها واورانها حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يردان يسقيها كان ذلك له حسنات فهمي لذلك الرجل أجر ورجل رباطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهمي لذلك الرجل ستر ورجل رباطها خراور ياء ونواء لاهل الاسلام فهمي على ذلك وزر وستل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجر فقال ما أنزل على فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الجبل الذي يشد به العرس وقت الرعي والاستنان الجري والشرف الشوط الذي تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطالب لما في أيدي الناس أما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعاً الى أهله وأما حق رقابها فقيل أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الجلب عليها فغير بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعادة يقال ناوت الرجل مناواة اذا عادت به ﴿ وقوله تعالى ﴾ (ترهبون به عدو الله وعدوكم) يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تحزنون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصبر ذلك سبب الدخول الكفار في الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين ﴿ وقوله تعالى ﴾ (وأخربن من دونهم) يعني وترهبون أخربن من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى ﴾ (لا تعلمونهم) لانهم معكم يقولون بالسننهم لاله الا الله (الله يعلمهم) يعني انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لظاهرهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا الابراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آياتهم وأساعنتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عاقلين بعد اوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حارب المؤمنين أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأما كنههم ودونهم ويعضد هذا القول ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخجل أحد في داره فرس عتيق ذكرو هذا الحديث ابن الجزري وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله

وميكال (ترهبون به) بما استطعتم (عدو الله وعدوكم) أي أهل مكة (وأخربن من دونهم) غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دار فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم وما باعياهم (الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله

حاجة للإمام الى نبد العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة
وهو في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بم الظهران
وذلك على أربع فراسخ من مكة وقوله تعالى (ولا تحسبن) قرى بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى ولا تحسبن يا محمد (الذين كفروا سبقوا) يعني فاتوا وانهم يوم بدر وقرى بالياء على الغيبة ومعناه
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلاصا من القتل والاسير يوم بدر (انهم لا يجيزون) يعني انهم بهذا
السبق لا يجيزون الله من الانتقام منهم ما في الدنيا بالقتل وما في الآخرة بعداب النار وفيه تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم يمتهم منهم فاعلمه الله انهم لا يجيزونه ﴿ قوله عز وجل (وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخذوا الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة أقوال أحد ها أنها جميع
أنواع الاسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم * الثاني انها الحصون والمعقل
الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة إلا ان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم
(خ) عن أبي أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا القر يش اذا كسبوكم يعني
غشوكم وفي رواية أكثر وكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا كسبوكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبة
ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يجزأ أحدكم
ان يلهو باسهمه (م) عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير
يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه قال قلت وما ذلك قال
سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منأ وقد عصي عن أبي نجیح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة أسهم قال وسمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر أخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعندده قال
عدل رقبة محررة وأخرجه أبو داود أيضا عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله عز وجل ليد خان بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه محتسب في عمله الخير والرامي به والممد به
وفي رواية ومنسب له فارموا ركبوا وان ترموا أحب الى من أن تركبوا كل لهو باطل ليس من الله محمود الا
ثلاثة ناديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه أى نبهه فانهم من الحق ومن ترك الرمي بعد
ماعلمه رغبة عنه فانها نعمة تركها وأكفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصرا الى نبه (خ) عن
سالم بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه
وسلم رموا بنى اسمعيل فان أباكم كان رمايا رموا أو أنامع بنى فلان فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا
وأنا معكم كلكم * القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة
يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي
لا ينبغي كون غير الرمي من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينبغي اعتبار
غيره بل يدل على ان هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذلك اهننا يحمل معنى الآبة على الاستعداد للقتال
في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنشاب والسيوف والدرع وتعليم الفروسية
كل ذلك مأمور به الا انه من فروض الكفاية ﴿ وقوله تعالى (ومن رباط الخيل) يعني اقتناءها وربطها
للتزوي في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذي يخص باقامة حفظه فيه
رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها ورباط الخيل للجهد من أعظم ما يستعان به روى ان

و بالتاء وكسر السين غيرهم
(الذين كفروا سبقوا)
فاتوا وأفلتوا من أن يظفر
بهم (انهم لا يجيزون) انهم
لا يفوتون ولا يجردون طالهم
عاجزا عن ادراكهم أنهم
شامى أى لانهم وكل واحدة
من المكسورة والمفتوحة
تعليلا غير ان المكسورة
على طريقة الاستئناف
والمفتوحة تعليل صريح
فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا
مفعول أول والثاني سبقوا
ومن قرأ بالياء فالذين
كفروا فاعل وسبقوا
مفعول تقديره ان سبقوا
خذف ان وان مخففة من
الثقيلة أى انهم سبقوا قبيد
مسددا للمفعولين أو يكون
الفاعل مضمرا أى ولا
يحسبن محمد الكافرين
سابقين ومن ادعى تفرد
حزرة بالقراءة ففيه نظرا
ينمان عدم تفرده بها وعن
الزهري انها نزلت فيمن
أفلت من قبل المشركين
(وأعدوا) أيها المؤمنون
(لهم) لنا قضي العهد أو
لجميع الكفار (ما استطعتم
من قوة) من كل ما يتقوى
به في الحرب من عدها
وفي الحديث إلا ان القوة
الرمي قالها ثلاثا على المنبر
وقيل هي الحصون (ومن
رباط الخيل) هو اسم
للخيل التي تربط في سبيل
الله أو هو جمع رباط

كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل

الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الايمان (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصربن الناكثون للعهود (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) في كل معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يباليون بما فيه من العار والنار (فاما تتقفنهم في الحرب) فاما تصادفهم وتظفرن بهم (فسرد بهم من خلفهم) فغسرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شرفقتة والنكابة فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحدا اعتبارا بهم وانعاطا بحالهم. وقال الزجاج افعالهم ماتفرق به جمعهم ونظر دبه من عداهم (لعلهم يذكرون) لعل المشركين من وراءهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نكثنا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطح اليهم العهد (على سواء) على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من التابذ والمنبوذ اليهم أي حاصلين على استواء في العلم

يعني الاولين والآخرين فان فات ما الفائد في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى لتفصيل للكلام الاول لان الآية لا ولي فيها ذكر أخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسير لا ولي الفائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بايات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بايات ربهم ففي الآية الاولى اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وحججوه وها في الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع حججهم لها وكفروا بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيدي وفي قوله كذبوا بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وحججوا الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالنوب ﴿قوله تعالى﴾ (ان شر الدواب عند الله) يعني في علمه وحكمه (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف (الذين عاهدت منهم) قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قالوا انسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا ومالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يتقون) يعني انهم لا يخافون الله في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ولا يتقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب (فاما تتقفنهم في الحرب) يعني فاما تتجبدن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم في الحرب (فسرد بهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فذكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن (لعلهم يذكرون) يعني اهل ذلك النكال بمنعهم من نقض العهد (واما تخافن) يعني وامانع من ياخذ (من قوم) يعني معاهدين (خيانة) يعني نقض العهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير (فانبذ أي فاطرح اليهم) يعني عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعني على طريق ظاهر مستور يعني أعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد ولا ينصب الحرب معهم (ان الله لا يحب الخائنين) يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حبيرو قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقترب حتى اذا انتهى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر افاذا هو عمرو بن عبدسة فارسل اليه معاوية فساله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يخلها حتى ينقض أمدها أو يذبح اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حبيرو وعنده الله أكبر مرة واحدة وفيه جاءه على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد من هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نسيان العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتضح له من غير أمر مستفيض فينبذ يجب على الامام ان يذبح اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأسفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبصحابه فهما يجب على الامام ان يذبح اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا

وانه ما شعرت بمسيركم حتى
 بلغتني هزيمة فلما اسلموا
 علموا انه الشيطان (انى
 اخاف الله) اى عقوبته
 (والله شديد العقاب)
 اذكروا (اذ يقول
 المنافقون) بالمدينة (والذين
 فى قلوبهم مرض) هو من
 صفة المنافقين او اريد
 والذين هم على حرف ليسوا
 بشائى الاقدام فى الاسلام
 (غير هؤلاء دينهم) يعنون
 ان المسلمين اغتروا بدينهم
 فخرجوا وهم ثلثائة وبعضة
 عشر الى هاهنا الف ثم قال
 جوابا لهم (ومن يتوكل
 على الله) بكل اليه امره
 (فان الله عزيز) غالب
 يسلط القليل الضعيف على
 الكثير القوى (حكيم)
 لا يسوى بين وليه وعدوه
 (ولو ترى) ولو عاينت
 وشاهدت لان لو ترد
 المضارع الى معنى الماضى
 كما ترد ان الماضى الى معنى
 الاستقبال (اذ) نصب على
 الظرف (يتوفى) الذين
 كفروا) بقبض ارواحهم
 (الملائكة) فاعل
 (يضر بون) حال منهم
 (وجوههم) اذا اقبلوا
 (وادبارهم) ظهورهم
 واستأههم اذا ادبروا او
 وجوههم عند الاقدام
 وادبارهم عند الانهزام

افرار من غير قتال وجعل بمسكه فدفع فى صدره وانطلق فانهمز الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس
 سراقه فبلغ ذلك سراقه فقالت بلغنى انكم تقولون انى هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمة
 فقالوا اما نيقنا فى يوم كذا وكذا خلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن فى قوله (انى
 ارى مالatron) قال رابى ابلوس جبريل عليه السلام معتجرا يريد بمشى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفى
 يده اللجام بقود الفرس مارك وقال قتادة قال ابلوس انى ارى مالatron وصدق وقال انى اخاف الله وكذب
 ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابلوس لمن اطاعه اذا
 التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان ياخذ جبريل
 فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه (انى اخاف الله) اعلم صدق وعده لا وياه لانه كان على ثقة من امر ربه
 وقيل لما رابى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة (والله شديد العقاب) قيل معناه انى
 اخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابلوس وقيل تم كلامه عند قوله انى اخاف الله
 وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام بقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله
 وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كرز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما روى الشيطان يوم ما هو فيه
 اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفه وما ذاك الا لما يرى من نزل الرحمة وتجاوزاته عن الذنوب
 العظام الامار اى يوم بدر فانه قد رابى جبريل يزع الملائكة اخرجهم مالك فى الموطن قوله ولا ادحر هو بالمال
 والحاء المهملتين من الدحور وهو الابداع والطر دمعا لاهانة وقوله يزع الملائكة اى يكفهم ويحبسهم لثلاث
 يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر فى الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابلوس
 على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه
 قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملائكة قوة واقدرهم على ان يتشكوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة
 لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل (اذ يقول المنافقون) يعنى من اهل المدينة
 (والذين فى قلوبهم مرض) اى شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة تسلموا بالاسلام ولم يقولوا السلام فى
 قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما
 نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غير هؤلاء دينهم) يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقاوتون اضعافهم
 فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحملهم على قتل انفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر
 وقال مجاهد ان فته من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابوقيس بن الفاكه بن المغيرة والحرب بن
 زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن امية بن خاف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة
 وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رآوا قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غير هؤلاء دينهم ثم
 قال تعالى (ومن يتوكل على الله) يعنى ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه (فان الله)
 حافظه وناصره لانه (عزيز) لا يغلبه شئ (حكيم) فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى اوليائه والعقاب الى
 اعدائه قوله عز وجل (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) يعنى ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ
 تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا وعند الموت رايت امر اعظما ومنظر افظيعا وعدا باشد اينا لهم فى
 ذلك الوقت (يضر بون وجوههم وادبارهم) اختلفوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب
 الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة
 تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت
 الملائكة وجوههم بالسيف واذا اولوا اذبارهم ضربت الملائكة اذبارهم وقال ابن جرير يدمى ما قبل من

ورثاء الناس) ها أهل مكة حين نفر والحماية العير فانهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت غيركم فأنى أبو جهل وقال حتى تقدم بدرنا
ونشرب بها الخمر وننحر الجزور ونعزف علينا القيان ونظم بها العرب فذلك (٢٠١) بطرهم ورياؤها الناس باطعاهم

فوافوها فسقوا كؤوس
النايا مكان الخمر وناحت
عليهم النوائح مكان القيان
فهاهم -م أن يكونوا مثلهم
بطن بن طربين صرائين
بأعمالهم وأن يكونوا من
أهل التقوى والكاتبه
والحزن من خشية الله
مخلصين أعمالهم لله والبطر
ان تشغله كثرة النعمة عن
شكرها (ويصدون عن
سبيل الله) دين الله (والله
بما يعملون محيط) عالم
وهو وعيد (واذ بن لهم
الشیطان أعمالهم وقال
لا غالب لكم اليوم من
الناس) واذا كراذ بن
لهم الشيطان أعمالهم
التي عملوها في معاداة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ووسوس اليهم انهم
لا يغابون وغالب مبنى نحو
لا رجل ولكم في موضع رفح
خبر لا تقديره لا غالب كائن
لكم (واني جار لكم) أى
يجير لكم وهمهم ان طاعة
الشیطان مما يجيرهم
(فلما نرأت الفتنان) فلما
تلاقى الفريقان (نكص)
الشیطان هاربا (على
عقبه) أى رجع القهقري
(وقال انى برى منكم) أى
رجعت عما ضمنت لكم
من الامان روى ان ابليس

عليهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمتنوا لقاء العدو وفاداة يتموهم فاصبروا
﴿ قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) يعني نغرا وأشرأوا قيل البطر الطغيان
في النعمة وذلك أن النعم إذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفه في المفخرة على الاقران وكأثر بها
أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء
مراضاته فذلك شكركها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها (ورثاء الناس)
الرياء اظهار الجليل لبراءه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والتفاني ان التفاني اظهار الايمان مع
ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية (ويصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس
عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر وهم نغرو بغى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ونغرها تنجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى
وعدت به قال ابن عباس ان أباسفيان لما رأى انه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا
عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجحها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرديدراوكل في بدر
موسم من مواسم العرب يجتمع لهم مها سوقي في كل عام قال فتقيم عليها ثلاثا وتنحر الجزور ونظم الطعام
ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون بها يومنا أبدا فامضوا زاد غيره قال فلما وافوا
بدر اسقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فهى الله عبادته المؤمنين أن
يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن أمركم أيها المؤمنون رياء وسعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا
لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا
غيره ﴿ وقوله تعالى (والله بما يعملون محيط) فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن
علمه شيء لانه محيط بأعمال العباد كما في جازى المحسنين ويعاقب المسيئين ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذ بن
لهم الشيطان أعمالهم) يعني اذ كروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ بن الشيطان يريد ابليس للمشركين
أعمالهم الخبيثة (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) قال بعضهم كان تز بينه وسوسة ألقاها
في قلوبهم من غير أن يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقه بن
مالك بن جعشم وكان تز بينه أن قريشالما أجمعت على المسير الى بدر ذكرت الذي ينهار بين بنى بكر بن
الحرث من الحرث فكد ذلك أن يشبههم فتبدي لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي
وكان من أشرف بنى كنانة فقال أنا جار لكم من أن ياتيكم من كنانة شيء تكروه فخر جواسر اعاد وقال ابن
عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين مع رايته في صورة رجل من رجال بنى مدلج سراقه بن مالك
ابن جعشم فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام الى
ابليس لعنه الله فلما راهو كانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال
الرجل يا سراقه أنتزعم انك جار لنا فقال انى أرى ما لاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى
الملائكة وقوله انى جار لكم يعني يجير لكم من كنانة (فلما نرأت الفتنان) أى التقي الجمعان رأى ابليس الملائكة
قد نزلوا من السماء فعلم عدو الله ابليس أنه لا طاقة له بهم (نكص على عقبه وقال انى برى منكم) يعني رجع
القهقري وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال السكبي لما التقي الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة
سراقه بن مالك بن جعشم وهو أخذ بيد الحرث بن هشام فكص عدو الله ابليس على عقبه فقال له الحرث

(٢٦ - (خازن) - ثابى) تمثل لهم في صورة سراقه بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين معا رابة فلما رأى الملائكة
نزل نكص فقال له الحرث بن هشام أخذنا في هذه الحالة فقال

آمنوا اذا لقيتم فئة) اذا
 حاربتم جماعة من الكفار
 وترك وصفها لان المؤمنين
 ما كانوا يلقون الا الكفار
 واللقاء اسم غالب للقتال
 (فأثبتوا) لقتالهم ولا تقروا
 (واذكروا الله كثيرا)
 في مواطن الحرب
 مستظهرين بذكره
 مستنصرين به داعين له
 على عدوكم اللهم اخذهم
 اللهم اقطع دابرهم (اعلمكم
 تفلحون) تظفرون بمرادكم
 من النصر والمثوبة وفيه
 اشعار بان على العبد أن
 لا يفترعن ذكره اشغل
 ما يكون قلبا واكثر
 ما يكون هما وان تكون
 نفسه مجتمعة لذلك وان
 كانت متوزعة عن غيره
 (وأطيعوا الله ورسوله) في
 الامر بالجهاد والثبيت مع
 العدو وغيرهما (ولا تنازعوا
 فتفشلوا) فتجبنوا وهو
 منصوب باضماران وبدل
 عليه (وتذهب بحكمكم)
 أى دولتكم يقال هبت رياح
 فلان اذا دالت له الدولة ونفذ
 أمره شبهت في نفوذ أمرها
 وتشتت بالريح وهبوا بها
 وقيل لم يكن نصر قط الا
 بريح يبعثها الله وفي الحديث
 نصرت بالصبا وأهلك
 عاد بالدبور (واصبروا) في
 القتال مع العدو وغيره

ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم انما
 محمد وأصحابه أكلة جزور يعني لقتالهم في عينيه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال بقوله من القدرة التي
 في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واتقوى بذلك
 قلوب المؤمنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين
 لثلايهم بواو اذا استمقوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا للظهور
 المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله
 سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك مجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمجزة من خوارق العادات
 فلا ينكر ذلك (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعني أمرا كان من اعلاء كلمة الاسلام ونصر أهله واذلال
 كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال في الآيات المتقدمة ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال
 في هذه الآية ليقضى الله أمرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الآية المتقدمة
 ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه الفهر والغلبة ليكون ذلك مجزة دالة على صدق رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفرق يقين في أعين بعضهم بعضا
 للحكمة التي قضاها فلذلك قال ليقضى الله أمرا كان مفعولا (والى الله ترجع الامور) يعني في الآخرة
 فيجازى كل عامل على قدر عمله فالحسن باحسانه والسيء باساءته أو يفرق قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
 اذا لقيتم فئة) يعني جماعة كافرة (فأثبتوا) يعني لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا
 يحدثوا بالتولي (واذكروا الله كثيرا) يعني كونوا ذاكرين لله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم
 وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأوليائه الصالحين بأن يذكروه في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو
 وقتاله وفيه تنبيه على أن الانسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكرو
 الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر
 على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى (اعلمكم تفلحون) يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قلت
 ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك بوجه أنها نسخة الآية التحريف والتحيز قلت المراد من الثبات
 هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجاهل وآية التحريف والتحيز لا تنقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل
 ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحريف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك (وأطيعوا الله ورسوله) يعني
 في أمر الجهاد والثبيت عند لقاء العدو (ولا تنازعوا فتفشلوا) يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف
 يوجب الفشل والضعف واللين ﴿وقوله تعالى﴾ (وتذهب بحكمكم) يعني قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال
 وذهبت ریح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد وقال السدي جراتكم وجدكم وقال
 مقاتل حدتكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول
 العرب هبت ریح فلان اذا أقبل أمره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد يدهي ریح النصر ولم يكن نصر قط الا
 بريح يبعثها الله تعالى فنصر وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد
 بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من أول النهار آخر
 القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود وقوله سبحانه وتعالى (واصبروا) يعني
 عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم (ان الله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي اتى فيها العدو وانظر حتى اذا ماتت الشمس قام فيهم فقال ايها
 الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا قيمتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف
 ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا

من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تعلق بمحذوف أي ليقضى الله أمرا كان ينبغي أن يفعل وهو نصر أولياءه وقهر أعدائه بذكر ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أي ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنا أوليت أمرا كان قد أراد وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضى (إهلك من هلك عن بينة وبجي من حي عن بينة) حي نافع وأبو عمرو فالادغام للقاء المثاليين والظاهر لان حركة الثاني غير لازمة لانك تقول في المستقبل بحيوا والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لاعتن مخالفة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطها ولهذا ذكر فيها أمرا كز الفر يقين وان العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كاه مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك أن العدو القسوى التي أناخ

(١٩٩)

بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي فيها الا تبعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسالين وضعفهم ثم كان ما كان (وان الله لسميع) لاقوا لهم (عليهم) بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن ونوابه (اذير يكهم الله) نصب باضمار اذ كرا وهو متعلق بقوله لسميع عليهم أي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك (في منامك قليلا) أي في رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراكم كهم كثير الفشلتم) لجنتم وهبتم

دينه (إهلك من هلك عن بينة) يعني لموت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه (وبجيا من حي عن بينة) يعني ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة شاهدتها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليلضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة (وان الله لسميع عليهم) يعني يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفي عليه خافية قوله عز وجل (اذير يكهم الله) يعني واذا كرا يا محمد نعمة الله عليك اذير يك المشركين (في منامك) يعني في نومك (قليلا) قال مجاهد أراه الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وكان ذلك نبييا وقال محمد بن اسحق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بها مخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما أرى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قرش في منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رؤى بالنبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة قلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراء كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم (ولو أراكم كهم كثير الفشلتم) يعني لجنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو أراكم كهم كثير فاذا كرت ذلك لا يحابك لفسلوا وجبنوا عنهم (ولتنازعتم في الامر) يعني اختلفتم في امر الاقدام عليهم أو الاجرام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر الاختلاف الذي تكون معه محاصصة ومجادلة ومجازاة كل واحد الى ناحية والمعنى لا اضطرب أمركم واختلفت كلمتكم (ولكن الله سلم) يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل (انه عليهم بذات الصدور) يعني أنه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجبين والصبير والجزع وقال ابن عباس معناه أنه عليهم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل (واذير يكهم الله) اذ التقيتم في أعينكم قليلا) يعني ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في اليقظة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراه مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كنا ألفا (ويقلاكم في أعينهم) يعني ويقلاكم يا معشر المؤمنين في أعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين

الاقدام ولتنازعتم في الامر أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليهم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيهما من الجراءة والجبين والصبور والجزع (واذير يكهم الله) الضمير ان مفعولان أي واذا يبصركم اياهم (اذا التقيتم) وقت اللقاء (في أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم في أعينهم تصديقا لقرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعانيوا ما أخبرهم به فيزاد يقينهم ويجدوا وثبتوا وقال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراه مائة وكانوا ألفا (ويقلاكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور قيل قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرتهم فيما بعده ليحترقوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا وبهاوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بان يسترا لله بعضهم باستراؤهم يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما حدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه يدك واحد فقال مالي لأرى هذين الذيكين اربعة

معطوف على بالله أى
ان كنتم آمنتم بالله والمنزل
(على عبدنا يوم الفرقان)
يوم بدر (يوم التقي
الجمعان) الفرقان من
المسلمين والكافرين
والمراد ما أنزل عليه من
الآيات والملائكة والفتح
يومئذ وهو بدل من يوم
الفرقان (والله على كل
شئ قدير) يقدر على أن
ينصر القليل على الكثير
كفعل بكم يوم بدر (اذ
أتم) بدل من يوم الفرقان
والتقدير اذ كروا اذ
أتم (بالعودة) شط الوادى
وبالكسر فهم ما مكي وأبو
عمرو (الدينا) القرني الى
جهة المدينة تأنيث الادنى
(وهم بالعودة القصوى)
البعدي عن المدينة تأنيث
الاقصى وكلتاهما فعلى من
بنات الواو والقياس قلب
الواو ياء كالعليا تأنيث
الاعلى وأما القصوى
فكالقودى مجيئه على
الاصل (والركب) أى العبر
وهو جمع ركب فى المعنى
(أسفل منكم) نصب على
الظرف أى مكانا أسفل
من مكانكم بمعنى فى أسفل
الوادى بثلاثة أميال وهو
مرفوع المحل لانه خبر
المبتدا (ولو تواعدتم) أنتم
وأهل مكة وتواعدتم بينهم
على موعد لتلقون فيه للتعامل

أحمد واسحاق وذهب قوم الى أن النفل من رأس الغنيمة قبيل التخميس كالسبب للقاتل وأما الذى وهو ما
أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير ايجاب خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدون به وكذلك الجزية
وما أخذ من أموالهم اذ دخلوا دار الاسلام للتجارة أو يموت أحد منهم فى دار الاسلام ولا وارث له فهذا
كاهنى ومال الذى كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدة حياته وقال عمران الله سبحانه وتعالى قد
خص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الذى بشئ لم يخص به أحد غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله
منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنهم من هذا
المال ثم ما تبقى يجعله مجمل مال الله فى الكراع والسلاح واختلف أهل العلم فى مصرف الذى بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه
للمقاتلة الذين أثبتت أسماؤهم فى ديوان الجهاد لانهم القائمون مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى ارباب العدو
والقول الثانى انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كما ينبتهم ثم بالأهم فالأهم من المصالح واختلف
أهل العلم فى تخميس الذى فذهب الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه الى أنه ينحس وخمسة لاهل الخمس من
الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى أنه لا يخمس بل يصرف
جميعه مصرفا واحدا لجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن أنس قال ذكروا ما أفاض الله على رسوله صلى الله عليه وسلم
بهذا الذى منكم وما أهدى من الآخرة الأنا على منازلنا من كتاب الله وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم الرجل وقدمه الرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوى
بسند عنه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له فى هذا الذى حق الاملاكت ايمانكم
وقوله سبحانه وتعالى (ان كنتم آمنتم بالله) يعنى واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصرف
الى من ذكر فى هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه أطعماكم واقنعوا باربعة أخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم
بالله وصدقتم بوحدانيته (وما أنزلنا على عبدنا) يعنى وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه
اضافة تشرىف وتعظيم للنبى صلى الله عليه وسلم والذى أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يستلونك عن
الانفال الآية (يوم الفرقان) يعنى يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين
الحق والباطل (يوم التقي الجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد
شاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة
أو لسبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثة مائة وبعثة عشر رجلا
والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك
(والله على كل شئ قدير) يعنى على نصركم أيها المؤمنون مع قتلكم وكثرة أعدائكم وقوله سبحانه وتعالى
(اذ أنتم) أى اذ كروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ أنتم (بالعودة الدنيا) يعنى بشفير الوادى
الادنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الادنى (وهم) يعنى المشركين (بالعودة القصوى) يعنى بشفير الوادى
الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تأنيث الاقصى (والركب أسفل منكم) يعنى أباسفيان وأصحابه
وهم عبر قريش التى خرجوا لاجلها وكانوا فى موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة
أميال من بدر (ولو تواعدتم) يعنى أنتم والمشركون (لاختلفتم فى الميعاد) وذلك ان المسلمين خرجوا
ليأخذوا العبر وخرج الكفار ليمنعوا من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم أنتم
والكفار على القتال لاختلفتم أنتم وهم لقتلتكم وكثرة عدوكم (ولكن) يعنى ولكن الله جمعكم على
غير ميعاد (ليقتضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى من نصر أوليائه وأعز دينه واهلاك أعدائه وأعداء

(لاختلفتم فى الميعاد) خالف بعضهم بعضكم بعضا فنبطكم قتلتم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد ونبطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول دينه
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلقى ما وفقه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقتضى الله أمرا كان مفعولا)

و بنو المطلب شيء واحد وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى في بني هاشم و بنى المطلب وترك بنى نوفل و بنى عبد شمس فانطلقت أنا و عثمان بن عفان حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا تنكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بنى المطلب أعطيتهم وتركنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا و بنو المطلب لا نفرق في جاهلية ولا اسلام و انما نحن وهم شيء واحد و شريك بين أصابعه و اختلف أهل العلم في سهم ذوى القربى هل هو ثابت اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى فقراؤهم و أغنياءهم من خمس الخمس للذ كرمثل حظ الاثنين وهو قول مالك و الشافعى و ذهب أبو حنيفة و أصحاب الراى الى أنه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم و سهم ذوى القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة أصناف اليتامى و المساكين و ابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون أغنيائهم و حجة الجمهور ان الكتاب و السنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى و كذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى و لا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله و كذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه و أحققه الشافعى بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير أنهم يعطون القريب و البعيد قال و يفضل الذ كرم على الانثى فيعطى الذ كرم سهمين و الانثى سهمًا و قوله سبحانه و تعالى (اليتامى) جمع يتيم يعنى و يعطى من خمس الخمس لليتامى و اليتيم الذى له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذى لأب له فيعطى مع الحاجة اليه (و المساكين) وهم أهل الفاقة و الحاجة من المساكين (و ابن السبيل) و هو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة و يقسم أربعة أخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة و حازوا الغنيمة فيعطى للفراس ثلاثة أسهم سهم له و سهمان لفرسه و يعطى الرجل سهمًا واحد الماروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين و للرجل سهمًا و في رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخارى و مسلم و في رواية أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل و لفرسه ثلاثة أسهم سهمًا له و سهمين لفرسه و هذا قول أكثر أهل العلم و اليه ذهب الثورى و الاوزاعى و مالك و ابن المبارك و الشافعى و احمد و اسحق و قال أبو حنيفة للفراس سهمان و للرجل سهم و يرضخ للبيد و النسوان و الصبيان اذا حضروا القتال و يقسم العقار الذى استولى عليه المسامون كالنقل و عند أبى حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم و بين ان يجعله و قفا على المصالح و ظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار و المنقول و من قتل من المسامين مشركا في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روى عن أبى قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه أخرجه الترمذى و أخرجه البخارى و مسلم في حديث طويل و السلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس و سلاح و الفرس الذى كان راكبه و يجوز للامام ان ينقل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناه و بلاء يكون منهم في الحرب ينخصم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم أسوة الجماعة في سائر الغنيمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سامة الفهرى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربيع في البداة و الثلث في الرجعة أخرجه أبو داود و اختلف العلماء في أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو قول سعيد بن المسيب و به قال الشافعى و هذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر و برة من جنب بعير فقال أيها الناس انه لا يحل لي مما آفأ الله عليكم قدر هذه الاكس و الخمس مردود عليكم أخرجه النسائي و قال قوم هو من الاربعة الاكس بعد افراز الخمس كدهام الغزاة و هو قول

و اليتامى و المساكين و ابن السبيل) فان خمس كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله و سهم لذوى قرابته من بنى هاشم و بنى المطلب دون بنى عبد شمس و بنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان و جبير بن مطعم و ثلاثة أسهم لليتامى و المساكين و ابن السبيل و أما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمة ساقط بموته و كذلك سهم ذوى القربى و انما يعطون لفقراهم و لا يعطى أغنياءهم فيقسم على اليتامى و المساكين و ابن السبيل و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان على ستة لله و الرسول سهمًا و سهم لاقاربه فاجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة و كذا عمر و من بعده من الخلفاء رضى الله عنهم و معنى لله و الرسول لرسول الله كقوله و الله و رسوله أحق أن يرضوه

لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الابداد والشركاء (فان اتهموا) يعني عن الشرك وافتان المؤمنين وايدأتهم (فان الله بما يعملون بصير) يعني فان الله لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم (وان تولوا) يعني وان أعرضوا عن الايمان وأصرواعلى الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايدأتهم (فاعلموا) يعني أيها المؤمنون (ان الله مولاكم) يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم (نعم المولى ونعم النصير) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلايته فهو له نعم المولى ونعم النصير ﴿ قوله عز وجل (واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول) الغنم الفوز بالشيء يقال غنم يغم غنما فهو غنم واختلف العلماء هل الغنيمة والتي اسمان لسمى واحداً مختلفاً في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الارض فهي في عوقال سفيان الثوري الغنيمة ما أصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهد الواقعة والتي ما وصلحو واعليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمي الله وقيل الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والتي ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان التي والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح أنهما مختلطان فالتي ما أخذ من أموال الكفار بغير اجحاف خيل ولا ركاب والغنيمة ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة باجحاف خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حكم الغنمة فقال تعالى واعلموا ان ما غنمتم من شيء يعني من أي شيء كان حتى الخيط والخيط والنجيطان فان لله خمسة وللرسول وقد ذكر أكثر المفسرين والفقهاء أن قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وإنما أضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه أن سهامه لله مفرد الان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء و ابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة أخماس أو بعة أخماسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقي خمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول أصح أي ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي وأحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو لا خليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على الاربعة الاصناف المذكورين في الآية وهم ذوقربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولذي القربى) يعني ان سهما من خمس الخمس لذوى القربى وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريس وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال جئت أنا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقات يارسول الله اعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية أعطيت بنى المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا أخرجه البخاري وفي رواية أبي داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان بكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس في بنى هاشم وبنى المطلب فقلت يارسول الله قسمت لاختوانى المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم

(فان اتهموا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على اسلامهم (وان تولوا) أعرضوا عن الايمان ولم يتنوها (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم ومعينكم فتقوا بولايته ونصرته (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب مسن نصره والمخصوص بالمدح محذوف (واعلموا ان ما غنمتم) ما بمعنى الذي ولا يجوز أن يكتب الامفصولا اذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافة وغمتم صلتها والعائد محذوف والتقدير الذي غنتموه (من شيء) بيانه قيل حتى الخيط والخيط (فان لله خمسة) والفاء انما دخلت لما في الذي من معنى المجازاة وان وما عملت فيه في موضع رفع على أنه خبر مبنداً نفسديره فالحكم أن لله خمسة (وللرسول ولذوى القربى)

(وما لهم إلا يعذبهم الله) أى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم إلا يعذبهم الله (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون وحالمهم أنهم (١٩٤) يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول

الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولادة البيت والحرم فمن نشاء وتدخل من نشاء فقيل (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع اشرا كههم وعداوتهم للمدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم (ان أولياءه الا المتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالاكثر الجيع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء صغيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكاء مكوا اذا صفر (وتصدية) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عمارة وهم مشبكون بين أصابعهم بصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعالون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخالطون عليه (فدوقوا العذاب) عذاب القتل والامر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا

الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل على آمنين لامتى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة أخرجه الترمذى وقوله سبحانه وتعالى (وما لهم إلا يعذبهم الله) يعنى أى شئ يمنعهم من أن يعذبهم يعنى بعد خروجه من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين فى الآية الاولى أنه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين أظهرهم وبين فى هذه الآية أنه معذبهم ثم اختلفوا فى هذا العذاب فقيل هو اقتل والامر يوم بدر وقيل أراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب الثانى العذاب بالسيف وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم إلا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى (وهم يصدون عن المسجد الحرام) يعنى وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه يعنى ليسوا أولياء المسجد الحرام (ان أولياءه الا المتقون) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن أكثرهم) يعنى المشركين (لا يعلمون) ذلك وقوله عز وجل (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية) لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا بأولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب فى ذلك وهو أن صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء فى اللغة الصغير يقال مكاء الطير بمكوا اذا اصفر والمكاء اسم طيرا بيض يكون بالحجاز له صغير وقيل هو طائر يألف للريف سمي بذلك لكثرة مكانه يعنى صغيره والتصدية التصفيق وفى أصله واستنقاه قولنا أحدهما أنه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالجبب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثانى قال أبو عبيدة أصله تصددة فابدلت الياء من الدال قال الازهرى والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التى أمر بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت * صلاتهم التصدى والمكاء * قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عمارة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بنى عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم فى الطواف ويستهنون به ويدخلون أصابعهم فى أفواههم ويصفرون فالمكاء جعل الاصابع فى الشدق والتصدية الصغير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الامكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيها مصفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلا عن يمينه يصفران ورجلا عن يساره يصفقان ليخاطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلانه وهم من بنى عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمي ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت أنهم يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن من كان المكاء والتصدية صلانه فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صد هم المؤمنون عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله سبحانه وتعالى (فدوقوا العذاب) يعنى عذاب القتل والامر فى الدنيا وقيل يقال لهم فى الآخرة فدوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) يعنى بسبب كفركم فى الدنيا وقوله سبحانه وتعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهى المكاء والتصدية ذكر عقبها عبادتهم المالية التى

اثنى عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور

(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله

بنوع آخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية انه قال لرجل من سبنا ما جهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال جهل من قومي قومك قالوا الرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقرولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لنا كيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبينهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مردون بالعذاب اذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه في الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفرون الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفرون وهم المسلمون بين أظهرهم من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين

كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق أمطر علينا حجارة من السماء يعني كما مطرتها على قوم لوط أو أننا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة آية خفاق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا طعيمة بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك ان الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فترت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما أخرجوه نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴿ قوله عز وجل (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية المتصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أمته ونبينا معهما فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يدكره جهالتهم وغرهم واستفاحتهم على انفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى رداعليهم وما لهم ألا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبار عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجاعة ناولها وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد مقيم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قريه حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه والمحق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم وما لهم ألا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فرغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لو استغفروا ولو لكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقر وبالذنب واستغفروا والله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا أعاقبك وأنت تطيعني أي أطعني حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي يسمون يعني لو أسلموا للمعذبين وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن خزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أي وفي اصلاهم من يستغفر وقيل في معنى الآية ان الكفار لما باغوا قالوا ان كان محمد محق في قوله فامطر علينا حجارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمد محق في قوله وانه مع ذلك لا يخطر على أعدائه ومنكري نبوته حجارة من السماء مادام بين أظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزل العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الآية فانه لوهم يعذبهم الله بايدكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بايدكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعاني دات هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول

من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لا شبرن عليكم برأي ما أرى غيره اني أرى ان
تأخذوا من كل بطن من قريش شابا بسيبا وسطافيا ثم نعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة
رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش
كاهوا وانهم اذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتودى قريش ديته فقال ابلبس العين صدق هذا الفتى هو أجدكم
رأيًا والقول ما قال لأرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه فأتى جبريل صلى الله عليه
وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله عز
وجل له عند ذلك بالخر وج إلى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن يبيت في
مضجعه وقال له انشع يردني فانه لن بخاص اليك منهم أمر تكبره ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ أنا
جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثوره و أبو بكر وخاف عليا بمكة حتى
يؤدى عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته قالوا بات المشركون يحرسون عليا
وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا اناروا اليه
ليقتلوه فراهوا عليا فقبل له أين صاحبك قال لأدرى فاقتنوا أثره وأرسلوا في طلبه فلم يلبثوا بالغار وأعلى
بابه نسج العنكبوت فقالوا لودخله لم يكن المنسج العنكبوت على بابه أثر فكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة
فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ بك ربك الذين كفروا وأصل المكر احتيال في خفية (ليقتلوك) أي ليحسدوك
ويؤتقوك لان كل من شد شيا وأوثقه فقد أثبته لانه لا يقدر على الحركة (أو يقتلوك) يعني كما أشار اليهم أبو
جهل (أو يخرجوك) يعني من مكة (ويمكرون) يعني ويحتالون ويديرون في أمرك (ويمكرون) يعني ويجازيهم
الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكر الإنة في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير
وهو من الله تعالى الى التدبير بالحق والمعنى أنهم احتالوا في ابطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى
أظهره وقواه ونصره فضعافهم وتديبيرهم وظهور فعل الله وتديبيره (والله خير الماكرين) فان قلت كيف
قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله أقوى الماكرين
فوضع خير موضع أقوى وفيه تشبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد ان مكرهم
فيه خير بزعمهم فقال سبحانه وتعالى في مقابله والله خير الماكرين وقيل لبس المراد التفضيل بل ان فعل الله
خير مطلقا ﴿قوله عز وجل﴾ (واذا تاملت عابهم آياتنا قالوا قد سمعنا لولنا لقلنا مثل هذا) نزلت في النضر بن
الحرث بن عاتمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى أرض فارس والخيرة ويسمع أخبارهم عن رستم
واسفديار وأحاديث الجحيم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل
ويركعون ويسجدون ويكفون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلي
فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لولنا لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق
الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لولنا لقلنا مثل هذا بعد التحدي وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدر وا
ما تخلفوا عنه وهم أهل انصاح وفرنسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لولنا لقلنا مثل هذا (ان
هذا الأساطير الاولين) يعني أخبار الماضين ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا سحابة من السماء) واذنا بعدنا (أيم) نزلت في النضر بن الحرث أيضا قال ابن عباس
لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا فقال
له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا أقول الحق قال فان محمدا صلى
الله عليه وسلم يقول لاله الا الله قال وأنا أقول لاله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان

الله سمعهم واقصوا أثره
فاطل الله مكرهم (ليقتلوك)
ليحسدوك ويؤتقوك (أو
يقتلوك) بسببهم (أو
يخرجوك) من مكة
(ويمكرون) ويحفظون المكايد
له (ويمكرون) ويخفي الله
ما عدلهم حتى ياتيهم بغتة
(والله خير الماكرين)
أي مكره أنفذ من مكر
غيره وأبلغ تأثيرا كان
عليه السلام يقرأ القرآن
ويذكر أخبار القرون
الماضية في قراءته فقال
النضر بن الحرث لو شئت
لقلت مثل هذا وهو الذي
جاء من بلاد فارس بنسخة
حديث رستم وأحاديث
الجحيم فنزل (واذا تاملت
عليهم آياتنا) أي القرآن
(قالوا قد سمعنا لولنا لقلنا
مثل هذا ان هذا الأساطير
الاولين) وهذا صلب منهم
ودقاحة لانهم دعوا الى أن
ياتوا بسورة واحدة من
مثل هذا القرآن فلم ياتوا به
(واذ قالوا اللهم ان كان
هذا) أي القرآن (هو
الحق من عندك) هذا اسم
كان وهو فصل والحق خبر
كان روي ان النضر لما قال
ان هذا الأساطير الاولين
قال له النبي عليه السلام
ويك هذا كلام الله فرجع
النضر رأسه الى السماء
وقال ان كان هذا هو الحق
من عندك (فامطر علينا
سحابة من السماء) أي ان كان

الله على نعمه عليكم ﷺ قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله والرسول) قال الزهري والكافي
 نزلت هذه الآية في أبي لبابة هرثمة بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على
 ما صلح عليه اخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى اخوانهم إلى أذرع وأرض بجاء من أرض الشام فأتى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل اليانابا
 لبابة بن عبد المنذر وكان منا محالهم لأن له وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاتاهم فقاوا بالبابة ما ترى أن تنزل على حكم سعد بن معاذ فاشار أبو لبابة بيده إلى حلقه يعني أنه الذبح فلا
 تفعلوا قال أبو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه
 ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لأذوق طعاما
 ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال املوا لاجاء في
 لاسنة تغفرت له أما ذفعل ما فعل فاني لأطلقه حتى يتوب الله عليه فكثرت سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا
 حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا لبابة قد تيب عليك فقال والله لأحل نفسي حتى يصكون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فإذ جاءه فخذله بيده ثم قال أبو لبابة إن تمام توبتي أن أهجر دار قومي
 التي أصبت فيها الذنب وإن الخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثالث إن تصدق به
 فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر من النبي صلى الله عليه
 وسلم فيفسونونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله إن أباسفيان خرج من مكة فأتى
 جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أباسفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا صحابه
 إن أباسفيان في موضع كذا وكذا فخرجوا إليه واكتتموا وقال فيكتب رجل من المنافقين إليه إن محمدا
 يريدكم خذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول (وتخونوا أماناتكم) ومعنى الآية لا تخونوا
 الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم (وأتمتعوا) يعني أنها أمانة وقيل معناها وأتمتعوا أن ما فعلتم من
 الإشارة إلى الحاق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لأن من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد
 الأمانة وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم إذا فعلتم ذلك فقد خنت أماناتكم وقال ابن عباس
 معناها لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس هي
 ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والأعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة أعلم وأن دين الله
 أمانة فادوا إلى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمن عليها ومنه
 الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك
 أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ﷺ وقوله عز وجل (واعلموا أن أموالكم وأولادكم
 فتنة) قيل هذا لما نزل في أبي لبابة وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فأن ذلك قال ما قال خوف عليهم
 وقيل أنه عام في جميع الناس وذلك أنه ما كان الاقدام على الخيانة في الأمانة هو حب المال والولد لله والله
 سبحانه وتعالى بقوله واعلموا أن أموالكم وأولادكم فتنة على أنه يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة
 من حب المال والولد لأن ذلك يشغل القلب ويصير محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى
 البغوي بسنده عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فقبله وقال امانتهم مبخلة مجبنة وانهم
 ريحان الله وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول انكم تبخلون وتجنون
 وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا تعرف لعمر بن عبد العزيز سمعا عن خولة قولها لمن ريحان

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الله) بان تعطلوا فرائضه
 (والرسول) بان لا تستنوا
 به (وتخونوا) جزم عطف
 على لا تخونوا أي ولا تخونوا
 (أماناتكم) فيما بينكم بان
 لا تحفظوها (وأتمتعوا) بان
 تبعة ذلك ووباله أو أتم
 تعلمون انكم تخونون يعني
 ان الخيانة توجد منكم عن
 تعمد لا عن سهو أو أتم
 علماء تعلمون حسن
 الحسن وقبح التبيح ومعنى
 الخون النقص كما ان معنى
 الايفاء النمام ومنه تخونه
 اذا انتقصه ثم استعمل في
 ضد الأمانة والوفاء لانك
 اذا خنت الرجل في شيء فقد
 أدخلت عليه النقصان فيه
 (واعلموا أن أموالكم
 وأولادكم فتنة) أي سبب
 الوقوع في الفتنة وهي الأثم
 والعذاب أو محنة من الله
 ليبالوكم كيف تحافظون
 فيهم على حدوده

(وأنه اليه تحشرون)
واعلموا أنكم اليه تحشرون
فينيبكم على حسب سلامة
القلوب واخلاص الطاعة
(واتقوا فتنة) عذابا
(لأنصيين الذين ظلموا
منكم خاصة) هو جواب
للامر أي ان أصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة
ولكنها تعمكم وجزآن
تدخل النون المؤكدة في
جواب الامر لان فيه معنى
انتهى كما اذا قلت انزل عن
الدابة لا تطرحك وجزا
لا تطرحك ومن في منكم
للتبعض (واعلموا أن
الله شديد العقاب) اذا
عاقب (واذكروا اذا أنتم
قائلين) اذ مفعول به لا ظرف
أي وذكروا وقت كونكم
أقلة أدلة (مستضعفون
في الارض) أرض مكة
قبل الهجرة تستضعفكم
قريش (تخافون أن
يتخطفكم الناس) لان
الناس كانوا لهم أعداء
مضادين (فآؤاكم) الى
المدينة (وأيدكم بنصره)
بظاهرة الانصار وبامداد
الملائكة يوم بدر (ورزقكم
من الطيبات) من الغنائم
ولم تحل لاحد قبلكم (اهلكم
تسكرون) هذه النعم

قلوب بنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقاب القلوب
ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد آمنابك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين
أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على
المرء المسلم أن يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الآية ان
الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال
والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضافت صدورهم فقليل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا
أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والحبين جراءة وقوله تعالى (وأنه اليه تحشرون) يعني في
الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا فتنة
لأنصيين الذين ظلموا منكم خاصة) لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتنة
والمعنى واحذر وافتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح
والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم
قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما نرى انامن
أهلها فاذا نحن المغنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجبل وقال السدي ومجاهد والضحاك وقتادة هذا في قوم
مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم الفتنة يوم الجبل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل
المؤمنين أن لا يقرروا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده
عن عدى بن عدى الكندي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى ير والمنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن يتكروه
فلا يتكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدى بن
عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فأنكرها كن
غاب عنها ومن غاب عنها فرفضها كان كمن شهدها أخرجه أبو داود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولم
يغيروا الاصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة
ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون قنن القاعد فيها
خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من أشرف طائفة شرفه ومن وجد ملجأ
أو معاذا فليعذب به فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لأنصيين الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير
الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة الى من لم يذنب قات انه تعالى مالك الملك
وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فيحسن
ذلك منه على سبيل المالكية ولانه تعالى علم اشتمال ذلك على أنواع من أنواع المصلحة والله أعلم بمراده
وقوله سبحانه وتعالى (واعلموا أن الله شديد العقاب) فيه تحذير وعيد لمن واقع الفتنة التي حذر
الله منها وقوله عز وجل (واذكروا اذا أنتم قليل مستضعفون في الارض) لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين
بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين
المهاجرين اذا أنتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في أرض مكة في ابتداء الاسلام (تخافون
أن يتخطفكم الناس) يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب ابن منبه يعني فارس والروم
(فآؤاكم) يعني الى المدينة (وأيدكم بنصره) يعني وقواكم بالانصار وقال الكشي وقواكم يوم بدر بالملائكة
(ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم أهلها اهلكم ولم يحالها لاحد قبلكم (اهلكم تسكرون) يعني تسكرون

لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (ولو علم الله فيهم) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لا سمعهم) لجعلهم سامعين حتى يسموا وسماع المصدقين (ولو أسمعهم لتولوا) عنه أى ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم) وخذ الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالبدعوة البعث والتحرير (لما يحبيكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر لا تنجبن الجهول حلتة فذاك ميت وثوبه كفن أو لمجاهدة الكفار لانهم لورفضوا القلوبهم وقتلواهم أو للشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يميتة ففتوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من

(الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) يعنى لا يفهمون عن الله أمره ونهيهم ولا يقبلونه وانما ساءهم ذواب لقلة اتقاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلا من مصعب بن عمير وسو يبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لا سمعهم) يعنى سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام نضر الدين ان كان ما كان حاصله فيجب أن يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لا سمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهم (ولو أسمعهم) يعنى بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى (لتولوا وهم معرضون عنه ليعادهم ويخردهم الحق بعد ظهو ره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احى لنا قصيا فانه كان شيخا باركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمّن لك فقال الله سبحانه وتعالى ولو أحياهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) يعنى أجبوا بالطاعة والانقياد لامرهما (اذا دعاكم) يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير في قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل مادعا الله ورسوله اليه (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجب ثم أتيت فقلت يا رسول الله انى كنت أصلى فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي بن كعب وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباي فالتفت أبى ولم يجبه وصلى أبى وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا أبى أن تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله انى كنت في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفلم تجد فيما أوحى الله الى استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذ كر الحديث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته بدعاء أحد آخر وقيل لو دعاه أحد لامر مهم لا يحتمل التأخير فله أن يقطع صلاته ﴿ وقوله تعالى (لما يحبيكم) يعنى اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدى هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله أعزه به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصى الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدى يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن أو يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان أحوال القلوب اعتقادات ودواعى وتلك الاعتقادات والدواعى لا بد أن تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت

(نعد) لنصرته عليكم
 (وان تغنى عنكم فتكم)
 جمعكم (شياً ولو كثرت)
 عدداً (وان الله مع المؤمنين)
 بالفتح مدني وشامي
 وحقق أي ولان الله مع
 المؤمنين بالنصر كان ذلك
 وبالكسر غيرهم ويؤيده
 قراءة عبد الله وان الله مع
 المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله ورسوله ولا
 تولوا عنه) عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لان
 المعنى وأطيعوا الله ورسوله
 الله كقوله والله ورسوله
 أحق أن يرضوه ولان طاعة
 الرسول وطاعة الله شيء
 واحد من يطع الرسول
 فقد أطاع الله فكان
 رجوع الضمير إلى أحدهما
 كرجوعه إليهما كقولك
 الاحسان والاجال لا ينفع
 في فلان أو يرجع الضمير إلى
 الامر بالطاعة أي ولا تولوا
 عن هذا الامر وامتناله
 وأصله ولا تتولوا خذف
 إحدى التاء بن تخفيفا
 (وأتم تسمعون) أي وأتم
 تسمعونه أو ولا تتولوا عن
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولا تخالفوه وأنتم
 تسمعون أي تصدقون
 لانكم مؤمنون لستم كالصم
 المكذبين من الكفرة (ولا
 تكونوا كالذين قالوا
 سمعنا) أي ادعوا السماع

وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن
 الجوح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام ان يلمس في القتلى فقال
 اللهم لا يهزك فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضرته بضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال
 وضر بني ابنه عكرمة على عاتق فطرح يدي فتملقت بجلدة وأجهضني القتال عنه فلقد قالت عامة يومى وانى
 لاسحبها خلفي فلما أذنتني جعلت عليها قدحى ثم تطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معاذ بن
 عفراء فضر به حتى أئبته وتركه به رمق فر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بأخرمق فمرفته
 فوضعت رجلى على عنقه فقلت هل أتركك الله يا عدو الله قال وبماذا أتركاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني
 لمن الدولة قالت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لى أبو جهل لقد ارتقيت ياروبى الغنم مرتقى صعبا
 ثم احتزرت رأسه ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل
 فقال آله الذى لا اله غيره فقلت نعم والذى لا اله غيره ثم ألقيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله
 وقال أبى بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا
 أى تستنصروا فقد جاءكم الفتح أى النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو متوسد برودة فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعولنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ
 الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط
 الحديد مادون الحنك وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه والله ليمتن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء
 الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستجلبون قالت استدل البغوى بهذا الحديث
 على مفسر به أبى بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة فى الحديث كانت بمكة والآية مدنية
 فلانعلق للحديث بتفسير الآية والله أعلم والمكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسأله انجاز
 ما وعده من احدى الطائفتين وأخ فى الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيبا له ان
 تستفتحوا يعنى تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم الله به فقد جاءكم الفتح يعنى فقد حصل لكم ما طلبتم
 فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم
 الفتح لا يلىق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالقضاء والحكم
 لم يتنع ان يراد به الكفار أما قوله سبحانه وتعالى (وان نتهموا فهو خير لكم) فهو خطاب للكفار يعنى
 وان نتهموا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم فى الدين والدنيا أما فى الدين بان
 تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجعل لكم بذلك القوز بالثواب والخلص من العقاب وأما فى الدنيا فهو الخلاص
 من القتل والاسر (وان تعودوا نعد) يعنى وان تعودوا القتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم
 ونصره عليكم (وان تغنى عنكم فتكم) يعنى جماعتكم (شياً) يعنى لا تغنى عنكم شياً (ولو كثرت) يعنى
 جماعتكم (وان الله مع المؤمنين) يعنى بالنصر لهم عليكم بامه عشر الكفار ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله ورسوله) يعنى فى أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس (ولا تولوا عنه) يعنى عن الرسول صلى
 الله عليه وسلم لان التولى لا يصح الا فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم لافى حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه
 وعن معوته ونصرته فى الجهاد (وأتم تسمعون) يعنى القرآن يتلى عليكم (ولان تكونوا كالذين قالوا)
 بالسنتهم (سمعنا وهم لا يسمعون) يعنى وهم لا يتفظون ولا يتفقهون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه
 صفة المنافقين (ان شر الدواب عند الله) يعنى ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله

وهم المنافقون وأهل الكتاب (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتهم
 عن طاعة الرسول فى بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله

(وليبلى المؤمنين)
 وايه طيبهم (منه بلاء حسنا)
 عطاء جيلا والمعنى
 وللاحسن الى المؤمنين
 فعل ما فعل وما فعل الا ذلك
 (ان الله سميع) لدعائهم
 (عليم) باحوالهم (ذلكم)
 اشارة الى البلاء الحسن
 ومحل الرفع أى الامر ذلكم
 (وان الله موهن كيد
 الكافرين) معطوف على
 ذلكم أى المراد بلاء
 المؤمنين ونوهين كيد
 الكافرين موهن كيد
 شامى وكوفى غير حفص
 موهن كيد حفص موهن
 غيرهم (ان تستفتحوا
 ففتح) ان تستنصروا
 فقد جاءكم النصر عليكم
 وهو خطاب لاهل مكة
 لانهم حين أرادوا ان
 ينفروا تعلقوا باستار
 الكعبة وقالوا اللهم ان
 كان محمد على حق فانصره
 وان كنا على الحق فانصرنا
 وقيل ان تستفتحوا
 خطاب للمؤمنين وان
 تنهوا للكافرين أى

رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وبحصاة فى ميسرة القوم
 وبحصاة بين أظهرهم وقال شأهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولا من الله رمى
 اذ ليس فى وسع أحد من البشر ان يرمى كفا من الحصى فى وجه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من
 ذلك شئ فصورة الرمى صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وناثرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى
 صح النفي والاثبات وقيل فى معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رمية وقيل وما رميت بالرعب فى
 قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم حتى انهزموا (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا)
 يعنى واي نعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب فقد أجمع المفسرون على أن البلاء
 هنا بمعنى النعمة (ان الله سميع) يعنى لدعائكم (عليم) يعنى باحوالكم ﴿وقوله تعالى﴾ (ذلكم) يعنى الذى
 ذكرت من أمر القتل والرمى والبلاء الحسن من الظفرهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذى فعلنا (وان الله)
 يعنى واعلموا ان الله مع ذلك (موهن) أى مضعف (كيد الكافرين) يعنى مكرهم وكيدهم ﴿وقوله عز وجل﴾
 (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر
 وذلك ان أباجهال قال يوم بدر لما اتقى الجمعان اللهم أيننا كان أجر يعنى نفسه ومحمد صلى الله عليه وسلم قاطعا
 للرحم فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أيننا كان خير اعندك فانصره وقيل قال اللهم أنصر اهدى الفئتين
 وخير الفريقين وأفضل الجمعين اللهم من كان أجر وأقطع لرحمه فاحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا
 ومعنى الآية ان تستفتحوا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد
 جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقطع على القاطع (ق)
 عن عبد الرحمن بن عوف قال اتى لواقف فى الصف يوم بدر فنظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بغلامين من
 الانصار حديثه أسنانهما فتمتيت أن أكون بين أضاع منهما فغمزنى أحدهما فقال أى عم هل تعرف أبأ
 جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخى قال أخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى نفسى
 بيده لئن رأيت لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منافة فجمبت لذلك قال وغمزنى الآخر فقال لى مثلها
 فلم أنشب أن نظرت الى أبى جهل بجول فى الناس فقلت لا ترى ان هذا صاحبك الذى تسألن عنه قال
 فابتدراه بسيفهم ما فضر به حتى قتلاه ثم انصره فالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أى كما قتله
 فقال كل واحد منهما أنا قتله فقال هل مسحتما سيفيك كما قتلا لا فانظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
 السيفين فقال كلا كما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجوح
 ومعاذ بن عفرأ (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبوجهل
 فانطلق ابن مسعود فوجهه قد ضرب به ابنا عفرأ حتى برد قال فاخذ بلعيتيه فقال أنت أبوجهل وفى كتاب
 البخارى أنت أباجهال هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلتموه وقال قتله قومه وفى رواية فقال أبوجهل فلو
 غيراً كارقتلى عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا أبوجهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا أبأ
 جهل قد أخذنى الله الاخر قال ولاأهابه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضر به بسيف غير طائل فلم
 يعن شياً حتى سقط سيفه من يده فضر به حتى برد آخرجه أبو داود وآخرجه البخارى مختصر اقال انه أتى أبأ
 جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتله فوه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به
 محمد فاقح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستقضوا فقد جاءكم
 القضاء وقال السدى والكلبى كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار
 الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففيه نزلت ان
 تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سأله فكان النصر لاهدى الفئتين

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفناء جواب لشرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فاتهم لم تقتلوهم - ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم - هم بها فرمى بها في وجوههم - وقال شاهدت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينه فانهمزوا قيل (ومارميت) يا محمد (اذرميت ولكن الله رمى) يعني ان الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبالغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه أثبت الفعل من العبد بقوله اذرميت ثم نفاء عنه وأثبتته الله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامى وحزرة وعلى .

(فصل في حكم هذه الآية) اختلف العلماء في ذلك فقال أبو سعيد الخدري - هذا في أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولوانحازوا انحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشد الله عليهم أمر الانهزام وحرم عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسين وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلمهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لخاص الناس حيصة فانهمزنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل أتم الكرارون انما فئة المسلمين قوله لخاص الناس حيصة يعني جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص الحرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحازوا الى كنت له فئة انما فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولي ظهره منهزما بدليل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبي رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فلديس لقوم أن يفر ومن مثليهم فمسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفر وامنهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المثلين جاز لهم أن يفر وامنهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) قال مجاهد سبب نزول هذه الآية انهم لما انصرفوا عن قتال أهل بدر كان الرجل يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم - بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم باللائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب لشرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم أتم ولكن الله قتلهم (وما رميت اذرميت ولكن الله رمى) قال أهل التفسير والمعازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا حتى نزلوا بدر او ردت عليهم روايا قر يش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعد فاخذوهم ما أتواهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ارسول الله صلى الله عليه وسلم ابن قر يش قالاهم وراء الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا ندرى قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوم عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى ألف ثم قال لهم امن فيهم من اشراف قر يش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة ابن عدي والنضر بن الحارث وأبو جهل بن هشام وأميمة بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألت اليكم فلاذ كبد هافما أقبلت قر يش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكتيب الرمل جاء الى الوادي فقال اللهم هذه قر يش قد أقبلت بخيلائها وغرها نحاذك وتكذب رسولاك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شاهدت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينه وفه ومخبره من ذلك التراب شيء فانهمزوا وتبعهم المؤمنون يقتلوهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان

(ذلك) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بانهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاققتهم أي مخالفتهم. وهي مشتقة من الشق لأن كلالا المتأديين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعادة والمخاصمة لأن هـ ذافي عدوة وخصم أي جانب وذافي (١٨٤) عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)

هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو هب يا ابن أخي فعندك الخبر اليقين جلس إليه والناس قيام عليه فقال أبو هب يا ابن أخي أخبرني كيف كانت أحوال الناس قال لا شيء والله إن كان الآن لقيناهم فذبحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وأيم الله ما ملئت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله لا يتلقاهم شيء ولا يقوم لهم شيء قال أبو رافع فرفعت طرف الحجر بيدي وقلت تلك والله الملائكة فرجع أبو هب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فمأورته فاحتماي فضرب في الأرض ثم برك على صدرى وكنت رجلا ضعيفا فقامت إليه أم الفضل بعمود من عمد الحجر فضر بته ضربة فلقت رأسه شجرة منكروة وقالت تستضعفه إن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الأسبوع أيام حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمر واخو بنى سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيت قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ذلك) يعني الذي وقع من القتل والأسر يوم بدر (بانهم شاقوا الله ورسوله) يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشافة المخالفة وأصلها المجانبية كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) يعني إن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ﷻ ثم قال تعالى (ذلكم) إشارة إلى القتل والأسر الذي نزل بهم (فذوقوه) يعني عاجلا في الدنيا لأن ذلك يسير بالإضافة إلى المؤجل الذي أعد الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله (وأن للكافرين عذاب النار) يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالعبير يس من دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلحك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﷻ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا القيمتم الذين كفروا زحفا) يعني مجتمعين متزاحفين بعضكم إلى بعض والتزاحف التدانى في القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كأنه يمشى قبل أن يمشى ويسمى مشى الطائفتين بعضهم إلى بعض في القتال زحفا لأنها مشى كل طائفة إلى صاحبتهما مشيا ويبدأ ذلك قبل التدانى للقتال وقال نعلب الزحف المشى قليلا قليلا إلى الشيء (فلا تولوهم الأديار) يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فإن المنهزم يولى ظهره ودبره (ومن يولهم يومئذ دبره) يعني ومن ينهزم ويولد دبره يوم الحرب والقتال (المتحرف للقتال) يعني المنقطع إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصد طلب الكرة على العدو والعود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها وما يكابدها ﷻ وقوله تعالى (أو متحيزا إلى فئة) يعني أو متحيزا وصاروا إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال (فقد باء بغضب من الله) يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب إلا في هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز إلى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (وما أواه جهنم وبئس المصير)

والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذلكم فذوقوه) والواو في (وأن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا إذا القيمتم الذين كفروا زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي يرى أكثرته كأنه يزحف أي يدب ديبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالصددر (فلا تولوهم الأديار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا القيمتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قاييل فلا تنصرفوا فضلا أن تدانوهم في العددانو ساووههم أحوال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا القيمتموهم متزاحفين هم وأنتم (ومن يولهم يومئذ دبره المتحرفا) مائلا (القتال) هو الكبر بعد الفر بجبل عدوه أنه

منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزا) منضمنا (إلى فئة) إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهم أحوال من ضمير الفاعل في يولهم (فقد باء بغضب من الله وما أواه جهنم وبئس المصير) ووزن متحيز من متفيعل لامتفعل لأنه من حاز يحوز فبئس من متفعل منه متحوز ولما كسر وأهل مكة قتلوا وأسر وأوكان القائل منهم يقول تفاخر اقتلت وأمرت قيل لهم

منهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلاً على حصول النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني وسوسته التي ألقاها في قلوبكم (وليربط على قلوبكم) يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحد... ويوشبه أن تكون لفظة على صلة والمعنى ويربط قلوبكم بالصبر وما وقع فيهما من اليقين وقيل إن لفظة على ليست بصلة لأنها تفتيد الاستعلاء فيكون المعنى إن القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به الاقدام) يعني إن ذلك المطر ليد الأرض وقوى الرمل حتى تثبتت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لأن من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء وقوله سبحانه وتعالى (اذنوحى ربك الى الملائكة أنى معكم) يعني إن الله سبحانه وتعالى أوحى الى الملائكة الذين أمدهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنى معكم بالنصر والمعونة (فثبتوا الذين آمنوا) أى قلوبهم وارتفعوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقبل كما أن للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشرف كذلك للملك قوة في القاء الالهام في قلب ابن آدم بالخبر ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك الهام فلهذا هو التثبيت وقيل إن ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم أى بثوتهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشر وهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى في صورة رجل امام الصف ويقول أ بشر وإفان الله ناصركم عليهم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين (فاضربوا فوق الاعناق) قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلًا بما قبله قال ابن الأنباري ما كانت الملائكة تعرف تقابل بنى آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الرأس لأنها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا اعلى الاعناق فتكون فوق بمعنى على (واضربوا منهم كل بنان) يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليد سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن الانسان أن يبين ما يريد أن يعمل بيديه وإنما خصت بالذكور من دون سائر الاطراف لاجل أن الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب اعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو أضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان البنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كما روى عن أبي داود المازني وكان شهيداً قال انى لا تبع رجلاً من المشركين لا يضرب به اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت أنه قد قتل غيرى وعن سهل بن حنيف قال اقدر أيتنا يوم بدر وأن أحدنا يبشر بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاماً لالعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا أهل البيت فاسلمت أم الفضل واسلمت وكان العباس بهاب قوموه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذامال كثير متفرق في قوميه وكان عدواً لله أبو طرب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل أصحاب بدر كتبه الله وأخراه ووجدنا في أنفسنا قوة وعز قال أبو رافع وكنت رجلاً ضعيفاً عمل القداح وأنحتها في شجرة زمزم فوالله انى لجالس أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة إذ قبل الفاسق أبو طرب يحجر عليه حتى جلس على طناب الحجر فكان ظهره الى ظهري فبينما

أن يقع على مقتل أو غير مقتل فاضربهم أن يحرموا عليهم النوعين

(وما جعله الله) أى الامداد الذى دل عليه محمدكم (الابشرى) الابشارة بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم بكم) يعنى انكم استغنتم ونصرتمكم لقتلكم فكان الامداد باللائكة

(١٨٢)

بشارة لكم بالنصر وتسكيناً منكم ور بطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) أى ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان النصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الاسباب الامن عند الله والمنصور من نصره الله واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضى الله عنه وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على رضى الله عنه فى صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض أرخوا أذنانها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لآتم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويشبتون المؤمنين والافلاك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) بنصر أوليائه (حكيم) يقهر أعدائه (اذ يغشاكم) يدل ثاب من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو باضمار اذ كرى يغشاكم مدنى (النعاس) النوم والفاعل

خمسمائة وميكائيل عاينه السلام فى خمسمائة فى صور الرجال على خيل باق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوها بين أكتافهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما شاهده وقال أبو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العرش ثم انبته فقال يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثنياه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا وهدا وروى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدر انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لارى يتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام فى سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس فى الذى ضرب به بالسوط فظم أنه وشق وجهه وكانوا فى ماسوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثر اسواد المسلمين ويشبهوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعله الله الابشرى) يعنى وما جعل الله الاراداف بالملائكة الابشرى (ولتطمئن به قلوبكم) وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام ﴿وقوله تعالى (وما النصر الا من عند الله) يعنى ان الله هو ينصركم أيها المؤمنون فنقوا بنصره ولا تتكوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله تعالى فى جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة (ان الله عزيز) يعنى انه تعالى قوى منيع لا يقهره شئ ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شئ ويغلبه (حكيم) يعنى فى تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده ﴿وقوله سبحانه وتعالى (اذ يغشاكم النعاس أمنة) أى واذ كروا اذ يلقى عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أى أمانة من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس فى القتال أمنة من الله وفى الصلاة من الشيطان والفائدة فى كون النعاس أمنة فى القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خوفوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وقلّة المسابيح وقلّة عدددهم وعطشوا وعطشوا عطا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة فى حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدر واعلى دفعه عنهم وقيل فى كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فالهنا السبب قيل ان ذلك النعاس كان فى حكم الممجزة لانه أمر خارج للعادة ﴿وقوله سبحانه وتعالى (وينزل عليكم من السماء ماء) يعنى المطر (ليظهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كتيب رمل أعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبوا وهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأتم تصالون محدثين ومجذبين فكيف ترجون أن تظهر واعلى عدوكم فانزل الله سبحانه وتعالى مطرا سال منه الوادى فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب واملأوا الاسقية واطفأ الغبار وابدأ الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت (النعاس) النوم والفاعل

هو الله على القراءتين يغشاكم النعاس مكي وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أى اذ تنعسون أمنة بمعنى أمانة عنهم أى لامنكم أو مصدر أى فامنتم أمنة فانو بزج الرعب ويرج النفس (منه) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله (وينزل) بالتخفيف مكي وبصرى وبها تشديد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطرا (ليظهركم به) بالماء من الحدث والجنابة

عنهم أى لامنكم أو مصدر أى فامنتم أمنة فانو بزج الرعب ويرج النفس (منه) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله (وينزل) بالتخفيف مكي وبصرى وبها تشديد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطرا (ليظهركم به) بالماء من الحدث والجنابة

(وتودون ان غير ذات الشوكه تكون لكم) أى العبر وذات الشوكه ذات السلاح والشوكه كانت فى النفر اهددهم وغدتهم أى تمنون أن تكون لكم العبر لانها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تر يدون الطائفة الاخرى (و يريد الله أن يحق الحق) أى يثبتوه ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة فى محاربه ذات الشوكه وبأمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من (١٨١) قتلهم وطرحهم فى قلب بدر

بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا قال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساد الأرواح فيها فقال ما أتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا على شيا فذلك قوله سبحانه وتعالى وأذيعدكم الله الحدى الطائفتين أنهما لكم يعنى طائفة أى سفيان مع العبر وطائفة أى جهل مع النفر (وتودون) أى تريدون وتمنون (ان غير ذات الشوكه تكون لكم) والمعنى وتمنون أن العبر التى ليس فيها قتال ولا شوكه تكون لكم والشوكه الشده والقوه ويقال السلاح (و يريد الله أن يحق الحق) أى يظهر الحق ويعليه (بكلماته) يعنى بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التى سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه (ويقطع دابر الكافرين) أى ويستاصلهم حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق) يعنى ليثبت الاسلام (ويبطل الباطل) يعنى وينفى الكفر (ولو كره الجرمون) يعنى المشركون وفى الآيه سؤالان * الاول ان قوله و يريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فمعناه والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعدني هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثانى تقوية القرآن والدين واطهار منار الشريعة لان الذى وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قاتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذى هو الشرك * السؤال الثانى الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كونه ذلك الحق حقا والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كونه ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته ووقع رؤساء الباطل وقهرهم ﴿ قوله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم) أى واذا ذكر يا محمد اذ تستجيرون ربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفى المستغيثين قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهرى والقول الثانى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثمانمائة و بضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديه فجعل يهتف ربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبدني الارض فما زال يهتف ربه ما يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فانا أبو بكر فاخذ رداءه قاله على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يابني الله كفناك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم (فاستجاب لكم) أى بمدكم بالف من الملائكة مردفين) فامده الله بالملائكة قال سماك خذني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يستدني أثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فظفر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك أجمع وجاء خذت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعنى قاجاب دعاءكم أى بمدكم أصله بانى بمدكم أى مرسل اليكم مدد اورد لكم بالف من الملائكة مردفين يعنى يردف بعضهم بعضا يعنى يتبع بعضهم بعضا وحتى انه نزل جبريل عليه السلام فى

بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا قال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساد الأرواح فيها فقال ما أتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا على شيا فذلك قوله سبحانه وتعالى وأذيعدكم الله الحدى الطائفتين أنهما لكم يعنى طائفة أى سفيان مع العبر وطائفة أى جهل مع النفر (وتودون) أى تريدون وتمنون (ان غير ذات الشوكه تكون لكم) والمعنى وتمنون أن العبر التى ليس فيها قتال ولا شوكه تكون لكم والشوكه الشده والقوه ويقال السلاح (و يريد الله أن يحق الحق) أى يظهر الحق ويعليه (بكلماته) يعنى بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التى سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه (ويقطع دابر الكافرين) أى ويستاصلهم حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق) يعنى ليثبت الاسلام (ويبطل الباطل) يعنى وينفى الكفر (ولو كره الجرمون) يعنى المشركون وفى الآيه سؤالان * الاول ان قوله و يريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فمعناه والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعدني هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثانى تقوية القرآن والدين واطهار منار الشريعة لان الذى وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قاتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذى هو الشرك * السؤال الثانى الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كونه ذلك الحق حقا والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كونه ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته ووقع رؤساء الباطل وقهرهم ﴿ قوله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم) أى واذا ذكر يا محمد اذ تستجيرون ربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفى المستغيثين قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهرى والقول الثانى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثمانمائة و بضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديه فجعل يهتف ربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبدني الارض فما زال يهتف ربه ما يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فانا أبو بكر فاخذ رداءه قاله على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يابني الله كفناك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم (فاستجاب لكم) أى بمدكم بالف من الملائكة مردفين) فامده الله بالملائكة قال سماك خذني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يستدني أثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فظفر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك أجمع وجاء خذت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعنى قاجاب دعاءكم أى بمدكم أصله بانى بمدكم أى مرسل اليكم مدد اورد لكم بالف من الملائكة مردفين يعنى يردف بعضهم بعضا يعنى يتبع بعضهم بعضا وحتى انه نزل جبريل عليه السلام فى

يدعون الله يقولون أى بنا النصر على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخلص من المكروه (فاستجاب لكم) فاجاب وأصل (أتى بمدكم) بانى بمدكم خذف الجار ووساط عليه استجاب فنصب محله (بالف من الملائكة مردفين) مدنى غيره بكسر الدال وقتحه فالكسر على أنهم أوردوا غيرهم والفتح على أنه أوردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفا ذاتيه وأردفته اياه اذا اتبعته

يقع في رجالكم حتى تناول النساء وأنت تسمع ولم يكن عندك غدة شيء مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من شيء وأيم الله لا تعرض له فإن عادلا كفيكته قال فعدوت في اليوم الثالث من رؤياعا مكة وأنا حديد مغضب أرى أتي قد فاتني شيء أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيت به فوالله أتي لأمر نحوه أتعرضه أيعود لبعض ما قال فاقع به وكان أبو جهل رجلًا خفيفًا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر أذخر نحو باب المسجد يشته قال العباس فقلت في نفسي ما له اعنه الله أكل هذا فرقاني أن أشاءه قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ يبطن الوادي واقف على بعيره وقد جدد بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه أوالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشقاني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر قال فتجهز الناس سرا ولم يتخلف من أشرف قريش أحد إلا أن أباهل قد تخاف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى أن يأتونا من خلفنا فكا ذلك أن يشتمهم فتمدى لهم ابليس في صورة سرافة ابن مالك بن جعشم وكان من أشرف بني بكر فقال أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سرا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه لليل مضت من شهر رمضان حتى باغ وادي يقال له ذا قرد فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن غيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء أخذنا عين القوم فأخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينه من جهينة حليفًا للأنصار يدعى أريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال إن الله وعدهم أحدى الطائفتين أنهما لكم أما العير وأما قريش وكانت العير أحب إليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحب النضير فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فمحن معك والله ما نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجادنا معك من دونه حتى نباغته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خير أو دعاه بخبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الأنصار وذلك لأنهم عدد الناس وأنهم حين يبيعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله أبا رآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إليها فانت في ذمامنا فمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا من دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسيروا معه إلى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنابك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ووثقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا أحد وما ننكره أن تاتي بنا عدونا واعدوك أنا نصير عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا علي بركة الله وأبشر وإفان الله عز وجل قد وعدني أحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم (م) عن أنس ابن مالك أن عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في

والنفي والتقدير واذ بعدكم
الله أن أحدى الطائفتين
لكم

أبوجهل قد أقبل فقالوا عليك بالبرودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضی الله عنهما فاحسبنا ثم قام سعد ابن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فانامعك حيث أحببت لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك

اذهب أنت وربك فقاتلا انا هما فاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون مادامت عين منا طرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله أبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله ليكأني الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين اكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل أن يكونوا مخلصين وأن يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهين له (بجادلونك في الحق) الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفي لا يثارهم عليه

وسلاحهم (بجادلونك في الحق) وذلك ان المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا أن نلتقي العدو فنستعد لقتالهم وانما سخرنا لطلب العير فذلك جداهم (بعد ما تبين) يعني تبين لهم أنك لا تصنع شيئا الا بامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد (كأنما يساقون الى الموت) يعني لشدة كراهتهم القتال (وهم ينظرون) يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجري الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم أنه آتية ﴿ قوله عز وجل (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) يعني الفرقتين فرقة أبي سفيان مع العير وفرقة أبي جهل مع النفيير (أنها لكم) يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدي أقبل أبو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في أر بعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كبيرة وهي الطييمة يريد بالطييمة الجمال التي تحمل العطر والبر غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكم وهو حافظ تدب الناس نخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صل الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع أبو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم أن محمد أتى أصحابه قد عرض اعيانهم فخرج ضمضم سرا الى مكة وكانت عائكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفزعها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا فاعزعتني وخشيت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ منها بأعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعده على رأس أبي قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فابقي بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الاود خلفها منها فلقه فقال العباس والله ان هذه الرؤيا فظيمة فاعتقها ولا تذكر بها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عائكة له واستكتمها اياها فذكرها الوليد لايه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فعمدت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عائكة فعدوت أطوف فلما رأني أبوجهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي أبوجهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذلك قال الرؤيا التي رأت عائكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيت أن تنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم لقد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنترتبص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فس يكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا بانكم كذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا أني سجدت ذلك وأنكرت أن تكون عائكة رأت شيئا ثم تفرقنا فلما أمسبت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتني فقلن أقررت لهذا الفاسق الحديث أن

تلقى العير (بعد ما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجداهم قوطم ما كان خروجا للعبير وهلا قلت لالنسة معد ذلك اكرهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسارهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها الا يشك فيها وقيل كان خوفهم اقلة العدو وانهم كانوا رجالا وما كان نهم الافارسان (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) اذ منصوب باذ كرواحدى مفعول ثان (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير

(الذين يقيمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لمصدر محذوف أى أولئك هم المؤمنون (١٧٧) إيماناً حقا وهو مصدر مؤكد

للعجالة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله إن رجلا سأله أمؤمن أنت قال إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وما لا تكتنه وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله إيماناً المؤمنون الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآيات كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وهذا يشبه من يقول أنا مؤمن إن شاء الله وكان أبو حنيفة لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثنى في إيمانك قال أتباع إبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى وعن إبراهيم التيمي قل أنا مؤمن حقا فإن صدقت أثبت عليه وإن كذبت فكفر أشد من كذبك وعن ابن عباس رضي

يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من أموره الأعلى الله عز وجل واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى (الذين يقيمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون) يعنى يقيمون الصلاة المفروضة بحمد وودها وأركانها في أوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في أنواع البر والقربات ثم قال تعالى (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم المؤمنون حقا) يعنى يقينا لا شك في إيمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال قتادة استحقوا الإيمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحدهم نفسه بكونه مؤمنا حقا إلا أن الله سبحانه وتعالى إنما وصف بذلك أقواما مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتعلق بمسئلة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلوا في أن يقول أنا مؤمن حقا أم لا فقال أصحاب الإمام أبي حنيفة الأولى أن يقول أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين * الأول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد كذلك هذه المسئلة يجب فيها أن يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله * الوجه الثاني أنه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا وفي قوله أنا مؤمن إن شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله واحتجوا بصحة هذا القول بوجوده * الأول أن الإيمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والقرار والعمل وكون الإنسان آتيا بالأعمال الصالحة المقبولة أمر مشكوك فيه والشك في أحد أجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وإن كان اعتقاده وقراره صحيحا وعنده أصحاب أبي حنيفة أن الإيمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الإيمان فلم يلزم حصول الشك * الوجه الثاني أن قولنا أنا مؤمن إن شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن إذا قال الرجل أنا مؤمن فقد مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال إن شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الانكسار وروى أن أبا حنيفة قال اقتاده لم استثنيت في إيمانك فقال قتادة أتباع إبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى فانتقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة أن يقول إن إبراهيم قال بعد قوله إيماناً من قلبي فطلب مزيد الظم أئبنة * الوجه الثالث إن الله سبحانه وتعالى ذكر في أول الآية إيماناً مؤمنون ولفظة إيماناً تفيد الحصر يعنى إيماناً المؤمنين الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك أوصاف خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والإيمان بالصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى وإيتاء الزكاة ثم بعد ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقا يعنى أن من أتى بجميع هذه الأوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد أن يتطوع بحصول هذه الصفات له فكان الأولى له أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وقال ابن أبي نجیح سأل رجل الحسن فقال أمؤمن أنت فقال الحسن إن كنت سألتني عن الإيمان بالله وما لا تكتنه وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا مؤمن مؤمن وإن كنت سألتني عن قوله إيماناً المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجدت قلوبهم الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وقال علقمة كنانى سفر فلقينا قوم فقلنا من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى

(٢٣ - (خازن) - ثانی) الله عنهم ما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحد فقال إيش اسمك فقال أحد فقال أنت قول أنا حقا أو أنا حقا إن شاء الله فقال أنا حقا فقال حيث مهاك والداك لا تستثنى وقد سماك الله في القرآن مؤمنا تستثنى

مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الآية صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجت قلوبهم اى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خرقوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال اهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه للمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لان منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجع هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من تلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعنا في آية واحدة وهي قوله سبحانه وتعالى تقشعرونه جاود الذين يخشون ربهم ثم تلين جاودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعرونه جاودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جاودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمنين ﷺ ثم قال تعالى (واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا) يعنى واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقه قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزياة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار بتصديقا و ايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شئين كان أكبر ممن يصدقه في شئ واحد فقوله تعالى واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلاف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق التلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على أن الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين أحدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثانى انه ذكر في هذه الآية أوصاف متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الاوصاف داخلة في معنى الايمان وروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى واذا كان كذلك كان قابلا لزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكان له صحبة ان للايمان زيادة ونقصا قيل له فزادته قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته واذا سبهونا ونوغنا فنأفدك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان للايمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودا وسننا فن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (وعلى ربهم يتوكلون) معناه يفوضون جميع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه اعلم أن المؤمن اذا كان واثقا بوعده الله ووعده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهى درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان

استعظامه وتهيبامه
جلاله وعزه وسلطانه
(واذا نلت عليهم آياته)
أى القرآن (زادتهم ايمانا)
ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة
لان تظاهر الادلة أقوى
للمدلول عليه وأثبت
لقدمه أوزادتهم ايمانا بتلك
الآيات لانهم لم يؤمنوا
باحكامها قبل (وعلى ربهم
يتوكلون) يعتمدون ولا
يفوضون أمورهم الى غير
ربهم لا يخشون ولا يرجون
الاياه

في غنائم بدر وفي قسمتها
فسألوا رسول الله كيف
تقسم ولما حكم في قسمتها
للمهاجرين أم للنصارأ
لهم جميعا فقيل له قل لهم هي
لرسول الله وهو الحاكم
فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء
ليس لاحد غيره فيها حكم
ومعنى الجمع بين ذكر الله
والرسول أن حكمها مختص
بالله ورسوله بامر الله
بقسمتها على ما تقتضيه
حكمته ويمثل الرسول أمر
الله فيها وليس الامر في
قسمتها مفوضا الى رأى
أحد (فانقوا الله) في
الاختلاف والتخاصم
وكونوا متآخين في الله
(وأصلحوا ذات بينكم)
أحوال بينكم يعني ما بينكم
من الاحوال حتى تكون
أحوال ألفة ومحبة واتفاق
وقال الزجاج معنى ذات
بينكم حقيقة وصلكم
والبين الوصل أى فانقوا
الله وكونوا مجتمعين على
أمر الله ورسوله به قال
عبادة بن الصامت رضى الله
عنه نزلت فينا يومئذ
أصحاب بدر حين اختلفنا
في النفل وساعت فيه
أخلاقنا فنزعه الله من
أيدينا فجعله لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قسمه
بين المسلمين على السواء
(وأطيعوا الله ورسوله)
فما أمرتم به في الغنائم

صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ولو لانحن ما أصبتموه وقال الذين
يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نعد أن نقاتل العدو ولكننا اخفنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم غرة العدو وفقمنا دونها فأتم باحق منافزات هذه الآية وروى مكحول عن أبي امامة الباهلي قال
سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساعت فيه
أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيننا عن بواء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين
وعن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفى صدرى من
المشركين أو نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولالك فقلت عسى أن يعطى هذا من لا يبلى بلائى
بخاء في الرسول فقال انك سألتني وإيس لي وأنه قد صار لي وهولك فنزلت يستلونك عن الانفال الآية أخرجه
أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد
ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة واذا فيها سيف فاخذته فأنبت به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنى هذا السيف فانما من قد علمت حاله فقال رده من حيث أخذته فانظاقت به
حتى أردت أن ألقيه في القُبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت أعطنيته قال فشد على صوت رده من حيث
أخذته فانزل الله عز وجل يستلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة ليس لاحد فيها شيء وما أصاب سرايا المسلمين من سبي أتوه به فمن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غنول وأما
التفسير فله سبحانه وتعالى يستلونك عن الانفال استفتاء يعنى يسألك أصحابك يا محمد عن حكم الانفال
وعلمها وهو سؤال استفتاء لاسؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال أى من
الانفال وعن معنى من وقيل عن صلة أى يستلونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة
ومجاهد وقتادة وأصله زيادة سميت الغنائم أنفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص
وأكثر المفسرين على انها نزلت في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من
عبد أو امرأة أو متاع فهو للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء (قل الانفال لله والرسول) أى قل لهم يا محمد
ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمها كيف شاء واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة
والسدى هذه الآية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله
خمسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولما شاء ثم نسخها
الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجهه منسوخة من وجهه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم
الذين من قبلنا في شرائع انبيائهم فاباحها الله لهذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت
بآية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا
القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من
شيء فان لله خمس وللرسول الآية ووضح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية
فغنمنا بلا فاصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا ونقلنا بعيرا بعيرا أخرجه في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية
محكمة وللإمام أن ينفل من شاء من الجيش ماشاء قبل التحميس (فانقوا الله) يعنى اتقوا الله بطاعته واتقوا
مخالفته وأركو المنازعة والمخاصمة في الغنائم (وأصلحوا ذات بينكم) أى اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة
والمخالفة وبسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فيما يأمركم به وينهيككم عنه (ان
كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بوعده الله ووعيدته قوله سبحانه وتعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم) لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة ثم قال به ذلك ان كنتم

وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كالملى الايمان (انما المؤمنون) انما الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فرغت لذكركه

ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر
مكروهة استحب لالعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع أوقانه مشتغلا بما يقر به الى الله
عز وجل من صلاة أو ذكر ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان الذين عند ربك) يعني الملائكة المقر بين لما أمر الله
عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف أخبر ان الملائكة الذين عنده
مع علوم ربهم وشرفهم وعصمتهم (لا يستكبرون عن عبادته) وطاعته لانهم عبيده خاضعون اعظمته
وكبريائه عز وجل (ويسبحونه) يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان ربنا (وله يسجدون)
لاغيره فان قلت التسبيح والسجود اخلاق في قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته لانهم من جملة العبادة
فكيف أقردهما بالذكر قلت أخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لهظمته لا يستكبرون عن
عبادته ثم أخبر عن صفة عبادتهم انهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين أعمال
القلوب وأعمال الجوارح وأعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله
و يسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب
للقارئ والمستمع أن يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقر بين في عباداتهم (ق) عن عبد
الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ويسجد معه حتى
ما يجدها بعضا مواضع المكان جبهته في غير وقت صلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ربنا ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة
وأمرت بالسجود فابيت في النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك
بها خطيئة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الانفال ﴾

مدنية كلها الا سبع آيات منها نزلت بمكة وهي من قوله سبحانه وتعالى واذا نكر بك الذين كفروا الى آخر سبع
آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون
كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (يسئلونك عن الانفال) (ق) عن سعيد بن جبيرة قال سألت ابن عباس عن سورة
الانفال قال نزلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل
قتيلا فله كذا ففتسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا ولا تستأثر وابه علينا فاننا كنا ردأ لكم ولو
انكشفتم انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو
اليسر بن عمر والنصارى أخو بني سلمة فقال يارسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وكذا وان اقد
قتلنا سبعين وأسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعتنا ان نطلب ما نطلب هو لآخرة في الآخرة
ولاجين عن العدو لکن کرهنا ان نعرى مصافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض
عنه ما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يارسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هو لآ
الذين ذكرت لا يبق لا صحابك كبير شيء فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسامعون فيه فقال من جمعه هوانا وكان رسول الله

(ان الذين عند ربك)
مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا
يعني الملائكة (لا يستكبرون
عن عبادته) لا يعظمون
عنها (ويسبحونه)
وينزهونه عما لا يليق به
(وله يسجدون) ويخصونه
بالعبادة لا يشركون به
غيره والله أعلم

﴿ سورة الانفال مدنية
وهي خمس وأست وأربع
وسبعون آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يسئلونك عن الانفال)

لا يقرأ سواء أمر الامام أو جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال ان الآية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من أوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذا قرأ الفاتحة خلف الامام يتبع سكتانه ولا ينازع في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روى عن عباد بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فنقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اراكم تقرؤن وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله أى والله قال لا تفعلوا الا بما القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها أخرجه الترمذي بطوله وأخرجه في الصحيحين أقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة اننا نكون وراء الامام قال اقرأها في نفسك وذكرا الحديث وقوله سبحانه وتعالى (اعلمكم ترجمون) يعني لكي يرجحكم بكم باتباعكم ما أمركم به من أوامره ونواهيه وقوله عز وجل (واذ كرر بك في نفسك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لانه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القرآن في الصلاة يندأ قرأ في نفسك والفائدة فيه ان ارتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس أقرب الى الاخلاص والبعد عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عارياً عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب واستشعار عظمة المذكور عز وجل (تضرعاً) يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذلل واستكان لغيره (وخيفة ودون الجهر من القول) يعني وخوفاً والمعنى تضرع الى وخف عذابي وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكروه في الصدور بالتضرع والاستسكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة وهي ان قوله سبحانه وتعالى واذا كرر بك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالترية والرحمة والفضل والاحسان فاذا نذر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعاً وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوى ايمانه والمستحب أن يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنا آخر أجله فيستحب أن يغلب رجاءه على خوفه عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وانى أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو منه وأمنه عما يخاف أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (بالغدو) جمع غدوة (والآصال) جمع أصل وهي ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذا كرر بك بالبكر والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أحوال الموت فاستحب له أن يستقبل حالة الاتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ايكون أول أعماله ذكر الله عز وجل وأما وقت الآصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أحوال الموت فيستحب له أن يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النوم فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى (ولا تكن من الغافلين) يعني عما يقر بك الى الله عز وجل وقيل ان أعمال العبد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين

لعلمكم ترجمون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجهاً للصحة رضى الله عنهم على انه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح (واذ كرر بك في نفسك) هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعاً وخيفة) متضرعاً وخائفاً (ودون الجهر من القول) ومتكلماً كلاماً دون الجهر لان لاخفاء أدخل في الاخلاص وأقرب الى حسن التفكير (بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين وقيل المراد ادامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات والآصال جمع أصل والاصل جمع أصيل وهو العشى (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه

قوله عز وجل (واذالم تأتهم بآية) يعني واذا الم تأت المشركين يا محمد بآية ومجزة باهزة (قالوا) يعني قال المشركون (لولا اجتبيتها) يعني افتعلناها ونسأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان أهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات آمنتاً فاذا تأخرت اتمهوه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا أحدنوها ونسأتها من عندك (قل) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين سألوا الآيات (انما أتبع ما يوحى الى من ربي) يعني القرآن الذي أنزل على وليس لي أن أفتوح الآيات والمجرات (هذا بصائر من ربكم) يعني هذا القرآن حجة وبرهان وأصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سبب البصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب (وهدي) يعني وهو هدي (ورحمة) يعني وهو رحمة من الله (لقوم يؤمنون) وهنالك طيفة وهي الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالشاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من باغ درجة الاستدلال والنظر وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم أصحاب حق اليقين فالقرآن في حق الاولين وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدي وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) لماذا ذكر الله سبحانه وتعالى عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدي ورحمة لقوم يؤمنون أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعني أصغوا اليه باسماءكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواضعه وأنصتوا يعني عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وأنصت واتصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي أمر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذا قرأ لأن قوله فاستمعوا له وأنصتوا أمر وظاهر الامر للوجوب فقطضه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في ذلك أقوال القول الاول وهو قول الحسن وأهل الظاهر أن تجرى هذه الآيات على العموم في أي وقت وأي موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت والقول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روى عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بجوارحهم فامر بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال جفاء القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال أما أن لكم أن تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة وانفقوا على أنه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت اصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت أخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة وأسر روى ذلك عن عمرو وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى أنه يقرأ فيما أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيما جهر الامام فيه يروى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد واسحق وذهب قوم الى انه

وانما جمع الضمير في اخوانهم والشية طان مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتهم بآية) مقترحة (قالوا لولا اجتبيتها) هلا اخترعتها أي اختلقتها كما اختاقت ما قبلها (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي) ولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدي ورحمة لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا

كانه ينحس الناس حين
يغريهم على المعاصى وجعل
النزغ نازغا كما قيل جد جده
أو أريد بنزغ الشيطان
اعتراء الغضب كقول أبى
بكر رضى الله عنه أن لى
شيطانا يعتربنى (انه سميع)
لنزغه (عليم) بدفعه (ان

الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان)
طيف مكى وبصرى وعلى
أى لمة منه مصدر من قولهم
طاف به الخيال يطيف
طيفا وعن أبى عمر وهما
واحد وهى الوسوسة وهذا
تا كيد لما تقدم من
وجوب الاستعاذة بالله
عند نزغ الشيطان وان
عادة المتقين اذا أصابهم
أذى نزغ من الشيطان
والملم بوسوسته (تذكروا)
ما أمر الله به ونهى عنه
(فاذا هم مبصرون)
فابصروا السداد ودفعوا
وسوسته وحقيقته أن
يفروا منه الى الله فيزدادوا
بصيرة من الله بالله
(واخوانهم) وأما اخوان
الشياطين من شياطين
الانس فان الشياطين
(يمدونهم فى النى) أى
يكونون مدد لهم فيه
ويعدونهم ويمدونهم
من الامداد مدنى (ثم
لا يقصرون) ثم لا يسكون
عن اغوائهم حتى يبصروا

الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب فانزل الله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه
سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونحسه فى القلب وقيل النزغ الاتزجاج أى كثيرا يكون عند
الغضب وأصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت بين القوم اذا أفسدت بينهم وقال الزجاج
النزغ أذى حركة تكون ومن الشيطان أذى وسوسة والمعنى واما يصيبك يا محمد ويعرض لك من الشيطان
وسوسة أو نحسة (فاستعذ بالله) يعنى فاستعجرب الله والجا اليه فى دفعه عنك (انه سميع) يعنى لدعائك (عليم)
بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا فى حل الانسان على ما لا ينبغى فى حالة الغضب والغيظ فامر الله بالالتجاء
اليه والتعوذ به فى تلك الحالة فهى تجرى مجرى العلاج لذلك المرض

فصل واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بهذه الآية * فقالوا لو كان النبى معصوما لم يكن للشيطان
عليه سبيل حتى ينزغ فى قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل
فى قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وان لم يحصل ذلك له ألبته فهو كقوله ائن أشركت وهو برى من
الشرك البتة والوجه الثانى على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى
الله عليه وسلم عن قبولها وتبوتها فى قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياى الا أن الله
أعانتى عليه فأسلم فلا يامر فى الاجحيز قال الشيخ محيى الدين النووى ويروى فاسلم بفتح الميم وضمها فن رفع قال
معناه فاسلم أنا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين أسلم من الاسلام يعنى صار مؤمنا لا يامر فى الاجحيز
قال الخطابى الصحيح المختار الرفع ورجح القاضى عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار اقول فلا يامر فى
الاجحيز قال القاضى عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان فى جسمه
وخطره ولسانه وفى هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه أعلمنا انه معنا التحترز
عنه بحسب الامكان والله أعلم الوجه الثالث يحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره
ومعناه واما ينزغنك أيها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
قوله سبجانا وتعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف) وقرئ طيف (من الشيطان) وهما لغتان ومعناه
الشيء يل بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف
ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الازهرى الطيف فى كلام العرب الجنون وقيل
للغضب طيف لان الغضب ان يشبه الجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان
تشبه لمة الحبال فذكر فى الآية الاولى النزغ وهو أخف من الطيف المذكور فى هذه الآية لان حالة الشيطان
مع الانبياء أضعف من حاله مع غيرهم (تذكروا) يعنى عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيد
قال سعيد بن جبير هو الرجل بغضب الغضب فيذكر الله فيسكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يل بالذنب فيذكر
الله فيقوم ويدعه (فاذا هم مبصرون) يعنى انهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكر والتفكير وقال السدى
اذا زلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا أصابه نزغ من الشيطان تذكروا وعرف انه معصية فابصروا ونزغ عن
مخالفة الله عز وجل (واخوانهم) يعنى واخوان الشياطين من المشركين (يمدونهم) أى يمددهم الشياطين
(فى النى) قال الكلبى لكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أى يطيلون لهم فى الاغواء حتى يستمروا عليه
وقيل يزبدونهم فى الضلالة (ثم لا يقصرون) يعنى لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال
المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا أصابه طيف من الشيطان تذكروا وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر
والكافر مستقر فى ضلالته لا يتذكر ولا يرعوى وقال ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات
ولا الشياطين بمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون عن فعل الانس والشياطين جميعا

اجتهدتم في كيدى لم تصالوا الى ضرى لان الله يدفع عنى وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فلا تنظرون) أى لاتهم لولن واعجلوا في كيدى أتم وشركاؤكم (ان ولي الله) يعنى ان الذى يتولى حفظى وينصرنى عليكم هو الله (الذى نزل الكتاب) يعنى القرآن والمعنى كما يدنى بانزال القرآن على كذلك يتولى حفظى وينصرنى (وهو يتولى الصالحين) يعنى يتولاهم بنصره وحفظه فلا تضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء وأكادهم بشرى قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعبدون بالله شياً ولا يعصونه وفى هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شئ ۞ قوله عز وجل (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها أن الآية الأولى مذكورة على جهة التقرير والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذى يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهى ليست كذلك فلا تكون معبودة ۞ وقوله سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعون ولا يراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسمعون ولا يراهم قد صمت عن سماع الحق وراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعنى يبصائر قلوبهم وذهب أكثر المفسرين الى أن هذه الآية أيضاً وردة في صفات الاصنام لانها جاد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ۞ قوله تعالى (خذ العفو) العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستعصوا عليك فتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعنى خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو التساهل في كل شئ (خ) عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف وأمر بالعرف الا في أخلاق الناس وفى رواية قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وكذا في جامع الاصول وفى الجمع بين الصحيحين للحميدى قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وأكافأ وقال ابن عباس يعنى خذ ما عفاك من أموالهم فأتوك به من شئ نخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بقرات الصدقات وتفضيلها وما انتهت اليه وقال السدى خذ العفو أى الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفاك من أموالهم وهذا قبل أن تفرض الصدقة المفروضة (وأمر بالعرف) يعنى وأمر بكل ما أمرك الله به وهو كل ما عرفتمه بالوحى من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا اله الا الله (وأعرض عن الجاهلين) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين وهذا قبل أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخاً بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ أولها أخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخير بل ما هذا قال لأدرى حتى أسأل ثم رجعت فقال ان ربك يا مكرم أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوى بعيرسند وقال جعفر الصادق أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولا مستخاباً فى الاسواق ولا يجزى بالسبىة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال ۞ قوله عز وجل (واما ينزغك من الشيطان نزغ) قال ابن زيد لما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى

آلهتهم فامر أن يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (ان ولي) ناصرى عليكم (الله الذى نزل الكتاب) أوحى الى وأعزنى برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن سنته أن ينصر الصالحين ممن عباده ولا يخذلهم (والذين تدعون من دونه) من دون الله (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعون ولا يراهم ينظرون اليك (يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقة الى الشئ ينظر اليه) وهم لا يبصرون (المرئى) خذ العفو) هو ضد الجهد أى ما عفاك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا (وأمر بالعرف) بالمعروف والجميل من الافعال وأهوكل خصلة يرتضيها العقل و يقبلها الشرع (وعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرهما جبريل عليه السلام بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق أمر الله نبيه عليه

وقدر (ان انا الانذير وبشير)

ان انا العبد ارسلت نذيرا
وبشيرا وامن شأني ان
اعلم الغيب واللام في
(لقوم يؤمنون) يتعلق
بالتذير والبشير لان التذيرة
والبشارة انما ينفعان فيهم
او بالبشير وحده والمتعلق
بالتذير محذوف أي الا
نذير للكافرين وبشير
لقوم يؤمنون (هو الذي
خلقكم من نفس واحدة)
هي نفس آدم عليه السلام
(وجعل منها زوجها) حواء
خلقها من جسد آدم من
ضلع من أضلاع (ليسكن
الهما) ليطمئن ويميل لان
الجنس الى الجنس أميل
خصوصا اذا كان بعضامنه
كما يسكن الانسان الى ولده
وعب حبة نفسه لكونه
بضعة منه وقد كرر ليسكن
بعد ما أتت في قوله واحدة
وخلق منها زوجها بال
معنى النفس ليسين أن
المراد بها آدم (فلما تغشاها)
جامعها (جملت جلا خفيفا)
خف عليها ولم تلق منها ما
يلتقي بعض الحبالي من
جاهن من الكرب والاذى
ولم تستنقله كما يستنقله
(فمرت به) فغضت به الى
وقت ميلاده من غير
اخذاج ولا زلاق أو جلت
جلا خفيفا يعني النطفة
فمرت به فقامت به وقعدت

يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن جرير معناه لا أملك لنفسي نفعا ولا ضارا من الهدى والضلالة ولو كنت
أعلم الغيب بد وقت الموت لاستكثر من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان أهل مكة لما سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنزل الله تعالى الآية الاولى وهذه الآية ومعناه انا لا ادعى علم الغيب
حتى أخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طابوه بالخبايا عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم
الغيب فان قلت قد أخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت أحاديث في الصحيح بذلك وهو من
أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من الخير
قلت يحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا أعلم الغيب الا أن يطلعني
الله عليه ويقدره لي ويحتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما أطلعه الله
عز وجل أخبر به كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول أو يسخون خرج هذا
الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهره الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فاخبر عنها
ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسنى السوء يعني الجنون وذلك
أنهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من تحصيل الخير واحترزت عن الشر
حتى أصير بحيث لا يمسنى السوء قيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما
مسنى السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة (ان انا الانذير) يعني ما انا الرسول ارسلى
الله اليكم أنذركم وأخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا (وبشير) يعني وأبشر بشوابه (لقوم يؤمنون) يعني يصدقون
قوله عز وجل (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) يعني
وخلق منها زوجها حواء وقد تقدم كيفية خلق حواء من ضلع آدم في أول سورة النساء (ليسكن الهما) يعني
ليأمنس بها ويأوى (فلما تغشاها) يعني واقعا وجامعا كنى به عن الجماع أحسن كناية لان الغشيان آتيان
الرجل المرأة وقد غشها وتغشاها اذا علاها وتجلها (جملت جلا خفيفا) يعني النطفة والمني لان أول ما تحمّل
النطفة وهي خفيفة عليها (فمرت به) يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها (فلما
انقلت) أي صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل وندت مدة ولادتها (دعوا الله ربهما) يعني ان آدم وحواء
دعوا الله ربهما (لئن آتيتنا صالحا) يعني لئن أعطيتنا بشرا سويا مثلنا (انكونن من الشاكرين) يعني لك
على انعامك علينا قال المفسرون لما أهبط آدم وحواء الى الارض أقيمت الشهوة في نفس آدم فاصاب حواء
فحملت من ساعتها فلما نقل الحمل وكبر الولد أنها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما أدري قال اني
أخاف أن يكون هيمه أو كلب أو خنزير أو ثور في الارض الابهيمة وأنحوها قالت اني أخاف بهض ذلك قال
وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك أو من فيك أو يشق بطنك فيقته لك تخافت حواء من ذلك وذكرته
لآدم فلم يزال في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء
لآدم عليه السلام فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعادها ابليس فلم يزل يها حتى غرهما فلما ولدت سمياه
عبد الحرث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصليهم الموت
قانا هما ابليس فقال ان سر كما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن
سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جلت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعش لها ولد
فقال سميه عبد الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب لان عرفه الامن حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال قدر رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك

(فاما انقلت) حان وقت ثقل حملها (دعوا الله ربهما) دعاء آدم وحواء ربهما وذلك أمرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلجأ اليه فقالا
(لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أو ولدا ذكر الان الذكور من الصلاح (انكونن من الشاكرين) لك والضمير في

كل من أهلها من الملائكة
والنقلتين أهمه شان الساعة
ويتمنى أن ينجلي له علمها
ويشق عليه حفاؤها وثقل
عليه أو ثقلت فيها لان أهلها
بمخافون شداؤها وأهوالها
(لأناتيكم الابغته) جأة
على غفلة منكم (يسئلونك
كانك حفي عنها) كانك
عالم بها وحقيقته كانك بليغ
في السؤال عنها لان من
بالغ في المسئلة عن الشئ
والتنقير عنه استحك علمه
فيها وأصل هذا التركيب
المبالغه ومنه احفاء الشارب
أو عنهما متعلق يسئلونك أي
سئلونك عنها كانك حفي أي
عالم بها (قل انما علمها عند الله)
وكرر يسئلونك وانما علمها
عند الله لئلا كيد ولزيادة
كانك حفي عنها وعلى هذا
تكرر العلماء في كتبهم
لا يتحلون المكرر من فائدة
منهم محمد بن الحسن رحمه
الله (ولكن أ كثر الناس
لا يعلمون) انه المختص
بالعلم بها قل لا أملك لنفسي
نفسا ولا ضرا الا ما شاء
الله) هو اظهار للعبودية
وبراءه عما يختص بالربوبية
من علم الغيب أي أنا عبد
ضعيف لا أملك لنفسي
اجتلاب نفع ولا دفع ضرر
كالمالك الا ما شاء مالي
من النفع لي والدفع عنى

فلم يطلع عليه أحد او مر حديث الايمان والاسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال
فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها با علم من السائل قال المحققون ومبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها
عن العباد ليسكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف
واشفاق منها فيكون ذلك أدمى لهم الى الطاعة والتوبة وأزجر لهم عن المعصية (لا يجلبها الوقتها الا هو) قال
بجاهد لا يأتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها الوقتها الا هو والتجلية اظهار الشئ بعد خفائه والمعنى لا يظهرها
لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره (ثقلت في السموات والارض) يعني ثقل أمرها وخفي علمها على
أهل السموات والارض فكل شئ خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل
السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب (لأناتيكم الابغته) يعني
جأة على حين غفلة من الخلق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقوم الساعة
وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه وتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا
يطعمه وانتقوم الساعة وهو يلميط حوضه فلا يسقي فيه وانتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها
* اللقحة بفتح اللام وكسرهما الناقه القرية العهد بالنجاح قوله يلميط حوضه ويروي بلوط حوضه يعني يطينه
ويصلحه يقال لاط حوضه يلميطه أو يلوطه اذا طينته وأصله من الصوق والاكهة بضم الهمزة اللقمة وقوله
سبحانه وتعالى (يسئلونك كانك حفي عنها) يعني يسألك قومك عن الساعة كانك حفي بهم يعني بار بهم
شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تديره يسئلونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول
كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمد صلى الله عليه وسلم عن الساعة
سألوه سؤال قوم كأنهم يرون ان محمد صلى الله عليه وسلم حفي بهم فواضح الله عز وجل اليه انما علمها عنده
استأثر بعلمها فلم يطلع عليها مذكورا ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كانك حفي بها أي عالم بها من قولهم
أحفيت في المسئلة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها (قل) يعني قل يا محمد (انما علمها عند الله) يعني
استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الساعة أيان
مرسها وقوله سبحانه وتعالى نائيا يسئلونك كانك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال
الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن أحوالها من ثقلها وشداؤها فلم يلزم التكرار
فان قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله تعالى علمها عند ربى وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله
تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال
الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عند ربى ولما كان السؤال
الثاني واقعا عن أحوالها وشداؤها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى عند الله لانه أعظم
الاسماء (ولكن أ كثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون أن علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى
لا يسألوا عنه وقيل ولكن أ كثر الناس لا يعلمون السبب الذي من أجله أخفي علم وقت قيامها المغيب عن
الخلق ﴿قوله سبحانه وتعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا
يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلفن شترى به فترج فيه عند الغلاء وبالارض التي يريد ان تجذب
فترحل عنها الى ما قد أخذت فأنزل الله عز وجل قل لا أملك أى قل يا محمد لا أملك ولا أقدر لنفسى نفعا أى
اجتلاب نفع بان أربح فيما أشتريه ولا ضرا يعني ولا أقدر ان أدفع عن نفسى ضرا نزل بها بان ارتحل الى
الارض الخصبه وأترك الجدبة (الا ما شاء الله) يعني ان أملكه وأقدر عليه (ولو كنت أعلم الغيب
لاستكثر من الخير) يعني ولو كنت أعلم وقت الخصب والجذب لاستكثر من المال (وما منى السوء)

(ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من الخير وما منى السوء) أى لكأت حالى على خلاف ما هي عليه
عن استكثر الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شئ منها ولم أكن غالب امره ومغلوب بأخرى في الحروب وقيل الغيب الاجل والخير

(أولم يتفكروا ما يصاحبهم) محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف أى أولم يتفكروا فى قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله ما يصاحبهم (من جنة) جنون (ان هو الانذير مبين) منذر من الله موضح انداره (أولم ينظروا) نظر استدلالات (فى ملكوت السموات والارض) الملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شئ) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشئ من اجناس لا يحصرها العدد (وان عسى) ان مخففة من التثنية وأصله وأنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو فى موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى أولم ينظروا (١٦٥) فى ان الشأن والحديث عسى

(أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلهم يموتون عما قرىب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينسجهم قبل مفاجاة الاجل وحلول العقاب (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذالم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون لآيانه بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به (من يضل الله فلا هادى له) أى يضل الله (ويذرهم) بالياء عراقى وبالجزم حزة وعلى عطف على محل فلا هادى له كأنه قيل من يضل الله لا يهده أحد ويذرهم والرفع على الاستئناف أى وهو يذرهم الباقون بالنون (فى طغيانهم) كفرهم (يعمهمون) يتحيرون ولما سالت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل

سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عمياً يفعل وهم يستلون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أولم يتفكروا ما يصاحبهم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) يعنى من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلاجعل يد عوقر يشاخذ اخذ ايا نبي فلان يابى فلان انى لكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا الجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل أولم يتفكروا والتفكر التامل واعمال الخاطر فى عاقبة الامر والمعنى أولم يتفكروا ففعلوا ما يصاحبهم يعنى محمد صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال لفظه من فى قوله من جنة يوجب أن لا يكون به نوع من أنواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو يرى عمته لانهم رأوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم فى الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الآخرة ونعيمها مستغلا بالدعاء الى الله عز وجل وانذارهم بأسمه ونقمته ليلا دنهارا من غير ملال ولا ضجر فمذ ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى (ان هو) يعنى ما هو (الانذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدى الى العلم بالوحدة فقال سبحانه وتعالى (أولم ينظروا) يعنى نظر اعتبار واستدلال (فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدة اتمية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شئ خلقه الله سبحانه وتعالى وبرأه فيه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد (وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) والمعنى ولعل أجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكير والاعتبار والنظر المؤدى الى الفوز بالنعيم المقيم (فبأى حديث بعده) يعنى بعد القرآن (يؤمنون) يعنى يصدقون والمعنى فبأى كتاب بعد الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانه قطع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم ذكر آية اعراضهم عن الايمان فقال سبحانه وتعالى (من يضل الله فلا هادى له) يعنى ان اعراض هؤلاء عن الايمان لا ضلال الله اياهم فلو هدها لم آمنوا (ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) يعنى ويتركهم فى ضلالاتهم ويمادهم فى الكفر يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا ﴿ قوله عز وجل (يسئلونك عن الساعة أيا نمرساها) قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى الساعة فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الساعة يعنى عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم فى ساعة غفلة وبعثة أولان حساب الخلاق ينقض فيها فى ساعة واحدة أيا نمرساها سؤال استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعنى منتهاها أى متى وقوعها قال والساعة الوقت الذى يموت فيه الخلاق وأصل الارساء الثبات يقال رسا رسوا اذا ثبت (قل) أى قل لهم يا محمد (انما علمه اعندر بنى) أى لا يعلم الوقت الذى تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها

(يسئلونك عن الساعة) وهى من الاسماء الغالبة كالنجم لثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها ولانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيا نمرساها) متى واشتقاقه من أى فعلا ن منه لان معناها أى وقت (مرساها) ارساؤها مصدر مثل المدخل يعنى الادخال أو وقت ارساؤها أى انبائها والمعنى متى ريسها الله (قل انما علمه اعندر بنى) أى علم وقت ارساها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحد من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك

الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخي يارفيق لأنه لم يسم نفسه بذلك ومن اللحد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون جزء لحد وألحد مال سيجزون ما كانوا يعملون (ومن خلقنا) للجنة لانه في مقابلة ولقد زرنا الجنة (أمة يهدون بالحق و به يعدلون) في أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة الى الدين وفيه دلالة على ان اجماع كل عصر حجة (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدرجهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك ان يوارى الله نعمه عليهم مع انهما كهم في النفي فكلمة جدد الله عليهم نعمة ازيدوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم أثره من الله تعالى وتقرىب وانما هو خذلان منه وتباعد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستعداد والاستئصال درجة بعد درجة (وأملى لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السنين أى أمهلهم (ان كيدى متين) اخذى شديد سماه كيد الانه

سبحانه وتعالى وخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالر بويبة وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) معنى اللحد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال ألحد في الدين اللحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون اللحد يقع في أسماء الله تعالى على وجود أحدھا اطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سمووا أصنامهم بالآلهة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثانى وهو قول أهل المعاني ان اللحد في أسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله باسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعاء فلا يجوز أن يقال يا صار يا مانع يا خالق القرودة على الانفراد بل يقال يا صار يا نافع يا معطي يا خالق الخلق الوجه الرابع أن يسمى الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه به باسم لا يليق اطبما سما الاقعة على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به لما فيه من الغرابة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (سيجزون ما كانوا يعملون) يعنى في الآخرة وفيه وعيد وتهديد لمن ألحد في أسماء الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ومن خلقنا أمة) يعنى جماعة وعصابة (يهدون بالحق و به يعدلون) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال وتادة باغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وفي الآية دليل على أنه لا يخالو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدى اليه (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم أهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تتناول الكل الاما دل الدليل على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الازهرى سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركون اليه ثم يأخذهم على غرهم أغفل ما يكونون وقيل معناه سننقر بهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا أتوا بحرم أو أقدموا على ذنب فتح الله عليهم من أبواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادون بذلك تماديا في النفي والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فيأخذهم الله أخذة واحدة أغفل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين أعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسفخ عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر روى أن عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم انى أعوذ بك أن أكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال أهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشيء الى الشيء في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشى ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء (وأملى لهم) يعنى وأمهلهم وأطيل مدة أعمالهم والاملاء في اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى انى أطيل مدة أعمالهم ليمادوا في الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة (ان كيدى متين) يعنى ان أخذى شديد والمتين من كل شئ هو القوى الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكبرى شديد يقال المفسرون نزات هذه الآية في المستهزئين من قريش وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الآية دلائل على مسئلة القضاء والقدر وأن الله

الحسب الجليل الكريم الرقيب المحيَّب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوى المتين الوالي الجيد المحصى المبدئ المعيد المحي المميت الحى القيوم الواحد
الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأوَّل الآخر الظاهر الباطن الوالي
المتعالى ابر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذوالجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى
المعنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال
الترمذى حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا يعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند
أهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء التى فى هذا الحديث قال ابن الاثير وفى رواية ذكرها رزين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلاقوه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذر وا الذين يلحدون فى اسمائه سيحزون
ما كانوا يعملون فقال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محي الدين النووى رحمه
الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وائس معناه انه ليس له
اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسمان أحصاهما دخل
الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بمحصر الاسماء ولهذا جاء فى الحديث الآخر
أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به فى علم الغيب عندي وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي
المالكى عن بعضهم ان لله ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاهما دخل
الجنة تقدم فيه قول البخارى ان معناه حفظها وهو قول أكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العدداى عدها فى الدعاء بها وقيل معناه من أطاها وأحسن المراعاة لها
والمحافظة على ما تقتضيه وصدق به انهارا وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى أحصاهما حضر بياله عند
ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متدبرا اذا كرر اخبارها بمعظمها ولمساها ومقدسات الله
سبحانه وتعالى وأن يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله والله وتر يحب الوتر الوتر الفرد
ومعناه فى وصف الله تعالى أنه الواحد الذى لا شريك له ولا نظير وفيه تفصيل الوتر فى الاعمال لان أكثر
الطاعات وتر وفيه دليل على أن أشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم
واللطيف من اسماء الله ولا يقال من اسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظه الله هو الاسم
الاعظم قال أبو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد
قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام نضر الدين الرازى دلت الآية على ان الاسم غير المسمى لانها
تدل على ان اسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسماء الله
كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وأيضاً قوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى
يقتضى اضافة الاسماء الى الله واضافة الشئ الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشئ
المسمى به فهو غيره وقال أهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم
لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيهه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيهه اسمائه أيضاً وقوله سبحانه
وتعالى (فادعوه بها) يعنى ادعوا الله باسمائه التى سمى بها نفسه واسماءها رسوله ففيه دليل على ان اسماء
الله تعالى توفيقية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكد انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان
يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال
يا طبيب وللدعاء شرط منها ان يعرف الداعي معانى الاسماء التى يدعوا بها ويستحضر فى قلبه عظمة المدعو

معان حسنة فمنها ما يستحقه
بحقائه كالقديم قبل كل
شئ والباقي بعد كل شئ
والقادر على كل شئ والعالم
بكل شئ والواحد الذى
ليس كمثله شئ ومنها ما
تستحسنه النفس لآثارها
كالغفور والرحيم والشكور
والحليم ومنها ما يوجب
التخلق به كالفضل والعفو
ومنها ما يوجب مراقبة
الاحوال كالسميع والبصير
والمقتدر ومنها ما يوجب
الاجلال كالعظيم والجليل
والمتكبر (فادعوه بها)
فسموه بتلك الاسماء

فقال تعالى (لم قلب لا يفقهون بها) يعني لا يفقهون بها ولا يعقلون بها أو أصل الفقه في اللغة الفهم والعلم
بأشئ ثم صار علماً على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه إذا فهم
ومعنى الآية لم قلب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لأعراضهم
عن الحق وتركهم قبوله (ولم أعين لا يبصرون بها) يعني لا يبصرون بها طر يق الحق والهدى ولا ينظرون
بها في آيات الله وادلة توحيده (ولم آذان لا يسمعون بها) يعني لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون
بها قال أهل المعاني ان الكفار لم قلب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولم أعين يبصرون بها
المرئيات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يسك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا
يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الداركة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما
فيه نفعهم في الآخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في أمور
الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها ❦ واني ان أشاء بها سميع

فانه أثبت له صمماً مع وجود السمع قال مجاهد لم قلب لا يفقهون بها شيئاً من أمر الآخرة ولم أعين
لا يبصرون بها الهدى ولم آذان لا يسمعون بها الحق ❦ ثم ضرب لهم مثلاً فقال سبحانه وتعالى (أولئك
كالانعام) يعني ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم السكامة الازلية كالانعام وهي البهائم التي
لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركون في هذه الحواس الثلاثة التي هي القلب
والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق
من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك
شيئاً ❦ ثم قال تعالى (بل هم أضل) يعني بل ان الكفار أضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما
ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار أضل من الانعام لان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد أعطيا
فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار أخس حالاً من الانعام وفيمن الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير
مطيع لله عز وجل فصارت الانعام أفضل منه ❦ ثم قال الله تعالى (أولئك هم الغافلون) يعني عن ضرب هذه
الامثال لهم ❦ قوله سبحانه وتعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل ان رجلاً دعا الله في صلته ودعا الرحمن
فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو أبو جهل ان محمد أو أصحابه يزعمون انهم يعبدون رباً واحداً فما
بالهذي ايدعوا اثنين فانزل الله هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الآية ان
أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى
ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وفيما ان الاسماء لفاظ دالة على معان فهي انما تحسن بمعانيها ولا
معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفت الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين
أحدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني افتقاره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى (ق) عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي
رواية من أحصاها وفي رواية أخرى لله تسعة وتسعون اسماً مائة الا واحد الا يحفظها أحد الا دخل الجنة وهو
وتر يحب الوتر قال البخاري أحصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله
تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب
الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكيم
العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت

انما خلق منهم للعبادة من
علم انه يعبده وأما من علم
انه يكفر به فانهما خلقه لما
علم انه يكون منه فالخاصل
ان من علم منه في الازل
انه يكون منه العبادة خلقه
للعبادة ومن علم منه أنه
يكون منه الكفر خلقه
لذلك وكمن علم براديه
الخصوص وقول المعتزلة
بان هذه لام العاقبة أي لما
كان عاقبتهم جهنم جعل
كانهم خلقوا لفرار عن
ارادة المعاصي عدول عن
الظاهر (لم قلب لا يفقهون
بها) الحق ولا يتفكرون فيه
(ولم أعين لا يبصرون
بها) الرش (ولم آذان
لا يسمعون بها) الوعظ
(أولئك كالانعام) في عدم
الفقه والنظر للاعتبار
والاستماع للتفكير (بل هم
أضل) من الانعام لانهم
كبروا العقول وعاندوا
الرسول وارتكبو الفضول
فالانعام تطلب منافعها
وتهرب عن مضارها وهم
لا يعامون مضارهم حيث
اختاروا النار وكيف
يستوى المكلف المأمور
والخلى المعذور فالآدمي
روحاني شهواني سماوي
أرضي فان غلب روحه هواه
فاق ملائكة السموات وان
غلب هواه روحه فاقته
بهائم الارض (أولئك هم

القرآن المجز ومافيه
وبشروا الناس باقتراب
مبعثه (فاقص القصص)
أي قصص بلم الذي هو نحو
قصصهم (لعلهم يتفكرون)
فيحذرون مثل عاقبته
اذا ساروا نحو سيرته (ساء
مثلا القوم الذين كذبوا
بآياتنا) أي مثلا القوم
غذف المضاف وفاعل ساء
مضمر أي ساء المثل مثلا
واتصاب مثلا على التمييز
(وأنفسهم كانوا يظلمون)
معطوف على كذبوا
فيدخل في حيز الصلة أي
الذين جمعوا بين التكذيب
بآيات الله وظلم أنفسهم أو
منقطع عن الصلة أي وما ظلموا
الأنفسهم بالتكذيب وتقديم
المفعول به للاختصاص
أي وخصوا أنفسهم بالظلم
لم يتعد إلى غيرها (من يهد
الله فهو المهتدى) جل على
اللفظ (ومن يضل) أي
ومن يضل (فأولئك هم
الخاسرون) جل على المعنى
ولو كان الهدى من الله
البيان كما قالت المعتزلة
لاستوى الكافر والمؤمن
اذ البيان ثابت في حق
الفر يقين فدل انه من الله
تعالى التوفيق والعصمة
والمعصنة ولو كان ذلك
للكافر لاهتدى كما اهتدى
المؤمن (ولقد ذرأنا لجهنم

العطش الى الفوز بمطوبه من الدين اذ كانت حاله شبيهة بحالة الكلب الذي أدلح لسانه من اللهث في غير
حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي ان شددت عليه وأهيجته طث وان تركته
على حاله طث لان الالهث طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحجر يص على الدنيا ان وعظته فهو حوص لا يقبل
الوعظ ولا يندمج فيه وان تركته ولم تعظه فهو حوص يص أيضا لان الحوص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة
كمان الالهث طبيعة لازمة للكلاب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني ان المثل الذي ضربناه للذي
آتينا آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجدها
فوجه التمثيل بينهم وبين الكلاب الالهث انهم اذا جاءتهم الرسل يهدوهم لم يهدوا وان تركوا لم يهدوا
أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى (فاقص القصص) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم يعني فاقص القصص يا محمد على قومك أي اخبار من كفر بآيات الله (لعلهم يتفكرون) يعني
فيمعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يمتنون هاديا يهدوهم ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل
فما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم
يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني بس مثلا مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا (وأنفسهم كانوا يظلمون) يعني يتكذبونهم بآياتنا ﴿ قوله عز وجل (من يهد الله فهو المهتدى) يعني من
يرشده الله الى دينه فهو المهتدى وقيل معناه من يتولى الله هدايته وارشاده فهو المهتدى (ومن يضل) يعني
ومن يتولى ضلاله (فأولئك هم الخاسرون) يعني في الآخرة وفي الآية دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو
الهادي المضل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولقد ذرأنا) يعني خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) أخبر الله
سبحانه وتعالى انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حققت عليهم الكرامة الازلية بالشقاوة ومن
خلق الله للنار فلاحيلة له في الخلاص منها واستدل البغوي على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقات يارسل الله طوبى لي هذا عصفور من عصافير
الجنة لم يعمل سوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاط
آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاط آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النووي في شرح
مسلم أجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لانه ليس مكفرا
وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به الحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن
المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص لفظه اني لاراه
مؤمنا فقال أو مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان أطفال المسلمين في الجنة
فلماعلم ذلك قال به وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبع الآبائهم وتوقف
طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ويستدل له باشياء منها خبر
ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس فقالوا
يارسل الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا
معدنين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبايع وهذا متفق
عليه والله أعلم وفي الآية دليل وحجة واضحة انه من أهل السنة في ان الله خلق أعمال العباد جميعها خيرا
وشرها لان الله سبحانه وتعالى بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا تز يد على بيان الله
عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم ان له من يضطره الى
ذلك العمل الموجب الى دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في جهنم للعاقبة أي عاقبتهم ثم وصفهم

وادركه وصار قريناً له
(فكان من الغاوين) فصار
من الضالين الكافرين
روي ان قومه طلبوا منه
ان يدعو على موسى ومن
معه فاني فلم يزالوا به حتى
فعل وكان عنده اسم الله
الاعظم (ولوشنتار فمناه)
الى منازل الابرار من العلماء
(١٦١) بتلك الآيات (ولكنه
أخلد الى الارض) مال الى
الدينا ورغب فيها (واتبع
هواه) في ايثار الدنيا ولذاتها
على الآخرة ونعيمها (فثله
كتمل الكلب ان تحمل
عليه) أي تزجره ونظرده
(يلهث أو تتركه) غير
مطروود (يلهث) والمعنى
فصفته التي هي مثل في
الخسة والضعفة كصفة
الكلب في أخس أحواله
وأذلها وهي حال دوام
اللهث به سواء حل عليه أي
شد عليه وهيج فطره وأترك
غير متعرض له بالحل عليه
وذلك ان سائر الحيوان
لا يكون منه اللهث الا اذا
حرك أما الكلب فيلهث في
الحالين فيكون مقتضى
الكلام ان يقال ولكنه
أخلد الى الارض فخطئاه
ورضعنا منزاته فوضع هذا
التمثيل موضع فخطئناه أبلغ
حط ومحل الجملة الشرطية
النصب على الحال كما نقي

وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات
مستجابات وكانت له امرأة له منها أولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة كما تر بدن قالت
ادع الله ان يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعاها فصارت أجمل النساء فلما علمت أنه ليس في نساء بني
اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعاها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوات بنوها الى أبيهم
وقالوا لمن لنا على هذا الامر قد صارت أمنا كلبة نباحة والناس تعبرنا بذلك فادع الله أن يردنا الى حالنا
الاول فدعا الله فعدت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعاً والقولان الاولان أشهر وقال الحسن وابن
كيسان نزلت في منافق أهمل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون
أبناءهم ثم أنكروه وقال قتادة هذا مثل ضرب به الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتيناها آياتنا
قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الأكبر وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه وقال السدي كان يعلم
اسم الله الأعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه أوتي كتاباً وقيل ان الله آناه حجة وأدلة وهي الآيات التي
أوتيتها (فانسليخ منها) يعني فخرج من الآيات التي كان الله آناه ايها كما نسلخ الحية من جلدها وقال ابن
عباس نزع منه العلم (فاتبعه الشيطان) يعني لحقه وأدركه وصيره الشيطان تابعاً لنفسه في معصية الله يخاف
أمر به ويطيع الشيطان وهواه ﴿ قوله تعالى (فكان من الغاوين) يعني من الهالكين الضالين بما
خالف به وأطاع هواه وشيطانه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولوشنتار فمناه) يعني رفعنا رجته ومنزلته
بتلك الآيات التي أوتيتها وقال ابن عباس لرفعناه بعملها وقال مجاهد وعطاء معناه ولوشنتار فمناه الكفر
وعصمناه بالآيات (ولكنه أخلد الى الارض) يعني ولكنه سكن الى الدنيا وما لبها ورضى بها وأصله من
الخلود وهو الدوام والاقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المقاور والقفار وفيها المدن
والضياغ والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدينا كما هي الارض (واتبع هواه) يعني
انه عرض عن التمسك بما آناه الله من الآيات واتبع الهوى فخرس دنياه وآخرته ووقع في هوى الردى
والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون
الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاءه مستجاباً
ثم انه لما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضى بها عوضاً عن الآخرة تزع منه ما كان أعطيه وانسلخ من الدين
فخرس الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الامن عصمه الله بالورع وثبته بالعلم
وبصره ويعيوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذنبان جائعان
أرسلاني غنم بأفد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه أخرجه الترمذي ﴿ ثم ضرب الله عز وجل
مثلاً لهذا الرجل الذي آناه آياته فانسليخ منها واتبع هواه فقال تعالى (فثله كتمل الكلب ان تحمل عليه
يلهث أو تتركه يلهث) يقال لهث الكلب يلهث اذا أذلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء
والتعب وهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن آناه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه وترك آخرته
وأثردنياء بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهو اللهث لان الكلب في حال لهته لا يقدر على
نفع نفسه ولا ضررها كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضررها في الآخرة لان التمثيل به
على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه أو تركته كان لاهنا وذلك عادة منه وطبيعة وهي مواظبته على اللهث
دائماً فكذلك من آناه الله العلم والدين وأغناه عن النعرض لخطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها
كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا نزل بعلمه الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند أهلها
ويدلع لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة

أخذ الحربة بذراعه واعتمد برفقه على خصرته وأسند الحربة إلى حيطته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم
هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون من بني إسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين
ازنساب ذلك الرجل المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك سبعون ألفاً في ساعة واحدة من النهار
فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل لولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها الفضة والذراع واللعجى لاعتماده بالحرية
على خصرته وأخذها يهابذراعه وأسندها يابها إلى حيطته ويعطوهم البكر من كل أموالهم لأنه كان بكر العيزار
وفي بلعام أنزل الله عز وجل وإتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية وقال مقاتل إن ملك البلقاء قال لبلعام ادع
الله على موسى فقال بلعام إنه من أهل ديني ولا أدعو عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما رأى ذلك
خرج على أتانه ليلدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت به الاثان فضر بها فقالت لم تضرب بني وأت
مأمورة وهذه نار امحى قد منعتني أن أمشي فرجع إلى الملك فأخبره بذلك فقال لتدعون عليه أو لا صلبك
فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني إسرائيل في
التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى يارب باي ذنب وقعت في التيه قال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على
فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمن فنزع الله سبحانه وتعالى منه
المعرفة وسالخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آياتنا فانسخ منها فان
قلت هذه التصد ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى عليه السلام دعاه على بلعام بان ينزع عنه الاسم
الاعظم والايمن وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة أن يدعو على انسان بالكفر بعد
لايمان أو يرضى له بذلك قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات
ولا يلتفت إلى ما يسطره أهل الاخبار إذا خالف الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني إسرائيل في التيه هو
عبادتهم الجبل أو قوهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الهاف كان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعاء بلعام
عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعاه على بلعام وان موسى عليه السلام
لم يدع عليه الا به أن ثبت عنده أن بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وإشاره الحياة الدنيا
فدعا عليه مقابلته لدهائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيهه منصب النبوة
عما يقوله أصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظريه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقي وكان قصته أنه كان قد قرأ
الكتب القديمة وعلم أن الله سبحانه وتعالى مرسل رسولاً فرجاً أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد
صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان أمية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصد
بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيس له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباه
فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله صل الله عليه وسلم فسأله رسول الله صل الله عليه وسلم عن
وفاة أخيه فقالت بينا هورا قد أتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعدا أحدهما عند رأسه والآخر عند
رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال أوعى قال أذكي قال أذكي قالت فسألت عن ذلك فقال
خير أريدني فصرف عني ثم غشي عليه فلما أفاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وان تطاول دهره * صائر مرء الى أن يزولا

ليتنى كنت قبل ما قد بدالى * في قلال الجبال أوعى الوعولا

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوم اتقلا

فقال له رسول الله صل الله عليه وسلم أنشدني من شعر أخيك فأنشدته بعض قصائده فقال رسول الله صل
الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل وإتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية

أهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل وأظهرها ليعقلوا انما أشركنا على سبيل التقليد
لآبائنا الان نصب أدلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء في
الشرك ﷻ وقوله تعالى (وكذلك فصل الآيات) يعني ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق واليمان ويعرضوا
عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (ولعلمهم يرجعون) يعني عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه
ولعلمهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه ﷻ قوله عز وجل (وانزل عليهم)
يعني واقرأ على قومك يا محمد (نبأ) يعني خبر (الذي آتينا آياتنا) اختملوا فيه فقال ابن عباس هو بلع بن
باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود هو بلع بن ابر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بني
اسرائيل وفي رواية أخرى عنه أنه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء
وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدي وغيرهم من أصحاب الاخبار والسير قالوا ان
موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام اليه وكان
عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء بنجر جنان من بلادنا
ويقتلنا ويحلبنا بنى اسرائيل وانت رجل محاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبى الله
ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي
وأخرى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أؤمر ربي وكان لا يدعوه حتى تؤامر ربه في المنام فأتى في المنام
فقال له لا تدع عليهم فقال اقومه انى فدأمرت ربي فنهاني أن أدعو عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه
فقال حتى أؤمر ربي فأمر ربي فلم يوح اليه شئ فقال قد أمرت ربي فلم يوح الي شئ فقالوا له لو كره ربك أن
تدعو عليهم انما كان كمنهاك أول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناه متوجها الى جبل
يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسان فلما سار على أتاناه غير بعيد ربض ففزله عنها
وضربها فقامت وركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضر بها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت
فضر بها حتى أذلقتها فاذن الله عز وجل لها في الكلام وأنطقها الله فكلمته بنحو عليه فقالت ويحك يا بلعام
أتدري أين تذهب أما ترى الملائكة أمامي يردوني عن وجهي هذا ويحك أتذهب الى نبي الله والمؤمنين
فتدعو عليهم فلم ينزع خلفي الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا أشرفت به على جبل حسان ومعهم قومه جعل
يدعو فلم يدع بشئ الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدع ولقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل
فقال له قومه يا بلعام أتدري ما صنع انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا ما لاملكه هذا شئ قد غلب الله عليه
وانداع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق لي الا المكرو والحيلة فأسألكم
لكم وأحتال ثم قال جلوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى عسكر بنى اسرائيل ليعبثن
عليهن ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منهم كفيتموهم
ففعلا وذلك فلما دخل النساء على العسكر مررت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور على رجل من
عظماء بنى اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ بيدها
حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال انى لا طسك أنك تقول هذه حرام
عابك فقال أجل هي حرام عليك لانقر بها قال والله انى لا أطيعك في هذا ثم قام ودخل بها الى قبته فوقع
عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بنى اسرائيل في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون
وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا فظا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع
زمري بن شلوم ما صنع فجاء الطاعون يجوس في بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ سر به وكانت من حديد كلها
ثم دخل عليهم القبة وهما متضاجعان فطعنهما بجر به فانتظهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد

ذلك التفصيل البليغ
(نفسل الآيات) لهم
(واعلمهم يرجعون) عن
شركهم فصلها الى هذا
ذهب المحققون من أهل
التفسير منهم الشيخ أبو
منصور الزجاج والزمخشري
وذهب جمهور المفسرين
الى ان الله تعالى أخرج ذرية
آدم من ظهر آدم مثل الذر
وأخذ عليهم الميثاق أنه
ر بهم بقوله ألسنت بر بكم
فاجابوه ببلى قالوا وهى
القطرة التى فطر الله الناس
عليها وقال ابن عباس رضى
الله عنهما أخرج الله من
ظهر آدم ذرية وأراه اياهم
كميئة الذر وأعطاهم العقل
وقال هؤلاء ولدك أخذ
عليهم الميثاق ان يعبدونى
فيل كان ذلك قبل دخول
الجنة بين مكة والطائف
وقيل بعد النزول من الجنة
وقيل فى الجنة والجنة للاولين
انه قال من بنى آدم من
ظهورهم ولم يقل من ظهر
آدم ولانا لا نتذكر ذلك
فانى بصير حجة ذرياتهم
مدنى وبصرى وشامى ان
تقولوا أو تقولوا أبو عمرو
(وانزل عليهم على اليهود
(نبأ الذى آتينا آياتنا)
هو عالم من علماء بنى
اسرائيل وقيل هو بلع بن
باعوراء أو نى علم بعض
كتب الله

جعل فيه من السبب الذي يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذا خذ بك من
 بنى آدم ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف الذي به يرتب
 على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فإن قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية قلت
 المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف ورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه
 وسلم فإن قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وأن الله تعالى أخرج الذرية من
 ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث أيضا فكيف يحمل تفسيراً لفاظ هذه الآية على هذا القول
 قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فأخرج ذريته وأخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث
 كما تقدم في تفسير الفاظ الآية من أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما
 في الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم فهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث إذ
 ليس في معنى الفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير
 اليه والاخذ به جمعاً بين الآية والحديث وحكي الواحدى عن صاحب النظم أنه قال ليس بين قوله عليه الصلاة
 والسلام ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا أخرجهم من
 ظهر آدم فمداً أخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية آدم ذرية كندرية بعضهم من بعض قال ونحصل الفائدة
 بهذا الفصل بانه تعالى أثبت الحجية على كل منفوس ممن باغ ومن لم يبلغ الميثاق الذي أخذه عليهم وزاد على من
 بلغ منهم الحجية بالآيات والدلائل التي نصبها بالرسول المنفذة اليهم مباشرة ومنذرين وبالوعاظ وقال غيره
 فائدة أخذ الميثاق عليهم في القدم أن من مات منهم صغيراً أدخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول
 من يقول ان أطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغاراً فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول هم ممن كان
 من أهل الشقاوة من الذرية السوداء وانما أقر بالمرقة كره فلم يغن عنهم ذلك شيئاً ومن بلغ وعقل لم
 يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئاً حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله به وخالفه وصدق رسوله
 فيما جاؤ به من عنده وانما فعل ذلك لثلاثة ايقول الكفار انا كذبا عن هذا الميثاق أو الايمان بان الله ربنا غافلين
 أو لثلاثة اقول اختلفهم انما أشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم ظننا منهم أن الحق ما كانوا عليه فان قلت ان
 ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج
 عليهم به قلت لما أخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلب
 آدم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ماسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتدأهم
 بالخطاب على السنة الرسول عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكرا والداردار
 تكليف وامتحان ولولم ينسوه لانتفت الحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجية عليهم لامتدادهم بالرسول
 واعلامهم بحجربان أخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجية عليهم أيضاً يوم القيامة لاخبار الرسول اياهم بذلك
 الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معانداً لفضل العهد ولزمتهم الحجية ولم تسقط الحجية عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم
 بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمجيزات الباهرات وقوله تعالى (أو يقولوا) يعنى الذرية (انما أشرك
 آباؤنا من قبل) يعنى انما أخذ الميثاق عليهم لثلاثة ايقول المشركون انما أشرك آباؤنا من قبل (وكناذرية من
 بعدهم) يعنى وكنائباعالمهم فاقند ينابهم في الشرك (أفهلكننا) يعنى أفعدننا (بما فعل المبطلون) قال
 المفسرون هذا قطع اعذار الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة انما أشرك آباؤنا من قبلنا
 ونقضوا العهد والميثاق وكنانحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقند ينابهم وكنافى غفلة عن هذا الميثاق
 فلا ذنب لنا فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل ذلك وقد أخذ عليهم جميعاً الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت
 الحجية عليهم بذلك يوم القيامة وأما الذين حملوا معنى الآية على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب

(أو يقولوا) أو كراهة ان
 يقولوا (انما أشرك آباؤنا
 من قبل وكناذرية من
 بعدهم) فاقند ينابهم
 لان نصب الادلة على
 التوحيد وما نبهوا عليه
 قائم معهم فلا عذر لهم في
 الاعراض عنه والافتداء
 بالآباء كالأعذار لآبائهم في
 الشرك وأدلة التوحيد
 منصوبة لهم (أفهلكننا
 بما فعل المبطلون) أى
 كانوا السبب في شركنا
 لتأسيسهم الشرك وتركه

كهيمته الذريضاء فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيمته الذر سوداء فقال
ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألت بر بكم
قالوا بلى فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التبعية زاد في رواية وذلك حيث يقول وله أسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي أقرله باليمان والمعرفة الارواح قبل خلق
أجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم اليميني فأخرج منها ذرية يضاء كهيمته الذر يتحركون ثم مسح
صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيمته الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذر يتك ثم قال لهم
ألت بر بكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي
وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا في صلب آدم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا
وروي ان الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا علموا انه لا اله الا الله ثم كرمهم بكنى غيرى وأنا ربكم لا رب لكم غيرى فلانشر كوا
بي شيئا فاني سأنتقم من أشرك بي ولم يؤمن بي واني مرسل اليكم رسلا يدكروناكم عهدي وميثاقى ومنزل
عليكم كتبنا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا نكرك بنا لرب لنا غيرك فاخذ بذلك موافقتهم ثم كتب آجالهم
وأرزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى من همم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال
رب هلا سويت بينهم فقال انى أحب أن أشكر فلما قرره بتوحيده وأشهد بهضهم على بهض أعادهم الى
صلبه فلانقوم الساعة حتى يولد لكل من أخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز أن يكون الله سبحانه وتعالى جعل
لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال تبارك وتعالى في التمثال قالت نمل يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال
وسخر ناعم داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانبارى مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه
الآية ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق أنه
خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما
جعل للجبال عقولا حتى حو طوبوا بقوله يا جبال أقرى معي وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه
وسلم وكذلك الشجرة سمعت لاصره وانقادت ومعنى قوله ألت بر بكم على هذا التفسير قال الله سبحانه
وتعالى للذر ذرية ألت بر بكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعنى قالت الذرية بلى أنت ربنا فهو جواب
منهم له واقرار له بالربوبية واعتراف على أنفسهم بالعبودية (شهدنا) فيه قولان أحدهما أنهم لما أقرروا له
بالربوبية قال الله عز وجل لللائكة اشهدوا وقالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على
قوله سبحانه وتعالى بلى بأن كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول الثانى أن قوله
سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على
بلى لتعلقه بما بعده ^و وقوله سبحانه وتعالى (أن يقولوا) وقرى بالتاء على خطاب الذرية ومعناه ثلاثا تقولوا
أيها الذرية (يوم القيامة انا كنا عن هذا) يعنى الميثاق (غافلين) وقرى أن يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه
لثلاثا يقولوا أى الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثانى فى معنى هذه الآية وهو مذهب أهل الكلام
والنظر انه سبحانه وتعالى أخرج الذرية وأنشأهم بعد ان كانوا انطفا فى أصلاب الآباء وهم أولاد بنى آدم
فأخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم فى الوجود وأشهدهم على أنفسهم بماركب فيهم من العقول وأراهم
مخائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فهذا الاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وأشهدهم على أنفسهم
أنه ربهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التى تضطرهم الى أن يعلموا أنه خالقهم وبارئهم
وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على
أنفسنا أنك أنت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على أنفسنا على المجاز لا على الحقيقة
وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور فى كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق بما

(شهدنا) هـ ذان باب
التمثيل ومعنى ذلك انه
صب لهم الادلة على
ربوبيته ووحده انيته
وشهدت بها عقولهم التى
ركبها فيهم وجعلها مميزة
بين الهدى والضلالة فكانه
أشهدهم على أنفسهم
وقررهم وقال لهم ألت
بر بكم وكانهم قالوا بلى أنت
ربنا شهدنا على أنفسنا
واقررنا بوحدانيتك (ان
يقولوا) مـ فعول له أى
فعلنا ذلك من نصب الادلة
الشاهدة على محبتها
العقول كراهة أن يقولوا
(يوم القيامة انا كنا عن
هذا غافلين) لم تنبه عليه

الله سبحانه وتعالى اذا خلق العبد للجنة اسما عمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة
 فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار اسما عمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله
 النار أخرجه مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر
 بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قات ذكرا الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل
 فقال عن مسلم بن يسار عن يعمر بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها
 من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من
 هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود قال رب
 كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زد من عمري أر بعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
 نقضى عمر آدم الأربعين جاءه ملك الموت فقال آدم ألم يبق من عمري أر بعون سنة قال أولم تعطها ابنك
 داود فجحد آدم فجحد ذريته ونسي آدم فأكل من الشجرة فنسبت ذريته وخطى خطت ذريته أخرجه الترمذي
 وقال حديث حسن صحيح وأما تفسير الآية فقوله سبحانه وتعالى واذا أخذ ربك من بني آدم ما بين
 يديهم من ذريتهم من كل رجلين وهم يأخذون مما بين يديهم وهم لا يدرون ما يأخذون قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من بني آدم من ظهره من ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء
 من الآباء فلذلك قال سبحانه وتعالى من بني آدم من ظهره من ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء
 منهم كلهم بنو آدم وأخروا من ظهره فترك ذكرا ظهر آدم اسما تنفعا ثم للعساء في تفسير هذه الآية مذهبان
 أحدهما وهو مذهب أهل التفسير والأثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روى عن ابن عباس من
 طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبري باسناد فيها عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنوعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنهرهم
 بين يديه كالندر ثم كلمهم قبلا وقال ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
 وعن ابن عباس في هذه الآية قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنوعمان
 هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس أيضا قال ان أول ما هبط
 الله آدم الى الارض أهبطه بدنهاء أرض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم
 أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
 غافلين زاد في رواية عنه جف القلم عما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه
 أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصائبه واستخرج ذريته كالندر وكتب أرزاقهم وأجالهم ومصائبهم وفي رواية
 عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق أن
 يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى
 الميثاق يومئذ فن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم
 ينفعه الاول ومن مات صغيرا ولم يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبري
 بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس
 فقال لهم ألتستبر بكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال
 ابن عباس أخرجه ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله وأنطقهم فقال ألتستبر بكم قالوا بلى ثم أعادها في صلبه
 فليس أحد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربنا الله وان القيامة ان تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على
 نفسه وقال السدي أخرجه الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه

(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي الميثاق المذكور في الكتاب (أن لا يقولوا على الله الا الحق) أي أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف ببيان ميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرؤا ما في الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الحسيس (للذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلا يعقلون) انه كذلك وبالتاء (١٥٤) مدني وحفص (والذين يمسكون بالكتاب) يمسكون أبو بكر والامساك والتمسيك

والتمسك الاعتصام والتعلق بشئ (وأقاموا الصلاة) خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر (انا لانضيع أجر المصلحين) انا لانضيع أجرهم وجاز أن يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون وانا لانضيع اعتراض (واذ نتقنا الجبل فوقهم) واذ كراذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور (كانه ظلة) هي كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وتقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلقوها بما فيها والايقن عليكم فلما نظر والى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الا يسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى

سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون فاذا مات أو نزع من الحكم وجعل مكانه آخر فن كان يطعن عليه ارثى أيضا يقول الله عز وجل وان يات الآخري عرض الدنيا ياخذوه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعني ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم العهود والمواثيق في الكتاب وهو التوراة (أن لا يقولوا على الله الا الحق) يعني انا أخذنا عليهم الميثاق على أن يقولوا الحق فقالوا الباطل وخافوا أمر الله وهو قوهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها (ودرسوا ما فيه) يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما أخذ عليهم من العهود والمواثيق في الكتاب لانهم دارسون له لم يتكبروه ولكن درسوه وضيعوا العمل به (والدار الآخرة) يعني وما في الدار الآخرة مما أعد الله لا ويايته وأهل طاعته العاملين بما أمرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام (خير للذين يتقون) يعني يتقون الله ويحافظون عقابه (أفلا يعقلون) يعني أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا أن ما في الآخرة خير وأبقى انهم ادار المتقين (والذين يمسكون بالكتاب) يقال مسكت بالشئ وتمسكت به واستمسكت به وأمسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الآية في الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرّفوه ولم يغيروه فاذا هم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن (وأقاموا الصلاة) يعني واداموا على اقامتها في مواقيتها وانما أفردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من أعظم العبادات بعد الايمان بالله برسوله (انا لانضيع أجر المصلحين) قوله عز وجل (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) يعني واذ كراذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كأنه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ساعلى الانسان كالسقف ونحوه (وظنوا) أي وعلموا وايقنوا (انه واقع بهم) يعني الجبل (خذا) يعني وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب (ما آتيناكم) يعني التوراة (بقوة) يعني بمجد واجتهاد (واذ كروا ما فيه) يعني واعملوا بما فيه من الاحكام (لعلكم تتقون) قال أصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله عز وجل جبريل برفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظر والى الجبل فوق رؤسهم خر والى ساجدين فسجد كل واحد منهم على خده وحاجبه الا يسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا نسجد اليهود الا على شق وجوههم الا يسر قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر ابن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

يهود يأسجدوا على حاجبه الا يسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنابها العقوبة وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) الله من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذ كروا ما فيه) من الاوامر والنواهي ولا ننسوه (لعلكم تتقون) ما أتم عليه (واذ أخذ ربك من بنى آدم) أي واذ كراذ أخذ (من ظهورهم) بدل من بنى آدم والتقدير واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم (ذريتهم) ومعنى أخذ ذريتهم من ظهورهم آخر اجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى

قوله تعالى (وقطعناهم في الارض أمتا) يعني وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا نجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود (منهم الصالحون) يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وآمنوا به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد خلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصالح من بني اسرائيل وقوله تعالى (ومنهم دون ذلك) يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا (وبلوانهم) يعني جميعا الصالح وغيره وهي بلوى اختبارا ومتحان (بالحسنات) يعني الخصب والعافية (والسينات) يعني الجذب والشدّة (لعلهم يرجعون) يعني لكي يرجعوا الى طاعتهم ويتوبوا اليه قال أهل المعاني كل واحدة من الحسنات والسيئات اذا فسرت بالنعمة والشدّة تدعو الى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها اشكرا فيرغب في الطاعة وأما الشدّة فيخاف سوء عاقبتها فيهرب منها ﴿قوله تعالى﴾ (خلف من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) يعني خاف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع

فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال البيهقي في الذم

ذهب الذين يعاس في أكتافهم * وبقيت في خلف كجند الاجرب

ففتح اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ويقال للردى من لقول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خاف والخلف القرن الذي يحجى بعد قرن كان قبله (ورثوا الكتاب) يعني انتقل اليهم الكتاب عن آباءهم والمراد بالكتاب التوراة (ياخذون عرض هذا الادنى) العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى أنهم كانوا ياخذون الرشاقى الاحكام على تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي يأخذونه من حطام الدنيا هو الشيء للتافه الخسيس الخبير لان الدنيا باسرها فانية حاضرة والراغب فيها أحقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه وأخذوا الرشاقى الاحكام ويعلمون أنها حرام ثم آمنهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم بصرون عليه (ويقولون سيغفر لنا) يعني ذنوبنا فيؤمنون على الله الامانى الباطلة الكاذبة عن شداد بن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى أخرجه الترمذى وقال في قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله الامانى لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمنى بعينه ﴿قوله تعالى﴾ (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى أنهم اذا أتاهم شيء من الدنيا أخذوه حالاً كان أحرأما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستمتضون قاضية الارثى في الحكم فيقال له ما بالك ترتشى فيقول

وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة وعمل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محدوف أى ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وبلوانهم بالحسنات والسينات) بالنعمة والنقم والخصب والجذب (لعلهم يرجعون) ينتهون فينبون (خلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتعليل والتحرير ولم يعلموا بها (ياخذون عرض هذا الادنى) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أى حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الذنوب بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشاقى الاحكام وعلى تحريف الكلام وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا

ينهون عن سوء) عن العذاب الشديد (وأخذنا الذين ظلموا) الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بعذاب بئس) شديد يقال بؤس يبؤس ما إذا اشتد فهو بئس بش شامى يس مدنى يبئس على وزن فيعل أبوبكر غير حماد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا ما هو اعنه فلنا لهم كونهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تنكر برأقوله فلما نسوا والعذاب البئس هو المسخ قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (وإذا تاذنر بك) أى أعلم وأجرى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجب به القسم وهو قوله (ليبعثن عليهم) أى كتب على نفسه ايسلطن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم) من لهم (سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى الجوس الى أن بعث محمد صلى الله

فقال لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا أو منزل بنا عذابه والقول الاول أصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية ﴿﴾ وقوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به) أى فلما تركوا ما وعظوا به (أنجينا الذين ينهون عن سوء) وهم الفرقة الناهية (وأخذنا الذين ظلموا) يعنى الفرقة المعتدية بالعاصية (بعذاب بئس) أى شديد وجيع من البأس وهو الشدة (بما كانوا يفسقون) يعنى أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا وروى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله يقول أنجينا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكى قال عكرمة فقلت له جعلنى الله فداءك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقبل الله أنجيتهم لم يقبل أهلكتهم قال فأعجبني قولى ورضى به وأمرنى يردى فكسا نهبى ما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الآية أشد آية فى ترك النهى عن المنكر ﴿﴾ وقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنى عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا فى العصيان والعنوة عبارة عن الإباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عما نهوا عنى عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا فى العصيان من اعتدائهم فى السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك فى يوم السبت وأكله) فلنا لهم كونهم قردة خاسئين) يعنى صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصيروهم قردة تتعاولى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فرزعهم ابن شبان القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة أيام بنظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا ﴿﴾ وقوله تعالى (وإذا تاذنر بك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تاذنر أذن والاذن الاعلام يعنى أعلم ر بك وقيل معناه قال ر بك وقيل حكم ر بك وقيل آلى ر بك بمعنى أقسم ر بك (ليبعثن عليهم) اللام فى قوله ليعثن جواب القسم لان قوله وإذا تاذنر بك جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليعثن عليهم واختلّفوا فى الضمير فى عليهم الى من يرجع فقيل يقتضى أن يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الدلّ بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود وهو مختصر وسنجار يب وما لك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليعثن عليهم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والهوان والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة وأورد على هذا بان فى آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود أتباعه وأشياعه وأجيب عنه بان ذلك العز الذى يحصل لهم هو فى نفسه غاية الذلة لانهم يدعون اهلية الدجال فيزدادون كفرا على كفرهم فاذا هلك الدجال أهلكهم المسلمون وقتلهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله تعالى ليعثن عليهم (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) وهذا نص فى أن العذاب انما يحصل لهم فى الدنيا مستقرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهاة والذلة وأخذ الجزية منهم فاذا أفضوا الى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى (ان ر بك لسريع العقاب) يعنى لمن أقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم فى الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى (وانه لغفور رحيم) يعنى لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل فى دين الاسلام

(اذيعدون في السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجرب بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من (١٥١) بدل الاشتمال (اذ تأنبهم) منصوب ببعدهن

أو بدل بعهد بدل (حيثانهم) جمع جوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها ترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى اذ يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه (ويوم لا يسبتون لا تأنبهم) ويوم ظرف للاتأنبهم) كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبأهم بفسقهم (واذ قالت) معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب (أمة منهم) جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب والنول في موعظتهم لأن لا يقبلون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) وإنما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) أي موعظتنا البلاء عذرتنا الى

بهذه القصة مجيزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الاولين ثم أخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم أمر الله عز وجل مستخوفون وخذلوا واختلجوا في هذه القرية فقال ابن عباس ٢ هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب وقيل بين مدن والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي ما بين مدين وعيون في القرية التي كانت على ساحل البحر وقرية منه (اذ يعدون في السبت) يعني يتجاوزون حد الله فيه وما أمرهم به من تعظيمه فخالفوا أمر الله وصادوا فيه السمك (اذ تأنبهم) يعني تأنبهم يوم سبتهم شرعا) يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأنبهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تأنبهم يوم السبت مثل الكباش البيض السماء (ويوم لا يسبتون لا تأنبهم) يعني الحيتان (كذلك نبأهم) يعني مثل هذا الاختبار الشديد تختبرهم ونحن أعلم بحالهم (بما كانوا يفسقون) يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما أمره به قال أهل التفسير ان اليهود أمروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما أراد الله أن يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تزل الى السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتهم عن الاخذ فالتخذوا حياض على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم أتتهم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا فيه وأكلوا باعوا وصار أهل القرية آخر ابا ثلاثة وكانوا نحو من سبعين ألفا فالتفتهم عن الاصطياد وثبت سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهيين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثبت هم أصحاب الخطيئة الذين خالفوا أمر الله واصطادوا وأكلوا باعوا فلما لم ينهوا عمالهم فيه من المعصية قال الناهون لانسأ كنكم في قرية واحدة فقسموها القرية بينهم بحدار للناهيين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه الصلاة والسلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان لهم لسانا لعل الخمر قد غلبتهم ففعلوا على الحدار الذي بينهم فاذا هم قدم مسخوفون ففتحو عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القرية يعرفون أنسابهم من الناس ولم يعرف الناس أنسابهم من القرية فجعلت القرية تأتي أنسابها من الناس فنشتم نياها فيقول لهم أهلوهم ألم تنهكم فنقول القرية برأسها نعم فنجبا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى (واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم) واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان أهل القرية افتروا ثلاث فرق فرقة اعتدت وأصاب الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة أمسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهيين لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يعني انهم لا موعظة قوم يعامون أنهم غير متعظين ولا منجزين فقالت الفرقة الناهية للذين لا موعظة معذرة الى ربكم يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فوعظتنا الهؤلاء عذرتنا عند الله (ولعلمهم يتقون) أي وجائز عندنا أن يتفعلوا بالموعة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان أهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتم واقبل ان ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنهوا عما أتم فيه

الله لئلا ننسب في النهي عن المسكر الى التفریط معذرة حفص على انه مفعول له أي وعظناهم للمعذرة (ولعلمهم يتقون) ولطمعنا في أن يتقوا ٢ (قوله هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب) في نسخة هي ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمى المدينة قرية وقال الزهري الخ اه

عليه ولما في الالتفات من
مزية البلاغة وليعلم ان
الذي وجب الايمان به هو
هذا الشخص الموصوف
بانه النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته كاتمان كان
أنا أو غيري اظهار النصفة
وتفادي من العصبية لنفسه
(ومن قوم موسى أمة
يهدون بالحق) أي يهدون
الناس محقين أو بسب
الحق الذي هم عليه (وبه
يهدون) و بالحق يهدون
بينهم في الحكم لا يجوزون
قبلهم قوم وراء الصين
آمنوا بحمد عليه الصلاة
والسلام ليلة المعراج أو هم
عبد الله بن سلام واضرا به
(وقطعناهم) وصيرناهم
قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم
من بعض (انتي عشرة
أسباط) كقولك انتي
عشرة قبيلة والاسباط
أولاد الولد جمع سبط
وكانوا انتي عشرة قبيلة من
انتي عشر ولد امن ولد
يعقوب عليه السلام نعم
ميز ما عدا العشرة مفرد
فكان ينبغي أن يقال انتي
عشر سبط لكن المراد
وقطعناهم انتي عشرة قبيلة
وكل قبيلة أسباط لاسبط
فوضع أسباط موضع قبيلة
(أما) بدل من انتي

بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله تعالى (واتبعوه) يعني واقتدوا به أيها
الناس فيما يامرهم به وينهاهم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال أما
المتابعة في الاقوال فبأن يمثل التابع جميع أفعال المتبوع على طريق الامر والنهي والترغيب والترهيب
وأما المتابعة في الافعال فبأن يقتدي به في جميع أفعاله وآدابه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت
بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه ﴿وقوله تعالى﴾ (اعلمكم تهتدون) يعني لكي تهتدوا وترشدوا
وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم آياته ﴿وقوله عز وجل﴾ (ومن قوم موسى) يعني من بني اسرائيل (أمة)
أي جماعة (يهدون بالحق) يعني يهدون بالحق ويستقيمون عليه ويعلمون به ويرشدون اليه (وبه
يهدون) يعني وبالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون ويتصفون واختلقوا في هؤلاء من هم فقيل
هم الذين أسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الامة يقتضي الكثرة وأجيب عنه
بانهم لما كانوا مختلطين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل هم قوم بقوا
على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال
السدي وابن جرير وجاءت من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا
تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض
فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جرير قال ابن
عباس ساروا في السرب سنة ونصفا رواه الطبري وحكي البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم
قوم خاف الصين باقضى الشرق على نهر يسمى نهر الاردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يعطرون
بالليل ويصحون بالتهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق وذلك ان جبريل ذهب بالنبي
صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فساكنهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا قال هذا محمد
النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى أو صانا أن من أدرك منكم أحد فليقرأ مني عليه السلام
فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم
بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكاتهم وكانوا يستنون فامرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وهذه
الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان احدنا لا يصل اليهم واذا كان كذلك فن ذا الذي أوصل
خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به وهذا لم يرد به نقيل
صحيح ولا رواه احد من أئمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخبار بين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم
انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج أنه سلم عليه في السماء السادسة
وأيضاً قولهم وأقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة أكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف
يامرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالتحتم في تفسير هذه الآية أنها اما أن تكون
نزلت في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما أن تكون قد نزلت
فيمن أسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه والله أعلم بما رده
﴿وقوله تعالى﴾ (وقطعناهم) يعني وفرقنا بني اسرائيل (انتي عشرة أسباط) يعني من أولاد يعقوب لان
يعقوب هو اسرائيل وأولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا (أما) يعني جماعات وقبائل (وأوحينا الى
موسى اذا استسقاء قومه) يعني في التيه (أن اضرب بعصاك الحجر فانجست) يعني فانفجرت وقيل عرفت
وهو الانبجاس (منه) أي من الحجر (انتي عشرة عينا) يعني اسكل سبط عين (قد علم كل أناس مشر بهم)

عشرة أي وقطعناهم أما لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤم الاخرى (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء
قومه أن اضرب بعصاك الحجر) فضرب (فانجست) فانفجرت (منه) انتي عشرة عينا قد علم كل أناس مشر بهم) هو اسم جمع غير تكبير

أن يعملوا بما في التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد (والاغلال التي كانت عليهم) يعني ويضع الاثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وفرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وتنبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي تجتمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فاما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كما ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) يعني بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعزروه) يعني وقرروه وعظموه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله (ونصروه) يعني على أعدائه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلوب المؤمنين فيخرج به من ظلمات الشرك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم (أولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية ﷺ قوله تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أمة وأسر وأحاديث لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فإيما رجل أدر كتم الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وفي رواية أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فإيما رجل من أمتي أدر كتم الصلاة فليصل وأحاديث لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل أمة وأسر وأحاديث لي الغنائم وبالاسود العرب وقيل أراد بالاجر الانس والاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحاديث لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون ﷺ وقوله تعالى (الذي له ملك السموات والارض) لما أمر الله عز وجل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا أرفده بما يدل على صحة دعواه يعني أن الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما وملك أمرهما هو الذي أرسلني اليكم وأمرني بان أقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا (لا اله الا هو يحيي ويميت) وصف الله نفسه بالالهية وأنه لا شريك له فيها وأنه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) لما أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا أمر الله جميع خلقه بالايمان به ورسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلهذا ابدأ بالايمان بالله ثم نبي بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى (النبي الامي) تقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعني آياته وهو القرآن وقال مجاهد والسدى أراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خالق

شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) وعظموه أو منعه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو وأصل العز المنع ومنه التعزير لانه منعه عن معاودة القبيح كالحمد فهو المنع (ونصروه) واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن ومع متعلق بانبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) الفائزون بكل خير والناجون من كل شر (قل) يا أيها الناس اني رسول الله اليكم (بعثت كل رسول الى قومه خاصة وبعثت محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن) جميعا (الذي له ملك السموات والارض) في محل النصب باضمار أعني وهو نصب على المدح (لا اله الا هو) بدل من الصلاة وهي له ملك السموات والارض وكذلك (يحيي ويميت) وفي لاله الا هو بيان للجمله قبلها لان من

وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبىكم صلى الله عليه وسلم لم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامى هو الذى على صفة أمة العرب لان العرب لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلماذا وصفه الله تعالى بكونه أميا وضح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال نحن أمة أمية لاننا كتب ولا نحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الكتاب العظيم الذى أعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرنك فلانسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه أتى بهذا القرآن العظيم لكان منهم ما فيه لاحتمال أنه كتبه ونقله عن غيره فلما كان أميا وأتى بهذا القرآن العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين والمعجزات دل ذلك على كونه معجزا له صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه أتى بهذه الشريعة الشريفة والأدب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزا له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامى الذى هو منسوب الى أمة كأنه لم يخرج بعد عما ولدته عليه وقيل سمي أميا لانه منسوب الى أم القرى وهى مكة وقوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يعنى يجدون صفته وبعثه ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماءهم وأخبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى النذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل انه لو صوفى فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يأيمها النبى اننا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحزلا لئلا يمين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا بدفع بالسبينة السبينة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عمييا وأذنا صما وقلوبا غلفا

شرح غريب ألفاظ الحديث

(يا أمرهم بالمعروف)
بجملح الانداد وانصاف
العباد (وينهاهم عن
المنكر) عبادة الاصنام
وقطيعه الارحام (ويحل
لهم الطيبات) ما حرم
عليهم من الاشياء الطيبة
كالشحوم وغيرها أو ما
طاب فى الشريعة مما ذكر
اسم الله عليه من الذبايح
وما خلا كسبه من
السحت (ويحرم عليهم
الخبائث) ما يستخبت
كالدوم والميتة ولحم الخنزير
وما أهل غير الله به أو ما خبت
فى الحكم كالربا والرشوة
ونحوهما من المكاسب
الخبیثة (ويضع عنهم
اصرهم) هو الثقل الذى
ياصر صاحبه أى يحبس
عن الحراك لثقله والمراد
التكاليف الصعبة كقتل
النفس فى توبتهم وقطع
الاعضاء الخاطئة آصارهم

الفظ السبى الخلق والغليظ الجافى القاسى وقوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذى لا يصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كأنه فى غلاف وروى البغوى بسنده عن كعب الاحبار قال اتى أجدى التوراة مكتوبا بمحمد رسول الله لفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسبينة ولكن يعفوا ويصفح أمته الحامدون يحمدون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على أنصافهم ويعفون أطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء مناديتهم بنادى فى جوف السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وقوله تعالى (يا أمرهم بالمعروف) يعنى بالايمن وتوحيد الله (وينهاهم عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف فى الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يا أمرهم بالمعروف بجملح الانداد وبكلام الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) يعنى بذلك ما كان محررا عليهم فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم فى الجاهلية من البعائر والسواب والوصائل والحوامى وقيل هى المستلذات التى تستطهها النفس (ويحرم عليهم الخبائث) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ابريد المية والههم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبت به الطبع وتستهذره النفس فان الاصل فى المنكر الحرمة الامالة دليل متصل بالحل (ويضع عنهم اصرهم) يعنى ثقلمهم وأصل الاصر الثقل الذى ياصر صاحبه أى يحبس عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذى أخذ على بنى اسرائيل

اليك وهذا قول جميع المفسرين وأصل اليهود الرجوع برقى قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح
قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم (قال) يعني قال الله عز وجل موسى عليه
الصلاة والسلام (عذابي أصيب به من أشاء) يعني من خلقي وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي
وعبيدي ومن تصرف في خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتي وسعت كل شيء) يعني ان رحمتي
سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام أريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر في
الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل هي للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر برزق
ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين
لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول ابليس اليها وقال أنا من ذلك الشيء فزعمها الله تعالى من ابليس فقال
تعالى (فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فابليس منها وقالت
اليهود نحن نتقى ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فزعمها الله من اليهود وأثبتها لهذه الامة فقال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الآية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى
لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تاملون حيث أدركتكم الصلاة الا عندم مرضا أو حرام أو قبر
واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد
والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة
في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا نظر اقال الله تعالى فسأ كتبها
للذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال
اجعلني منهم قال انك لن ندركهم قال موسى يارب أيتيك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله
تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضى موسى أما التفسير بقوله الذين يتقون يعني
الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشياء التي يجب على
الانسان تركها والاحترار عنهما ولا يقر بها واليه الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثاني الافعال المأمور
بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية أما البدنية فاليها الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الآية وان كانت في حق
المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية كالإيمان والمعرفة واليه الاشارة بقوله تعالى والذين
هم بآياتنا يؤمنون ﴿١﴾ وقوله عز وجل (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يمجده وكتوبه ما عندهم في
التوراة والانجيل) ذكر الامام فخر الدين الرازي في معنى هذه التبعية وجهين أحدهما أن المراد بذلك ان
يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا وصفته في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى
الخلق وفي قوله والانجيل أن المراد وسجدونه مكتوب في الانجيل لان من المحال ان يمجده فيه قبل ما نزل الله
الانجيل الوجه الثاني أن المراد من الحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان
هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول أقرب لان اتباعه قبل ان يبعث
لا يمكن فبين بهذه الآية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات
الله في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع
ذلك متبع للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول
من بني اسرائيل خاصة وجهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع امة الذين آمنوا به
واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل أو غيرهم وأجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه
وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته وأمره ونواهيته وشرائعه بهم ثم
وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من أعلى المراتب وأشرفها وذلك بدل على انه رفيع الدرجات عند الله المخبر عنه ثم

(قال عذابي) من صفته اني
(أصيب به من أشاء) أي
لا أعف عنه (ورحمتي
وسعت كل شيء) أي من
صفه رحمتي أنها واسعة تبلغ
كل شيء ما من مسلم ولا كافر
الا وعليه أثر رحمتي في الدنيا
(فسأ كتبها) أي هذه
الرحمة (للذين يتقون)
الشرك من أمة محمد صلى
الله عليه وسلم (ويؤتون
الزكاة) المفروضة (والذين
هم بآياتنا) بجميع كتبنا
(يؤمنون) لا يكفرون
بشيء منها (الذين يتبعون
الرسول) الذي نوحى اليه
كتبا يختص به وهو القرآن
(النبي) صاحب المعجزات
(الامي الذي يمجده) أي
يمجده نعت أولئك الذين
يتبعونه من بني اسرائيل
(مكتوب) باعدهم في التوراة
والانجيل

(فلما أخذتهم الرجفة)
الزلزلة الشديدة (قال رب
لوشئت أهلكتهم من
قبل) بما كان منهم من
عبادة الجبل (واياي)
لقتلى القبطي (أتهلكنا
بما فعل السفهاء منا)
أتهلكنا عقوبة بما فعل
الجهال منا وهم أصحاب
الجبل (ان هي الافتتنك)
ابتلاؤك وهو راجع الى
قوله ان انا قد فتنا قومك من
بعدك فقال موسى هي
تلك الفتنة التي أخبرتني
بها وهي ابتلاء الله تعالى
عباده بما شاء ونبأكم
بالشر والخير فتنة (نضل
بها) بالفتنة (من تشاء) من
علمت منهم اختيار الضلالة
(وتهدى) بها (من تشاء)
من علمت منهم اختيار
الهدى (أنت ولينا) مولانا
القائم بأمورنا (فاغفر لنا
وارحنا) أنت خير الغافرين
واكتب لنا) وأثبت لنا
واقسم (في هذه الدنيا
حسنة) عافية وحياة طيبة
أو توفيقا في الطاعة (وفي
الآخرة) الجنة (انا هدنا
اليك) تبنا اليك وهاد
اليك يهودا ذار جمع وتاب
والهود جمع هائد وهو
التائب

بنى اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختروا سبعين رجلا فلما اتهموا اليه قالوا يا هرون من قتلتك
قال ما قتلتني أحد ولكن الله توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى رجع يمينا وشمالا ويقول رب لوشئت
أهلكتهم من قبل واياي الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما أخذتهم الرجفة لتر كهم فراق عبدة الجبل
لأنهم كانوا من عبدة قال ابن عباس انما اتنا واتهم الرجفة لانهم لم يزلوا القوم حين نصبوا الجبل وما كرهوا
أن يجامعهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله أماتهم ثم أحياهم. وقال مجاهد واختر موسى قومه
سبعين رجلا ليقتلنا الميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله
ويسألونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من العصية ما أصاب قومهم وقال
محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوا عن المنكر ولم يأمرهم بالمعروف فاخذتهم
الرجفة فأتوا ثم أحياهم الله ﷻ وقوله تعالى (فلما أخذتهم الرجفة) أصل الرجف الاضطراب الشديد الذي
يحصل معه التغيير والهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهؤلاء هل كان معهم موت أم لا فعظم
الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن
القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجعوا حتى كادت أن تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك
رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقد هم وكانوا له وزراء على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا
موسى وبكى وناشده به فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما
أخذتهم الرجفة (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (لوشئت أهلكتهم من قبل) يعني من قبل عبادتهم
الجبل (واياي) وذلك أنه خاف أن يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذ رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه
بانهم ماتوا فقال رب لوشئت أهلكتهم من قبل يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرائيل
يعانيون ذلك ولا يتهموني (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) قال الفراء ظن موسى أنهم أهلكوا بانحاذ أصحاب
الجبل فقال أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة الجبل وانما أهلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهي
قولهم أرنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله
تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن قوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الحمد أي استنقل
ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أي لانهلكنا (ان هي الافتتنك) قال
الواحدى السكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الازيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء
لم تكن الافتتنك أي اختبارك وابتلاءك وهذا توكيد لقوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه
لانهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاءا أضلت بها قومنا فافتتنوا وهديت قوما فمصمتهم
حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله (تضل بهما من تشاء وتهدى من تشاء) قال الواحدى وهذه الآية
من الحجج الظاهرة على القدرة التي لا يبق لهم معها عذر (أنت ولينا) يعني أنت يارب بنانا صرنا وحافظنا وهذا
يفيد الحصر أي لاولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الأنت (فاغفر لنا) سأله موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه
ولقومه الغفران أما لنفسه فاقوله ان هي الافتتنك وهذا فيه اقدم على الحضرة المقدسة وأما لقومه فلقوله
أرنا الله جهرة وفي هذا اقدم على الحضرة المقدسة فهذا السبب سأله موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له
ولقومه (وارحنا) أي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء (وأنت خير الغافرين) يعني ان كل من سواك انما
يعفر الذنوب طلبا للثناء الجميل أو لدفع ضرر أو ما أنت يارب فتغفر ذنوب عبادك لالطلب عوض ولا غرض
بل لمحض الفضل والكرام فانت خير الغافرين ﷻ قوله تعالى (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة)
يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أي واجعل لنا من كتبت له حسنة وهي ثواب الاعمال
الصالحة وفي الآخرة أي واكتب لنا في الآخرة مغفرة لذنوبنا (انا هدنا اليك) قال ابن عباس معناه انا تبنا

شئ (وفي نسختها) النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نقلت ما في
الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الاواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة
المكتوبة من الاواح التي اخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمر بن دينار لما ألقى موسى
الاولاح فتكسرت صام أربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الاولى بعينها فيكون نسخها نقلها
وعلى قول من قال ان الاواح لم تكسر واخذها موسى بعينها بعد ما ألقاها ليكون معنى وفي نسختها المكتوب
فيها (هدى ورجة) قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورجة من العذاب (الذين هم لربهم يرهبون) يعني
للخائفين من ربهم ﴿ قوله عز وجل (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) الاختيار افعال من لفظ
الخيار يقال اختار الشيء اذا أخذ خيريه وخياره والمعنى واختار موسى من قومه خذف كلمة من وذلك سائغ
في العربية لدلالة الكلام عليه قال أصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام اختار من كل سبط من
قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فمال لمن قعد منكم مثل أجر من
خرج فقعد يوشع بن نون وكاب بن يوقنا وقيل انه لم يجد الاستين شيخا فاحسب الله اليه ان يختار من الشباب
عشرة فاخترهم فأصبحوا شيوخا فأمرهم أن يصوموا يتطهروا ويظهروا وائياهم ثم ذهب بهم الى ميقات
ربه واختلف أهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه به وسأل فيه الرؤية وذلك انه لما
خرج الى طور سيناء خدمه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط
بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدوا سمعوا الله تعالى
وهو يكلم موسى بأمره وينهاه ففعل كذا لاتفعل كذا فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال السدي
ان الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعترفون اليه من عبادة العجل وغدهم موعدا فاختر
موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذر وافلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك
يا موسى حتى نرى الله جهره فانك قد كلمته فارناه فأخذتهم الصاعقة فأتوا مقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول
رب ماذا أقول ابني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال محمد
ابن اسحق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا خيرا فخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما
صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا ونظروا واطهروا وائياكم ثم خرج بهم
الى طور سيناء الميقات وقتله ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكرى حين فعلوا
ما أمرهم به وخرجوا مع موسى لميقات ربه اطبل لنا مع كلام ربنا فقال أفعال فلما دنا موسى من الجبل وقع
عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه به وقع
على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في
الغمام ووقعوا سجدوا سمعوا الله وهو يكلم موسى بأمره وينهاه ففعل ولا تفعل فلما فرغ من أمره انكشف
عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له ان نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي الرجفة فأتوا
جميعا فقام موسى يناشدهم به وبعدهم ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال ابن
عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختر سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا بهم فكان
فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه أحد اقبلنا ولا تعطه أحد بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم
الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقيل انما أخذتهم الرجفة من أجل انهم ادعوا على موسى انه
قتل هرون قال علي بن أبي طالب انطلق موسى وهرون الى سفح جبل فنام هرون على سرير ففاه الله فلما
رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أنت قتلته حسدا تناعى خلقه ولامنه وكان هرون حسان الخلق محببا في

التي ألقاها (وفي نسختها)
وفيما نسخ منها أي كتب
فعله بمعنى مفعول كالخطبة
(هدى ورجة للذين هم
لربهم يرهبون) دخلت
اللام لتقدم المفعول
وضعف عمل الفعل فيه
باعتماره (واختار موسى
قومه) أي من قومه
خذف الجار وأوصل الفعل
(سبعين رجلا) قيل اختار
من اثني عشر سبطا من كل
سبط ستة فبلغوا اثنين
وسبعين رجلا فقال
ليتخلف منكم رجلان
فقعد كالب ويوشع
(الميقاتنا) لا يعتذرهم عن
عبادة العجل

من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) يعني سبناهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للفسرين في هذه الآية قولان أحدهما ان المراد بالذين اتخذوا الجمل الذين باشروا عبادته وعلى هذا القول ففي الآية سؤال وهوان أو تلك الاقوام الذين اتخذوا الجمل تابوا الى الله تعالى بقتلهم أنفسهم كما أمر الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب أن ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو اسلامهم أنفسهم للقتل واعترافهم على أنفسهم بالضللال والخطأ فان قلت السين في قوله سبناهم للاستقبال فكيف تكون للماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عمارا أخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم الجمل ثم أخبره الله في ذلك الوقت انه سبناهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جرير في هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة الجمل ولمن فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جرير وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا الجمل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأباؤهم هم الذين عبدوا الجمل وأراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سينال أولاد الذين عبدوا الجمل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب والذلة ما أصاب بني النضير وبنو قريظة من القتل والجلد وعلى هذا القول ففي تقرير الآية وجهان الاول ان العرب تعبر الابناء بقبايح أفعال الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلمتم كذا وفعلمتم كذا وانما فعل ذلك من مضي من آبائهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا الجمل وان كان آباؤهم فعلا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سبناهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا لوجه الثاني ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا الجمل وباشروا عبادته سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه ﷻ وقوله تعالى (وكذلك نجزي المفترين) يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا الجمل الها نجزي كل من افترى على الله كذبا أو عبده غيره وقال أبو قلابة هي والله جزاء كل مفرط الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس ما من مبتدع الا هو يجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمبتدع مفرط في دين الله (والذين عملوا السيئات) يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى الكفر فسادونه (ثم تابوا من بعدها) يعني ثم رجعوا الى الله من بعد ما عملوا السيئات (وآمنوا) يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب (ان ربك) يا محمد أو يا أيها الانسان التائب (من بعدها) يعني من بعد توبتهم (اغفور رحيم) يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل على ان السيئات باسرها صغبرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الآية ان من أتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله وأخلص التوبة فان الله يغفرها له ويتقبل توبته وهذا من أعظم البشائر للذنين التائبين ﷻ قوله تعالى (ولما سكنت عن موسى الغضب) يعني سكن لان السكوت أصله الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بغوره داعيا الى ما في نفس الم غضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكنت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول أدخلت القلنسوة في رأسي والمعنى أدخلت رأسي في القلنسوة والقول الاول أصح لانه قول أهل اللغة والتفسير (أخذ الاواح) يعني التي ألقاها قال الامام نضر الدين وظاهر هذا يدل على ان الاواح لم تنكسر ولم يرفع من التوراة

من ربهم) هو ما أمر ربه من قتل أنفسهم توبة (وذلة في الحياة الدنيا) خروجهم من ديارهم فالعبرة بذيول الاعناق أو ضرب الجزية عليهم -م (وكذلك نجزي المفترين) الكاذبين على الله ولا فرجة أعظم من قول السامري هذا الحكم واله موسى (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا) رجعوا الى الله (من بعدها وآمنوا) وأخلصوا الايمان (ان ربك من بعدها) أي السيئات أو التوبة (اغفور) لستور عليهم محاملا كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا الجمل وغيرهم عظم جنايتهم وألا ثم أردفها بهظم رحمته ليعلم أن الذنوب وان عظمت فغفوه أعظم ولما كان الغضب لشده كان هو الأمر لموسى بما فعل قيل (ولما سكنت عن موسى الغضب) وقال الزجاج معناه سكن وقرئ به (أخذ الاواح)

والمخصوص بالذي محذوف تنديره بس خلافة خلفه وتوحيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خالفتموني من بعد ما رأيتم من توحيد الله ونبي الشركاء عنه ومن بعد ما كنت أحمل بنى اسرائيل على التوحيد وكفهم عن عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا (١٤٢) بسيرة المستخلف (أعجبتكم) أسبقتم بعبادة العجل (أمر ربكم) وهو آتياي لكم

باتورة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وقيل أعجبتكم بمعنى تركتم (وأنتي الألواح) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضب الله وكان في نفسه شديد الغضب وكان هرون ألبن منه جانبا ولذلك كان أحب الي بنى اسرائيل من موسى فمكسرت فرغت ستة أسباعها وبقى سبع واحد وكان فيمبارفغ تفصيل كل شئ وفيما بقي هدى ورجعة (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم ينعهم عن عبادة العجل (بجره اليه) عتابا عليه لاهوانابه وهو حال من موسى (قال ابن أم) بنى الان مع الام على الفتح تحمسة عشر وبكسر الميم حزة وعلى وشامى لان أصله أمى خذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها دعى الى العطف (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) أى اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانداز ولكنهم

أى بس الفـ عمل فعلتم بعد فراقى اياكم وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عبدة العجل من السامري وأتباعه أو هرون والمؤمنين من بنى اسرائيل فعلى الاحتمال الاول فى انه خطاب عبدة العجل يكون المعنى بسما خالفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثانى وهو أن يكون الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بسما خالفتموني حيث لم تنعهم من عبادة غير الله تعالى وقد رأيتم منى الامر بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له ونفى الشركاء عنه وحمل بنى اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة مستخلفهم وقوله (أعجبتكم أمر ربكم) معنى العجلة التقدم بالشئ قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشئ فى أول وقته ولما قيل ان لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الآية أعجبتكم معادركم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجبتكم وعدركم من الاربعين وذلك انهم قد مروا انه ان لم يات على رأس الثلاثين فقد مات وقيل معناه أعجبتكم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبي معناه أعجبتكم بعبادة العجل قبل أن ياتيكم أمر ربكم * ولما ذكر الله تعالى أن موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى قومه غضبان أسفا ذكر بعده ما أوجبه الغضب فقال تعالى (وأنتي الألواح) يعنى التى فيها التوراة وكان حاملها فلقها من شدة الغضب قالت الرواة وأصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباع وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقى ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى أن الله تعالى أخبر موسى عليه الصلاة والسلام بقتنة قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام ان ما أخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعابن ذلك وشاهده ألقى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كما عابته (وأخذ برأس أخيه بجره اليه) قيل انه أخذ بشعر رأسه وحليته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام ووجد قومه مقيمى على المعصية أكبر ذلك واستعظمه فاقبل على أخيه هرون يلوهم ومد يده الى رأسه لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به في عرفه خبر بنى اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فاعلمه هرون عليه السلام انه انما قام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى (قال) يعنى هرون (ابن أم) انما قال هرون لموسى ابن أم وان كانا لآب وأم ليرققه ويستعطفه عليه (ان القوم) يعنى الذين عبدوا العجل (استضعفوني) أى استذلوني وقهروني (وكادوا يقتلونني) أى وقاربوا أو هموا أن يقتلوني (فلا تسمت بي الاعداء) أصل السماتة الفرحة ببليمة من تعاديه ويعاديك يقال سمت فلان بفلان اذا سر بكمروه نزل به والمعنى لانسر الاعداء بما تنال منى من مكروه (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) يعنى الذين عبدوا العجل (رب اغفر لي) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يبين له عذرا أخيه هرون قال رب اغفر لي ما صنعت الى أخى هرون يريد ما أظهره من الموجدة عليه فى وقت الغضب (ولاخى) يعنى واغفر لآخى هرون ان كان وقع منه تقصير فى الانكار على عبدة العجل (وأدخلنا) يعنى جميعا (فى رحمتك) يعنى فى سعرة رحمتك (وأنت أرحم الراحمين) وهذا فيه دليل على الترغيب فى الدعاء لان من هو أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعى فى نجاح طلبته (ان الذين اتخذوا العجل) يعنى الها عبدوه من دون الله (سينالهم غضب

استضعفوني وهو اذقتلى (فلا تسمت بي الاعداء) الذين عبدوا العجل أى لا تفعل بي ما هو أمئنتهم من الاستهانة بنى والاساءة الى (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى قريناهم بغضبك على فلما اوضح له عذرا أخيه (قال رب اغفر لي ولاخى) ليرضى أخاه وينفى الشبهة عنه باشرا كه معه فى الدعاء والمعنى اغفر لي ما فرط منى فى حق أخى ولاخى ان كان فرط فى حسن الخلافة (وأدخلنا فى رحمتك) عصمتك فى الدنيا وجنتك فى الآخرة (وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) الها سينالهم غضب

(عجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه أي بدنا ذالحم ودم كسائر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثاني محذوف أي الها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال (أم يروا) حين اتخذوه الها (انه لا يكلمهم ولا يهدبهم سبيلا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته انفق البحر قبل أن تنفذ (١٤١) كما ماته وهو الذي هدا خلق

الى سبيل الحق بما
أركز في العقول من الادلة
وبما أنزل في الكتب ثم
ابتدا فقال (اتخذوه) الها
فاقدموا على هذا الامر
المنكر (وكانوا ظالمين واما
سقط في أيديهم) ولما اشتد
ندمهم على عبادة العجل
وأصله أن من اشتد ندمه
أن بعض يده غمفا تصير
يده مسقوطا فيها لان فاه
وقع فيها وسقط مسندا الى
في أيديهم - وهو من باب
الكناية وقال الزجاج معناه
سقط الندم في أيديهم أي
في قلوبهم وأنفسهم كما يقال
حصل في يده مكره وان
استحال أن يكون في اليد
تشبيها لما يحصل في القلب
وفي النفس بما يحصل في
اليد ويرى بالعين (ورأوا
انهم قد ضلوا) وتبينوا
ضلالهم تبينا كأنهم
أبصروه بعيونهم (قالوا لئن
لم يرجعنا بنا يغفر لنا) لئن
لم يرجعنا بنا وتغفر لنا حزة
وعلى واتصاب ر بنا على
الذناء (انك كون من
الخاسرين) المغبونين في
الدنيا والآخرة (ولما
رجع موسى) من

فبقي الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فاندلك قال الله تعالى من حلبيهم فلما أبطأ موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى واتخذوه هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم أجمعوا عليه وكان السامري رجلا صافا فصاغ لهم (عجلا جسدا) يعني من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والتي في ذلك العجل من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فتحول عجلا جسدا (له خوار) هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجهور أهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيف الريح وذلك انه جعله مجوفاً وضع في جوفه أنابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول أصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكما خار سجدوا له واذا سكنت رفقوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور وبمشى (أم يروا) يعني الذين عبدوا العجل وقيل أن بني اسرائيل كلهم عبدوا العجل الا هرون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبدوا العجل وهو الصحيح وأجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله ألم يروا (انه) يعني العجل الذي عبدوه (لا يكلمهم ولا يهدبهم سبيلا) يعني ان هذا العجل لا يمكنه أن يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جادا أو حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد (اتخذوه وكانوا ظالمين) يعني لانفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهدبهم الى رشد وصواب قوله عز وجل (ولما سقط في أيديهم) يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر سقط في يده وذلك لان من شأن من اشتد ندمه على أمر ان بعض على يده ثم يضرب على خفته فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من أعلى الى أسفل (ورأوا أنهم قد ضلوا) يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل (قالوا لئن لم يرجعنا بنا يغفر لنا) يعني يتب علينا ويتجاوز عنا (لنكونن من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على أنفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم رهم ويرحمهم كلام التائب النادم على ما فرط منه واما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم وهو قوله تعالى (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا) يعني ولما رجع موسى عليه الصلاة والسلام من مناجاة ربه الى قومه في بني اسرائيل رجوع غضبان أسفالا ان الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وان السامري قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الاسف أشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسيف الحزن قال الواحدى والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ما تكره ممن هو فوقك خزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والآخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة والسلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل أسفا حزين لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى قد أعلمه بذلك لحزن لاجل ذلك (قال) يعني موسى عليه الصلاة والسلام لقومه (بشما خلفتموني من بعدى)

الطور (الى قومه) بني اسرائيل (غضبان) حال من موسى (أسفا) حال أيضا أي حزينا (قال بشما خلفتموني) فتم مقامي وكنتم خلفائي (من بعدى) والخطاب لعبدة العجل من السامري وأشياعه وأطروا ومن معه من المؤمنين وبدل عليه قوله خلفني في فومي والمعنى بشما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله وأحيث لم تكفوا عن عبادة غير الله وفاعل بشس مضمرة يفسره ما خلفتموني

(سار يك دار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهي مصر ومنازل عاد وثمود والقرن المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبر وافلاتفسه قوامثل فسهم فينكل بكم مثل نكلهم أوجهنم (سأصرف عن آياتي) عن فهمها قال ذوالنون قدس الله روحه أي الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن (الذين يتكبرون) (١٤٠) يتناولون عن قبول الحق وحقية تكف الكبرياء التي اختصت بالباري عزت قدرته (في الارض بغير الحق) هو حال أي يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدي) طريق صلاح الامراء وطريق الهدى الرشدي حزة وعلى وهما كالسقم والسقم (لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل النقي) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحل (ذلك) الرفع أي ذلك الصرف (بانهم كذبوا باياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) غفلة عندوا عراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة) هو من اضافة المصدر الى المفعول به أي ولقاءهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خبر والذين (هل يجزون الاما كانوا يعملون) وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعده ذهابه الى الطور (من حلبيهم) وانما نسب اليهم

وكالاتصار حسن والصبأحسن منه فامروا أن ياخذوا بالاشد على أنفسهم ليكون ذلك أعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها واكلها احسن ﴿وقوله تعالى (سار يك دار الفاسقين) قال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة وقال الحسن وعطاءير يد جهنم يحذركم أن تكونوا مثلهم وقال قتادة سأدخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عظمة العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرن الذين هلكوا فـ كانوا يرون عليها اذا سافروا ﴿قوله عز وجل (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي وبحارون أوليائي سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم عن التفكير في خلق السموات والارض وما فيها من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والاكثر من على ان الآية عامة وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء و يوفق بالتفكير في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لا يستل عمافه لهم يستلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون أنهم أفضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس غيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في حق الله عز وجل صفة مدح وفي حق المخلوقين صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غير هافه صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر أي يفتعلون التكبر ويرون أنهم أفضل من غيرهم فلذلك قال يتكبرون في لارض بغير الحق بل بالباطل (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدي) يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب (لا يتخذوه سبيلا) يعني لا يختاروه لانفسهم طر يقايسل كونه الى الهداية (وان يروا سبيل النقي) يعني طريق الضلال (يتخذوه سبيلا) ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشدا واتباع النقي بسبب انهم كذبوا بايات الله الدالة على توحيد (وكانوا عنها غافلين) يعني عن التفكير فيها والاتعابها (والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة) يعني ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب (حبطت أعمالهم) يعني بطلت فصارت كأن لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بايات الله من عمل البر والاحسان والخير فيبين الله تعالى به هذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث (هل يجزون الاما كانوا يعملون) يعني هل يجزون في العقبي الأجزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا ﴿قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده) يعني من بعد انطلق موسى الى الجبل لمناجاة به عز وجل (من حلبيهم) يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلى ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى أن أهلك الله فرعون وقومه

قدرته (في الارض بغير الحق) هو حال أي يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدي) طريق صلاح الامراء وطريق الهدى الرشدي حزة وعلى وهما كالسقم والسقم (لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل النقي) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحل (ذلك) الرفع أي ذلك الصرف (بانهم كذبوا باياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) غفلة عندوا عراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة) هو من اضافة المصدر الى المفعول به أي ولقاءهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خبر والذين (هل يجزون الاما كانوا يعملون) وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعده ذهابه الى الطور (من حلبيهم) وانما نسب اليهم

مع انها كانت عوارى في أيديهم لان الاضافة تكون لادنى ملاسة وفيه دليل على ان من حلف أن لا يدخل دار فلان فبقي فدخل دار استعارها بحيث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على أموال الكفار بوجوب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فاستند الفعل اليهم والحلى جمع حلى وهو اسم ما يتحس به من الذهب والفضة حلبيهم حزة وعلى بالاتباع

انها كانت سبعة ألواح وروى عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جعت على عادة العرب في اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها او يقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الآية في التوراة بالف آية يعني قوله (وكتبنا له في الألواح من كل شيء) يعني يحتاج اليه من أمر ونهي (موعظة) يعني نهي عن الجهل وحقبة الموعظة التذكير والتحذير بما يخاف عاقبته (وتفصيلا لكل شيء) يعني وتبيننا لكل شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في أمور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لانتشرك في شيأ من أهل السماء ولا من أهل الأرض فان كل ذلك خاتي ولا تخلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا أزيك وقر والديك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة والسلام نظر في التوراة فقال اني أجد أمة خير الامم أخرجت للناس يا مرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور والدجال رب اجعلهم أمي قال هي أمة محمد يا موسى فقال رب اني لا جد أمة هم الجادون رعاة الشمس المحكمون اذا أراد أمر اقولوا تفعل ان شاء الله فاجعلهم أمي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد في التوراة أمة يا كلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون بحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفعون لهم فاجعلهم أمي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط واذا جدد الله الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت بعشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف فاجعلهم أمي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الامر حوما فاجعلهم أمي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم أبدا الامن يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء البحر فاجعلهم أمي قال هي أمة محمد فاما عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله عز وجل محمد صلى الله عليه وسلم وأمه قال ياليتني من أصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه من ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله سأرىكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا ❶ وقوله تعالى (خذها بقوة) يعني وقلنا لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كتبنا له في الألواح من كل شيء خذها بجهد واجتهاد وقيل معناه خذها بقوة قلب وصحة عزيمته ونية صادقة لان من أخذ شيأ بضعف نية أداه الى الفتور (وأمر قومك ياخذوا باحسنها) قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه الصلاة والسلام أشد عبادة من قومه فامرهم باليومر وابه وقيل ظاهر قوله وأمر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى أشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص غيره من قومه فان قلت ظاهر قوله تعالى ياخذوا باحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به أحد فامعنى قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه أحسن كالتقصص حسن ولكن العفو أحسن

السلام (وكتبنا له في الألواح) الألواح جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة وكانت من زمردوقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة (من كل شيء) في محل النصب على انه مفعول كتبنا (موعظة وتفصيلا لكل شيء) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون ورق بعير لم يقرأها كلها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى (خذها) فقلنا له خذها عطفًا على كتبنا والضمير للألواح أو لكل شيء لانه في معنى الاشياء (بقوة) بجهد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل (وأمر قومك ياخذوا باحسنها) أي فيها ما هو حسن وأحسن كالتقصص والعفو والانتصار والصبر فرهم أن ياخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر الثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم

اخترتك واتخذتك صفوة واصطفاء الاستخلاص من الصفوة والاجتماع والمعنى اني فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا نسبية لموسى عليه الصلاة والسلام عن منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عده عليه نعمه التي اُنعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الرؤية التي طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقتك بسبب منع الرؤية وانظر الى سائر انواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفاء على الناس برسالتي وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل منع كلام الله تعالى الا بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفتك على الناس برسالتي مع ان كثيرا من الانبياء قد ساواه في الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره البغوي فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفتك على الناس وان شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان كان قد شارك غيره اذ لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيا وفي هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الثاني ذكره الامام خنفر الدين الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سبب لما يزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى وأشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر أيضا لان محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمة ليله المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بيا محمد بدل عليه قوله فأوحى الى عبده ما أوحى ورفع الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك انه لم يكن في ذلك الوقت أعلى من صبا ولا أشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرائيل اذ كروا نعمتي التي اُنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم وقوله تعالى (نخدا ما آتيتك) يعني ما فضلتك وأكرمتهك به (وكن من الشاكرين) يعني على انعمي عليك وفي القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام كان بعد ما كره به لا يستطيع أحد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من الورد ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت زوجته انا لم أرك منذ كلك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تزوجي بعدى فان المرأة لا تزاوجها قوله تعالى (وكتبنا له في الألواح) قال ابن عباس يريد الألواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى في الألواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من صدر الجنة طول الألواح اثنا عشر ذراعا وجاء في الحديث خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الألواح من خشب وقال السكبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبيرة من ياقوتة حمراء وقال ابن جرير من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكروا واستمد من نهر النور وقال الربيع بن أنس كانت الألواح من زبرجد وقال وهب أمره الله بقطع الألواح من صخرة صماء لينهاه فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الاقلام بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذى الحجة وكان طول الألواح عشرة أذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعبا يوم عرفه فاعطاه الله التوراة يوم النحر وهذا أقرب الى الصحيح واختلقوا في عدد الألواح فروى عن ابن عباس

(نخدا ما آتيتك) أعطيتك
من شرف النبوة والحكمة
(وكن من الشاكرين)
على النعمة في ذلك فهي
من أجل النعم قبل خسر
موسى صعبا يوم عرفه
وأعطى التوراة يوم النحر
ولما كان هررون وزيراً
وتابعا لموسى تخصص
الاصطفاء بموسى عليه

للجبل) أي ظهوره بان ظهوره بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ما قاله الأشعري أنه تعالى خلق في الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى به وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وهو - هذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بان موسى عليه السلام كان عالما بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم - به كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرى باطل اذ لو كان كما زعموا لكان أروهم بنظر واليك ثم يقول له ان يروني (١٣٧) ولا نهالو لم تكن جائزة لما أخر

موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلام سمعها فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لالتقريره الأتري أنهم لما قالوا له اجعل لنا الها كما لهم آله لم يهلمهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون (جعل له دكا) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير والدق والدك اخوان دكاء جزة وعلى أي مستوية بالارض لأكمة فيها وناقة دكاء لاسنام لها (وخرموسى صعقا) حال أي سقط مغشيا عليه (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك تبت اليك) من السؤال في الدنيا (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبأنك لاتعطي الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والاصم معنى قوله أرني أنظر اليك أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة كاني أنظر اليك لن تراني لن تطيق معرفتي به - هذه

للجبل جعله دكا) قال ابن عباس ظهر نور به للجبل فصار ترابا واسم الجبل زيير وقال الضحاك أظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلي للجبل من عظمة الله تعالى الامثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلي الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضعت الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند وأخرجه الترمذي أيضا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا أو مسك بطرف ابهامه على أنملة أصبعه اليمنى فساخ الجبل وخرم موسى عليه السلام صعقا وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لانعرفه الا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف سحاب نور اقدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار ملاحا ثالا وقال الكبي جعله دكا يعني كسر اجبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوق ثلاث بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثير وحراء ٥ وقال تعالى (وخرموسى صعقا) قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول أصح لقوله (فلما أفاق) والميت لا افاقة له انما يقال أفاق من غشيتة قال الكبي صعق موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخيبر وهو يوم عرفته وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم الذبح وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات أتوا موسى وهو في غشيتة فجعلوا يركونه ويقولون يا ابن النساء الخيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق يعني من غشيتة ورجع عقله اليه وعرف انه سأل أمر اعظيما لا ينبغي له (قال سبحانك) يعني تنزهالك من النقائص كلها (تبت اليك) يعني من مسئلتى الرؤية بغير اذنك وقيل من سؤال الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك يعني من سؤالى ما ليس لي وقيل لما سأل الرؤية ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات الاباريسيات المقر بين (وأنا أول المؤمنين) يعني بانك لاترى في الدنيا وقيل وأنا أول المؤمنين يعني من بني اسرائيل بقي في الآية سوالات الاول ان الرؤية عين النظر فكيف قال أرني أنظر اليك وعلى هذا يكون التقدير أرني حتى أراك والجواب عنه ان معنى قوله أرني اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى أنظر اليك وأراك السؤال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله أنظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا رؤية معه السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم أمر الرؤية وان أحد الاقوي على رؤيته تعالى الامن قواه الله تعالى بموته وتأنيده الأتري انه لما ظهر أمر التجلي للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا الاستدراك لانه يدل على تعظيم أمر الرؤية والله أعلم بمراده ٥ قوله عز وجل (قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) يعني قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام يا موسى انى

(١٨ - (خازن) - ثاني)
الصفة ولكن انظر الى الجبل فاني أظهر له آية فان ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيق - وهذا فاسد لانه قال أرني أنظر اليك ولم يقل اليها وقال لن تراني ولم يقل ان ترآيتي وكيف يكون معناه ان ترآيتي وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا (قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك (برسالاتي) هي أسفار التوراة برسالاتي حجازي (وبكلامي) وبكلامي اياك

ذلك كون الرؤية في نفسها جائزة وإنما قلنا ذلك لانه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترائي) وهو أمر جائز الوجود في نفسه واذ كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالاً والله أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لماسأل موسى عليه الصلاة والسلام به عز وجل الرؤية أرسل الله الضباب والرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه الصلاة والسلام أربع فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى أهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسئلتى فهل ينجيني مما أنافيه شئ فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لماسألت فقليل من كثير مارأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال النور لهم قصف ورصف ورجف ورجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم ألوانهم ككهب النار ففزع موسى واشتد فزعهم وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شئ من الذين مروا قبلهم ألوانهم ككهب الباروساثر خلفهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقار بهم شئ من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبته وأرعد قلبه واشتد بكأؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لماسألت فقليل من كثير مارأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثاهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد خزنه وكثر بكأؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تبصر عليه ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه وفى يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم ككهب النار اذا سبحوها وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبدا لا يموت فى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول رب اذ كرتى ولانفس عبدك فلا أدري أن أفات مما أنافيه أم لان خرجت احترقت وان أقت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قدأوشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذى سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فاما بدانور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جيمه يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدأ لا يموت فارنج الجبل لشدة أصواتهم وان ذلك وانك كل شجرة كانت فيه وخز العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ايس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح فتفتشته وقاب عليه الحجر الذى كان جلس عليه موسى فصار عليه كهية القبة لئلا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام وأقامت الروح عليه مثل اللامة فلما أفاق موسى قام يسبح ويقول أنت بك وصدقك أنه لا يراك أحد فبصيا ومن نظر الى ملائكتك انحلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب ومالك الملوك والاله العظيم لا يعد لك شئ ولا يقوم لك شئ رب ثبت اليك الحمد لك لا ثمريك لك ما أعظمك وما أجلك يارب العالمين فذلك قوله تعالى (فلما تجلجى ربه

بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا انه لم يقل ان أرى ايكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرثيا لاخبر به ليس يمرئى اذ الحلة حالة للحاجة الى البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقى على حاله (فسوف ترائي) وهو دليل لنا أيضا لانه عاق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعلق الشئ بما هو ممكن بدل على امكانه كالتعلق بالمتنع بدل على امتناعه والدليل على انه يمكن قوله جهله ذلك لم يقل انك وماؤ جده تعالى كان جائزاً ان لا يوجد لولم يوجد لانه مختار فى فعله ولانه تعالى آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالاً لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله انى أعظك أن تكون من الجاهلين حيث سأل انجاء ابنه من الفرق (فلما تجلجى ربه

(ولما جاء موسى لميقاتنا) يعني للوقت الذي وقتناه ان يأتي فيه لمن اجابتنا وهو قوله (وكلمه به) وفي هذه الآية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه به عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقه في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساد لان الشجرة اود ذلك الجرم لا يقول اني انا الله لاله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لند كرى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله تعالى حروف واصوات متقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقائلون بهذا القول قالوا ان موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية وقالوا كما انه لا يبعد رؤية ذاته وليس جسم ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تأويله وحقيقته قال اهل التفسير والخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام لميقاته تطهروا وطهروا به وصام ثم اتي طور سيناء وفي القصة ان الله تعالى انزل ظلة تغشى الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطر دعه الشيطان وهو ام الارض ونحى عنه المسلمين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا واودنا به حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى ونابها واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلامه به عز وجل واشتاق الى رؤيته (قال رب ارنى انظر اليك) قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارنى نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني انظر اليك وانما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من انواع الجلال حتى استغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل انما سأل الرؤية ظنا منه بانه تعالى يرى في الدنيا فتعالى الله عن ذلك (قال لن تراني) يعني ليس لبشر ان يراني في الدنيا ولا يطبق النظر الى في الدنيا ومن انظر الى في الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الى من ان اعيش ولا اراك وقال السدي لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام به الرؤية فقال رب ارنى انظر اليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن تراني

﴿فصل﴾ وقد نسك من نفي الرؤية من اهل البدع والخواارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن تراني قالوا لن تكون للتأييد والودام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في ان لن تكون للتأييد خطأ بين ودعوى على اهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية ولم يقبل به احد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتموه ابدامع انهم يتمنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله باليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تاكيد النفي كالاتي تنفي في المستقبل قلنا ان صح هذا التأويل فيكون معنى لن تراني محمولا على الدنيا أي لن تراني في الدنيا جمع بين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة وايضا فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفا بالله تعالى وما يحب ويجوزو يتمتع على الله عز وجل وفي الآية دليل على انه سأل الرؤية فلو كانت الرؤية تتمتع على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام فثبت ما علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى وايضا فان الله عز وجل علق رؤيته على امر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من

يعنى مكى من رؤيتك بان تنجلي لي حتى اراك ارنى مكى وبكسر الراء مختلصة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كافر (قال لن تراني)

(ان هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر) مهلك من التبار (ماهم فيه) أى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى وفى ايقاع هؤلاء
 اسمالان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرها واسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانها لا يعودهم البتة (وباطل ما كانوا يعملون)
 أى مما عملوا من عبادة الاصنام (۱۳۴) باطل. ضمحل (قال غير الله أبعيكم اها) أى غير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا

(وهو فضلكم على العالمين)
 حال أى على على عالمى زمانكم
 (واذ أنجيناكم من آل
 فرعون) أنجناكم شامى
 (يسومونكم سوء العذاب)
 يبعونكم شدة العذاب
 من سام السبعة اذا طلبها
 وهو استئناف لا محل له أو
 حال من المخاطبين أو من
 آل فرعون (يقتلون أبناءكم
 ويستحيون نساءكم)
 يقتلون نافع (وفى ذالك)
 أى فى الانجاء وفى العذاب
 (بلاء) نعمة أو محنة
 (من ربكم عظيم وواعدنا
 موسى ثلاثين ليلة)
 لاعطاء التوراة (وأتمناها
 عشر) روى أن موسى
 عليه الصلاة والسلام وعد
 بنى اسرائيل وهو بمصر
 ان أهلك الله عدوهم أنهم
 بكتاب من عند الله فلما
 هلك فرعون سأل موسى
 ربه الكتاب فأمره بصوم
 ثلاثين يوماً وهى شهر
 ذى القعدة فلما أتم الثلاثين
 أنكر خلوف فيه فنسوك
 فأوحى الله اليه أماعت
 أن خلوف فم الصائم أطيب
 عندى من ریح المسك
 فأمره أن يزد عليها عشرة

الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الهة كما لهم آلهة والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرجه
 الترمذى وقوله تعالى (ان هؤلاء متبر ما هم فيه) أى مهلك والتبر الأهلاك (وباطل ما كانوا يعملون)
 البطلان عبارة عن عدم الشئ إما بحد ذاته أو بعدم فائده ونفعه والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم
 من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرر لانه عمل غير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه (قال غير الله أبعيكم اها)
 لما قال بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الهة كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم
 على سبيل التجب والانكار عليهم غير الله أبعيكم اها يعنى أطلب لكم وأبني لكم الهة (وهو فضلكم على
 العالمين) والمعنى أن الاله ليس هو شياً يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذى فضلكم على انما امين لانه
 القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذى يستحق أن يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على
 العالمين يعنى على عالمى زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التى لم تحصل لغيرهم وان كان
 غيرهم أفضل منهم قوله عز وجل (واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون
 أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذالك بلاء من ربكم عظيم) هذه الآية تقدمت فى سورة البقرة
 والفائدة فى ذكرها فى هذا الموضع أنه تعالى هو الذى أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم
 الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الهة كما لهم آلهة قوله عز وجل (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة)
 يعنى وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لما جانا ثلاثين ليلة وهى ذوالقعدة (وأتمناها بعشر) يعنى عشر
 ذى الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى اسرائيل اذا
 أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما
 أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عز وجل أن ينزل عليه الكتاب الذى وعد به بنى اسرائيل فأمره
 أن يصوم ثلاثين يوماً فاصمها فاماعت أنكر خلوف فيه فنسوك يعود خرنوب وقيل بل أكل من ورق الشجر
 فقالت الملائكة كئناشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر ذى الحجة
 وقال له أماعت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ریح المسك فكانت فتنة بنى اسرائيل فى تلك العشر
 التى زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام ان
 يصوم ثلاثين يوماً يعمل فيها ما يتقرب به الى الله ثم كله وأعطاه الألواح فى العشر التى زادها فلما قال
 وأتمناها بعشر وهذا التفصيل الذى ذكره هنا هو تفصيل ما أجله فى سورة البقرة وهو قوله تعالى واذا واعدنا
 موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى (فتم ميقات ربه
 أربعين ليلة) يعنى فتم الوقت الذى قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته أربعين ليلة لان
 الميقات هو الوقت الذى قدر أن يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج (وقال موسى لأخيه
 هرون اخلفنى فى قومي) يعنى كن أنت خليفتى فيهم من بعدى حتى أرجع اليك (وأصلح) يعنى وأصلح أمور
 بنى اسرائيل واجلمهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما يرد الفرق بهم والاحسان اليهم
 (ولا تتبع سبيل المفسدين) يعنى ولا تسلك طريق المفسدين فى الارض ولا تطعمهم والمقصود من هذا الامر
 التأكيدي لان هرون عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ابطمن قلبى

وأيام من ذى الحجة لتلك (فتم ميقات ربه) ما وقت له من الوقت وضرب به (أربعين ليلة) نصب على
 الحال أى تم بالغا هذا العدد ولقد أجل ذكر الاربعين فى البقرة وفضلها هنا (وقال موسى لأخيه هرون) هو عطف بيان لأخيه (اخلفنى
 فى قومي) كن خليفتى فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بنى اسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم الى
 الافساد فلا تتبعه ولا تطعمه

وكقولا

اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارك الارض ومغارها) يعني أرض مصر والشام (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة لارزاق وكثرة الانهار والاشجار (ومت كلمتر بك الحسنى على بنى اسرائيل) هو قوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض أو يزيد أن فمن على الذين استضعفوا في الارض (١٣٣)

تأنيث الاحسن صفة
للكلمة وعلى صلة تمت أى
مضت عليهم واستقرت من
قولك تم على الامر اذا مضى
غلبه (بما صبروا) بسبب
صبرهم وحسبك به حائنا
على الصبر ود الاعلى ان
من قابل البلاء بالجزع وكله
الله اليه ومن قابله بالصبر
ضمن الله له الفرج (ودمرنا)
أهلكنا (ما كان يصنع
فرعون وقومه) من
العمارات و بناء القصور
(وما كانوا يعرشون)
من الجنات أو ما كانوا
يرفعون من الابنية المشيدة
في السماء كصرح هامان
وغيره وضم الرءاشامى
وأبو بكر وهما آخر قصة
فرعون والقبط وتكذيبهم
بآيات الله ثم أتبعه
قصة بنى اسرائيل وما
أحدثوه بعد انقاذهم من
فرعون ومعاباتهم الآيات
العظام ومجازاتهم البحر
من عبادة البقر وغير ذلك
ليتسلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمראה من
بنى اسرائيل بالمدينة (وجاوزنا
بنى اسرائيل البحر)
ر دى أنهم عبر بهم موسى

فقتلوا أبنائهم واستخدموهم فصيروهم مستضعفين تحت أيديهم (مشارك الارض ومغارها) يعني أرض الشام ومصر وأراد بمشاركها ومغارها جميع جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارك الارض ومغارها لارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بنى اسرائيل وقدم ملكا لارض وقوله عز وجل (التي باركنا فيها) يدل على أنها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزرع والخصب والسعة (ومت كلمتر بك الحسنى على بنى اسرائيل) يعني وتمت كلمة الله وهي وعدهم بالنصر على عدوهم وانتمكين في لارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله يزيد أن فمن على الذين استضعفوا في الارض والآية والحسنى صفة للكلمة وهي تأنيث الاحسن وتمامها النجاس ما وعدهم به من تمكنه في الارض واهلاك عدوهم (بما صبروا) يعني انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما انعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم (ودمرنا) يعني وأهلكنا والدمار اهلاك باستئصال (ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من العمارات والبيوت (وما كانوا يعرشون) يعني يسقمون من ذلك البيوت وقال مجاهد ما كانوا يبنيون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب وقوله عز وجل (وحاوزنا بنى اسرائيل البحر) يعى وقطعنا بنى اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراه ظهره وقال الكلبى عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكر الله تعالى (فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) يعنى فر بنوا اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أى يقيمون ويواظبون على أصنام لهم يعنى تماثيل لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جرير كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك أول شأن الجبل وقال قتادة كان أولئك انقوم من لحم وكانوا زولا بالرفة يعنى بالرفة ساحل البحر وقيل كان أولئك الاقوام من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم (قالوا) يعنى قال بنو اسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال (يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) يعنى كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا أنت الها نعبده ونعظمه قال البغوى رحمة الله ولم يكن ذلك شكاً بنى اسرائيل فى وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه وننقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهالهم وقال غيره هذا يدل على غيبة جهل بنى اسرائيل وذلك أنهم توهموا أنه يجوز عبادة غيره الله تعالى بعد ما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكما قدرته وهي الآيات التي توات على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى فى البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فغلبهم جهلهم على أن قالوا لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فردد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (قال انكم قوم تجهلون) يعنى تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يسبب تحقق أن يعبد سواه لانه هو الذى أنجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم فى البحر وأنجاكم منه عن أبى وافد الليثى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للشركيين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان

يوم عاشوراء بعد ما هلك الله فرعون وقومه فصاموه شكر الله (فاتوا على قوم) فر و اعلمهم (يعكفون على أصنام لهم) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقرو بكسر الكاف حزة وعلى (قالوا يا موسى اجعل لنا الها) صما نكف عليه (كالمهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعد ما قال يهودى اهلى رضى الله عنه اختلقت بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلت اجعل لنا اله ولم تجف أقدامكم (قال انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أن مراراً من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده

(والجراد) فاكلت زرعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل يموت بنى اسرائيل منها شيء (والقمل) وهي الدبى وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والبراغيث او
 (١٣٢) كبار القردان (والضفادع) وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى

سبعة ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذى ساط الله عز وجل عليهم كان الرعاف فاتوا موسى عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلحقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فخصن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام به فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان (والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) يعنى يدب بعضها بعضا وتفصل لهما ان كل عذاب كان يقوم عليهم اسبوعا و بين كل عذابين مدة شهر (فاستكبروا) يعنى عن الايمان فلم يؤمنوا (وكانوا قوما مجرمين) يعنى آل فرعون ﴿قوله تعالى﴾ (ولما وقع عليهم الرجز) يعنى ولما نزل بهم العذاب الذى ذكره فى الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التى تقدمت فزال بهم الطاعون حتى مات منهم فى يوم واحد سبعون ألفا فامسوا وهم لا يتدافعون (ق) عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طائفة من بنى اسرائيل أو على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض واتم بها فلا تحرجوا فرار منه ﴿قوله تعالى﴾ (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) يعنى بما أوصاك وقيل بما نبأك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك (لئن كشفنا عن الرجز) يعنى اذاهم ينكثون) يعنى اذا هم ينكثون) يعنى اذا هم ينقضون العهد الذى التزموه فلم يفوا به واعلم ان ما ذكره الله تعالى فى هذه الآيات هى معجزات فى الحقيقة دالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بالفرعون دون بنى اسرائيل فاخصاه بالقبطى دون الاسرائيلى معجزا وكون بنى اسرائيل فى امان منه وعافية وقوم فرعون فى شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجزا أيضا فان اعتراض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون أنهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة فى نواياهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب أهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عمدا يفعل وأما على قول المعتزلة فى رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالى تلك المعجزات وظهورها فلهمذا السبب والاهل اعلمهم والله أعلم بمراده ﴿قوله عز وجل﴾ (فاتقنا منهم) يعنى كما فأنهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام فى اللغة سلب النعمة بالعذاب (فاغرقناهم فى اليم) والمعنى أنه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذى أجل لهم اتقمت منهم بان اهلكهم بالفرق فذلك قوله فاغرقناهم فى اليم يعنى فى البحر واليم الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الازهرى اليم معروف لفظه سر يانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر المالح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاقر فيه فى اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب (بانهم كذبوا باياتنا) يعنى اهلكناهم واغرقناهم بسبب انهم كذبوا باياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا (وكانوا عنها) يعنى عن آياتنا (غافلين) يعنى معرضين وقيل كانوا عن حلول النعمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها كالفلة عنها سموها غافلين تجوز الان الغفلة ليست من فعل الانسان ﴿قوله عز وجل﴾ (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعنى ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على أنفسهم وهو أن فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بنى اسرائيل

اذا تكلم الرجل تقع فى فيه (والدم) أى الرعاف وقيل مياهم انقلبت دما حتى ان القبطى والاسرائيلى اذا اجتمعوا على اناء فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما وقيل سال عليهم النيل دما (آيات) حال من الاشياء المذكرة (مفصلات) مبيدات ظاهرات لا يشك على عاقل أهم ان آيات الله أو مفقات بين كل آيتين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بموسى (وكانوا قوما مجرمين) ولما وقع عليهم الرجز العذاب الاخير وهو الدم والعذاب المذكور واحد بعد واحد (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) ما مصدرية أى بهمه عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أى ادع الله لنا متوسلا اليه بعهد عندك لئن كشفت لنا الرجز لنؤمنن وانزلنا معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل من الزمان (هم بالغوه) لاحالة فعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذا هم ينكثون) جواب لما أى

فلما كشفنا عنهم فاجوا السكت ولم يؤخروا (فانقمنا منهم) هو ضد الانعام كما ان العقاب هو ضد الثواب (فاغرقناهم فى قتلوا اليم) هو البحر الذى لا يدرك قعره وهو لجة البحر ومعظم مائه واستنقاه من التيمم لان المتفيعين به يقصدونه (بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين) أى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكريهم فيها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو

فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وفي الخبر
مكتوب على صدر كل جرادة جنه الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج الى الفضاء فأشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا
ما هو كافينا فما نحن بتاركى ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا
في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله
عنهما ان القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدى والكبي القمل الذى وهو
صفار الجراد الذى لأجنحة له وقال أبو عبيدة هو الجنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراسانى هو
القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال أصحاب الاخبار أمر الله عز وجل موسى عليه
الصلاة والسلام ان يمضى الى كتيب رمل أعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فشئى الى ذلك
الكتيب فضر به بعضه فأنهال عليهم القمل فتبع ما بقى من حرورهم وزروعهم وثمارهم فأكلها كلها وحس
الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه فاذا أكل أحدهم طعاما امتلأ قلا قال سعيد بن
المسبب القمل السوس الذى يخرج من الجيوب وكان الرجل منهم يخرج بهشرة أجرة الى الرحي فلا يرد
منها ثلاثة أفقزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت أشعارهم وأبشارهم وحواجمهم وأشفار
عيونهم وزلم جلودهم كأنه الجدى عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى ان اتوب فادع انار بك
يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى
السبت فنسكنوا بعد ذلك ورجعوا الى أخبت ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا نأقظ أحق ان
نستيقن انه يساحرنا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعدما قاموا شهرا في عافية فأرسل الله عليهم
الضفادع فامتلت منها بيوتهم وأفنتهم وأطعمتهم وأنبتهم فلا يكشف أحدها ولا طعاما الا وجد فيه
الضفادع وكان الرجل منهم يجلس فى الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا أراد ان يتكلم شب الضفدع فيدخل
فى فيه وكانت تشب فى قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفئ نيرانهم وكان أحدهم اذا مضطجع ركبته
الضفادع حتى تكون عليه ركما فلا يستطيع أن ينقلب الى شقه الآخر واذا أراد أن يأكل سبغ الضفدع
الى فيه ولا يبجن أحدهم عجبيا الامتلاء ضفادع ولا يفتح قدر الامتلاء ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا
وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه ما قال كانت الضفادع برة فلما أرسلها الله عز وجل على آل
فرعون سمعت وأطاعت وجعلت تقذف بانفسها فى القدر وهي تغلى على النار وفى الثنائير وهي تغور
انها لله عز وجل يحسن طاعتها برد الماء فلما أراد ذلك بكوا وشكوا الى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلقونه
من الضفادع وقالوا هذه المرة تتوب ولا تعود فاخذ موسى عليه السلام عليهم العهد والمواثيق ثم دعا الله
عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما أقامت عليهم سبعين السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم تقضوا
العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأرسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل
عليهم دما عبيطا وصارت مياههم كهامد ما وكل ما يستقون من الآبار والانهار يحدونه دما عبيطا فشكوا
ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من أين يسحرنا ونحن لا نجد فى أوعينا
شيئا من الماء الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطى والاسرائيلى على اناء واحد فيكون ما يلى
الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما ويرغان الجرة فيها الماء فيخرج للقبطى دما ولا اسرائيلى ماء حتى ان
المرأة من آل فرعون تاتى الى المرأة من بنى اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقنى من مائك فتصب
لها فى قربتها فيصير فى الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه فى فيك ثم يحبه فى فى فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان
فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فكنوا على ذلك

حتى قاموا فى الماء الى
تراقيهم فن جلس غرق
ولم يدخل بيوت بنى
اسرائيل من الماء قطرة أو
هو الجدى أو الطاعون

(فأذا جاءتهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لنا هذه) أي هذه التي نستحقها (وان تصبهم سيئة) جدب ومرض (يطيروا) أصله يطيروا
فأذمت السماء في الطاء لانهامن (١٣٠) طرف اللسان وأصول الثنايا (بموسى ومن معه) تشاء مواهبهم وقالوا هذه بشؤمهم

ولولا مكانهم لما أصابتنا وانما
دخل اذا في الحسنة وعرفت
الحسنة وان في السيئة
ونكرت السيئة لان جنس
الحسنة وقوعه كالكاثر
الكثرة وأما السيئة فلا تقع
الا في الندرة ولا يقع الا شئ
منها (الانما طائرهم) سبب
خيرهم وشرهم (عند الله)
في حكمه ومشيئته والله هو
الذي يقدر ما يصيبهم من
الحسنة والسيئة قل كل من
عند الله (ولكن أكثرهم
لا يعلمون) ذلك (وقالوا)
مهما تاتنا به من آية
أتسخرنا بها فإنا نحن لك
بمؤمنين) أصل مهماماما
فما الأولى للجزاء ضمت
اليها ما المزبلة المؤكدة
للجزاء في قولك متى ما
تخرج أخرج أيناتكونوا
فاما نذهب بك الان الاناف
قلبت هاء استثقالا لتكرير
المتجانسين وهو المذهب
السديد البصرى وهو في
موضع النصب بتاتنا أي
أيما شئ ومن آية تبيين لهما
والضمير في به وبهارجع
الى مهما الان الاول ذكر
على اللفظ والثاني أنت على
المعنى لانهما في معنى الآية
وانما سموها آية اعتبارا
لتسمية موسى أو قصدوا
بذلك الاستهزاء (فارسنا

انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى (فأذا جاءتهم الحسنة)
يعنى الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون لها ونحن
أهلها على العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يبرأ ذلك من فضل الله عليهم في شكره وعلى
انعامه (وان تصبهم سيئة) يعنى القحط والجذب والمرض والبلاء ورأوا ما يكرهون في أنفسهم (يطيروا)
يعنى يتشاءموا وأصله يطير وارتبطت النشاؤم في قول جميع المفسرين (بموسى ومن معه) يعنى انهم قالوا
ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك
فرعون أو بعامة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يركب ركبا قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم
أوحى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الرب بوبية قط (الآنما طائرهم عند الله) يعنى ان نصيبهم من الخصب
والجذب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما طائرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذى لهم
عند الله من عذاب النار (واكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم
لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله تعالى
(وقالوا) يعنى قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تاتنا به من آية) يعنى من عند ربك فهى
عندنا سحر وهو قومه (لتسخرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فإن نحن لك بمؤمنين) يعنى
بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل
دعاه فقال تعالى (فارسنا انهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقادة
ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه
الا الاقامة على الكفر والتنادى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فأخذهم أولابالسنين وهو
القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب
ان عبدك فرعون علا في الارض وبني وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم
نقمة ولقومي عظة ولن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسنا الله عليهم المطر من السماء
وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلاّت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم
ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بنى اسرائيل شئ وركد الماء على أرضهم فلم يقدر
على التحرك ولم يعملوا شئ ودام ذلك الماء عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان
الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة أهل اليمن وقال أبو قتادة الطوفان الجدرى وهم أول من عذبوا به
ثم بقى في الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفا فوق حروثهم وفي رواية ابن عباس رضى الله عنهما ما ان
الطوفان أمر من الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن
نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام به فرفع عنهم الطوفان وأنبأ الله لهم
تلك السنة شيئا لم ينبئه قبل ذلك من الكلا والزرع والتمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة
علينا فلم يؤمنوا وأقاموا شهر افي عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر
وأكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والياب والامتنعة وأكل المسامير الحديد في الابواب وغيرها
وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلاّت دور القبط منه ولم يصب بنى اسرائيل من ذلك شئ فجموا
وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك انكشف عنا هذا الرجز لنؤمن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك

فدعا

عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم

وذلك انهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمس ولا قمر ولا يقدرون ان يخرجوا من داره وقيل دخل الماء في بيوت القبط

وانافوقهم قاهرين) سنقتل تجازي أى سنعيد عليهم قتل الابناء ليعلموا اناعلى ما كنعاليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولثلاثيوتهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فيسبطهم ذلك عن طاعتنا وبدعوهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل ابناءهم تسليية لهم ووعدا بالاصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد أى أرض مصر وأولجنس فيتناول أرض مصر تناولا أوليا (لله يورثها من يشاء من عباده) فيه تمنية اياهم أرض مصر (والعاقبة للمتقين) بشاره بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط (١٢٩) وأخليت هذه الجملة عن الواو لانها جملة مستأنفة بخلاف قوله

وقال الملا لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل ابناءهم قبل مولد موسى الى أن استنبي واعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاه من فرعون واستبطاه لوعده النصر (قال عيسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) تصرح بجمار من اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنة وقبيحة وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب المصور

عباس رضى الله عنهما كان قد ترك القتل في بنى اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما اجاءهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون أعيدهوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بنى اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فحنسعى في تقايه لعدد قومه بالقتل لثقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله (وانافوقهم قاهرين) يعنى بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل بينى اسرائيل منازل شكوا الى موسى ما نزل بهم (قال موسى لقومه) يعنى لما شكوا اليه (استعينوا بالله واصبروا) يعنى استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكارة في أنفسكم وأبنائكم (ان الارض لله) يعنى أرض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى (يورثها من يشاء من عباده) وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبنى اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل أرضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) يعنى ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل أراد الجنة يعنى ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما آمنت السحرة تبع موسى ستمائة ألف من بنى اسرائيل والمعنى أن بنى اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد أوذينا من قبل أن تأتينا يعنى بالرسالة وذلك ان بنى اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما اجاء موسى بالرسالة وجرى ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل عليهم فقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنى بالرسالة وظاهر هذا الكلام يورثهم أن بنى اسرائيل كرهوا محي موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الايهام أن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال موسى بحبيباهم) عسى ربكم ان يهلك عدوكم) يعنى فرعون وقومه (ويستخلفكم في الارض) يعنى ويجعلكم تخلفوهم في أرضهم بعد اهلاكهم (فينظر كيف تعملون) يعنى فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم وما يجازيهم على ما يقع منهم قوله عز وجل (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) يعنى بالقط والحطب تقول العرب مستنون عجايف ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الآية واخذنا آل فرعون بالجذب والقط والجوع سنة بعد سنة (ونقص من الثمرات) يعنى واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة أما السنون فلاهل البوادي وأما نقص الثمرات فلاهل الامصار (لعلهم يذكرون) يعنى لعلهم يتعلمون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى

(١٧ - (خارن) - ثاني) زيادة عمر وفلم توجد فقر أعمار وهذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخاف فذكر له ذلك وقال قديق فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) سني القحط وهن سبع سنين والسنمة من الاسماء الغالبة كالذابة والنجم (ونقص من الثمرات) قبل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات للامصار (لعلهم يذكرون) ليتعظوا فينبهوا على أن ذلك لا صارهم على الكفر ولان الناس في حال الشدة أضرع خدودا أو أرق أفئدة وقد لعاش فرعون أر بعامة سنة لم يرمكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حى للمادعى الربوبية

(قال فرعون آمنتم به) على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وهم زين كوفي غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار الاستبعاد (قبل أن أذن لكم) قبل اذنى لكم (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخر جوامنها أهلها) ان صنعكم هذا حيلة احتلموها وأتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا (١٢٨) الى الصحراء اغرض لكم وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بني

اسرائيل (فسوف تعلمون) وعيد أجهل ثم فضله بقوله (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لا صلبنكم أجعين) هو أول من قطع من خلاف وصلب (قالوا) انالى ربنا منقلبون) فلا نبالى بالموت لا نقلا بنا الى لقاء ربنا ورحمته وأنا جميعا يهنون أنفسهم وفرعون تنقأ الى الله فيحكم بيننا (وماتنقم منا لأننا آمننا بايات ربنا لما جاءتنا) وما تعيب منا الا الايمان بايات الله أرادوا وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
(ربنا أفرغ علينا صبرا)
أى اصيب صابرا وما
والعنى هب لنا صبرا وما
وأكثره علينا حتى يفيض
علينا ويغمرنا كما يفرغ
الماء افرانغا (وتوفنا
مسلمين) نابتين على
الاسلام (وقال الملائم
قوم فرعون أنذر موسى
وقومه افسدوا في الارض)
أرض مصر بالاستعلاء

نخر واسجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ﴿قوله عز وجل﴾ (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) يعني قال فرعون للسحرة آمنتم بموسى وصدقتموه قبل أن أمركم به وآذن لكم فيه (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) يعني ان هذا الصنع الذي صنعتموه أنتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضوع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطأ عليه وعلى أهل مصر وهو قوله (تخر جوامنها أهلها) وتسستولوا عليها أنتم (فسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما فعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وهو ان تقطع احدى اليدين وحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع (ثم لا صلبنكم أجعين) يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من صلب وأول من قطع الايدي والارجل فرعون (قالوا) يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل (انالى ربنا منقلبون) يعني انا الى ربنا راجعون واليه صأرون في الآخرة (وماتنقم منا) ومانكره منا وما نطقن علينا وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تعد بنا عليه (الآن آمننا بايات ربنا لما جاءتنا) ثم فرغوا الى الله تعالى وسألوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أى اصيب علينا صبرا كما ملاتنا وهذا أى بلفظ التنكير يعني صبرا وأى صبرا عظيم (وتوفنا مسلمين) يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال السكبي ان فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لم لقوله تعالى لا يصلون اليك باياتنا ائتما ومن اتبعك الغالبون ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الملائم من قوم فرعون أنذر موسى) يعني وقال جماعة من أشرف قوم فرعون لفرعون أنذر موسى (وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا في الارض) يعني أرض مصر وأراد بالافساد فيها انهم يأمر ونهم بمخالفة فرعون وهو قوله (ويذكرك وأهلك) يعني وتذره ليذكرك ويذرك أهلك فلا يعبدك ولا يعبدوها قال ابن عباس رضى الله عنهما كانت لفرعون بقرة كان يعبدوها وكان اذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنار بكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله أنار بكم الاعلى والاولى أن يقال ان فرعون كان دهر يامر بعبادتها الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلى هي الكواكب فاتخذ أصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الأرض فلهدا قال أنار بكم الاعلى وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس والشعبي والضحاك ويذكرك وأهلك بكسر الالف ومعناه ويذكرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل أراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر

تروحنا من اللعاب قصرا * وأعجلنا الالهة أن نؤبا

أراد بالالهة الشمس (قال) يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له أنذر موسى وقومه (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم) يعني نتركهن أحياء وذلك ان قوم فرعون لما أرادوا اغراء فرعون على قتل موسى وقومه أوجس موسى انزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيئا مما أرادوا به لقوة موسى عليه السلام بما معه من المعجزة فعدل الى قومه فقال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وقال ابن

فيها وتغير دين أهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر (ويذكرك وأهلك) عطف على ايفسدوا قيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تنقأ اليه كما يعبد عبدة الاصنام الا صنم ويقولون ايقربونا الى الله زلفى ولذلك قال أنار بكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للملائم (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم

ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا ارهبتهم بالحيلة (وجاؤا بسحر عظيم) في باب السحراؤ في عين من رآه (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف) بتلع تلقف حفص (ما يافكون) ماموصولة أو مصدرية يعني ما يافكونه أي يقبلونه عن الحق الى الباطل ويوزونه أوافكهم تسمية للأفوك بالافك روى أنها لما تلقفت ملء انوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقتها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) خصل وثبت (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر (فقلبوها نالك) أي فرعون وجنوده والسحرة (وانقلبوا صاغرين) وصاروا ذلاء موتين (وألقى السحرة ساجدين) وخروا سجدا لله كأنما ألقاهم ملق لسدة خورهم أولم يتالكوا مآراؤا فكانهم ألقوا فكانوا أول النهار

قلب الاعين وصر فها عن ادراك ذلك الشيء والمجزأة قلب نفس الشيء عن حقيقته كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية نسي (واسترهبوهم) يعني أرهبوهم وأفزعوهم بما فعلوه من السحر وهذا قوله تعالى (وجاؤا) يعني السحرة (بسحر عظيم) وذلك انهم ألقوا بحبالا غلاظا وخشب اطوا لافا ذاهي حيات كما مثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الجبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقا أيضا وألقوها على الارض فلما أثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس أنها حيات ويقال ان الارض كانت سهما ميلا في ميل فصارت كلها حيات وأفاعي ففزع الناس من ذلك وأوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل سحرهم لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى أنهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان كل ما أتوا به على وجه المعارضة لمجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم بمنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما رأوا من أمر تلك الحيات خاف موسى عليه الصلاة والسلام أن يتفرقوا قبل ظهور رمجزته وسجته فلذلك أوجس في نفسه خيفة موسى ﷺ قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) يعني فألقها (فاذا هي تلقف) يعني بتلع (ما يافكون) يعني ما يكذب فيه السحرة لان أصل الافك قلب الشيء عن غير وجهه ومنه قيل للكذاب أفاك لانه يقاب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون أوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام أن لا تخف وألقى عصاك فألقها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاهها ما بين ذراعا فاذا هي تلقف يعني بتلع كل شيء أتوا به من السحر فكانت بتلع حبالهم وعصيمهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك فجمع ففزعوا ووقع الزحام بينهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى عليه الصلاة والسلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة ذلك عرفوا انه من أمر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمناب رب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون) يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما نفذت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله وقدرته (فقلبوها نالك) يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرة وجوعه (وانقلبوا صاغرين) يعني ورجعوا ذليلين مقهورين (وألقى السحرة ساجدين) يعني ان السحرة لما علموا انهم من أمر الله تعالى ما ليس في قدرتهم مقابلته وعلموا انه ليس بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل ألهمهم معرفته والايمن به (قالوا آمناب رب العالمين) فقال فرعون اياي تعنون فقالوا بل (رب موسى وهرون) قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لأؤمنن بك وقيل ان الحبال والعصى التي كانت مع السحرة كانت حل ثلثمائة بعير فلما ابتاعها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو الا من أمر السماء فآمنوا به وصدقوه فان قلت كان يجب أن يأتوا بالايمن قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة فخر واسجدوا لله تعالى شكريا على هدايتهم اليه وعلى ما ألهمهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم أظهر وابتعد ذلك ايمانهم وقيل لما رأوا عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه في أمر العصا وانهم ليس بقدر على ذلك أحد من البشر والكل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشأنه لما رأوا من عظيم قدرته ثم انهم أظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما رأوا السحرة ما رأته عرفت أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر

فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد أن رأى من أمر العصا ما رأى (وأرسل في المدائن) جمع مدينة
واشتقاقها من مدن بالمكان أي أقام به يعني مدائن صعيد مصر (حاشرين) يعني رجالا يحشرون اليك
السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى أنهم قالوا لفرعون أرسل إلى هذه المدائن رجالا من أعوانك وهم
الشرط يحشرون اليك من فيهما من السحرة وكان رؤساء السحرة باقضى مدائن الصعيد فان غابهم موسى
صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا أنه ساحر فذلك قوله (يأتوك) يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ سحار
والفرق بين الساحر والسحار أن الساحر هو المبتدئ في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي
يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتادون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل
وقت (علم) يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن اسحق والسدي ان فرعون
لم أر من سلطان الله وقد ربه في العصا قال انالنا نقاتل موسى الابن هو أشد منه سحر افا تخذ غلمانا من بني
اسرائيل وبعث بهم إلى مدينة يقال لها الغوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا واعد فرعون
موسى موعدا ثم بعث إلى السحرة فجاءوا معهم معلمهم فقال فرعون للعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا
لا يطبقه سحر أهل الارض الآن يكون أمر من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك
ساحر الا أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم
من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلا من مجوسيين
من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا
خمس عشرة ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا وقال السدي كانوا ابضا
وثمانين ألفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا عليه السلام قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما
اجتمعوا وجاءوا إلى فرعون (قالوا ان لنا اجرا) يعني جعلنا وعطاء نكسر منابه (ان كنا نحن الغالبين) يعني
لموسى قال الامام نضر الدين الرازي ولقائل أن يقول كان حق الكلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا
بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل سأله ما قالوا اذ جاءوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين
يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم فرعون انكم الاجر والعطاء (وانكم لمن المقر بين) يعني ولكم المنزلة الرفيعة
عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا أقصر معكم على الاجر بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة
اني أجعلكم من المقر بين عندي قال الكلبي تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج من عندي
(قالوا) يعني السحرة (ياموسى اما أن تلقى) يعني عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) يعني عصينا وحبالنا في
هذه الآية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الأدب حيث قدموه
على أنفسهم في الالتقاء لاجرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن من
عليهم بالايمان والهداية لمارعوا الادب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك (قال) يعني قال لهم موسى
(ألقوا) يعني أتم فقدمهم على نفسه في الالتقاء فان قلت كيف جاز لموسى أن يأمر باللقاء وقد علم انه سحر
وفعل السحر غير جائز قلت ذكر العلماء رحيم الله تعالى فيه أجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محقين في
فعلكم فآلو والافلاتقا والجواب الثاني انما أمرهم باللقاء لتظهر مجزته لانهم اذ لم يلقوا احبالهم وعصيم
لم تظهر مجزة موسى في عصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد أن يلقوا تلك الحبال والعصى وانما
وقع التخيير في التقديم والتأخير فاذن لهم في التقديم لتظهر مجزته أيضا بغلبهم لانه لو أتى أولا لم يكن له غلب
وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم باللقاء ولا (فلما ألقوا) يعني حبالهم وعصيمهم (سحروا أعين الناس)
يعني صرفوا أعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التحوير والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق
بين السحر الذي هو فعل البشر وبين مجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي فعل الله وذلك لان السحر

يجمع الناس للنظر اليه
 روى أنه أرى فرعون يده
 وقال ما هذه فقال يدك ثم
 أدخلها في جيبه ونزعها
 فاذا هي بيضاء غلب شعاعها
 شعاع الشمس وكان موسى
 عليه السلام آدم شديد الادمه
 (قال الملا من قوم فرعون
 ان هذا الساحر عليم) عالم
 بالسحر ما هو فيه قد خيل
 الى الناس العصاحية
 والآدم أبيض وهذا
 الكلام قد عزي الى
 فرعون في سورة الشعراء
 وانه قاله للملا وهناعزي
 اليهم فيحتمل انه قد قاله
 هو وقالوا هم فحكي قوله
 ثمة وقولهم هنا وقاله ابتداء
 فتلقت منه الملا فقالوه
 لا عقابهم (يريد أن
 يخرجكم من أرضكم) يعني
 مصر (فإذا نامرون)
 تشيرون من أمرته فامرني
 بكذا اذا ساورته فاشار
 عليك برأى وهو من كلام
 فرعون قاله للملا لما قالوا له
 ان هذا الساحر عليم يريد
 أن يخرجكم (قالوا أرجه)
 بسكون الهاء عاصم وحزة
 أي أخر واحبس أي أخر
 أمره ولا تجعل أو كانه هم
 بقتله فقالوا أخرقتله
 واحبسه ولا تقتله ليتبين
 سحره عند الخلق (وأخاه)
 هرون

عباس وغيره أخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة
 والسلام أدخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل أخرج يده من تحت ابطنه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب
 نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم ردها الى جيبه فاخرجها فاذا هي كما كانت ولما
 كان البيضا المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى بيضاء من غير سوء يعني من
 غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بيضاها بيضا عجب ما خار جاعن
 العادة يتعجب منه

فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق
 المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل اليهم رسالات يعرفهم معالم دينه وجميع
 تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه وجائز أن تكون
 تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز أن تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع أممهم
 ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات
 دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لان المعجزة مع التعدي من النبي قائمة مقام قول الله
 عز وجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة بمعجزة
 لان الخلق يعجزون عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن يعجزوا عنه
 فمعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم كتمنى الموت في قوله فتمنوا
 الموت ان كنتم صادقين فلما صر فواعن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى
 الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العصاحية واخراج ناقة من
 صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين الأصابع وغير ذلك من المعجزات التي تعجز البشر
 عن مثلها فاذا أتى النبي بشئ من تلك المعجزات الخارقة للعادة علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو
 الذي أظهر ذلك المعجز على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل
 العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير أصل سبق لها واخر اجها من
 العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى أعلم بقوله عز وجل (قال الملا من
 قوم فرعون ان هذا) يعني موسى (الساحر عليم) يعني انه لما أخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت
 حية ويرى الشئ بخلاف ما هو عليه كما أراه يده بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو
 الغالب في ذلك الزمان فلما أتى بما يعجز عنه غيره قالوا ان هذا ساحر عليم فان قلت قد أخبر الله تعالى في هذه
 السورة ان هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون للملا حوله ان هذا الساحر
 عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمنع أن يدون قاله فرعون أو لائم انهم قالوه بعده فاخبر الله تعالى عنهم هنا
 وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصة
 سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملا وأخبر هناك عن فرعون وقوله (يريد
 أن يخرجكم من أرضكم) يعني يريد موسى أن يخرجكم أي القبط من أرض مصر (فإذا نامرون) يعني فأي
 شئ تشيرون أن نفعل به وقيل ان قوله فإذا نامرون من قول الملا لان كلام فرعون تم عند قوله يريد أن
 يخرجكم من أرضكم فقال الملا مجيبين لفرعون فإذا نامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة
 الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فنامرون أن تفعل به والاقول الاول أصح سبب الآيات التي بعدها وهو
 قوله تعالى (قالوا أرجه وأخاه) يعني أخر أمرها ولا تجعل فيه فقصير بجمالك عليك لالك والارجاء التأخير في
 اللغة وقيل معنى أرجه احبسه وأخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس ولان

الكفر لانهما من واحد ان الشرك اعظم عظيم و اوفظ له و الناس بسببهما حين آذوا من آمن اولانه اذا وجب الايمان بهما فكفر و ابدل
 الايمان كان كفرهم بها ظاهرا حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) حيث صاروا مفرقين
 (وقال موسى يا فرعون) يقال ملوك مصر الفراعنة كما يقال ملوك فارس الاكاسرة و كأنه قال ياملك مصر واسمه قابوس أو الوليد بن
 مصعب بن الريان (اني رسول من رب العالمين) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) أي أنا حقيق
 على قول الحق أي واجب على (١٢٤) قول الحق أن أكون قائله والقائم به حقيق على نافع أي واجب على ترك القول على

الله الا الحق أي الصدق
 وعلى هذه القراءة تتفق
 على العالمين وعلى الاول
 يجوز الوصول على جعل
 حقيق وصف الرسول وعلى
 بمعنى الباء كقراءة أي أي
 اني رسول خليق بان لا أقول
 أو يعلق على بمعنى الفعل
 في الرسول اي اني رسول
 حقيق جدير بالرسالة
 أرسلت على أن لا أقول على
 الله الا الحق (قد جئتكم
 بيينة من ربكم) بما بين رسالتي
 (فارسل معي بني اسرائيل)
 نخلهم بذهبوا معي راجعين
 الى الارض المقدسة التي هي
 وطنهم وذلك ان يوسف
 عليه السلام لما توفي في غلب
 فرعون على نسل الاسباط
 واستعبدهم فانقذهم
 الله بموسى عليه السلام
 وكان بين اليوم الذي
 دخل يوسف عليه السلام
 مصر واليوم الذي دخله
 موسى أربعين سنة
 حفص (قال ان كنت
 جئت بأية) من عندهم
 أرسلك (فات بها ان كنت

الآيات معجزات ظاهرة فاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة
 المفسدين) أي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف أهل كنانهم (وقال موسى يا فرعون
 اني رسول من رب العالمين) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى
 الايمان به وقال له اني رسول أي مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق السموات
 والأرض وخلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي أرسلني اليك (حقيق) أي واجب (على أن لا أقول
 على الله الا الحق) يعني أني رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله
 غيره (قد جئتكم بيينة من ربكم) يعني ببرهان على صدق فيما ادعى من الرسالة والمراد بيئته معجزته وهي
 العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال
 موسى (فارسل معي بني اسرائيل) يعني خل عنهم وأطلقهم من أسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل
 واستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبنة ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة (قال ان كنت
 جئت بأية فات بها ان كنت من الصادقين) يعني ان فرعون قال موسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ
 الرسالة ان كنت جئت من عندهم أرسلك بيينة تدل على صدق فاتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك
 ويثبت صدقك فيما قلت (فاتني عصاه فاذا هي ثعبان مابين) أي بين والثعبان الذي كرم من الحيات وصفه هنا
 بأنه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه في آية أخرى بأنه جان والجان الحية الصغيرة والجمع
 بين هذين الوصفين أنها كانت في عظم الجنة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان
 قال ابن عباس والسدي ان موسى لما أتى العاصم حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فها بين لحبيها
 ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحبيها الاسفل في الارض ولحبيها
 الأعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره غارا بأحد وث قيل انه
 أحدث في ذلك اليوم أربعين مرة وقيل انها أخذت قبة فرعون بين أنيها وحملت على الناس فأنهزموا
 وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح
 ياموسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها وأنا ومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فعدت في يده عصا كما
 كانت وفي كون الثعبان مينا وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك عماعلمته السحرة من التوبة والتلبيس
 وبذلك تميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تمويه السحرة وتخمينهم الوجه الثاني انهم
 شاهدوا العاصم انقلب حية ولم يشبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مابين أي بين الوجه الثالث ان ذلك
 الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من أعظم الآيات التي أبانت صدق قول موسى عليه
 الصلاة والسلام في أنه رسول من رب العالمين ﷺ وقوله تعالى (ونزع يده) النزاع في اللغة عبارة عن اخراج
 الشيء عن مكانه والمعنى انه أخرجه من جيبه أو من تحت جناحه (فاذا هي بيضاء لناظرين) قال ابن

من الصادقين) فاتني بها لتصح دعواك و ثبت صدقك فيها (فاتني موسى) عليه السلام (عصاه) من يده
 (فاذا هي) اذا هذه للفاجأة وهي من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك (ثعبان) حية عظيمة (مابين) ظاهر أمره وروى انه كان ذكر فاغراه
 بين لحبيها ثمانون ذراعا واضع لحبيها الاسفل في الارض والا على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك
 وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفا (ونزع
 يده) من جيبه (فاذا هي بيضاء لناظرين) أي فاذا هي بيضاء للنضارة ولا تكون بيضاء للنضارة الا اذا كان بياضا عجيبا خارا حيا . العادة

مستأنف أي ونحن نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلي شيخنا في أنه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبر أو المعنى تلك القرى المذكورة من (١٢٣) قوم نوح إلى قوم شعيب نقص

عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرهم نقصها عليك (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا يؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات (بما كذبوا من قبل) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فمأ كانوا يؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أو لاحقين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إلى أن ماتوا مصرين مع تنابح الآيات واللام لتأكيدهم (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد (يطبع الله على قلوب الكافرين) لماعلم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير للناس على الإطلاق يعني أن أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الإيمان والآية اعتراض أو اللام المذكورين فانهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضرورة مخالفة لأن أنجبتنا لنؤمنن ثم أتجاهم نكثوا (وان) الشأن والحديث (وجدنا أكثرهم لفاستقين) لخارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل

أي ونحن (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الإيمان وطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفاً على الماضي واقتضاه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم (تلك القرى) يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد أمرها أو أمر أهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك من أنبائها) يعني نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلهم الذين أرسلوا إليهم لتعلم يا محمد أن النصر رسلنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا وأعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهل كنفهم بكفرهم وبمخالفتهم رسلهم ففيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير الكفار قريرش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد جاءتهم) يعني لاهل تلك القرى (رسلهم بالبينات) يعني جاءتهم رسلهم بالمعجزات والبراهين الدالة على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا) بما كذبوا من قبل (اختلف أهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه ما كان هؤلاء المشركون الذين أهل كنفهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذنا ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام فاقرأ باللسان وأضمر والتكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي آمنوا كره يوم أخذنا الميثاق وقال مجاهد فما كانوا الوأحييناهم بعد اهلا كهم ومعنا يتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلا كهم وقيل معناه فما كانوا يؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق لهم في علم الله أنهم يكذبون به حين أخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أبي بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم أقرأه باللسان أنهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربه وان لا يتأولوا علم ما أخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب قول أبي بن كعب والربيع بن أنس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يؤمن به فلا يؤمن أبدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الأمم الذين قص خبرهم في هذه السورة أنهم لا يؤمنون أبدا فأخبر عنهم أنهم لم يكونوا يؤمنوا بما هم مكذبون به في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم إليهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعني كما يطبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) يعني وما وجدنا لأكثر الأمم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهود الذي عهدناه إليهم وأوصيناهم به يوم أخذنا الميثاق قال ابن عباس إنما هلك الله أهل القرى لأنهم لم يكونوا يحفظوا مواصاهم به (وان وجدنا أكثرهم لفاستقين) أي وما وجدنا أكثرهم لفاستقين خارجين عن طاعتنا وأمرنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ثم بعثنا من بعدهم) يعني ثم بعثنا بعد الأنبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام (موسى بآياتنا) يعني بحججنا وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام (إلى فرعون وملئه) قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي أرسل إليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مضع بن الريان وكان ملك القبط والملا أشرف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا آمن الأشرف آمن الاتباع (فظلموا بها) يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه وكانت هذه

دخول أن الخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للام (موسى بآياتنا) بالمعجزات الواضحات (إلى فرعون وملئه فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم بحري

الضراء والسراء) أى قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو يعقوبه الذنب فكونوا على ما أذنم عليه (فاخذناهم بغتة) جفأة (وهم لا يشعرون) ينزل العذاب واللام في (ولو أن أهل القرى) إشارة إلى أهل القرى التي دل عليها وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (وانقوا) الشرك مكان ارتكابه (افتحنا عليهم) لفتحنا شامى (بركات من السماء والارض) أراد المطر والنبات أو آياتنا بهم بالخير من كل وجه (واكن كذبوا) الانبياء (فاخذناهم بما كانوا يكسبون) (١٢٢) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أفامن أهل القرى)

يريد الكفار منهم (أن ياتهم باسنا) عذابنا (بيانا) ليلا أى وقت يات يقال يات بيانا (وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن ياتهم باسنا صحى) نهار أو الضحى في الاصل ضوء الشمس اذا أشرفت والقاء والواو في أفامن وأمن حرف عطف دخل عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان أهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة بعد ذلك أمن أهل القرى ان ياتهم باسنا بيانا وأمنوا أن ياتهم باسنا ضحى أو أمن شامى وحجازى عل العطف باو والمعنى انكار الامن من أحد هذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا أو ضحى فان قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف لعطف وهو بنا في الاستفهام قلت التنافي في المفرد لافي عطف جملة على جملة لانه على استئناف جملة

الضراء والسراء) يعنى أنهم قالوا هكذا إعادة الدهر قديما وحديثا لنا ولا بائنا ولم يكن ماسنا من الشدة والضراء عقوبه لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما أذنم عليهم كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى (فاخذناهم بغتة) يعنى أخذناهم جفأة آمن ما كانوا ليكون ذلك أعظم حسرتهم (وهم لا يشعرون) يعنى ينزل العذاب بهم والمراد بذلك هذه القصة اعتبار من سمعها ليتزجر عما هو عليه من الذنوب ﴿قوله عز وجل (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) لما بين الله تعالى في هذه الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا أخذهم بعدا به بين في هذه الآية أنهم لو آمنوا يعنى بالله وبرسله وأطاعوه فيما أمرهم به واتقوا يعنى منى الله تعالى عنه وحرمة عليهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده وأصل البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ وسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذلك ثبوت البركة فى نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهى المطر وقال البغوى أصل البركة المواظبة على الشئ أى تابعا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجذب (ولكن كذبوا) يعنى فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فآمنوا ولكن كذبوا يعنى الرسل (فاخذناهم) يعنى بانواع العذاب (بما كانوا يكسبون) يعنى أخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة ﴿قوله تعالى (أفامن أهل القرى) هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا (ان ياتهم باسنا) يعنى عذابنا (بيانا) يعنى ليلا (وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن ياتهم باسنا صحى) يعنى نهارا لان الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) يعنى وهم ساهون لاهون غافلون عما يراى ادهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم ينزل العذاب وهم فى غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها اعب ويحتمل أن يكون المراد خوضهم فى كفرهم وذلك اعب أيضا لانه يضر ولا ينفع (أفامنوا مكر الله) يعنى استدرأجه اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد أن ياتهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكر النزوله وهم فى غفلة عنه لا يشعرون به (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) يعنى انه لا يامن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدرأجا الامن خسروا فى آخره وهالك مع الهالكين (أولم يهد) يعنى أولم يبين (للذين يرون الارض من بعد) هلاك (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فوثنوا عنهم وخلفوهم فيها (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) يعنى لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم (ونطبع)

بعد جملة (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدى لهم (أفامنوا) تكرر لقوله أفامن أهل القرى (مكر الله) أخذه العبد اى

من حيث لا يشعرون وعن الشبلى قدس الله روحه العزيز مكردهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن خيثم لا يهايمالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يابنتاه ان أباك بخاف البيات أراد قوله أن ياتهم باسنا بيانا (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) الا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا الى النار (أولم يهد) يبين (للذين يرون الارض من بعد أهلها) أن لو نشاء أن لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة أى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو ما لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وانما عدى فعل الهداية باللام لانه يعنى التبيين (ونطبع)

(الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها غنى بالمكان أقام (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لأن قالوا لهم انكم اذا خاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه (١٢١) قيل الذين كذبوا شعيبا هم

ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلن فلما هلك قالت ابنته شعرا اتبكيه وترثيه به كلن هدم ركني * هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه * هلك نار تحت ظله * جعلت نار اعليهم * دارهم كالمضحله
وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيبا كأن لم ينفوا فيها) يعني كأن لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان أى أقت به والمعاني المماثل التي بها أهلها واحد ما معنى قال الشاعر
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوناد

أراد أقاموا فيها وقيل في معنى الآية كأن لم يعيشوا فهم امتنعين مستغنين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذى هو ضد الفقر (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) يعنى خسروا أنفسهم بهلاكهم (فتولى عنهم) يعنى فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) يعنى انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واخترقوا هل كان ذلك القول قبل نزول العذاب أو بعده على قولين سبقا في قصة صالح عليه الصلاة والسلام وقوله (فكيف آسى) يعنى أأزى (على قوم كافرين) والاسى أشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف أأزى على قوم كافرين لانهم هم الذين أهلكوا أنفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الآية ان شعيبا قال لقد أعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصحتى فكيف أأزى عليكم يعنى انكم لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثانى لم يحزن عليهم والله أعلم وقوله تعالى (وما أرسلنا في قرية من نبي) فيه اضمحار وحذف تقديره فكذبوه (الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) قال ابن مسعود بالبأساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال بالبأساء كل ما ناله من الشدة في أمواتهم والضراء كل ما ناله من الامراض وقيل بالبأساء الشدة وضيق العيش والضراء سوء الحال (لعلهم يضرعون) يعنى انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله عليه وسلم أحوال الانبياء مع أممهم المكذبة وقصص عليه من أخبارهم وعرف سنتهم في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الآية انه قد أرسل رسلا الى أمم آخر فكذبوا رسلاهم فاخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تحذير للكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجوا وعماسهم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجزى تدييره في أهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يديرهم بما يكرهون الى الايمان أقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعى الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال أهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله تعالى في هذه الآية انه ياخذ أهل المعاصى والكفر نارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله (حتى عفوا) يعنى انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت أمواتهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد حتى كثرت أمواتهم وأولادهم (وقالوا) يعنى من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة (قدمس آباءنا

المخصوصون بان أهلكوا كان لم يقيموا في دراهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخير العظيم دون أتباعه فهم الراجحون وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم وما جرى عليهم (فتولى عنهم) بعد ان نزل بهم العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى) أأزى (على قوم كافرين) اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتم حزنى على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم أو أراد لقد أعذرت لكم في الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم (وما أرسلنا في قرية من نبي) يقال اسكل مدينة قرية وفيه حذف أى فكذبوه (الا أخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم أوهما نقصان النفس والمال (لهم) يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا

(١٦ - (خازن) - (ثاني)

ويحطوا أودية الكبر (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أعطيناهاهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والخسرة والرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا ونموا في أنفسهم وأمواتهم من قولهم عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا للحي (وقالوا قدمس آباءنا

في جلتهم وان كان بريثا
 من ذلك اجراء لكلامه
 على حكم التغليب (وما
 يكون لنا) وما ينبى لنا
 وما يصح (ان نعود فيها
 الا ان يشاء الله بنا) الا
 ان يكون سبق في مشيئته
 ان نعود فيها اذ الكائنات
 كلها بمشيئة الله تعالى خيرا
 وشرها (وسع ربنا كل شئ
 علما) تميز اى هو عالم بكل
 شئ فهو يعلم احوال عباده
 كيف تتحول وقلوبهم
 كيف تنقلب (على الله
 توكلنا) في ان يثبتنا على
 الايمان ويوفقنا لازدياد
 الايقان (ربنا افتح بيننا
 وبين قومنا بالحق) اى
 احكم وافتاح الحكومة
 والقضاء بالحق بفتح الامر
 المغاني فلذا سمي فتحا
 ويسمى اهل عمان القاضى
 فتاحا (وانت خير الفاتحين)
 كقولوه وهو خير الحاكمين
 (وقال الملأ الذين كفروا
 من قومه ان اتبعتم شعيبا
 انكم اذا الخاسرون) مغبونون
 افوات فواند البعس
 والتطقيف باتباعه لانه
 فيها كم عنهما ويا مكرم
 على الايفاء والتسوية
 وجواب القسم الذى
 وطأه اللام في ان اتبعتم
 وجواب الشرط انكم اذا
 خاسرون فهو ساد مسد
 الجوابين (فاخذتهم
 الرجفة) الزلزلة (فاصبحوا
 في دارهم جائعين) ميتين

نجى قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا انظم نفسه في جلتهم وان كان بريثا كما كانوا عليه
 من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منها علمنا فبفتح ملتكم وفسادها فكأنه
 خلاصنا منها وقوله تعالى اخبار اعنه (وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله بنا) يعنى وما يكون لنا ان
 نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذى نحن عليه الا ان يشاء الله بنا يعنى الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله
 ان نعود فيها فحينئذ مضى قضاء الله وقدره فينا ونفسنا سابق مشيئته علينا وقال الواحدى معنى العود هنا
 الابتداء والذى عليه اهل العلم والسنة في هذه الآية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا نرجع الى ملتكم بعد ان
 وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلا كنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن
 قبضته يسعد من يشاء بالطاعة ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل
 الانبياء والا كابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبني وبنى
 ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال
 الزجاج رحمة الله تعالى المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيئته ان نعود فيها
 وتصديق ذلك قوله (وسع ربنا كل شئ علما) يعنى انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى
 كان عالما في الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد في علم الله تعالى والشقى من شقى في علم الله تعالى (على الله
 توكلنا) اى على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه الكافي ان توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على
 غيره فكأنه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) لما ايس شعيب من
 ايمان قومه دعاهم للدعاء فقال ربنا افتح اى اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعنى بالعدل الذى
 لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وانت خير الفاتحين) يعنى خير الحاكمين قال الفراء ان اهل عمان يسمون
 القاضى الفاتح والفتاح وقال غيره من اهل اللغة هي لغة مرادوا نسد لبعضهم في ذلك

الأبلغ نبي عصم رسولا * فالى عن فتى حكم غنى ٧

اراد انه غنى عن حاكمهم وقاضهم وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما كتبت ادرى ما معنى قوله ربنا افتح بيننا
 وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال افاتحك يعنى افاضيك وهذا قول
 قتادة والسدى وابن جرير وجهور المفسرين ان الفاتح هو القاضى والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق
 الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجاهر ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى يفتح بيننا وبين
 قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يبدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين
 وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز (وقال الملأ الذين كفروا من قومه ان اتبعتم شعيبا) يعنى
 وقال جماعة من اشراف قوم شعيب من كفر به لآخرين منهم ان اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم
 وملتكم وما اتم عليه (انكم اذا الخاسرون) يعنى انكم اغبونون في فعلكم (فاخذتهم الرجفة) يعنى الزلزلة
 الشديدة (فاصبحوا في اراهم جائعين) قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حر
 شديدا من جهنم فاخذوا بنفوسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها اشدهر
 من الظاهر فخر جواهر بالى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلمت وهي الظلة فوجدوا
 لها بردا ونسيما فتدبى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجا لهم ونساؤهم وصبيانهم اهلهم الله
 عليهم نار اور جفت بهم الارض من تحتمم فاحترقوا كاحترق الجراد في المقلى وصار وراما او روى ان الله
 تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا واما قوله تعالى ربنا افتح بيننا
 والايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الرجفة صاحبهم جبريل
 عليه السلام صيحة هلكوا جميعا قال ابو عبد الله المجلى كان اوجدوه زوحطى ولكن وسعنص وفرشت

(وتبغونها) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) أي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أي لاقدموا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا (واذ كروا) واذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أي واذ كروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم (١١٩) وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نساها بالبركة والخمأة فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وان نأنا طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فاتنظروا (حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبتلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أو هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرون على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيهم بالخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور (قال الملائكة الذين استكبروا من قوم شعيب) الله قد سبق منه مكره فهو مكره وكما قال الشاعر

وتخوفونه بالتسل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يقفندكم عن دينكم (وتبغونها عوجا) يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدو لها عن القصد وقيل معناه وتلتسون لها الزيف والضلال ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد (واذ كروا) واذ كنتم قليلا فكثركم (يعني ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة أوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا وضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثرتم بعد القلة وأعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعني وانظروا وانظروا اعتبار ما نزل من كتابكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسوله من العذاب والهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لعصوه وكذبوا رسوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) يعني وان اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين فرقة آمنتم بي وصدقتم برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي (فاصبروا) فيه وعيد وتهديد (حتى يحكم الله بيننا) يعني حتى يقضى الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم (وهو خير الحاكمين) يعني انه ما كمال منزله عن الجور والميل والحيث في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص كما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين (قال الملائكة الذين استكبروا من قوم شعيب) يعني قال الجماعة من أشرف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) يعني أن قوم شعيب أجابوه بان قالوا لا بد من أحد أمرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا أو لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فمعنى قوله ولتعودن في ملتنا أو جيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملته أو تلك الكفار فخطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكرهه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكره فهو مكره وكما قال الشاعر

فان تكن الأيام أحسن مدة * الى فقد عادت لهن ذنوب

أراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبها كانت قبل الاحسان وقوله تعالى (قال أولو كنا كارهين) أي لا نعود في ملتكم وان كرهتمونا أو جبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل (قد افترينا على الله كذبا بان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) يعني ان شعيبا أجاب قوم اذ دعوه ومن آمن به الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعني قد اختلفنا على الله كذبا ونخر صناعليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فاساد ما تم عليه من الملة والدين وقد أئقنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا ايضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما جيب عن الاشكال الاول وهو ان تقول ان الله

والذين آمنوا معك من قريتنا ولتعودن في ملتنا) أي ليكون أحد الأمرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر (قال شعيب) أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قد افترينا على الله كذبا بان عدنا في ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبا بان عدنا في ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) خلاصنا الله فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت أراد عود قوم الانه انظم نفسه

(الامرأته كانت من الغابرين) من الباقيين في العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى
انها التفتت فاصابها حجر فانت (وأمرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا مطر الله عليهم الكبريت والناز وقيل خسف
بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة (١١٨) على مسافرهم وقال أبو عبيدة أمطر في العذاب ومطر في الرحمة) فانظر كيف كان

يعنى فانحينا لوطا ومن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلون به بسبب النسب أو المراد باهله
ابنتاه (الامرأته) يعنى زوجته (كانت من الغابرين) يعنى كانت من الباقيين في العذاب لانها كانت
كافرة وقيل معناه كانت من الباقيين المعمرين قداً أتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط
وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين
(وأمرنا عليهم مطرا) يعنى حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والناز يقال مطرت السماء وأمطرت
وقال أبو عبيدة يقال في العذاب أمطرت وفي الرحمة مطرت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يعنى انظر
يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهل كما هم قال مجاهد نزل
جبريل عليه السلام فادخل جناحيه تحت مئذنتهم قوم لوط فاقتلها ورفعها الى السماء ثم قابها فجعل أعلاها
أسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
لكن المراد به غيره من أمته ليعتبروا بما جرى على أولئك فينزعوا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة
والفواحش الخبيثة قوله عز وجل (والى مدين أخاهم شعيبا) يعنى وأرسلنا الى مدين أكثر المفسرين على
ان مدين اسم رجل وهو مدين بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وأرسلنا الى ولد
مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدى وبنو أسد وقيل مدين اسم للسان الذى كانوا عليه وقيل
هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وأرسلنا الى أهل مدين والصحيح هو الاول لقوله أخاهم
شعيبا يعنى في النسب لاني الدين وشعيب هو ابن نوب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاله عطاء
وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وأم ميكيل بنت لوط
عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن نوب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب أعمى وكان
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه أهل كفر ونحس في المسكيل والميزان (قال) يعنى
شعيب (يا قوم اعبدا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم) يعنى قد جاءكم بحجة وبرهان من ربكم
بحقيقة ما أقول وصدق ما ادعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جاء
به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن وليست كل آيات الانبياء مذكورة في
القرآن وقيل أراد بالبينة محي شعيب بالرسالة اليهم وقيل أراد بالبينة الموعظة وهي قوله (فاوفوا الكيل
والميزان) يعنى فأتوا الكيل والميزان وأعطوا الناس حقوقهم وهو قوله (ولا تبغسوا الناس أشياءهم) يعنى
لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنصوهم ايها تظفوا الكيل والوزن يقال بنحس فلان في الكيل والوزن
اذا نقصه وظفقه (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعنى بعد ان أصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة
العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم (ذالكم) يعنى الذى ذكرت لكم وأمرتكم به من الايمان بالله
وفاء الكيل والميزان وترك الظلم والنحس (خير لكم) يعنى مما أتم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم
مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بما أقول (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) يعنى ان شعيبا قال لقومه
الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهتدون وهم على ذلك
وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله ورسوله شعيب وهو قوله تعالى
(وتصدون عن سبيل الله من آمن به) يعنى وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب

عاقبة المجرمين) الكافرين
(والى مدين) أرسلنا الى
مدين وهو اسم قبيلة
(أخاهم شعيبا) يقال له
خطيب الانبياء لحسن
مراجعته قومه وكانوا أهل
بنحس للمكاييل والموازن
(قال يا قوم اعبدا الله
ما لكم من اله غيره قد
جاءكم بينة من ربكم)
أى معجزة وان لم تذكر في
القرآن (فاوفوا الكيل
والميزان) أتموهما والمراد
فاوفوا الكيل ووزن
الميزان أو يكون الميزان
كالعباد يعنى المصدر (ولا
تبغسوا الناس أشياءهم)
ولا تنقصوا حقوقهم
بتطفيف الكيل ونقصان
الوزن وكانوا يبغسون
الناس كل شئ في مبيعتهم
وبنحس يتعدى الى
مفعولين وهما الناس
وأشياءهم تقول بنحس
زيد احقه أى نقصته اياه
(ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها) بعد الاصلاح
فيها أى لا تفسدوا فيها بعد
ما أصلح فيها الصالحون من
الانبياء والاولياء واضافته
كاضافة بل مكر الليل
والنهار أى بل مكركم في

وتخوفونه

الليل والنهار (ذالكم) سارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البنحس والافساد في الارض

(خير لكم) في الانسانية وحسن الاحدوث (ان كنتم مؤمنين) مصدقين لى في قولى (ولا تقعدوا بكل صراط) بكل طريق (توعدون)

من آمن بشعيب بالعذاب (وتصدون عن سبيل الله) عن العبادة (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين

(ولوط اذ قال لقومه) أي واذ كر لوطوا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة) أنفعولون السبحة المته ادية في القبح (ماسبةكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدي ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عاكشة (من أحد) من زائدة (١١٧) لتأكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق

(من العالمين) من التبعية
وهذه جملة مستأنفة أنكروا
عليهم - أول بقوله أتأتون
الفاحشة ثم وبختم عليها
فقال أتم أول من عملها
وقوله تعالى (أنتمكم
لتأتون الرجال) بيان
لقوله أتأتون الفاحشة
والهمزة مثلها في أتأتون
للا نكار أنكم على الاخبار
مدني وحفص يقال أتى
المرأة إذا غشيها (شهوة)
مفعول له أي للاشتهاء
لاحمل الحكم عليه لا مجرد
الشهوة ولا ذم أعظم منه
لانه وصف لهم بالبهيمية
(من دون النساء) أي
لامن النساء (بل أتم قوم
مصرفون) أضرب عن
الانكار الى الاخبار عنهم
بالحال التي توجب ارتكاب
القبائح وهو انهم قوم
عادتهم الاسراف وتجاوز
الحدود في كل شيء فمن ثم
اسرفوا في باب قضاء الشهوة
حتى تجاوز المعتاد الى غير
المعتاد (وما كان جواب
قومه الآن قالوا آخر جوهر
من قر يتكم) أي لوطا
ومن آمن معه يعني ما أجابوه
بما يكون جوابا عما
كلمهم به لوط من انكار
الفاحشة ووصفهم بصفة
الاسراف الذي هو أصل

فبعث الله الناقة فكانت تدر من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم رور ودها وأراهم مرتقى
الفصيل من القارة ففتوا عن أمرهم وعقروها فها هلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض
ومغارها الارجل واحد يقال له ابو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فنه حرم الله تعالى من عذاب الله
فلم يخرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر
أبي رغال فنزل القوم وابتدروه بسيافهم وحفر واعنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم
صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنوا أربعة
آلاف مدينة وسموها حضراء وقال قوم من أهل العلم توفي صالح عليه الصلاة والسلام بمكة وهو ابن ثمان
وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة وقوله تعالى (ولوطا) يعني وأرسلنا لوطا وقيل معناه واذ كر يا محمد
لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي ابراهيم وابراهيم عمه (اذ قال لقومه) يعني أهل سدوم واليهيم
كان قد أرسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام الى الشام فنزل
ابراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط الاردين أرسله الله تعالى الى أهل سدوم يدعوهم الى الله
تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) يعني أنفعولون الفعل الخسيسة التي هي غاية
في القبيح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في أدبارهم (ماسبةكم بها من أحد من العالمين) من الاولى زائدة
لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعية والمعنى ما سبقكم أيها القوم بهذه الفعل الفاحشة
أحد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقرير على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزا
ذكر على ذكر في الدنيا الا كان من قوم لوط (أنتمكم لتأتون الرجال) يعني في أدبارهم (شهوة من دون
النساء) يعني ان أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء (بل أتم) يعني أيها القوم (قوم مسرفون)
أي مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق
الانسان ورب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل
فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكأنما فقد أسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشيء
في غير محله وموضعه الذي خلق له لان أدبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة
في الانسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار والسيرة انه كانت قري
قوم لوط مخصصة ذات زروع وغمار لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فأذوهم وضيقوا عليهم فعرض
لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم اذا فعلتم بهم كذا وكذا انجوتم منهم فابوا ففعل ما ألح الناس عليهم فصدوهم
فاصابوا غلما ناسا ناصبا فاحبوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل
استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال السكبي ان أول من عمل به عمل قوم لوط ابليس وذلك
لان بلادهم أخصبت فقصدها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب أمره فدعا الى نفسه فكان أول
من نكح في دبره فامر الله تعالى السماء أن تحصبهم والارض أن تحسف بهم ﴿ قوله عز وجل (وما كان
جواب قومه) يعني وما كان جواب قوم لوط لوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى
عليهم من العمل الخبيث (الآن قالوا) يعني قال بعضهم لبعض (أخرجوهم من قريتكم) يعني اخرجوا
لوطا وأتباعه وأهل دينه من بلادكم (انهم أناس يتطهرون) يعني انهم أناس يتزهون عن فعلكم وعن
أدبار الرجال لانهم موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي والآثام يسحق طهارة
فمن تباعد عنهم اقية تطهر فلهم هذا قال انهم أناس يتطهرون أي من فعل المعاصي والآثام (فانجيهاه وأهله)

الشر وانكتمه جازا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتكم (انهم أناس يتطهرون) يدعون
الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضي الله عنهما عابوهم بما يمدح به (فانجيهاه وأهله) ومن يختص به من دونه من المؤمنين

باجمعهم الاقد مضى يوم من الاجل فلما أصـ بحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محجرة كما تخضبت بالدم
 فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الاقد مضى يومان من الاجل
 وحضركم العذاب فلما أصـ بحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طابت بالقار فصاحوا جميعا ألا
 قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه الصـلاة والسلام ومن أسلم معه من بين أظهرهم
 الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما أصـ بحوا في اليوم الرابع تكفؤوا وتحطوا وألقوا بانفسهم الى الارض
 يقبلون أبصارهم الى السماء مرة الى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضجى من
 يوم الاحد أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت في الارض فتنقطعت
 قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الاجارية مقعدة يقال لها ذرية بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة
 اصالح عليه الصـلاة والسلام فاطلق الله تعالى رجلها بعد ما عاينت العذاب وما أصاب ثمود فخرجت مسرعة
 حتى أتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بشؤمتم استقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت
 في الحال وذكر السدي في عقر الناقة فقال أوحى الله عز وجل الى صالح عليه الصـلاة والسلام ان قومك
 سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها
 فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الاقتناه قال فولدتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد
 فذبجوههم ثم ولد للعاشر ولد فاني أن يذبجوه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولده أحر أزرق
 فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالثسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب
 التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أبناؤهم فتمتقاسموا بالله يعني فتمتقاسموا بالله لئلا يذبحه وأهله وقالوا نخرج
 فنرى الناس اننا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده
 أتيناها فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه حتى ننصرف الى رحلتنا فنقول ماشهدنا مهلك أهلنا وانا
 اصادقون فيصدقوننا فيظنون اننا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت
 في مسجده خارج القرية فاذا أصبح أتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا أمسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه
 قال فانطاق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على أمرهم
 لينظر واما فعل أولئك النفر فرأوهم وهم مرضخ فرجعوا الى القرية يصيحون ماضى صالح يقتل أولادهم
 حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد
 عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه بقدر فكان يشب سريرا فلما كبر جلس مع
 أناس يشربون الخمر فارادوا ماء ليمزجوا به شربهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد
 شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نضع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا اخذنا هذا الماء الذي تشربه الناقة
 فنسقيه لانا ما نوزر وعنا كان خيرا لانا قال ابن العاشر هل لكم ان أعقرها لكم قالوا نعم فعقرها (ق) عن
 ابن عمر رضى الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لاندخلوا مساكن الذين ظلموا
 أنفسهم ان يصيبكم ما أصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع المسير حتى جاوز الوادي وفي رواية
 لمسلم لاندخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثلهم وطماعنهم ان الناس نزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما
 استقوه ويعلفوا الابل العجين وأمرهم ان يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة وللبخارى ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم ان لا يشربوا من آبارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجننا
 منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحو ذلك العجين ويهرقوا ذلك الماء وفي بعض
 الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوهم الآيات

وجهوا وكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا أجزأ زرق قصيرا
 ويزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن اسالف ولا كنه ولد علي فراسه فقالت عنيزة لقدار أي بناتي شئت
 أعطيتك علي أن تعقر الناقة وكان قدار عز يزانية عافى قومه (ق) عن عبد الله بن زمعة رضی الله تعالى عنه
 أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
 انبعث أشقاه انبعث لها رجل عز يزاعم منيع في رهطه مثل أبي زمعة قوله انبعث أي قام بسرعة والعارم
 الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتع بمن أرادته قال أصحاب الاخبار فانطلق
 قدار بن سالف ومصدع بن مهزج فاستنقرا غواة ثمود فاتبهم سبعة نفر فـ كانوا تسعة رهط فانطلق قدار
 ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طرف يتها وكمن
 لها مصدع في أصل صخرة أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم في عضلة ساقها فخرجت أم غنم عنيزة
 وأمريت ابنتها ففسرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجها ليراها قدار ثم حشته على عقرها وأغرته به
 فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقها فخرت ورغت رعاة واحدة فصدرت سبها من الجبل ثم طعن
 قدار في بطنها فخرها فخرج أهل البلاد فاقسموا لجها فلما رأى سبها ذلك انطلق هار باحتي أتى جبلا منيعا
 يقال له صوروقيل قارة وأتى صالح عليه الصلاة والسلام فقبل له أدرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج
 أهل البلدة يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يابني الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظر واهل
 تدركون فصـيلها فان أدركتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخر جوا في طلبه فرأه على الجبل فذهبوا
 ليأخذوه فأوحى الله تعالى الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى مائتاه الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام
 فلما رآه الفصيل بكى حتى سالته وموعه ثم رغانا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغبة أجل
 يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين
 عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهزج وأخوه ذؤاب فرماهم مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذب فأنزله وألقوا
 لحمه مع لحم أمه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام اتهمكم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم
 يهزون به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد أول والاثنين أهون
 والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروية والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم
 الاربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم
 تصبحون يوم العروية ووجوهكم حمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول
 فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلتنقل صالحا فان كان صادقا فعملناه قبلنا وان كان
 كاذبا كنا قد أحقناه بناقته فانوه ليلا ليقتاوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطلوا على أصحابهم
 أتوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به
 فقامت عشرينه دنه وقالوا لا تقتلوه بدأفانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا
 ر بكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فاتمروا ماتر يدون فالنصر فواعنه تلك الليلة فاصبها يوم الخميس
 ووجوههم مصفرة كما غطيت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنتاهم فاقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا
 قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتاوه فهرب منهم ولحق يحيى من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم
 واسمه نفيل ويكنى بابي هذب وهو مشرك فمخ صالحا فمقدروا عليه وكانوا عمدا والى أصحاب صالح ليدلوهم
 عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يابني الله انهم يعذبونك عليهم عليك أفندهم عليك
 قال نعم فدلوهم عليه فانوا بأهدب فكاهوه في أمر صالح فقال هو عندى وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه
 وتركوه وشغلهم منازلهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فامسوا صاحبوا

وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال ما أتتم باسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون
وقيل إنما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينجز عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها
بذكرة قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق ووهب بن منبه وغيرهما من أصحاب السيرة والخبار
قالوا جميعا إن عاد الماهلكت وانقضت أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض فدخلوا فيها واكثروا
وعمر واحتى أن أحدهم ليبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا
وكانوا في سعة من العيش والرخاء فعمتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى إليهم صالحا
نبيا وكانوا قومًا عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى إليهم وهو غلام فلم يزل
يدعوهم إلى الله تعالى وإلى عبادة حتى شمت وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح
بالدعاء والتبليغ وأكثرهم التحذير والتخويف سألوه أن يرهبهم آية تكون مصداقا على ما يقول فقال
صالح أي آية تريدون فقالوا نخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد ينحرون فيه أصنامهم وذلك في يوم معلوم
من السنة وقالوا ندعو اهلك وندعو آلهتنا فان استجب لك انبغناك وان استجب لنا انبغنا فقال لهم
صالح نعم فخرجوا باصنامهم إلى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في
شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثموديا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة
لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة نخرت جوفاء وبراء عشراء والمخدرجة ماشا كانت
البخت من الابل فان فعلت آمنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ان تصدقني ولتؤمنن بي
قالوا نعم قال فصلى صالح عليه الصلاة والسلام ركعتين ودعا به عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض
التنوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوها ووصفوا غير أنه لا يعلم ما بين جنبيها
الا الله عز وجل عظما وهم ينظرون اليها ثم تجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو وورثها معه من
قومه وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا به وصدقوه فنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبي
أوثانهم وورباب بن ضمير وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح
هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكثرت الناقة ومعها سقبا في أرض ثمود ترحى الشجر وتشرب الماء
وكانت ترد الماء غيا فاذا كان يوم ورودها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فترفع رأسها حتى
تشرب كل ما فيها فلا تدع فطرة ثم ترفع رأسها فتمتدحج لهم فيحلبون ماشاؤا منها من ابن فيشربون
ويدخرون حتى يملؤا أو انبهم كاهنهم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر أن تصدر من حيث
وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ماشاء الله من الماء ويدخرون ماشاؤا ليوم
الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها
مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط إلى بطن الوادي فتكون في حره وجده واذ كان الشتاء
فتشت والناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي إلى ظهره فتكون في البرد والجذب فاضرب ذلك بمواشيهم
للامر الذي يريده الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعمتوا عن أمرهم وحملهم ذلك
على عقر الناقة فاجتمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لاحداهما عنيرة بنت غانم بن مخلد
وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل
وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدقة بنت المختار وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانت من أشد
الناس عداوة صالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما أضرت بمواشيهم فحيلتا في عقر الناقة
فدعت صدقة رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فأبى عليها فدعت
ابن عم لها يقال له مصدع بن مهزج بن الحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس

منيحة تدرأ الفضيحة
ولكنها وخيمة تورث
السخيمة روى ان عقرهم
الناقة كان يوم الاربعاء
فقال صالح تعيشون بعده
ثلاثة أيام تصفرو وجوهكم
أول يوم وتحمر في الثاني
ونسود في الثالث ويصيبكم
العذاب في الرابع وكان
كذلك روى أنه خرج في
مائة وعشرة من المسلمين
وهو يبكي فلما علم أنهم
هلكوا رجع بمن معه
فسكنوا ديارهم

ولا تفتوا في الارض مفسدين) روى ان عاد الماء اهلكت عمرت ثم د بلادها وحلقوها في الارض وعمر وأعمار اطوا لافنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش ففتوا على الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوماعر باوصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فانذرهم فسألوه ان يخرج من صخرة بعينها ناقة عشرافصلى ودعاه به فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كجاشاؤا فاما من به جندع ورهط من قومه (قال الملا الذين استكبروا من قومه) وقال شامى (الذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار (١١٣) (لمن آمن منهم) بدل من الذين

استضعفوا بإعادة الجار وفيه دليل على أن البدل حيث جاء كان في تقدير عادة العادل والضمير في منهم راجع الى قومه وهو بدل على أن استضعفهم كان مقصورا على المؤمنين أو الى الذين استضعفوا وهو يدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية (قالوا انما بأمرسل به مؤمنون) وانما صار هذا جوابا لهم لانهم سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا رساله أمرا معلوما مسلما كأنهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به لاشبهة فيه وانما الكلام في وجوب الايمان به فتخبركم انا به مؤمنون (قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرين) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما مسلما (فقروا الناقة) أسند

(ولا تفتوا في الارض مفسدين) قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعنوا أشد الفساد وقيل أراد به عقرو الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع أنواع الفساد (قال الملا الذين استكبروا من قومه) يعنى قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان بصالح (الذين استضعفوا) يعنى المساكين (لمن آمن منهم) يعنى قال الاشراف المتعظمون في أنفسهم لانباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومه (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) يعنى أن الله أرسله اليك والينا واليك (قالوا انما بأمرسل به مؤمنون) يعنى قال الضعفاء انما بأمرسل الله به صالحا من الدين والهدى وألحق مصدقون (قال الذين استكبروا) يعنى عن أمر الله والايان به و برسوله صالح (انا بالذي آمنتم به كافرين) أى جاحدون منكرون (فقروا الناقة) يعنى فقرت ثم د بلادها وحلقوها في الارض وعمر وأعمار اطوا لافنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش ففتوا على الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوماعر باوصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فانذرهم فسألوه ان يخرج من صخرة بعينها ناقة عشرافصلى ودعاه به فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كجاشاؤا فاما من به جندع ورهط من قومه (قال الملا الذين استكبروا من قومه) وقال شامى (الذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار (١١٣) (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا بإعادة الجار وفيه دليل على أن البدل حيث جاء كان في تقدير عادة العادل والضمير في منهم راجع الى قومه وهو بدل على أن استضعفهم كان مقصورا على المؤمنين أو الى الذين استضعفوا وهو يدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية (قالوا انما بأمرسل به مؤمنون) وانما صار هذا جوابا لهم لانهم سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا رساله أمرا معلوما مسلما كأنهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به لاشبهة فيه وانما الكلام في وجوب الايمان به فتخبركم انا به مؤمنون (قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرين) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما مسلما (فقروا الناقة) أسند

(١٥ - خازن - ثاقب) العقر الى جميعهم وان كان العاقر قد ارب سائله لانه كان برضاهم وكان قد ارب ازررق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام يا على أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك (وعتوا عن أمرهم) وتولوا عنه واستكبروا وأمرهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله قدر وهاتأ كل في أرض الله أو شان ربهم وهو دينسه (وقالوا يا صالح انتنابنا تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة) الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطر بواهلها (فاصبحوا في دارهم) أى مساكنهم (جاثمين) ميتين قعودا يقال الناس جثم قعودا لحرآك بهم فبلادهم لا يتكلمون (فتولى عنهم) لما عقر و الناقة (وقال يا قوم) عند فراقه اياهم (لقد أبلغتكم رسالتى وانصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) هذا القول يحتمل أن يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالتى وانصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وأجاب أصحاب القول الاول عن هذا أنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريرا بما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث في الصحيح

بتأويل القبيلة وقيل سميت ثمود لقله ماؤها من التمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام (أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم) اية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتى فكانه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله) وهذه اضافة تخصيص وتعظيم لانها بتكويته تعالى بلا صلب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل معنى الاشارة فى هذه كانه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية وهي ثمود لانهم عابدها (فذررها تآكل فى أرض الله) أى الارض أرض الله والناقصة ناقصة الله فذررها تآكل فى أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) ولا تضر بوهها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لآية الله (فياخذكم) جواب النهى (عذاب اليم) واذا كروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم) وذلكم المباءة المنزل (فى الارض) فى أرض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) عرفا للضيف (وتنحتون الجبال بيوتا) للشقاء ويوتا حال

عاد وقيل ابن عزيزين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم غيرا انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرئى الله اعطىنى براوصدقا فاعطى ذلك وقال لقمان اللهم اعطنى عمرا فقيل له اختر فاختر عمر سبعة اوسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان ياخذ الذكركر لفته فير بيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقيل له انه اهلك فقال لا أبالى لاحاجة لى فى البقاء بعد قومي فاصابه الذى اصاب عاد اهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فانت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلناهم جميعا فلما اهلك الله عاد ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من أرضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشجر من أرض اليمن فنزل هناك ثم أدركه الموت فدفن بارض حضر موت يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان قبره هو دعاه عليه الصلاة والسلام بحضر موت فى كتيب أحمر وقال عبد الرحمن بن شبابة بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبره هو وصالح وشعيب واسماعيل عليهم الصلاة والسلام فى تلك البقعة ويروى ان كل نبي من الانبياء اذا هلك قومه جاء هو والصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله تعالى حتى يموتوا بها ^{بها} قوله عز وجل (والى ثمود أخاهم صالحا) يعنى وأرسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما حوله ومعنى الكلام والى نبي ثمود أخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقله ماؤها والتمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم أبيهم الذى ينسبون اليه أخاهم صالحا يعنى فى النسب لافى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) يعنى قال لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم يا قوم وحدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئا فإلكم من اله يستحق أن يعبد سواه (قد جاءكم بينة من ربكم) يعنى جاءكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما أقول وأدعوا اليه من عبادة الله تعالى وأن لا تشركوا به شيئا وعلى تصديق باقى رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) يعنى علامة على صدق قول العلماء رحمة الله تعالى ووجه كون هذه الناقة آية على صدق صالح ومجززة له خارقة للعادة أنها خرجت من صخرة فى الجبل وكونها لامن ذكروا لامن أننى وكال خلتها من غير رجل ولا ندر ييج لانها خلقت فى ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم بلجيع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة أيضا لان ناقته تشرب ما تشربه قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها فى يوم شرب بها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا أيضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء فى يوم شرب الناقه وتشرب الحيوانات الماء فى غير يوم الناقه وهذا أيضا معجزة وإنما أضافها الى الله تعالى فى قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى خلقها بغير واسطة ذكروا نتي وقيل لانه لم يملكها أحد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح (فذررها تآكل فى أرض الله) يعنى فذرروا الناقه تآكل العشب من أرض الله فان الارض لله والناقه ايضا لله وايس لكم فى أرض الله شئ لانه هو الذى أنبت العشب فيها (ولا تمسوها بسوء) يعنى ولا تطردوها ولا تقر بوهها شئ من أنواع الاذى ولا تعقروها (فياخذكم عذاب اليم) يعنى بسبب عقرها وأذاها (واذا كروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) يعنى ان الله اهلك عاد وجعلكم خلفونهم فى الارض وتعمرونها (وبوأكم) يعنى وأسكنكم وأنزلكم (فى الارض) تتخذون من سهولها قصورا) يعنى تبنون القصور من سهولة الارض لان القصور إنما تبني من اللبن والآجر المتخذ من الطين السهل اللين (وتنحتون الجبال بيوتا) يعنى وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبل فى الشتاء وهذا يدل على أنهم كانوا متنعين مترفهين (فاذكروا آلاء الله) أى فاذا كانوا لله عليهم واشكروهم عليها

وان اله هود هو الهى * على الله التوكل والرجاء
 زادنى رواية لقد حكم الاله وليس جورا * وحكم الله ان غلب الهـ واء
 على عاد وعاد شرقـوم * فقد هلكوا وليس لهم بقاء
 وانى لن أفارق دين هود * طوال الدهر أو يأتى الفناء

فقال جلهمة بن الخيرى بجيب المرثد بن سعد حين فرغ من مقاتته وعرف انه اتبع دين هود وآمن به

ألا يا سعد انك من قبيلـل * ذوى كرم وأمك من نمود
 فانا لانطيعـك ما بقينا * ولسـنا فاعلدين لما تريد
 أنأمرنا لنترك دين وفد * ورمسل والصداء مع الصمود
 ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى وتبوع دين هود

لا يخفى ما فى قافية البيت
 الثانى

ثم قال جلهمة لعأوية بن بكر وأبيه بكر اجساعنا مرثدا فلا يقدر معنا مكة فإنه قد تبع دين هود وترك ديننا
 ثم خرجوا الى مكة يستسقون به العاد فلما اولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى
 أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعوا الله وبها وفد عاد يدعونه فقال
 مرثد اللهم أعطني سوئلى وحدى ولا تدخلنى فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد يدعوه فقال
 اللهم أعط قبيلا ما سألك وقال الوفد معه واجعل سوئلنا مع سوئله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان
 سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم انى جئتكم وحدى فى حاجتى فاعطني سوئلى وسأل
 طول العمر فعمر عمر سبعة أشهر وقال قيل بن عنز حين دعاها الهن ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا
 فانشأ الله تعالى سبحانه ثلاثا يبضأ وجراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لك ومك ولنفسك من
 هذه السحائب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحائب ماء فناده مناد اخترت رمادا
 رمدد الا يبقى من آل عاد ا حاد واساق الله تعالى السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النعمة الى
 عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض مطر نايقول الله
 عز وجل بل هو ما استجئتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ أى كل شئ مرت به بامر ربها وكان أول من
 أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم
 صعقت فلما ان أفاقوا قالوا لها ما ذرايت قالت رأيت الريح فيها كسهب النار ا ما ماها رجال يقولونها
 فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد ا حاد الا أهلكته واعتزل هود ومن
 معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصبه ومن معه من الريح الاماتلين عليه الجلود وتلذبه الانفس وانها فى قوتها
 لتربا لظعن من عاد فتحملاهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مر ابعأوية
 ابن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذا قبل اليه رجل على ناقه فى ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد
 فاخبرهم الخبر فقالوا له اىن فارقت هودا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فيما حدثهم به
 فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدى بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت
 منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا الى البيوت فدخلوها
 وأغلقوا الابواب فجاءت الريح فلعقت ابوابهم ودخات عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما
 أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسودا فقلعهم الى البحر فالتقاهم فيه وقيل ان الله تعالى أمر الريح فامات
 عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم
 الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج ريح قط الا بكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم
 يعلموا كم كان مكيد الهوا فى الحديث ا ما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان بن

والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضر موت من أرض اليمن وكانوا قد فسقوا في الارض كلها وقهروا أهلها
 بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صداء
 وصنم يقال له صمود صنم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه الصلاة والسلام وهو من أوسطهم
 نسبا وأفضلهم موضعا فامرهم أن يوحّدوا الله ولا يجعلوا معه الهة غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يامرهم
 بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد من اقوة واتبعه منهم ناس فأمنوا به وهم يسير يكتمون
 إيمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتنأ إيمانه فلما عتوا على الله
 وكذبوا بينهم وأكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية واتخذوا المصانع لعلمهم يخلدون فلما
 فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء
 وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة وممنهم ومشرِكهم وكان يجمع بمكة ناس
 كثير مختلف أديانهم وكل معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفاً كانه من
 الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سمو العماليق لان آباهم كان عمليق بن لاويز بن سام بن نوح
 وكان سيد العماليق يومئذ رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كهدة بنت الخبيري وهو رجل
 من عاد وكانت عاد أحوال معاوية سيد العماليق فلما حطت عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفسد إلى
 مكة ليستسقوا الحكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيس بن هزال من هذيل وعقيل بن صدين بن عاد
 الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسالما يكتنأ اسلامه وجملة بن الخبيري خال معاوية بن بكر سيد
 العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين
 رجلاً فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا
 أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قيتان لمعاوية بن بكر فلما رأى
 معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه
 وقال هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علىّ والله ما أدري كيف أصنع فأتى
 أستحى ان أمرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنوا أنه ضيق منى بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من
 قومهم جهدا وعطشا قال وشكى ذلك من أمرهم إلى قيتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا تغنيهم به ولا يدرون من
 قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية

بيته الحرام فارقدوا اليه
 قيل يا عز ونعيم بن هزال
 ومرثد بن سعد وكان يكتنأ
 إيمانه بهود عليه السلام
 وأهل مكة اذ ذلك العماليق
 أو لاد عمليق بن لاويز بن
 سام بن نوح وسيدهم
 معاوية بن بكر فنزلوا عليه
 بظاهر مكة فقال لهم مرثد
 لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود
 خلفوا مرثدا وخرجوا
 فقال قيل اللهم اسق عادا ما
 كنت تسقيهم فانشأ الله
 سحابت ثلاثا بيضاء وجرأ
 وسوداء ثم ناداه مناد من
 السماء يا قيل اختر لنفسك
 ولقومك فاختر السوداء
 على ظن انها أكثر
 ماء فخرجت على عاد من
 واد لهم فاستبشروا وقالوا
 هذا عارض مطر ناخفاهم
 من هارج عقيم فاهلكتهم
 ونجا هود والمؤمنون معه
 فاتوا مكة فعبدوا الله فيها
 حتى ماتوا

الأيام قيل ويحك قم فهين * لعل الله يسقينا غمما * فيسقى أرض عادان عادا
 قد امسوا لا يبينون الكلام * من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
 وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم أيامى * وان الوحش تاتيهم جهارا
 ولا تخشى اعداى سها * وأنتم ههنا فيما اشبهتيم * نهاركم وليلكم تماما
 فبيح وفدكم من وفد قوم * ولالقوا التحية والسلا

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنثهم به الجرادتان وعرف القوم ما غنث به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم
 قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا قومكم فقال
 مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان أطلعتم نبيكم وتبتم إلى ربكم سقيتم وأظهر
 اسلامه عند ذلك وقال في ذلك

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا مات بلهم السماء
 لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
 فبصرنا الرسول سبيل رشد * فابصرنا الهدى وجلى العماء

و يسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلقتموهم فى الأرض أوفى مساكنهم واذمفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (وزادكم فى الخلق بسطة) طولاً وامتداداً فكان أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة ذراع بصطة حجازى وعاصم وعلى (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة أجزامكم ومساواها من عطاياه وواحد الآلاء الى نحوانى والآلاء (العلمكم فتلحون) ومعنى

(١٠٩)

يكون لهُود عليه السلام مكان معترزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) أنكروا واستبدعوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الأصنام شركاء معهم حبلى المناشوا عليه (فاتنبا بتعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال قد ووقع أى قد نزل عليكم) جعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان (من ربكم رجس) عذاب (و غضب) سخط (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها) فى أشياء ماهى الأسماء ليس تحنها سميات لانكم تسمون الأصنام آلهة وهى خالية عن معنى الألوهية (أتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة (فاتظروا) نزول العذاب

(أمين) يعنى على تبليغ الرسالة وأداء النصح والامين الثقة على ما نثقن عليه حتى الله عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال وأصبح لكم وحكى عن هود عليه الصلاة والسلام انه قال وأنا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثانى بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجديد النصح ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلاً ونهاراً كما أخبر الله عنه بقوله قال رب انى دعوت قومى ليلاً ونهاراً فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وأصبح لكم وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتئذ فلهذا قال وأنا لكم ناصح أمين والمدح للنفس باعظام المدح غير لائق بالعلاء وإنما قبل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك وقصوده الرذعائهم فى قولهم واما لك نك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه أمين فى تبليغ ما أرسل به من عند الله فيه تقرر للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه فى موضع الضرورة الى مدحها (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) يعنى عجبتم أن أنزل الله توحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأمر ربكم ونحو فكم عقابه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) يعنى واذكروا نعمة الله عليكم اذ هلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم فى الأرض (وزادكم فى الخلق بسطة) يعنى طولاً وقوة قال السكبي والسدي كانت قائمة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعاً وقيل سبعين ذراعاً وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمانين ذراعاً وقال مقاتل اثني عشر ذراعاً وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة (فاذكروا آلاء الله) يعنى نعم الله وفيه اضمار تقديره فاذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملاً يليق بذلك الانعام وهو أن تؤمنوا به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام (العلمكم فتلحون) يعنى لكى تفوزوا بالفلاح وهو البقاء فى الآخرة (قالوا) يعنى قال قوم هود مجيبين له (أجئتنا) يهود (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) يعنى من الأصنام (فاتنبا بتعدنا) يعنى من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعنى فى قولك انك رسول الله (قال) يعنى قال هود مجيباً لهم (قد وقع) يعنى نزل ووجب (عليكم من ربكم رجس و غضب) أى عذاب وسخط (أتجادلوننى) يعنى أتخاصموننى (فى أسماء سميتموها) أى أسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار عليهم لانهم سمو الأصنام بالآلهة وذلك معدوم فيها (ما نزل الله بها من سلطان) يعنى من حجة وبرهان على هذه التسمية وإنما سميتموها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل (فاتظروا) يعنى العذاب (انى معكم من المنتظرين) يعنى نزول العذاب بكم (فانجيئنا) يعنى فانجيئنا هوداً عند نزول العذاب بقومه (والذين معه برحمة منا) يعنى وأنجيئنا أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) يعنى وأهلكنا الذين كذبوا هوداً من قومه وأراد بالآيات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذاهلاك استئصال فهلكوا جميعاً ولم يبق منهم واحد (وما كانوا مؤمنين) يعنى لانهم لم يكونوا صدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

﴿ ذكروا قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب السير والخبار ﴾

قالوا جميعاً كانت منازل عاد وجاعتهم حين بعث الله تعالى فيهم هوداً عليه الصلاة والسلام الاحقاف

(انى معكم من المنتظرين) ذلك (فانجيئنا) والذين معه) أى من آمن به (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الاصل أو الكائن خلف الشئ وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فائدة نفي الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان الهلاك خص المكذبين وقصتهم ان عاداً قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصموداً وهلباء فبعث الله اليهم هوداً فكذبوه فامسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلا طابوا الى الله الفرج منه عند

فنسبوه الى الكذب (فانجنيناه والذين معه) وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافت وستة من آمن به (في الفلك) يتعلق بعه كانه قيل والذين صحبوه في الفلك (واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عجمين) عن الحق يقال أعمى في البصر وعم في البصيرة (والى عاد) وأرسلنا (١٠٨) الى عاد وهو عطف على نوح (أخاهم) واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد

منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجية عليهم أزم (هودا) عطف بيان لاخاهم وهـ وهو هود بن شالخ بن ارخشد بن سام بن نوح (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) وانما لم يقل فقال كما في قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملائكة الذين كفروا من قومه) وانما وصف الملائكة بالذين كفروا دون الملائكة قوم نوح لان في أشرف قوم هود من آمن به منهم مرد بن سعد فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشرف قوم نوح عليه السلام مؤمنا (اننا نراك في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث نهج دين قومك الى دين آخر وجعات السفاهة ظرفا مجازا يعني انه متمكن فيها غير منك عنها (وانا لظنك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال يا قوم ليس بي

يعني فكذبوا نوحا (فانجنيناه) يعني من الطوفان والغرق (والذين معه) يعني من آمن من قومه معه (في الفلك) يعني في السفينة (واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عجمين) قال ابن عباس رضى الله عنهما عمت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموما عن الحق والايمن يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأشدوا قول زهير

وأعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم

قال مقاتل عموما عن نزول العذاب بهم وهو الغرق ﴿ قوله تعالى (والى عاد أخاهم هودا) أى وأرسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى أخاهم هودا يعني أخاهم في النسب لاني الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هو هود بن شالخ بن ارخشد بن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن أخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من أين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله أخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكرنا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم لامن الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى اننا أرسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانسان بكلامه أتم وأكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن والنسائي انه أخاهم يعني صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) أى اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها آخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (أفلا تتقون) يعني أفلا تتخافون عقابه بعبادتكم غير دولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق حسرتا قوله هنا أفلا تتقون يعني أفلا تتخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شيء حسن تخوفهم من العذاب فقال هناك اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (قال الملائكة الذين كفروا من قومه اننا نراك في سفاهة) يعني اننا نراك يهودي جح و جهالة وضلالة عن الحق والصواب أخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا له اننا نراك في ضلال مبين وأخبر عن قوم هود انهم قالوا له اننا نراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة قاله قومه عند ذلك اننا نراك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء وأما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قوة العقل قابله بمثله فقالوا اننا نراك في سفاهة (وانا لظنك من الكاذبين) يعني في ادعائك انك رسول من عند الله (قال) يعني قال هود هؤلاء الملائكة الذين نسبوه الى السفه (يا قوم ليس بي سفاهة) يعني ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) يعني اليكم (أبلغكم رسالات ربي) يعني أودى اليكم ما أرسلني به من أوامره ونواهيه وشراعه وتكاليفه (وأنا لظنك من الكاذبين) يعني فيما أمركم به من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ما سواه

سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لظنك من الكاذبين (فأما ادعوكم اليه (أمين)

(أمين) على ما أقول لكم وانما قال هنا وأنا لظنك من الكاذبين أى ليقابل الاسم الاسم وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصوصهم أضل الناس وأسفهم أدب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك تعلم لعبادته كيف يخاطبون السقهاء وكذا يننون عنهم

(فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من الغيبة) غيره على فالرفع على المحل كأنه قيل مالكم اله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قال الملائة) أى الأشراف والسادة (من قومه انا انزلك فى ضلال مبين) أى بين فى ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب (قال) (١٠٧) يا قوم ايس فى ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة

أخص من الضلال فكانت أبلغ فى نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بى شئ من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة فقال (ولكنى رسول من رب العالمين) لان كونه رسولا من الله مبلغة لرسالاته فى معنى كونه على الصراط المستقيم فكان فى الغاية القصوى من الهدى (أبلغكم رسالات ربي) ما أوحى الى فى الأوقات المتطاوله وأوفى المعانى المختلفة من الاوامر والنواهي والمواظب والبشار والنظائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وأفصح لكم) وأقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحت ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على المحاض النصيحة وحقيقة الصح ارادة الخير لغيرك مما تريد لنفسك أو النهاية فى صدق العناية (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى من صفاته يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه

تعالى بعد ادر يس وكان نوح عليه الصلاة والسلام نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث أيضا ويكون البعث كالتابع لانه أصل قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثه الله وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضى الله عنهما سمى نوحا لكثرة ما نوح على نفسه واختلافه وفى سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمر اجتهه به فى شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكتب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه اعميتنى أم عبت الكاب (فقال) يعنى نوح اتقوه (يا قوم اعبدوا الله مالكم من الغيبة) يعنى اعبدوا الله تعالى فانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذى يستوجب أن يعبد (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعنى ان لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته وايوم الذى خافه عليهم هو ما يوم الطوفان واهلاكهم فيه أو يوم القيامة انا قال أخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أيعاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة (قال الملائة) وهم الجماعة الاشراف (من قومه انا انزلك) يعنى يا نوح (فى ضلال مبين) يعنى فى خطأ وزوال عن الحق بين (قال) يعنى نوحا (يا قوم ايس فى ضلالة) يعنى ما بين ما تظنون من الضلال (ولكنى رسول من رب العالمين) يعنى هو أرسلى اليكم لانذركم وأخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله (أبلغكم رسالات ربي) يعنى بتحذيرى اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به (وأفصح لكم) يقال نصحت ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد لنفسه وقيل النصح تحرى قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلو النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال أبلغكم جميع تكاليف الله وشرايعه وأرشدكم الى الوجه الاصل والاصوب لكم وأدعوك الى ما دعانى اليه وأحب لكم ما أحب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع أو امر الله تعالى ونواهييه وجميع أنواع التكاليف التى أوجبه الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهوان رغبهم فى قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات وبخبرهم عقابه ان عصوه (وأعلم من الله مالا تعلمون) يعنى وأعلم انكم ان عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان والغرق فى الدنيا ويعذبكم فى الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى أطلعهم على سر من أسرارهم فقال وأعلم من الله مالا تعلمون (أو عجبتم) الالف ألف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه أ كذبتهم وعجبتم (أن جاءكم ذكركم من ربكم) يعنى وحيا من ربكم (على رجل منكم) تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكركم الكتاب الذى أنزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام سماه ذكرا كما سمى القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكركم المعجزة التى جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع أى مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع (لينذركم) يعنى جاءكم لاجل أن ينذركم (ولتتقوا) أى ولاجل أن تتقوا (ولعلكم ترجون) لان المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل مالا يذنبه والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة فى الدار الآخرة (فكذبوه)

وان بأسه لا يرد عن القوم الجرمين (أو عجبتم) الهمة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أ كذبتهم وعجبتم (أن جاءكم) من ان جاءكم (ذكركم) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم أى من جنسكم وذلك لانهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ماسه عناهم هذا فى آياتنا الاواين يعنون ارسال البشر ولو شاء بنا لانزال ملائكة (لينذركم) لينذركم عاقبة الكفر (واتتقوا) وتوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترجون) وترجو بالتقوى ان وجدت منكم (فكذبوه)

احيائها بعد موتها قادر على احياء الاجساد بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبيه والمتمثيل
لكي تعتبر واوتندكروا وتعلموا وان من فعل ذلك كان هو الذي يعيد ويحيي ﴿ قوله تعالى (والبلد الطيب)
يعنى والارض الطيبة التربة السهلة السمحة (يخرج نباته باذن ربه) يعنى اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن
الله عز وجل (والذي خبت لا يخرج) يعنى والبلد الذي خبت ارضه فهى سبخة لا يخرج يعنى لا يخرج
نباته (الانكدا) يعنى عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر فى المعنى يذم انسانا

لا تنجز الوعدان وعهدت وان * أعطيت أعطيت تافها نكدا

يعنى بالتافه القليل وبالنكد العسير ومعناه انك ان أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون
هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن والكافر فشبّه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبّه نزل القرآن على قلب
المؤمن بنزل المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن
اذا سمع القرآن آمن به واتقى به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحسنة وشبّه الكافر
بالارض الرديئة الغليظة السبخة التى لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع
به ولا يصدق ولا يزيد الاعتوا وكفر وان عمل الكافر حسنة فى الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها
فى الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما
ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبداة السبخة المالحلة التى خرجت منها البركة قال الكافر
خيبت وعمله خيبت وقال مجاهد هذا مثل ضرب به الله تعالى لادم وذريته كلهم منهم خيبت وطيب وبدل على
صحّة هذا التأويل ماروى عن ابي موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مثل ما بعنى الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة
قبلت الماء فانبثت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس
فثمرت اثمارها وسقاوا زرعها واواصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك
مثل من فقه فى دين الله عز وجل ونفعه ما بعنى الله تعالى به فعلم وعلم ومن لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى
الله تعالى الذى ارسلت به رجاى فى الصحيحين ﴿ وقوله تعالى (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)
يعنى كما ضرب بنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والايان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم
يشكرون الله تعالى على انعامه عليهم بالهداية وحيث جنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر
لانهم هم الذين اتفَعوا باسمع القرآن ﴿ قوله عز وجل (لقد ارسلنا نوحا الى قومه) اعلم ان الله تبارك
وتعالى لما ذكر فى الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنفته الدالة على توحيد ورؤيته
وأقام الدلالة القاطعة على صحّة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى
لهم مع أممهم وفى ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد
أعرض عنه سائر الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى
الخسار والهلاك فى الدنيا وفى الآخرة الى العذاب العظيم فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت
عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من الامم المكذبة وفى ذكر هذه القصص دليل على صحّة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق احد من علماء زمانه فلما أتى بمثل هذه القصص
والأخبار عن القرون الماضية والامم الخالية لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما أتى به من عند الله
عز وجل وانه أوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحّة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح
ابن المك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام ومعنى ارسلنا بعثنا وهو أول نبي بعثه الله

(والبلد الطيب) الارض
الطيبة التراب (يخرج نباته
باذن ربه) بتدبيره وهو موضع
الحال كأنه قيل يخرج
نباته حسنا وافيا لانه واقع
فى مقابلة نكدا (والذي
خبت) صفة للبلد أى
والبلد الخبيث (لا يخرج)
أى نباته خذف للاكتفاء
(الانكدا) هو الذى لا خير
فيه وهذا مثل لمن ينجع
فيه الوعد وهو المؤمن
ولن لا يؤثر فيه شئ من
ذلك وهو الكافر وهذا
التمثيل واقع على أثر مثل
ذلك المطر وانزاله بالبد
الميت واخراج الثمرات
به على طريق الاستطراد
(كذلك) مثل ذلك
التصرف (نصرف الآيات)
نردها ونكررها (لقوم
يشكرون) نعمته الله وهم
المؤمنون ليتفكروا فيها
ويعتبروا بها (لقد ارسلنا)
جواب قسم محذوف أى
والله لقد ارسلنا (نوحا الى
قومه) ارسل وهو ابن
خسين سنة وكان نجارا
وهو نوح بن ملك بن
متوشلخ بن اخنوخ وهو
اسم ادريس عليه السلام

يقول الربيع من روح الله تعالى تاني بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتقوها فلا تسبوها وأسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي رضي الله عنه بطوله وآخر جهه أبو داود في المسند عنه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الربيع عن عباده ثلاثة أيام لانتن أكثر أهل الأرض وقوله تعالى (حتى إذا أقلت سحبابا نقالا) يقال أقل فلان الشيء إذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من برفع شيأ براه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء ولم يكن فيه ماء سمي سحبابا لان سحابه في الهواء والمعنى حتى إذا حملت هذه الرياح سحبابا نقالا بما فيه من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين وهم اطراف السماء والأرض حيث يلتقيان فتخرج منه من ثم ثم تنشره فتبسطه في السماء كيف يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تتحرك تحركا شديدا فتثير السحاب ثم يضم بعضها الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى (سقناه ابلد ميمت) يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة ابلد ميمت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكروا ان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائزا نظرا الى اللفظ قال الازهرى رحمه الله تعالى قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر أو غير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة * للجن بالليل في حافاتها زجل

ومعنى الآية اننا سقنا السحاب الى بلد ميمت محتاج لانزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة (فانزلنا به الماء) اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ما اذا يعود فنال الزجاج رحمه الله وابن الانبارى جائزا ان يكون المعنى فانزلنا ابلد ميمت الماء وجائزا ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة انزال الماء (فاخر جنابه) يعني بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاجراخ الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخر جنابه بذلك الميت (من كل الثمرات) يعني وأخر جنابه ذلك البلد بعد موته وجد به من أصناف الثمار والزروع (كذلك تخرج الموتى) يعني كما أحيينا ابلد ميمت كذلك تخرج الموتى أحياء من قبورهم بعد فناتهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة انزال المطر أيضا قال أبو هريرة بن عباس رضي الله عنهما ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أو بعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية أو بعين يوم ما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تنشق الأرض ثم يرسل الأرواح فعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كما حيائه الأرض به وقيل انما وقع التشبيه باصل الأحياء والمعنى انه تعالى كما أحيى ابلد ميمت بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم أحياء بعد ان كانوا أمواتا وربما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على أن يحييهم ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم (اعلمكم تذكرون) الخطاب المتكبرى البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة مشرفة في أيام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الأزهار والأوراق والثمار ثم ان الله تعالى أحيى امرأ أخرى فالقادر على

أجل النعم (حتى إذا أقلت) حلت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطبق يرى ما يرفعه قليلا (سحبابا نقالا) بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالتقال لانت كما لو حمل الوصف على اللفظ لقييل ثقيل (ابلد ميمت) لاجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميمت مدني وحزة وعلى وحفص (فانزلنا به الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فاخر جنابه) من كل الثمرات كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو واخراج الثمرات (تخرج الموتى اعلمكم تذكرون) فيؤديكم التذكري الى الايمان بالبعث اذلا فرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما إعادة الشيء بعد نشأته

ودام كالميزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لأنه لم يرد به التوقيف قوله عز وجل (ادعوا ربكم) قيل معناه اعبدوا ربكم لأن معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولأنه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفاً وطعماً والماء مطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح لأن الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على إيصالها إلى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالحجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى (تضرعاً) يعني ادعوا ربكم تذلاً واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال تضرع فلان لفلان إذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعاً يعني تملقاً وحقيقته ان ندعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى (وخفية) يعني سرافى أنفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء أن يكون خفياً لهذه الآية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمعون لهم صوت إن كان الإهمسا بينهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وإن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً رضى فله فقال تعالى إذ نادى ربه نداء خفياً (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل الناس يجهرون بالكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته قال أبو موسى رضى الله عنه وأنا خلفه أقول لآحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس ألا ذلك على كثر من كنوز الجنة قالت بلى يا رسول الله قال لآحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم يعني ارفعوا بها وأقصر واعن الصياح في الدعاء ﴿ وقوله تعالى (انه لا يجب المعتدين) يعني في الدعاء وقال أبو مجزهم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها قال أي بنى سئل الله الجنة وتعذب من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الظهور والدعاء أخرجه أبو داود وقال ابن جريج الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يجب المعتدين وفتح بعض أر باب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخفية هل الأفضل اظهار العبادات أم لا فذهب بعضهم إلى ان اخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها لهذه الآية ولكونها أبعد عن الرياء وذهب بعضهم إلى ان اظهارها أفضل ليقترن به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفاً على نفسه من الرياء فالأولى اخفاء العبادات صواباً والعمله عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين إلى التمكين بحيث صار مبادئاً شائبة الرياء كان الأولى في حقه الاظهار لتحصل فائدة الاعتداء به وذهب بعضهم إلى أن اظهار العبادات المفروضات أفضل من اخفائها فالصلاة المكتوبة في المسجد أفضل من صلته في بيته وصلاته النفل في البيت أفضل من صلته في المسجد وكذلك اظهار الزكاة أفضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع أفضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات ﴿ قوله تعالى (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني ولا تفسدوا بها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء إلى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها بعبثة الرسل وبيان الشرائع والدعاء إلى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكبي وقال ابن عطية لا تفسدوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرت بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الآية ولا تفسدوا في الارض شيئاً

ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) نصب على الحال أي ذوى تضرع وخفية واتضرع تفعل من التضرعة وهي الذل أي تذلاً وتلقاً قال عليه السلام انكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريماً انه معكم أينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفاً (نه لا يجب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرفعين أصواتهم بالدعاء وعنده الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يجب المعتدين (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) أي بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو

تعالى الرحمن على العرش استوى قال انه مستوعب على عرشه كما أخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى أى استولى فقال له ابن الاعرابى ما يدريك أن العرب لا تقول استولى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فإيه ما غاب قيل لمن غاب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما تظنه البشر والله أعلم وقوله تعالى (يغشى الليل النهار) يعنى أنه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشى النهار بالليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه (يطلبه حينئذ) يعنى سر يعا وذلك أنه اذا كان يعقب أحدهما الآخر ويخلفه فكانه يطلبه حتى الامام نضر الدين الرازى عن القفال انه قال ان الله تعالى لما أخبر عباده باستوائه على العرش أخبر عن أمور الخلق على وفق مشيئته وأراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشهمة من كل الجهات قال الامام واعلم أنه سبحانه ونعلى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة أشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان فى أشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل وهى ألف فرسخ فلهذا قال تعالى يطلبه حينئذ السرعة حركته (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جارية فى مجاريها بامر الله وقال المفسرون يعنى بتسخيرهن تذييلهن لما يراد منها من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هى قادات بانفسهن وانما هن يتصرفن فى متصرفتهن على ارادة المدبر لهن الحكيم فى تديبرهن وتصرفهن على ما أراد منهن والمراد بالامر فى قوله بامر الله نفاذ ارادته لان الغرض من هذه الآية تبين عظمة قدرته ومنهم من جعل الامر على الامر الذى هو الكلام وقال انه تعالى أمر هذه الاحرام بالسير الدائم والحركة المستمرة لى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم أفردهما بالذكركم عطف عليهم ما ذكر النجوم قلت انما أفردهما بالذكركم لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما فى المنازل لتعرف الاوقات فهو كقولهم من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فعطف جبريل وميكائيل على ذكر الملائكة وان كانوا من الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة وقوله تعالى (ألا له الخلق والامر) يعنى له الخلق لانه خلقهم وله أن يامر فيهم بما أراد وله أن يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذى هو تقييد النهى واستخراج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فلهذا قال الله تعالى فرق بين الخلق والامر فن جمع بينهما فقد كفر يعنى من جعل الامر الذى هو كلامه تعالى من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل له معناه ان جميع ما فى العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو مجربها ومنبئها فلا يبقى بعد هذا الاحدثى وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة وفى الآية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل فقيه رد على من يقول ان الشمس والقمر والكواكب تاتي فى هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غير الله والامر والنهى الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لاعتراض لاحد من خلقه عليه (تبارك الله) يعنى تمجد وتعظيم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة لكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظيم الله (رب العالمين) يعنى انه هو الذى يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وذكر اسماء من تعظيم خلقه وان له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الآية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه باس. ويتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت

(يغشى الليل النهار) يغشى
جزرة وعلى وأبو بكر رأى
يلحق الليل بالنهار والنهار
بالليل (يطلبه حينئذ) حال
من الليل. ل أى سر يعا
والطالب هو الليل كأنه
لسرعة. ضيه يطلب النهار
(والشمس والقمر
والنجوم) أى وخلق
الشمس والقمر والنجوم
(مسخرات) حال أى
مذلات والشمس والقمر
والنجوم مسخرات شامى
والشمس مبتدأ والبقية
معطوف. عامها والخبير
مسخرات (بأمره) هو
أمر تكوين ولما ذكر انه
خلقهن مسخرات بأمره
قال (ألا له الخلق والامر) أى
هو الذى خلق الاشياء
وله الامر (تبارك الله)
كترخيره أودام بره من
البركة التمام أو من
البروك الثبات ومنه البركة
(رب العالمين)

البعوى أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به وبكل العلم به إلى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة أقرؤها كما جاءت بلا كيف وقال الامام نضر الدين الرازي رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الاول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا تخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله تعالى وهو الذي قررنا في تفسير قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان تخوض في تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال ثل عرشه أي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تديره العالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم تبيينها على عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الأمر فقله يدبر الأمر جري مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش وأورد على هذا القول أن الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزّه عن ذلك وأجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكا لها لكن لا يصح أن يقال شبع زيد الأبعد أكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح أن يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني أن يكون استوى بمعنى استولى وهذا المذهب المعتزلة وجاعلة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مہراق

وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه أعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها وامتوليا عليها فاي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن أبي الحسن الاشعري أن الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استواء كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء الا أنه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش ثم التراخي والتراخي انما يكون في الافعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكي الاستاذ أبو بكر بن فورك عن بعض أصحابنا أنه قال استوى بمعنى علا من العلوق ولا يريد بذلك علا بالمسافة والتعجيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفى التعجيز عنه وأنه ليس مما يحويه طبق أو يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي رحمه الله تعالى وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد أشار أبو الحسن الاشعري إلى هذه الطريقة فكأنه قال بعض أصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو أن الله تعالى مستوع على عرشه وأنه فوق الاشياء بائن منها بمعنى أنه لا تحل ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وايمت البيهقي بالهزلة تعالى الله ربنا عن الحول والماساة علوا كبيرا وقد قال بعض أصحابنا ان الاستواء صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروى أن ابن الاعرابي جاءه رجلا فقال يا أبا عبد الرحمن ما معنى قوله

وطحاها وأخرج ماءها ومرعها وخالق دوابها وحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخالق آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجمع ما فيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخالق آدم يوم الجمعة وأسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم أهبطهما الى الارض في آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل أول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خالق وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خالق العرش ثم خالق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها أولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خالق آدم آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة أيام من أيام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كما منح بالبرص فما الفائدة في خلق السموات والارض في ستة أيام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا أنه تعالى جعل لكل شئ حدا محددا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت المقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لحظة فخلقهن في ستة أيام ليعلمها خلقه التثبت والتأني في الامور كما في الحديث التأني من الله والجملة من الشيطان وقيل ان الشئ اذا أحدث دفعة واحدة فله ان يخطر ببال بعضهم أن ذلك الشئ انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا أحدث شئ بعد شئ على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى أراد ان يوقع في كل يوم أمرا من أمره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم من شاهده وقيل ان التمجيل في الخلق أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة والتثبت أبلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما أظهر قدرته في خلق الاشياء بكن فيسكون ﴿﴾ وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) العرش في اللغة السرير وقيل هو ماعلا فأظل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان نزل عرشه بمعنى ذهب عزه ومملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما يذهب اليه أهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حامله تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كما هو قال أما الاستواء فالتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنهج مندهم في أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب أنه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فاطرق مالك وأخذته الرضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق مالك برأسه حتى علت الرضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الامتداعا فمر به أن يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه واليه ذهب أحمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي قال

(ثم استوى) استولى
 (على العرش) أضاف
 الاستيلاء الى العرش وان
 كان سبحانه وتعالى
 مستوليا على جميع المخلوقات
 لان العرش أعظمها
 وأعلاها وتفسير العرش
 بالسرير والاستواء
 بالاستقرار كما قوله المشبهة
 باطل لانه تعالى كان قبل
 العرش ولا مكان وهو الآن
 كما كان لان التغيير من
 صفات الاكوان والمنقول
 عن الصادق والحسن وأبي
 حنيفة ومالك رضي الله
 عنهم ان الاستواء معلوم
 والتكليف فيه مجهول
 والايمان به واجب والجحود
 له كفر والسؤال عنه بدعة

أقروا على أنفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار أقروا بان الذي
 جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والخشوع والنشر والبث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق
 وانما أقروا بهذه الاشياء لانهم شاهدوا معانيته وذلك حين لا ينفعهم ولمسوا وأأنفسهم في العذاب قالوا (فهل
 لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ونرد فنعلم غير الذي كنا نعمل) يعني أنه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن
 فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعة فينا فيخلصنا من هذا العذاب أو نرد الى الدنيا
 فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان بالمعاصي بالطاعة والابانة (قد خسرنا
 أنفسنا) يعني ان الذي طلبوا لا يحصل لهم فحين خسرانهم واهلاكهم أنفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول
 مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا الى الدنيا العباد والى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله
 تعالى فيهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا
 من ان الاصنام تشفع لهم فلما أفضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا أنهم كانوا في دعواهم كاذبين
 ﴿قوله عز وجل (ان ربكم الله) يعني ان سيدكم ومالككم ومصليح أموركم وموصل الخيرات اليكم والذي
 يدفع عنكم المكروه هو الله (الذي خلق السموات والارض) أصل الخلق في اللغة التقدير ويستعمل في
 ابداع الشيء من غير أصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خالق السموات والارض يعني أبداعهما وانشأ خلقهما
 على غير مثال سبق وقد رآحوالهما (في ستة أيام) فان فات اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار
 هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة أيام ولم يكن شمس ولا سماء فات معناه في مقدار ستة
 أيام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها
 ولا نهار واختلاف العلماء في اليوم الذي ابتداء الله عز وجل خلق الاشياء فيه قيل في يوم السبت وهو قول
 محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه
 قال أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد
 وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المسكر وهو يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس
 وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل
 وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد أنكره بعض العلماء ما فيه من المخالفة لآية الكريمة
 لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة أيام وقال في آية أخرى ولقد خلقنا السموات والارض
 وما بينهما في ستة أيام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكل في ستة أيام والذي في الحديث ان
 بعض الخلق وقع في سبعة أيام وذلك مجموع أيام الاسبوع فلهذا السبب أنكره من أنكره من العلماء وقد
 ذكر الازهرى في كتابه تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن النباري السبت القطع وسمى يوم
 السبت لان الله تعالى ابتداء الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق
 كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال
 طبري خالق الله السموات والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس
 والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدأ خلق العرش والماء والهواء وخالقت الارض من الماء وبدأ الخلق
 يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتمتدت اليهود في يوم السبت
 ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وبعض هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمى
 سابع الاسبوع سبئاً لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خالق قال أصحاب
 الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض بلاد حوولابسط في يوم الاحد والاثنين
 ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها

(هل لنا من شفعاء فيشفعوا
 لنا) جواب الاستفهام
 (أورد) جملة معطوفة على
 جملة قبلها اذا خلط معها في حكم
 الاستفهام كأنه قيل فهل لنا
 من شفعاء وهل نرد رافعه
 وقوعه موقفاً يصلح للاسم
 كقولك ابتداء هل يضرب
 زيدا وعطف على تندير هل
 يشفع لنا شفاعة وهل نرد
 (فنعلم) جواب الاستفهام
 أيضا (غير الذي كنا نعمل
 قد خسرنا أنفسنا) وضل
 عنهم ما كانوا يفترون
 ما كانوا يبدونه من الاصنام
 (ان ربكم الله الذي خلق
 السموات والارض في ستة
 أيام) أراد السموات
 والارض وما بينهما وقد
 فصلها في حم السجدة أي
 من الاحد الى الجمعة لاعتبار
 الملائكة شيئاً فشيئاً والاعلام
 بالتأني في الامور ولان لكل
 عمل يوماً ولان انشاء شيء
 بعد شيء أدل على عالم مدبر
 مر يدبصره على اختياره
 ويجريه على مشيئته

أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو عما رزقكم الله قالوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما صار أصحاب الاعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الصرح فقالوا يا ربنا إن قرابات من أهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونسلكهم فيأذن لهم فينظرون إلى قراباتهم في الجنة ويأمرهم فيه من التعميم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم أسود وجوههم فينادون أي أصحاب النار أصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول قد احترقت فض على من الماء فيقال لهم أجيئوهم فيقولون إن الله حرّمها على الكافرين ومعنى الآية أن أهل النار يستغيثون بأهل الجنة إذا استقر وأفيها وذلك عند نزول البلاء بأهل النار وما يقون من شدة العطش والجوع عقوبة لهم من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول أهل النار لأهل الجنة يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء أو عما رزقكم الله يعني وأطعمونا مما رزقكم الله وسعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم أهل الجنة بقولهم (إن الله حرّمها على الكافرين) وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الأكل والشرب عندهم الله في الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الأكل والشرب فأجيبوا بأن الله حرّمها على الكافرين يعني طعام الجنة وشربها بهم وصف الكافرين فقال تعالى (الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً) يعني أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم وهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه وبهمه يقال هوت بكذا وهوت عن كذا أي اشتغلت عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المستهزون وذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخر وا من دعاهم إليه وهزوا به استهزأ به الله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحائر والسوائب والمكاء والتصديّة حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه هواً ولعباً لا يذكر الله فيه (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني وخذعهم عاجل ما هم فيه من حسب العيش ولذته وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الإيمان بالله ورسوله وعن الأخذ بنصيبتهم من الآخرة حتى أنهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة وهو طمع الإنسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فإذا حصل له ذلك صار محجوباً عن الدين وطلب الخلاص لأنه غر في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال (فاليوم) يعني يوم القيامة (ننساهم) نساهاهم كأنسوا لقاءهم في العذاب المهين جيا عا عا شاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس رضي الله عنهما نسيتهم من الخبر ولم ينسهم من الثمر وقيل معناه نعامهم معاملة من نسي فنتركهم في النار كما تركوا العمل وأعرضوا عن الإيمان اعراض الناصي سمي الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على المجاز لأن الله تعالى لا ينسى شيئاً فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثله فيكون المراد من هذا النسيان أن الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وزلنهم بل يتركهم في النار كما تركوا الإيمان والعمل (وما كانوا يأتنا سبحانه) يعني ونتركهم في النار كما كانوا يأتنا وحدهم لا يأتنا بغيره (ولقد جئناهم بكتاب) يعني ولقد جئناهم هؤلاء الكفار بالقرآن الذي أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه على علم) أي بيناه على علم منابه ونفصله ونبينه (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) أي جعلنا القرآن هادياً ودارجة لقوم يؤمنون (هل ينظرون) يعني هل ينظرون هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآياتنا وحجودها ولم يؤمنوا بها (الاتأويله) يعني هل ينظرون ويتوقعون الاما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وإن مصيرهم إلى النار واتأويل ما يؤول إليه النبي (يوم يأتي تأويله) يعني يوم القيامة لأنه يوم الجزاء وما تؤول إليه أمورهم (يقول الذين نسوه من قبل) يعني يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معابنة العذاب (قد جاءت رسلنا بالحق) يعني

رزقكم الله) من غيره من الاثربة لدخوله في حكم الافاضة أو أريد وأقوا علينا ما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقولك علفها تبنها وما بارداً أي وسقيتها وانما سألو ذلك مع بأسهم عن الاجابة لان المتعجب ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قالوا ان الله حرّمها على الكافرين) هو تحريم منع كافي وحرمانا عليه المراد وتوقف هنا ان رفعت أو نصبت ما بعده ذما وان جرته وصفا للكافرين فلا (الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً) فخرموا واحلوا ماشاؤا أو دينهم عيدهم (وغرتهم الحياة الدنيا) اغتروا بطول البقاء (فاليوم نساهاهم) نتركهم في العذاب (كأنسوا لقاء يومهم) هذا وما كانوا يأتنا بغيره (أي كأنسوا لقاءهم) ووجدتهم (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه (على علم) عالمين بكيفية تفصيل أحكامه (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كما كان على علم حال من رفوعه (لقوم يؤمنون هل ينظرون) ينظرون (الاتأويله) الا

عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد (يؤذي تأويله) يقول الذين نسوه من قبل) تركوه وأعرضوا عنه (قد جاءت رسلنا بالحق) أي تبين وصحة أنهم جازوا بالحق فاقروا حين لا ينفعهم

(يعرفون كلا) من زمرة السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه وتضارنها وسيا الكافرين سواد الوجوه
وزرقة العيون (ونادوا) أى أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) (٩٧) انه سلام أو أى سلام وهو

تمنئة منهم لاهل الجنة
(لم يدخلوها) أى أصحاب
الاعراف ولا محل له لانه
استئناف كأن سائلا سأل
عن أصحاب الاعراف
فقبل لم يدخلوها (وهم
يطمعون) فى دخولها وله
محل وهو صفة لرجال (وإذا
صرفت أبصارهم) أبصار
أصحاب الاعراف وفيه ان
صارفا يصرف أبصارهم
لينظروا فيستعينوا
(تلقاء) ظرف أى ناحية
(أصحاب النار) ورأوا
ماهم فيه من العذاب
(قالوا بنا لتجملنا مع القوم
الظالمين) فاستعاذوا
بالله وفرعوا الى رحمة
أن لا يجعلهم معهم (ونادى
أصحاب الاعراف رجالا)
من رؤس الكفرة
(يعرفونهم بسيماهم) قالوا
ما أغنى عنكم جمعكم المال
أو كثرتمكم واجتماعكم وما
افية (وما كنتم تستكبرون)
واستكباركم على الحق
وعلى الناس ثم يقولون لهم
(اهؤلاء) مبتدأ (الذين)
خبر مبتدأ مضمرة تقديره
هؤلاء هم الذين (أقسمتم)
حلقتهم فى الدنيا والمنشار اليهم
فقراء المؤمنين كصهيب
وسلمان ونحوهما (لا ينالهم
الله برحمة) جواب أقسمتم
وهو داخل فى صلة الذين

يعرفون أهل الجنة وأهل النار فقبل لاني مجازان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وأنت تقول انهم
ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبرى قول أبى مجاز قال لان لفظ الرجال فى لسان
العرب لا يطلق الاعلى الذكور من بنى آدم دون انانهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان أصحاب
الاعراف أفضل من أهل الجنة لانهم أعلى منهم منزلة وأفضل وقيل انما جلسهم الله فى ذلك المكان العالى
لميزوا بين أهل الجنة وبين أهل النار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿وقوله عز وجل﴾ (يعرفون كلا
بسيماهم) يعنى أن أصحاب الاعراف يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم
ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة الدالة على شئ وأصله
من السمعة قال ابن عباس رضى الله عنهما أصحاب الاعراف اذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم بياض الوجوه
وذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان أصحاب الاعراف من استوت حسنتهم وسياتهم
وهم دون أهل الجنة فى الدرجة كان وقوفهم على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رأوا
أهل الجنة عرفوهم بياض وجوههم نادوهم أن سلام عليكم وهو قوله تعالى (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام
عليكم) يعنى نادى أصحاب الاعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم سلمتكم من الآفات وحصل لكم الامن
والسلامة واذا رأوا أهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا بنا لتجملنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان
أصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من أهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على أهل الجنة
وأهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى لدرجات العلية فى الجنة ﴿وقوله تعالى﴾ (لم يدخلوها وهم يطمعون)
يعنى فى دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة يريد بهاهم ﴿وقوله تعالى﴾
(واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) يعنى واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار
يعنى وجهاهم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وماهم فيه من العذاب (قالوا بنا لتجملنا مع
القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان أصحاب الاعراف
اذا نظروا لاهل النار وعرفوهم قالوا بنا لتجملنا مع القوم الظالمين والمعنى ان أصحاب الاعراف اذا نظروا
الى أهل النار وما فيه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم معهم من ﴿وقوله تعالى﴾ (ونادى
أصحاب الاعراف رجالا) يعنى ونادى أصحاب الاعراف رجالا كانوا اعظما فى الدنيا وهم من أهل النار
(يعرفونهم بسيماهم) يعنى بسيما أهل النار (قالوا) يعنى أصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم فى النار
(ما أغنى عنكم جمعكم) يعنى ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد فى الدنيا (وما كنتم تستكبرون) يعنى
وما أغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيا قال السكبي بنادونهم وهم على السور ياوليد بن المغيرة يا أبا جهل بن
هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل
سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباهم فيقول أصحاب الاعراف لا أولئك الكفار (اهؤلاء) لفظ
استفهام يعنى هؤلاء الضعفاء (الذين أقسمتم) بالله (لا ينالهم الله برحمة) يعنى انكم حلقتهم انهم لا يدخلون
الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) بفضلى ورحمتى (لا خوف عليكم
ولا أنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف اذا قالوا لاصحاب النار ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار ان
أولئك دخلوا الجنة وأنتم لم تدخلوها فيه وبنوهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة
فتقول الملائكة لاهل النار اهؤلاء يعنى أصحاب الاعراف الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملائكة
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴿وقوله عز وجل﴾ (ونادى

(١٣ - خازن - ثابى) تقديره أقسمتم عليهم بان لا ينالهم الله برحمة أى لا يدخلهم الجنة يحقرهم وهم انفقهم فيقال لاصحاب
الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) ونادى

الجنة والنار وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما
حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله (وعلى الاعراف رجال) الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من
الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على مساواه من الجسد سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار أعرف
وأبين مما انخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضى الله
عنهما الاعراف النبي المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبال بين الجنة
والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم
انهم على الاعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة انه سئل عن أصحاب الاعراف
فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتخالفت بهم حسناتهم عن النار
فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة
بين الجنة والنار فهم لامن أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضلهم ورحمته لانه ليس
في الآخرة دار الا الجنة أو النار وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت
حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخفف ويثقل
بمقال حبة من خردل ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا
نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا انجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك
يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اذا عمل
العبد حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم قال هلك من غلب آحاده عشراته وقال
ابن عباس رضى الله عنهما الاعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف هم قوم استوت حسناتهم
وسيئاتهم فهم بذلك المسكان حتى اذا أراد الله تعالى أن يعاقبهم اطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافظه
قصب الذهب مكال بالثؤثر اترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون
بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ماشتم فبتمنوا حتى اذا انقطعت
أمنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال
شرح جليل بن سعد أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو من غير اذن آبائهم ورواه الطبري بسنده إلى يحيى بن
غيل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب
الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصابة لا بأثم فقتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا
الجنة زاد في رواية فهم آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضى آبؤهم دون أمهاتهم وأمهم
دون آبائهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن أبي صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهم
أولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر أم أصحاب الاعراف إلى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا
في الفترة الله أعلم بحالهم وهو يتولى أمرهم وقيل انهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع
معناه إلى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة
في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء
فعلى هذا القول انما يكون انهم على الاعراف على سبيل النزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم
أنبياء حكاه ابن النباري وانما جلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر أهل القيامة واظهارا
لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكفونوا مشرفين على أهل الجنة والنار ومطاعين على أحوالهم ومقادير ثواب
أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مجاز وأصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسماهم يعنى

(وعلى الاعراف) على
أعراف الحجاب وهو السور
المضروب بين الجنة والنار
وهي أعاليه جمع عرف
استعبر من عرف الفرس
وعرف الديك (رجال)
من أفاضل المسلمين أو
من آخرهم دخولا في الجنة
لاستواء حسناتهم
وسيئاتهم أو من لم يرض
عنه أحد أبويه أو أطفال
المشركين

الجنة) ان مخففة من الثقبلة واسمها محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بانهم تلسم الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أى كأنه قيل وقيل لهم تلسم الجنة (أورثتموها) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها مافى تلك من معنى الإشارة (بما كنتم تعملون) سماها ميرانا لانها لا تستحق بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت (٩٥) ليس بعوض عن شيء بل هو صلة

خالصة وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحا عليه السلام وأهل الجنة والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح عليه السلام ولا يذنبكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال أهل الجنة وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقال أهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فبما أغويتني (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا) أن مخففة من الثقبلة أو مفسرة وكذلك أن لعنة الله على الظالمين (ما وعدنا ربنا) من الثواب (حقا) حال (فهل) وجدتم ما وعدكم ربكم من العذاب (حقا) وتقديره وعدكم ربكم بخذفكم لدلالة وعدنا ربنا عليه وإنما قالوا لهم ذلك شمانة بأصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى (قالوا نعم) وبكسر العين حيث كان على (فأذن مؤذنا بينهم) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة

الجنة) يعنى ونادى مناديا أهل الجنة ان هذه الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها فى الدنيا واختلفوا فى المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون فى الجنة (م) عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تصحوا فلا تسموا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تتعموا فلا تنبأوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلسم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى (أورثتموها بما كنتم تعملون) روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زادى رواية فذلك قوله تعالى أورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله أموات غير أحياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفى الشرح ان الأحياء يرثون الأموات فقال أورثتموها يعنى ان المؤمن سحى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه فى حكم الميت وقيل معناه ان أسرهم يؤل الى الجنة كما ان الميراث يؤل الى الوارث وقيل أورثتموها عن الأعمال الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت لهم جزاء وثوابا على الأعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة أحد بعمله وإنما يدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال وقيل ان العمل الصالح ان يناله المؤمن ولن يبلغه الا برحمة الله تعالى وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة كان دخول الجنة فى الحقيقة برحمة الله تعالى وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الأعمال الصالحة التي عملوها فى دار الدنيا والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) يعنى ونادى أهل الجنة أهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقراء أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار تقول أهل الجنة يا أهل النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) يعنى ما وعدنا فى الدنيا على أنسنقرسله من الثواب على الايمان به وبرسوله وطاعته حقا (فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا) يعنى من العذاب على الكفر (قالوا نعم) يعنى قال أهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار ومن البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع بوزع الفرد على الفرد فكيف فر يق من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار فى دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة فى السماء والنار فى الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالتقريب ﴿ وقوله تعالى ﴾ (فأذن مؤذنا بينهم) يعنى نادى مناد وأعلم لان أصل الاذان فى اللغة الاعلام والتعنى نادى مناد أسمع القر يقين وهذا المنادى من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدى (أن لعنة الله على الظالمين) يعنى يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعنى الذين يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (ويبغونها عوجا) يعنى ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه الله فاخطوا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعنى وهم يكون الآخرة واقعة جاحدون منكرين لها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ويبينهم ما حجب) يعنى بين

والنار (أن لعنة الله على الظالمين) أن لعنة مكي وشامى وحزرة وعلى (الذين يصدون) يمنعون (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها عوجا) مفعول ثان ليبغون أى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) بالآخرة (كافرون ويبينهم) وبين الجنة والنار أو بين الفريقين (حجاب) وهو السور المذكور فى قوله فضررب بينهم بسور

من شرائع دينه وعمالوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهواهم عنه لانكاف نفسا الاوسعها يعنى لانكاف نفسا الايسعها من الاعمال وما يسهل عليها وبدخل في طوقها وقد رتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الاما افترض عليها يعنى الذى افترض عليها من وسعها الذى تقدر عاياه ولا تججز عنه وقد غاظ من قال ان الوسع بذل المجهود وقال أكثر أصحاب المعاني ان قوله تعالى لانكاف نفسا الاوسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعمالوا الصالحات (وأنتك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لانكاف نفسا الاوسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لأنه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطافتهم وغير خارج عن قدرهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحامياتها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كافة ولا مشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعاني هو من تمام الخبر موضعه رفع والعائد محذوف كأنه قال لانكاف نفسا منهم الاوسعها خذف العائد للعلم به ﴿﴾ قوله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) يعنى وقلعنا وأخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحقده وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية أن لنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شئ خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوسوس ودفعها عن ان ترد على القاب روى عن علي رضي الله عنه قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه أيضا انه قال اني لارجوان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار في حبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لا حسد لهم أهدي بمنزلة في الجنة منه بمنزلة في الدنيا وقال السدي في هذه الآية ان أهل الجنة اذا سبقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقيها عينان فشر بوا من احدهما في نزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فخرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعروا وان يشعروا بعدا بدأ وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض أهل الجنة أعلى من بعض وأخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العلية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن الانسان يرى الدرجات العلية والنعيم العظيمة وهو محبوس عنهما لا يصل اليها ولا يميل بطبعه اليها ولا يغم بسبب حرمانه منها وان كان في لذة ونعيم وأجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب أهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة في النعيم الذى هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد أحدا أبدا ويهدا نعيمه ولذته وكل سروره وهو بحسنة ﴿﴾ وقوله تعالى (تجربى من تحتهم الانهار) لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على أهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحق من صدورهم أخبر بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) يعنى ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وأرشدنا للعمل الذى هدانا به وفضل علينا به رحمة منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) يعنى وما كنا لنرشد لتلك العمل الذى هدانا به لولا أنه أرشدنا لله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الآية دلائل على ان المهتدى من هداه الله ومن لم يمهده الله فليس بهتد (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) يعنى ان أهل النعيم اذا دخلوا هاورا واما أعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعنى انهم رأوا ما وعدهم به الرسل عيانا (ونودوا أن نلکم

أى مشقة (أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب الجنة) والجملة خبر للذين ولانكاف نفسا الاوسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر (هم فيها خالدون) ونزعنا ما في صدورهم من غل) حقد كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم الا التوادد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجوان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجربى من تحتهم الانهار) حال من هم في صدورهم والعمل فيها معنى الاضافة (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان (وما كنا بغير واوشامى على أنها جملة ووضعنا للاولى (لنهتدى لولا ان هدانا الله) اللام لتوكيد النفي أى وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان اطفة لنا وتنبهنا على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك مروراً بما نالوا واظهار لما اعتقدوا (ونودوا أن نلکم

بما كنتم تكسبون) بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف على فضل أو من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لهم أبواب السماء لا يؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة اذهى فى السماء أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أو لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين الى السماء وبالتناء مع التخفيف أبو عمرو وبالباء معه حزة وعلى (ولا يدخلون الجنة حتى بلج الجبل فى سم الخياط) حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة أى لا يدخلون الجنة أبدا لانه علقه بما لا يكون والخياط والخيط ما يخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذى وصفنا (نجزى المجرمين) أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) غطية جمع غاشية (وكذلك نجزى الظالمين) أنفسهم بالكفر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكاف نفسا الاوسعها) طافتها والتكليف الزام مافيه كافة

وهذا يحتمل أن يكون من قول القادة للاتباع والامة الاولى للاخرى التى بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى يعنى يقول الله للجميع فدقوا العذاب (بما كنتم تكسبون) يعنى بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ قوله عز وجل (ان الذين كذبوا بآياتنا) يعنى كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسالنا (واستكبروا عنها) أى وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها أو تفوا عن اتباعها والانتقاد لها والعمل بمقتضاها تكبرا (لا تفتح لهم أبواب السماء) يعنى لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل فى وقت حياتهم قول ولا عمل لان أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكرم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضى الله عنهم لا تفتح أبواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جرير لا تفتح أبواب السماء لاعمالهم ولا لارواحهم وروى الطبرى بسنده عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها الى السماء فل يصعدون بها فلا يرون على ملائ من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان باقبح أسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهبوا بها الى السماء فيستمتعون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يبلج الجبل فى سم الخياط وقيل فى معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا يبرئ عليهم من البركة والخير والرحمة شئ ﴿ وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يبلج الجبل فى سم الخياط) الولوج الدخول والجبل معروف وهو الذ كرم من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط والخيط ما يخاط به والمراد به الابرة فى هذه الآية وانما خص الجبل بالذ كرم من بين سائر الحيوانات لانه أكبر من سائر الحيوانات جسمها عند العرب قال الشاعر * جسم الجبال وأحلام العصافير * وصف من بهجاه بهذا الجسم مع صغر العقل جسم الجبل من أعظم الاجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجبل مع عظم جسمه فى ثقب الابرة الضيق محالاً فكذلك دخول الكفار الجنة محال وما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالاً ثبت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مأبوس منه قطعاً وقال بعض أهل المعاني لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجبل فى سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفياً لدخولهم الجنة على التأييد وذلك لان العرب اذا علق ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا آتيك حتى يشيب الغراب وبييض القمار ومنه قول الشاعر اذا شاب الغراب أتيت أهلى * وصار القمار كالابن الحبيب

﴿ قوله تعالى (وكذلك نجزى المجرمين) أى ومثل الذى وصفنا نجزى المجرمين يعنى الكافر ين لانه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين الله عز وجل أن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً بين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) يعنى لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتهد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط (ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهى الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظى والضحاك والسدى المهاد الفراش والغواش اللحاف (وكذلك نجزى الظالمين) يعنى وكذلك نكافى ونجازى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها ﴿ قوله عز وجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكاف نفسا الاوسعها) لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم فى الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم فى الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله اليه وتنزله عليه

يقصون عليكم آياتي) يقرؤن عليكم كتي وهو في موضع رفع صفة لرسول وجواب الشرط (فن اتقى) الشرك (وأصلح) العمل منكم (فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون) أصلاً فلاخوف يعقوب (والذين كذبوا) منكم (بآياتنا واستكبروا عنها) تعظموا عن الإيمان بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فن أظلم) فن أشنع ظمناً (عن افتري على الله كذباً وكذب ما يانه) ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ما كتب لهم من الرزاق والاعمار (حتى إذا جاءتهم رسلنا) ملك الموت وأعوانه وحتى غاب عنهم نصيبهم واستيقظهم له وهي حتى التي يتبدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا (يتوفونهم) يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أي متوفهم وما في (قالوا أينا كنتم ندعون) في خط المصحف موصولة بين وحققا أن تكتب مفضولة لأنها موصولة والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون (من دون الله) ليدعوا عنكم

وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فن اتقى وأصلح يعني منكم وإنما قال رسول بلفظ الجمع وإن كان المراد به واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الأنبياء وهو مرسل إلى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فإلى هذا يكون الخطاب في قوله ياني آدم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل أراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله ياني آدم عام في كل بني آدم وإنما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم لأن الرسول إذا كان من جنسهم كان أقطع اعذرهم وأثبت للحجة عليهم لأنهم يعرفونه ويعرفون أحواله فإذا أناهم بما لا يليق بقدرته أو بقدره أمثاله علم أن ذلك الذي أتى به معجزته وله حجة على من خالفه (يقصون عليكم آياتي) يعني يقرؤن عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي (فن اتقى) يعني فن اتقى الشرك ومخالفة رسلي (وأصلح) يعني العمل الذي أمرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيتك عنه (فلاخوف عليهم) يعني حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولا هم يحزنون) يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها (والذين كذبوا بآياتنا) يعني ومن سجدوا آياتنا وكذبوا بآياتنا (واستكبروا عنها) يعني واستكبروا عن الإيمان بها وما جاءت به رسلنا (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني لا يخرجون منها أبداً ﴿قوله تعالى﴾ (فن أظلم من افتري على الله كذباً) يعني فن أعظم ظلماً ممن يقول على الله ما لم يقله أو يجعل له شريكاً من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد (أو كذب بآياته) يعني أو كذب بالقرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قواين أحدهما أن المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله كذباً وبوجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فأنذرتكم ناراً تظلي وفي قوله إذا اغلغلت في أعناقهم فهذه الأشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني أن المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبيرة وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الأعمال وقال في رواية أخرى عنه من عمل خيراً جوزي به ومن عمل شراً جوزي به وقال قتادة جزء أعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خيراً وشره قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً وقال الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الأعمال والرزاق والاعمار فإذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول الآخر وقال لأن الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فإبان أن الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فإذا فرغ توفيتهم رسل ربهم قال الامام غفر الدين رحمه الله تعالى وإنما حصل الاختلاف لأن لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حله على العمر والرزق أولى لأنه تعالى بين أنهم وإن بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فإنه ليس بما منع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلاً من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا ويتوبوا ﴿قوله تعالى﴾ (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعني حتى إذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعني قال الرسل وهم الملائكة لا لكفار (أينما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال توبيخ وتقرير وتبكيك لاسؤال استعمال والمعنى أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعواهم ليدعوا عنكم ما نزل بكم وقيل إن هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى

على الآخر لا اختصاص كل واحد منهما بما صاحبه ولا يرضى أن يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره وأما الغيرة في وصف الله تعالى فهو ممنوعه من ذلك وتحرى به له وبدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل أن تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله أعلم وقوله تعالى (والأثم) يعني وحرم الأثم واختلّفوا في الفرق بين الفاحشة والأثم فقيل الفواحش الكبائر لأنه قد تفاحش قبجها وتزايد الأثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل إنما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والأثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الأول واعترض على هذين القولين بأن الأثم في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل إن الفاحشة اسم للكبيرة والأثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيراً أو صغيراً والفائدة فيه أن يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل إنما حرم ربي الفواحش أردفه بتحرى مطلق الذنب لتلايته وهم متوهم أن التحريم مقتصور على الكبائر فقط وقيل إن الفاحشة وإن كانت بحسب اللغة اسم الكل ما تفاحش من قول أو فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصاً بالزنا لأنه إذا أطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه إلا ذلك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وأما الأثم فقد قيل إنه اسم من أسماء الجور وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهرى قد تسمى الجرائم واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الأثم حتى ضل عقلي * كذا الأثم بذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى أن تسمية الجور بالأثم صحيح لأن شر بها الأثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وأنكر أبو بكر بن الأنباري تسمية الجور بالأثم قال لأن العرب ما سمتهم أمما فقط في جاهلية ولا في الإسلام ولكن قد يكون الجور داخل تحت الأثم لقوله قل فيهما أثم كبير ﴿وقوله تعالى (والبغى) أي وحرم البغى (بغير الحق) والبغى هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كما هو معنى البغى بغير الحق هو أن يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ما له بحق خرج من أن يكون بغياً (وأن تشركوا) أي وحرم أن تشركوا (بالله ما لم ينزل به سلطاناً) هذا فيه منكم بالمشركين والكفار لأنه لا يجوز أن ينزل بحجة وبرهان بان يشرك به غيره لأن الأقرار بشئ ليس على ثبوته بحجة ولا برهان فلهذا تمتنع فلهذا تمتنع حصول الحجية والبيينة على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلاً على الإطلاق * فإن قلت البغى والشرك داخلان تحت الفاحشة والأثم لأن الشرك من أعظم الفواحش وأعظم الأثم وكذا البغى أيضاً من الفواحش والأثم * قلت إنما أفردهما بالذکر لثبوتيه على عظم قبجهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البغى والشرك فكأنه بين جلته ثم تفصّل به ﴿وقوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) تقدم تفسيره ﴿وقوله تعالى (ولكل أمة أجل) الأجل الوقت الموقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الأجل المذكور في الآية قولان أحدهما أنه أجل العذاب والمعنى إن لكل أمة كذبت رسالها وقتها معيناً وأجلها سمي أمهاتهم الله إلى ذلك الوقت (فاذا جاء أجلهم) يعني فاذا حل وقت عذابهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وإنما ذكر الساعة لأنها أقل أسماء الأوقات في العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فأخبرهم الله تعالى أن لهم وقتاً إذا جاء ذلك الوقت وهو وقت أهلهم واستنصاهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني أن المراد بهذا الأجل هو أجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الأجل وحضر الموت فلا يؤخرون ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم أن يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وإنما قال تعالى لكل أمة انتقارب أعمار أهل كل عصر فكأنهم كانوا في مقدار العمر وعلى هذا القول أيضاً يكون المقبول ميتاً باجته خلافاً لمن يقول القاتل قطع عليه أجله ﴿وقوله عز وجل (يا بني آدم ائبنا بكم رسلكم) هي إن الشرطية ضمت اليها ماؤ كدة لعنى الشرط لأن ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رسلكم)

سرهما وعلانيتهما (والأثم) أي شرب الخمر أو كل ذنب (والبغى) والظلم والكبر (بغير الحق) متعاقب بالبغى ومحل (وأن تشركوا) بالله ما لم ينزل به سلطاناً) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصرى وفيه منكم اذ لا يجوز أن ينزل برهاناً على أن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وأن تقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وقت معين بينهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل في الأمهال (يا بني آدم ائبنا بكم رسلكم) هي إن الشرطية ضمت اليها ماؤ كدة لعنى الشرط لأن ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رسلكم)

(انه لايجب المسرفين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشد - يد طيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم عامان علم الابدان وعلم الاديان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله وكواواشربوا (٨٩) ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو

عن رسواكم شئ في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ماء عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم جالينوس طبائهم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله) من الثياب وكل ما يتعبد به (التي أخرج لعباده) أي أصلها يعني القطن من الارض والقز من الدود (والطيبات من الرزق) والمستلذات من الماء وكل المشارب وقيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها وابنها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خاصة يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا وغيرهم لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصلة والكفار تبع لهم خاصة بالرفع نافع فهي مبتدأ خبره للذين آمنوا وفي الحياة الدنيا ظرف للخبر وأخاطبة

في نصف آية فقال وكواواشربوا ولا تسرفوا في الآية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل (انه لايجب المسرفين) يعني ان الله تعالى لايجب من أسرف في الماء كقول والمشرب والملبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحببه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدات الآية على الوعيد الشديد في الاسراف ﴿ قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده) يعني قل يا محمد طهوا لواء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عايكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تنزبنها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يسترا العورة والقول الثاني ذكره الامام نضر الدين الرازي انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخلوا في هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكر وفي معنى الطيبات في هذه الآية أقوال الأقدمين ان المراد بالطيبات اللحم والدم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك شجهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما وقتادة ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوايق قال ابن عباس رضي الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وأنزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهي من سائر المطعومات الا ما نهى عنه وورد نص بتحريمه (قل هي للذين آمنوا) يعني قل يا محمد ان الطيبات التي أخرج الله من رزقه للذين آمنوا (في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خاصة) لهم (يوم القيامة) يعني لا يشركهم فيها أحد لانه لا حظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خاصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدبر وتنغيص فأعلمهم انها خاصة لهم في الآخرة من ذلك كله (كذلك تفصل الآيات اقوم يعلمون) يعني كذلك نبين الحلال مما أحلت والحرام مما حرمت اقوم علموا اني أنا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالا وحرموا حراما ﴿ قوله عز وجل (قل انما حرم ربي الفواحش) جمع فاحشة وهي ما قبح وخش من قول أو فعل والمعنى قل يا محمد طهوا لواء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم ان الله لم يحرم ما حرموا من ثيابهم بل أحله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانية وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أحد غير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يخص به الانسان ومنه غيرة أحد الزوجين

(١٢ - (خازن) - ثاني) خبر ثان وأخبر مبتدأ محذوف أي هي خاصة وغيره نصها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أي هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة (كذلك تفصل الآيات) نيزا الحلال من حرام (لقوم يعلمون) أنه لا شريك له (قل انما حرم ربي الفواحش) ربي حزمة الفواحش ما نفا حش قبحه أي تزايد (ما ظهر منها وما بطن)

الشقاوة كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل أهل الشقاوة ثم صاروا الى السعادة و يصحح هذا القول ماروي
 عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يعمل الزمن الطويل
 بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم
 له عمله بعمل أهل الجنة أخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معني الآية كابدأ كم خالفكم في الدنيا ولم
 تكونوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون. أحياء يوم القيامة وشهد لصحة هذا القول ماروي عن
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم
 تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كابدأ بأول خاتق نعيده وعدا علينا انا كفاة عابدين أخرجه البخاري
 ومسلم وقوله تعالى (فر يقا هدى) يعني هداهم الله الى الايمان به ومعرفته ووقفهم اطاعة وعبادته
 (وفر يقا حق عليهم الضلالة) يعني وخذل فر يقا حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التي سبقت لهم في
 الازل بانهم أشقياء وفيه دلائل على ان الهدى والضلالة من الله عز وجل وماروي عن عبد الله بن عمرو بن
 العاص رضي الله عنهم اقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خاتق خلقه في ظلمة فالتق عليهم من نوره
 فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انهم اتخذوا الشياطين
 أولياء من دون الله) يعني ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء وأتوا أطاعوهم
 فيما أمرهم وهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي هو أنهم اتخذوا
 الشياطين أولياء من دون الله لان الشياطين لا يقدررون على اضلال أحد وقوله (ويحسبون انهم
 مهتدون) يعني أنهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون أنهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي
 يظن انه في دينه على الحق والجحاد والمعاند في الكفر سواء قوله عز وجل (يا بني آدم خذوا زينتكم عند
 كل مسجد) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اقال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من
 يعيرني تطوفا تجعله على فرجها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدامنه فلا أحله

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله
 عنهم اقال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل و ذكر الحديث زاد في رواية أخرى عنه
 فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان نحي من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا
 أو معتمرا يقول لا ينبغي لي ان أطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني منظر ان قدر عليه والاطاف
 عريانا فانزل الله تعالى فيه ما سمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف
 بالبيت عراة الا الحس وهم قريش وأحلافهم فمن جاء من غير الحس وضع ثيابه وطاف في ثوب أحسى ويرى
 أنه لا يحل له أن يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحس فانه ياتي ثيابه و يطوف عريانا وان طاف في ثياب
 نفسه ألقاها اذا قضى طوافه وحرمها أي جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل
 مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يوارى عورتكم ولو عباءة وقال الكلبي
 الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر وظاهره الوجوب وفيه
 دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى (وكواواشر بوا) قال
 الكلبي كانت بنوعا من لا يأكلون في أيام حجهم الا قنونا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسامون
 نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكواواشر بوا يعني الدسم واللحم (ولا تشر بوا)
 يعني تبخر بماء بمحرمه الله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضي الله عنهم اكل ما شئت واشرب ما شئت
 والس ما شئت ما أخطأتك خصم لثان سرف ومخيلة وقال علي بن الحس بن واقد قد جمع الله الطب كاه

ابتداء يعيدكم احتج عليهم
 في انكارهم الاعادة با تداء
 الخلق والمعنى انه يعيدكم
 فيجازيكم على أعمالكم
 فاحصو له العبادة (فر يقا
 هدى) وهم المسلمون
 (وفر يقا) أي أضل فريقا
 (حق عليهم الضلالة) وهم
 الكافرون (انهم) ان
 الفريق الذين حق عليهم
 الضلالة (اتخذوا الشياطين
 أولياء من دون الله) أي أنصارا
 (ويحسبون انهم مهتدون)
 والآية حجة لنا على أهل
 الاعترال في الهداية
 والاضلال (يا بني آدم خذوا
 زينتكم) لباس زينتكم
 (عند كل مسجد) كلما
 صليتم وقيل الزينة المشط
 والطيب والسنة ان يأخذ
 الرجل أحسن هياته
 للصلاة لان الصلاة مناجاة
 الرب فيستحب لها التزين
 والتعطر كما يجب التستر
 والتطهر (وكواوا) من
 اللحم والدسم (واشر بوا
 ولا تشر بوا) بالشرع في
 الحرام أو في مجاوزة الشبع

(انا جعلنا الشياطين

أولياء للذين لا يؤمنون)

فيه دلالة خافي الافعال (واذا

فعلوا فاحشة) ما يبالغ في

قبحه من الذنوب وهو

طوافهم بالبيت عراة

وشركهم (قالوا وجدنا

عليها آباءنا والله أمرنا بها)

أى اذ فعلوا اعتذروا بان

آباءهم كانوا يفعلونها

فاقتصدوا بهم وبان الله

أمرهم بان يفعلوها حيث

أقرنا عليها اذ لو كرهها لنقلنا

عنها وهما باطلان لان

أحدهما تقليد للجهال

والثاني افتراء على ذى

الجلال (قل ان الله لا يأمر

بالفحشاء) اذ المأمور به

لا بد أن يكون حسنا وان

كان فيه على مراتب على

ماعدرف في أصول الفقه

(أتقولون على الله مالا

تعلمون) استفهام انكار

وتوبيخ (قل أمر ربى

بالتقسط) بالعدل وبما هو

أحسن عندك عاقل

فكيف يأمر بالفحشاء

(وأقيموا وجوهكم عند

كل مسجد) وقيل أقيموا

وجوهكم أى اقصدا

عبادته مستقيمين اليها غير

عادين الي غيرها في كل

وقت سجد أو في كل

مكان سجود (وادعوه)

واعبدوه (مخلصين له

الدين) أى الطاعة مبتغيين

بها وجهه خاصا (كبداكم

تعودون) كما أنشأكم

لا يرون الجن رقعة أجسام الجن واطافتها والوجه في رؤية الجن للانسان كثافة أجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بني آدم مساكن لهم الامن عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا ربة تترى ولا ترى وتخرج من تحت الثرى ويعود شيطانى وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوا يراك ولا تراهم لشدة المؤنة الامن عصمه الله تعالى (انا جعلنا الشياطين اولياء) معنى أعيانهم وقرناء (للذين لا يؤمنون) قال الزجاج يعنى سلطانهم عليهم يزدون في غيرهم ﴿ قوله عز وجل (واذ فعلوا فاحشة) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهدى طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاءهى الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصى والكبائر فيمكن جعلها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التى كان أهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون أنها طاعات وهى فى نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما أخبر الله عنهم وهو ﴿ قوله تعالى (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فذكروا لانفسهم عذرين أحدهما محض التقليد وهو قلوبهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا التقليد باطل لانه أصل له والعذر الثانى قولهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضا باطل وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) والمعنى ان هذه الافعال التى كان أهل الجاهلية يفعلونها هى فى نفسها قبيحة منكورة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم (أتقولون على الله مالا تعلمون) يعنى أنكم ماسمعتهم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا أخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده فى تبليغ أوامره ونواهيه وأحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون ﴿ قوله تعالى (قل أمر ربى بالتقسط) أى قل يا محمد طهوا لى الذين يقولون على الله مالا يعلمون أمر ربى بالتقسط يعنى بالعدل وهذا قول مجاهد والسدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ابلا اله الا الله فالامر بالتقسط فى هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله وانه واحد لا شريك له (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) فان قلت قل أمر ربى بالتقسط خبر وقوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فامعناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل أمر ربى بالتقسط وقال وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد حذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية فى قول مجاهد والسدى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم فى الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وأتم عند المسجد فصاوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلى فى مسجدى أو فى مسجد قومى وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خاصا (وادعوه مخلصين له الدين) أى واعبدوه مخلصين للعبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا غيره (كبداكم تعودون) قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله عز وجل بدأ خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كبدا خلقهم مؤمنا وكافرا ووجه هذا القول قوله فى سياق الآية فر يقا هدى وفر يقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث كل عبد على مامات عليه أخرجه مسلم زاد البغوى فى روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه وان عمل باعمال أهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال أهل

(ذلك خير) كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر أو ذلك صفة للبتداو خير خبر المبتدا كانه قول ولباس التقوى المشار اليه خيرا ولباس التقوى خير مبتدا محذوف أي وهو لباس التقوى أي ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل ولباس أهل التقوى من

(٨٦)

خير وقال زيد بن علي رحمه الله تعالى لباس التقوى آلات الحرب التي يتقي بها في الحرب كالدرع والغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها أهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلاة وأما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلّفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس رضي الله عنهما لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن رضي الله عنه هو الحياء لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لباس التقوى هو السمات الحسن وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به مما خاف الله من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى (ذلك خير) يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجلال والزينة وأنشدوا في المعنى

إذا أنت لم تلبس ثيابا من التقي * عريت وان وارى القميص قيص

وقوله تعالى (ذلك من آيات الله) يعني انزال اللباس عليكم يا بني آدم من آيات الله الدالة على معرفته وتوحيده (اعلمهم بذكرهم) يعني اعلمهم بذكر نعمته عليهم في شكرها ﴿وقوله تعالى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة) قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يتخذ عنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وإنما ذكر قصة آدم هـاوشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك أولاد آدم فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة يعني آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام والمعنى ان من قدر على اخراج أبو يكم من الجنة بسوسه وشدة عداوته فبأن يقدر على فتننكم بطريق الاولي فحذر الله عز وجل بني آدم وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وزينه القبايح وحسبته الافعال الرديئة في قلوب بني آدم فهذه فتنته التي نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها ﴿وقوله تعالى (ينزع عنهم لباسهما) انما أضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاستند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما ما بقيت الاظفار تذكروا زينة ومنافع وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى كان لباس آدم وحواء نورا وقال مجاهد كان لباسهما النبي وفي رواية عنه التقوى وقيل ان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول أقرب لان اطلاق اللباس ينصرف اليه ولان النزاع لا يكون الا بعد اللبس (ايريهما سواتهما) يعني ايرى آدم عورة حواء وترى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سواة بعض (انه يراكم هو وقبيله) يعني ان ابليس يراكم يا بني آدم هو وقبيله انما أعاد الكناية في قوله هو وقبيله بحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جبل من جن أو انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله أي من هو من نسله وحكي أبو عبيد عن أبي يزد القليل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو أب واحد وقال الطبري قبيلة يعني صنفه وجيله الذي هو منهم وهو واحد يجمع على قبل وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن يزد قبيلة نسله وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو ولده ﴿وقوله (من حيث لا ترونهم) يعني أنتم يا بني آدم قال العلماء رحمه الله ان الله تعالى خلق في عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس

عليكم لباس التقوى (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورجته على عباده يعني انزال اللباس (اعلمهم بذكرهم) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الاشياء واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوات وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خاف من اللباس ولما في العري من الفضيحة واشهر ما بان التستر من التقوى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة) لا يتخذ عنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وإنما ذكر قصة آدم هـاوشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك أولاد آدم فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة يعني آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام والمعنى ان من قدر على اخراج أبو يكم من الجنة بسوسه وشدة عداوته فبأن يقدر على فتننكم بطريق الاولي فحذر الله عز وجل بني آدم وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وزينه القبايح وحسبته الافعال الرديئة في قلوب بني آدم فهذه فتنته التي نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها ﴿وقوله تعالى (ينزع عنهم لباسهما) انما أضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاستند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما ما بقيت الاظفار تذكروا زينة ومنافع وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى كان لباس آدم وحواء نورا وقال مجاهد كان لباسهما النبي وفي رواية عنه التقوى وقيل ان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول أقرب لان اطلاق اللباس ينصرف اليه ولان النزاع لا يكون الا بعد اللبس (ايريهما سواتهما) يعني ايرى آدم عورة حواء وترى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سواة بعض (انه يراكم هو وقبيله) يعني ان ابليس يراكم يا بني آدم هو وقبيله انما أعاد الكناية في قوله هو وقبيله بحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جبل من جن أو انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله أي من هو من نسله وحكي أبو عبيد عن أبي يزد القليل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو أب واحد وقال الطبري قبيلة يعني صنفه وجيله الذي هو منهم وهو واحد يجمع على قبل وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن يزد قبيلة نسله وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو ولده ﴿وقوله (من حيث لا ترونهم) يعني أنتم يا بني آدم قال العلماء رحمه الله ان الله تعالى خلق في عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس

وفرنه أو وجنوده من الشياطين وهو عطف على الصمير في يراكم أو كدهم ولم يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو معمول الفعل (من حيث لا ترونهم) قال ذوالنون ان كان هو يراك من حيث لا تراه فاستن من يراه من حيث لا يراه وهو الله الكرم الستار الرحيم الغفار

لابرون

ابليس هبط من قبل
ويحتمل انه هبط الى السماء
ثم هبطوا جميعا الى الارض
(بعضكم لبعض عدو)
في موضع الحال أى
متعادين يعاديهما ابليس
ويعاديانه (ولكم في الارض
مستقر) استقرار أو موضع
اسم - - - - - - - - - - -
استقرار (ومتاع)
واتتفاع بعيش (الى حين)
الى انقضاء آجالكم وعن
ثابت البناني لما أهبط آدم
عليه السلام وحضرته
الوفاة وأحاطت به الملائكة
فجعات حواء تدور حولهم
فقال لها خلى ملائكتي بي
فانما أصابني ما أصابني
فيك فلما أتوني غسلتني
الملائكة بماء وسدر وترا
وحنطتني وكفنتني في وتر من
التياب وحفر والى قبري
ودفنوه بسر نديب بارض
الهند وقالوا لبنيه هذه
سنتكم بعده (قال فيها
تحيون) في الارض (وفيها
تموتون ومنها نخرجون)
للموت والعباقب نخرجون
حزة وعلى (يا بني آدم قد
أنزلنا عليكم لباسا) جعل
ما في الارض منزل من السماء
لان أصله من الماء وهو
منها (يوارى سواكم)
يستعوارتكم (وريشا)
لباس الزينة استعير من
ريش الطير لانه لباسه وزينه

وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابراسيات انقر بين معنى انهم ير ونها بالنسبة الى
أحوالهم كالسيات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان أكل آدم من الشجرة هل كان قبل
النمو أو بعدها والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله أعلم ﴿ قوله تعالى (قال اهبطوا) قال الامام نضر الدين
الرازى رحمه الله ان الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة
وقال الطبري قال الله تعالى لآدم وحواء وابليس والحيمة اهبطوا يعني من السماء الى الارض قال السدي
رحمه الله قوله تعالى اهبطوا يعني الى الارض آدم وحواء وابليس والحيمة (بعضكم لبعض عدو) يعني ان
العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحيمة وذرية كل واحد من آدم وابليس (ولكم في الارض مستقر) يعني
موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في قوله تعالى ولكم في الارض مستقر يعني
القبور (ومتاع الى حين) يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا والى انقضاء آجالكم ومعنى
الآية ان الله عز وجل أخبر آدم وحواء وابليس والحيمة انه اذا أهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو
وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا
(قال فيها تحيون) يعني قال الله عز وجل لآدم وذرية ابليس وأولاده فيها تحيون يعني في الارض
تعيشون أيام حياتكم (وفيها تموتون) يعني وفي الارض تكون وفانتم وموضع قبوركم (ومنها نخرجون)
يعني ومن الارض نخرجكم بكم ويحشركم للحساب يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم
لباسا يوارى سواكم) اعلم ان الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم
أنزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما نزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه
في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه يسترا العورة وسترها شرط في صحة الصلاة وأمانة معته في الدنيا فانه
يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان أنزل عليهم لباسا يوارى سواكم فقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم
لباسا يوارى سواكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا قلت
ذكر العلماء فيه وجوها أحدها أنه بمعنى خالق أى خلقنا لكم لباسا أو بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثاني
الثاني ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكانه أنزله عليهم الوجه الثالث ان
جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى وأنزلنا الحديد (وريشا) الريش للظائر
معروف وهو لباسه وزينه كالتياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينه والمعنى وأنزلنا عليكم
لباسا يوارى سواكم وللباسا لانه يتنكم لان التزيين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوهن وهو زينة
وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش
المدكور في الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وريشا يعني المالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي
لان المال مما يتزين به ويقال تزيين الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة
أيضا وقيل ان الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش أيضا
المتاع والاموال عندهم ورعما استعماله في الثياب والكسوة دون سائر المال يقال انه حسن الريش أى
لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل أيضا في الخصب ورفاهية العيش (ولباس التقوى) اختلف
العلماء في معناه فمنهم من جعله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من جعله على الجاز ما من جعله على نفس
الملبوس فاختلفوا أيضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما أعاده اخبار أن
ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما أعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب في الجاهلية كانوا
يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك
أى أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم وللباسا لانه يتنكم (ولباس التقوى) ولباس الورع الذي بقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي

(بدت لهما سوآتهما)

ظهرت لهما عورتاهما
 انتهفت اللباس عنهما وكانا
 لا يريانها من أنفسهما ولا
 أحدهما من الآخر وقيل
 كان اباسهما من جنس
 الاظفار أى كالظفر بيضا
 فى غاية اللطف واللين فبقى
 عند الاظفار تذكيرا
 للنعم وتجديدا للنعم
 (وطبقا) وجعلا يقال
 طفق يفعل كذا أى جعل
 (يخصفان عليهما من ورق
 الجنة) يجعلان على عورتها
 من ورق التين أو الموز ورقة
 فوق ورقة ليستتراها كما
 تخصف النعل (وناداهما
 ربهما لم أنهما عن نكاح
 الشجرة) هذا عتاب من
 الله وتنبية على الخطأ وروى
 أنه قال لآدم عليه السلام
 ألم يكن لك فيما منحتك من
 شجر الجنة مندوحة عن
 هذه الشجرة فقال بلى
 ولكن ما لعنت ان أحدا
 يخاف بك كاذبا قال فبعضنى
 لاهبطنك الى الارض ثم
 لاتنال العيش الا بكديمين
 وعرق جبين فاهبط وعلم
 صنعة الحديد وأمر بالحرق
 حرق وسقى وحصد وداس
 وذرى وعجن وطحن وخبز
 (وأقل لك ان الشيطان
 لكما عدو مبين قال بنا
 طلعنا أنفسنا وان لم نغفر
 لنا وترحمنا لنكونن من
 الخاسرين) فيه دليل لنا

وفيه دليل على انها تناولتا اليسير من ذلك فصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير (بدت
 لهما سوآتهما) يعنى ظهرت لهما عورتاهما. ما قال ابن عباس رضى الله عنهما قبل ان ازدردا أخذتهما
 العقوبة والعقوبة أن ظهرت وبدت لهما سوآتهما وتبفت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما
 ما ورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان اباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه
 ولا هذه عورة هذا أفعلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما. ما قال قتادة كان لباس آدم فى الجنة ظفرا كما
 فلما وقع فى الذنب قشط عنه وبدت سوآته (وطبقا) يعنى وأقبلوا وجعلا (يخصفان عليهما من ورق الجنة)
 يعنى انهما ما بدت لهما سوآتهما جعلتا يرقعان ويزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار
 كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلوا ورقه على ورقه ليس ترا سوآتهما وفى الآية دليل على ان كشف العورة
 من ابن آدم قبيح الأثرى أنهما بادرا الى ستر العورة فانقر فى عقليهما من قبيح كشفها روى أبى بن كعب
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا طويلا كأنه نخلة - حوق كثير شعر
 الرأس فلما وقع فى الخطيئة بدت له سوآته وكان لا يراها فى الجنة فانطلق فإر افرضت له شجرة من شجر الجنة
 فبسته بشعره فقال لها راسيتى قالت است برساتك فناداه ربها آدم أمنى نفر قال لا يارب ولكنى استحييتك
 ذكره البغوى بغير سند وأسند الطبرى من طريقين موقوفين فوعا ﴿قوله تعالى﴾ (وناداهما ربهما ألم
 أنهما كما عن نكاح الشجرة) يعنى ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخطبهما فقال ألم أنهما كما عن نكاح هذه
 الشجرة (وأقل لك ان الشيطان لكما عدو مبين) يعنى ألم أعلم لك ان الشيطان قد بانته عداوته لكما بترك
 السجود وحسد او بغيا قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى
 نهيتك عنها قال حواء أمرتنى قال فانى أعقبته ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند
 ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربها آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال
 أطمعتنى حواء فقال لحواء ألم أطمعتميه قالت أمرتنى الحية فقال للحية لم أمرتها قالت أمرنى ابليس قال الله
 تعالى أما أنت يا حواء وكما أدبمت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فاقطع رجليك فمشين على وجهك
 وسبب دخ رأسك من اقلبك وأما أنت يا ابليس فلعون مطرود مدحور يعنى عن الرحمة وقيل ناداه ربها آدم
 أما خلقتك يدي أما نفخت فيك من روحى أما أسجدت لك ملائكتى أما أسكنتك جنتى فى جوارى ﴿قوله﴾
 عز وجل (قال بناظنا من أنفسنا) وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليهما السلام
 واعتراهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قال ايار بنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بما خالفنا
 أمرنا وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها (وان لم تغفر لنا)
 يعنى وأنت ياربنا ان لم تستر عاينا بنا (وترحمنا) يعنى وتفضل علينا برحمتك (لنكونن من الخاسرين)
 يعنى من الهالكين قال قتادة قال آدم يارب أرى ان تب اليك واستغفرتك قال اذا أدخلك الجنة وأما ابليس
 فلم يسأله التوبة وسأله أن ينظره فاعطى كل واحد منهما ما سأل وقال الضحاك فى قوله بناظنا أنفسنا قال
 هى الكامات التى تلقاها آدم عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل

﴿فصل﴾ وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وأجيب
 عنه بان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما جعلهم على الخوف
 منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم بما عوتبوا بما وردت منهم على سبيل التأويل
 والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علوم منصبهم وسيئات بالنسبة الى كمال
 طاعتهم لأنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصى غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم
 وعمارة بواطنهم بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا

(ليبدى لهما ما وورى عنهما من سواتهما) ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور وأنه لم يزل مستقبحا للطباع والعقول فان قلت مالوا والمضمومة في و وري لم تقلب (٨٣) همزة كفاي أو يصل تصغير واصل

وأصله ووصل قلبت
الواو همزة كراهة لاجتماع
واوين قات لان الثانية مدة
كالف وارى فكالم يجب
همزها في واعد لم يجب في
وورى وهذا لان الواو ين
اذا تحرك كما ظهر فيهما من
الثقل لما لا يكون فيهما
اذا كانت الثانية ساكنة
وهذا مدرك بالضرورة
فالتزموا البدل في موضع
الثقل لافي غيره وقرأ
عبدالله أوري بالقلب
(وقال مناهجا كما ربك
عن هذه الشجرة الا أن
تكونا ملكين) الا كراهة
ان تكونا ملكين تعلمان
الخير والشر وتستغنيان
عن الغداء وقرى
ملكين لقوله وملك
لايبيلى (أوتكونا من
الخالدين) من الذين
لا يموتون وبيدون في
الجنة ساكنين (وقاسمهما)
وأقسم لهما (الى لكالمن
الناصحين) وأخرج قسم
ابليس على زنة المفاعلة
لانه لما كان منه القسم
ومنها التصديق فكأنها
من اثنين (فدلاهما)
فترهما الى الاكل من
الشجرة (بغرور) بما
غرهما من القسم

وألقها اليهما فان قات كيف ووس اليهما وادم وحواء في الجنة وابليلس فداخرج منها قات ذكر الامام
نصر الدين الرازي في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن أنه قال كان يوسوس في الارض الى السماء
الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله تعالى له وقال أبو مسلم الاصبهاني بل كان آدم وابليلس في الجنة لان
هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس من أن ابليلس دخل في جوف الحية
فدخلت به الحية الى الجنة فقصه مشهوره ركيكة وقال آخرون ان آدم وحواء بما قرأ بامن باب الجنة وكان
ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرأ أحد همامن الآخر فخلصت الوسوسة هناك * فان قلت ان
آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف ما بينه وبين ابليلس من العداوة فكيف قبل قوله * قلت بحتمل أن يقبل
ان ابليلس اتى آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد ومنها قوله
وقاسمهما الى لكالمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمدامومة على هذا التمويه أثر كلام ابليلس في آدم
حتى أكل من الشجرة (ليبدى لهما ما وورى عنهما من سواتهما) يعني ايلظهر لهما ما غطي وستر من
عوراتهما وقوله ما وورى ما خوذ من الموارد وهى الستر يقال وارىته بمعنى سترته والسواة فرج الرجل
والمرأة سمى بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات
واللام في قوله ليبدى لهما لام العاقبة وذلك لان ابليلس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وانما كان
حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة أمرهما ان بدت عوراتهما (وقال) يعني وقال ابليلس لآدم وحواء
(مناهما كما ربك كما عن هذه الشجرة) يعني عن الاكل من هذه الشجرة (الا أن تكونا ملكين أو تكونا من
الخالدين) يعني انما هما كما عن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر وتكونا
من الباقيين الذين لا يموتون وانما أطعم ابليلس آدم بهذه الآية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من
العرش فاستشرف لذلك آدم وأحب أن يعيش مع الملائكة اطول أعمارهم أو يكون مع الخالدين الذين
لا يموتون أبدأ * فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الملك أفضل من الانبياء لان آدم عليه الصلاة والسلام طلب
أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه * قلت ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لان آدم عليه
الصلاة والسلام لما طلب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن يتشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة
قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب أن يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقدير أن تكون هذه
الواقعة في زمان النبوة بعد ان شرف بها آدم انما يطلب أن يكون من الملائكة اطول أعمارهم لانهم أفضل
منه حتى يلتحق بهم في الفضل لانه طلب ان يكون من الملائكة اطول أعمارهم أو من الخالدين الذين
لا يموتون أبدأ وقوله تعالى (وقاسمهما) أى وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد (الى
لكالمن الناصحين) قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني خالقت
قبلكما وأنا أعلم منكما فانهاني أرسد كما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له (فدلاهما بغرور)
يعنى خدعتهما بغرور يقال مازال فلان بدلى فلانا بغرور يعنى مازال يخدعوكم يكاهم بزخرف من القول
الباطل قال الأزهرى وأصله ان الرجل العطشان يتدلى في البئر يأخذ الماء فلا يجود فيها ماء فوضعت التولية
موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان النفس وهوان ابليلس حطه ما من منزلة
الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لا يكون الا من علواي أسفل ومعنى الآية ان ابليلس اعنه الله تعالى غر آدم
باليمن الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان أحد الايحاء بالله كاذبا وابليلس أول من حلف
بالله كاذبا فلما حلف ابليلس ظن آدم انه صادق فاغتر به (فلماذا قال الشجرة) يعنى طعما من ثمرة الشجرة

بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له (فلماذا قال الشجرة) وجسد اطعمها آخذين في الاكل
منها وهى السنبلة أو السكر

بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكيم بن عتبة بن بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فاز بها لهم
ومن خلفهم من قبل الآخرة فاتبطهم عنها وعن أيماهم يعني من قبل الحق فأصدهم عنه وعن شمائلهم
من قبل الباطل فاز به لهم وقال قتادة أنهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا الجنة ولا نار ومن خلفهم
من أمر الدنيا فاز بها لهم ودعاهم البهاوعن أيماهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم
السيئات والمعاصي ودعاهم إليها تلك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك فلم يستطع أن يحول
بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتهم من بين أيديهم وعن أيماهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن
شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون أنهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون
أنهم يخطئون ولا يعلمون أنهم يخطئون وقيل من بين أيديهم يعني فيما بقي من أعمارهم فلا يقدرمون فيه
طاعة ومن خلفهم يعني ماضى من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيماهم يعني من
قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور رآه وقال
شقيق البلخي ما من صباح الا ويا تبنى الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني
وعن شمالي أمام من بين يدي فيقول لا تخف فان الله عفور رحيم فافر أو انى اغفر لمن تاب وآمن وعمل صالحا
ثم اهتدى وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادى في الفسق فأقر أو ما من دابة في الارض الاعلى الله
رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من الذناء فافر أو العاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل
الشهوات فافر أو حيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما أريد بها التأكيد
والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وأنه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لا ينهمم من
جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله (ولا تجد أكثرهم شاكرين) يعني ولا تجد يارب أكثر مني
آدم شاكرين لك على نعمك التي أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد أكثرهم موحدين فان
قلت كيف علم الحبيب ابليس ذلك حتى قال ولا تجد أكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى
والقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزوين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل
بنى آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ فتمال هذه المقالة على سبيل
اليقين والقطع والله أعلم مراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ (قال اخرج منها) أى قال الله تعالى لابليس حين طرده
عن اباه وابعده عن جنبه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه أخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي أن يسكن
فيها العصاة (مدنوما) يعني معيبا والذم أشد العيب (مدحورا) يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس
صغرا محقونا وقال قتادة لعينامة يتا وقال الكلبى ما موصيا من الجنة ومن كل خير (من تبعك منهم) يعني
من بنى آدم (الأملا ن جهنم منكم أجمعين) اللام لام القسم أقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بنى آدم
وأطاعه منهم ان يملا جهنم منه وعن كفر من بنى آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم ﴿ قوله تعالى ﴾
(ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وذلك بعد ان أهبط
منها ابليس وأخرجه وطرده من الجنة (فسكلا من حيث شتما) يعني فسكلا من ثمار الجنة من أى مكان
شتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فسكلا بالفاء فالفرق قلت قال الامام خن الدين
الرازى ان الواو تفيد الجمع المطابق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالفهموم من الماء نوع داخل تحت
الفهموم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس في سورة البقرة ذكر الجنس وهذا ذكر النوع (ولا تقربا
هذه الشجرة فتسكونا من الظالمين) تقدم في سورة البقرة الكلام على نفسه هذه الآية مستوفى
﴿ قوله تعالى ﴾ (فوسوس لهما الشيطان) يعني فوسوس اليهما الوسوسة حديث يلقى الشيطان في قلب
الانسان يقال وسوس وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا وأصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة

(ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين قاله ظنا فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه أو سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى ايهم (قال اخرج منها) من الجنة أو من السماء (مدنوما) معيبا من ذمهم اذا ذمه والذم العيب (مدحورا) مطرودا مبعودا من رحمة الله واللام في (ان) تبعك منهم) موطئة للقسم وجوابه (الأملا ن جهنم) وهو ساد مسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب (أجمعين ويا آدم) وقانا يا آدم بعد اخراج ابليس من الجنة (اسكن أنت وزوجك الجنة) اتخذها مسكنا (فكلا من حيث شتما) ولا تقربا هذه الشجرة فتسكونا) فتصيرا (من الظالمين فوسوس لهما الشيطان) وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متند ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه ألقاها اليه

من الصاغرين) من أهل الصغار والهلوان على الله وعلى أوليائه يدمك كل إنسان ويلعنك كل إنسان لتكبرك و به علم ان الصغار لازم للاستكبار (قال أنظري الى يوم تبعثون) أمهلني الى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة (قال انك من المنظرين) الى النفخة الأولى وانما أجيب الى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقر يب القلوب الاحباب أي هذا يرى من يستبني فكيف عن يحني وانما جسر على السؤال مع وجود الزال منه في الحال علمه بحلم ذي الجلال (قال فيما أغويتني) أضللتني (٨١)

والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك أقسم أو تكون الباء للقسم أي فاقسم باغوائك (لا قعدن لهم صراطك المستقيم) لا اعتراض لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة واتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر أي على الظهر وعن طاوس انه كان في المسجد الحرام جاعرا جل جلاله فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا الرجل جليل فقيه فقال ابليس أفتقه منه قال رب بما أغويتني وهو يقول أنا أغوى نفسي (ثم لا يتنهم من بين أيديهم) أشككهم في الآخرة (ومن خلفهم) أرغبهم في الدنيا (وعن أيماهم) من قبل الحسنات (وعن شمائلهم) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعني ثم لا يتنهم من الجهات الاربع التي يأتي منها

من الصاغرين) يعني انك من الأذلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال لزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الأرض فاخرجه الله تعالى منها الى جزائر البحر الاخضر وعرضه عليه فلا يدخل الأرض الا خائفا كهيئة السارق مثل شيخ علمه اطمار ترفع روع فيها حتى يخرج منها (قال) يعني قال ابليس عند ذلك (انظري) يعني آخرني وأمهلني فلا تمنني (الي يوم تبعثون) يعني من قبورهم وهي النفخة الأخيرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابليس اعنه الله لانه سأل ربه لامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من خالق الله تعالى الى البقاء في الدنيا ولكنه كرهه أن يكون ذاتا للموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب الي ما سأل بل (قال) الله تعالى له (انك من المنظرين) يعني من المؤخرين المهانين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهالة في سورة الحجر فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الأولى حين يموت الخالق كالهم فان قلت ما وجد قوله انك من المنظرين و ابليس أحد ينظر سواء قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرين الى ذلك الوقت باآجالهم فهو منهم. (قال) يعني ابليس (فبما أغويتني) يعني فبأى شيء أضللتني فعلى هذا تكون الاستفهامية وتم الكلام عند قوله أغويتني ثم ابتداء فقال (لا قعدن لهم صراطك المستقيم) وقيل هي باء القسم تقديره فباغوائك اياي وقيل معناه فبما وقعت في قلبي النقي الذي كان سبب هبوطي الى الأرض من السماء وأضللتني عن الهدى لا قعدن لهم صراطك المستقيم يعني لا جالس على طريق القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يساكونه الى الجنة وذلك بان أوسوس اليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني بمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاقول أولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لاردن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ولا غويتهم ولا ضللتهم كما أضللتني عن سبيرة من أبي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لا ين آدم باطرقه قعد له في طريق الاسلام فقال تسلم وتذردن آباءك وآباء آباءك فعصاه وأسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذردن أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو وجهه النفس والمال فتقاتل فتقتل فتسكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى اخبار عن ابليس (ثم لا يتنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمائلهم) قال ابن عباس من بين أيديهم يعني من قبل الآخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن أيماهم يشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصي وانما جعل الآخرة من بين أيديهم في هذا القول لانهم منقلبون البهاوصارون اليها فعلى هذا الاعتبار فالذي خلفهم لانهم يخلفون بها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني أزينهم في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لا بعث ولا نشور ولاجنة ولا نار وعن أيماهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل الدنيا من بين أيديهم في هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهد فيها ما يهوى حاضر

(١١ - خازن - ثانی) العدو في الاغاب وعن شقيق ما من صباح الا قعد على الشيطان على أربة صر اصد من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ أو اني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلتني الضيعة على مخلفي فاقرأ أو ما من دابة في الأرض الا على الله رزقها وعن يني فيأني من قبل التناء فاقرأ أو العاقبة للمتقين وعن شمالي فيأني من قبل الشهوات فاقرأ أو حيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لا ابتداء الغاية وفي الاخير بن عن لان عن تدل على الانحراف

أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزاقته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار وفي النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة للممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الحياة والافناء والتراب مثنه الامانة والانماء والطين يطغى النار ويتألفها والنار لا تلتفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفساد من المقاييس وقول نافي القياس أول من قاس ابليس قياس على ان القياس عند مثبتة مردود عند وجود النص وقياس ابليس عناد للامر المنصوص فكان الجواب لما منعك أن يقول معنى كذا وإنما قال أناخير منه لانه لما استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبقلة فضله عليه فلم منها الجواب كانه قال معنى من السجود فضلي عليه وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله اذ سجد الغاضل للمفضول خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة أو من السماء

عز وجل لا بليس أي شيء منعك من السجود لآدم اذ أمرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لافي قوله أن لا تسجد صلة زائدة وانما دخالت للتوكيد والتقدير ما منعك أن تسجد فهو كقوله لا أقسم أي أقسم وقوله وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون أي يرجعون وقوله لا يعلم أهل الكتاب أي يعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على أصلها مفيدة وليست بزائدة لانه لا يجوز أن يقال ان كلمة من كتاب الله زائدة ولا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن أحمد بن يحيى ان لافي هذه الآية ليست زائدة ولا توكيد الا لان معنى قوله ما منعك أن لا تسجد من قال لك لا تسجد جعل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك أن يقال ان في الكلام محذوف تقديره ما منعك من السجود فاحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء عنه بمعرفة السامعين به ونقل الامام نضر الدين الرازى عن القاضى قال ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي فكأنه قال مادعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة الله تعالى عزيمة يتحجب منها ويستل عن الداعي اليها فارتفعت له من المنع له من السجود وهو أعلم به قلت انما سأله للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معانده توكفه وافتخاره باصله وحسده لآدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يتب الله عليه (قال) يعني قال ابليس بحميد الله تعالى عما سأله عنه (أناخير منه) فان قلت قوله أناخير منه ليس بجواب عما سأله عنه في قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد فلم يجب بما منعك من السجود فانه كان ينبغي له أن يقول معنى كذا وكذا او كنهه قال أناخير منه قلت استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيه ادليل على موضع الجواب وهو قوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) والناخير من الطين وأنور وإنما قال أناخير منه لما رأى انه أشد منه قوة وأفضل منه أصلا وذلك امض الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فجعل عدو الله ابليس وجه الحق وأخطا طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والياش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل الخبيث ابليس مع الشقاء لدى سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بامر ربه فأورد ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم أن في جوهر الطين الرزاق والاناة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولون أول من قاس ابليس فاخطأ وقال ابن سيرين أيضا ما عمدت الشمس والقمر الا بالمقاييس وأصل هذا القياس الذي قاسه ابليس اعنه الله تعالى لما رأى ان النار أفضل من الطين وأقوى فقال أناخير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدرك أن الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وأيضا الفضلية انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالأمر من الحبشي خير من الكافر القرشي فأنه تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام بأشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأورثه الاجتناب والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام للاعناية التي سبقت له في القدم وأورث ابليس كبره والعنة والطر للشفاعة التي سبقت له في القدم (قال فاهبط منها) يعني قال الله تعالى لا بليس اعنه الله اهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط الانزال والانهيار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف (فما يكون لك أن تتكبر فيها) يعني فليس لك أن تتكبر في الجنة عن أمرى وضاعى لانه لا ينبغي أن يسكن في الجنة أو في السماء متكبرا مخالفا لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون في الارض (فاخرج انك

لانه كان فيها وهي مكان المطيعين والمتواضعين والفاء في فاهبط جواب لقوله أناخير منه أي ان كنت تتكبر فاهبط (فما يكون لك) فايصح لك (أن تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج انك

وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى فانسان الذين ارسل اليهم
وانستلن المرسلين و بين قوله فلنقنص عليهم به لم وما كنا غائبين و اذا كان عالما فائدة هذا السؤال قات
فائدة سؤال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التقرير والتوبيخ للكفار لانهم
اذا اقرروا على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سؤال الاسترشاد والاستنبات فهو منفي عن الله عز وجل لانه
عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكلية والجزئيات وعلمه بظاهر
الاشياء كعلمه بباطنها قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعني والوزن يومئذ الحق والرسل وهو يوم
القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان
المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله عز وجل ينصب ميزان له لسان وكفة من كل كفة قدر ما بين
المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه ان يره به الميزان
فأراه اياه فقال الهى من يقدر ان يملأ كفتيه حسنات فقال يا داود اذ ارضيت عن عبدى ملائمتها بتمرة وقال
حديثه جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض
وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من سيئات
المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قلت أليس الله عز وجل يعلم مقادير
أعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها
امتحان الخالق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجية عليهم في العقبي ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر
وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد في اللوح المحفوظ
ثم في صحائف الحافظة الموكلين ببني آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في
كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات وبدل على ذلك حديث
البطاقة وهو ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد
البصر ثم يقول له أتذكر من هذا شيئا اظلمتكم كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول ألك عند فيقول
لا يارب فيقول الله تبارك وتعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله له بطاقة فيها أشهد
أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فيقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
ونقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي وأحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال
الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان
الاعمال تتصور صوراً وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله تعالى في تلك الصور ثقلاً وخفة ونقل البغوي
عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة أخرجه في
الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن
عند الله جناح بعوضة مقدار وحرمته لا وزن جسده ولجه والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن
أونفس الاعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك قوله تعالى (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان
وأورد على هذا انه ميزان واحد فوجه الجمع وأجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه
ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن
الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني من رجحت أعماله بالحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر (فالولئك

(والوزن) أي وزن الاعمال
والتميز بين راجحها
وخفيها وهو مبتدأ وخبره
(يومئذ) أي يوم يسأل الله
الامم ورسولهم فخذت الجلة
وعوض عنها التنوين
(الحق) أي العدل صفتهم
قيل توزن صحف الاعمال
بميزان له لسان وكفتان
اظهار للنصفة وقطع للمعذرة
وقيل هو عبارة عن القضاء
السوى والحكم العادل
والله أعلم بكيفيته (فمن
ثقلت موازينه) جمع
ميزان أو موزون أي من
رجحت أعماله الموزونة
التي لها وزن وقدر وهي
الحسنات أو ما توزن به
حسنتهم (فالولئك

الاولئان والاهواء والبدع (فلياماند كرون) حيث تكون دين الله وتبعون غيره وقليل انصب بند كرون أي تذ كرون تذ كرا
 قليلا وما يزيد لتوكيد القلة تذ كرون شامى (وكم) مبتدأ (من قرية) تبين والخبر (أهلكتناها) أي أردناها لهما كقوله اذا قمنا الى
 الصلاة (جاءها) جاء أهلها (باسنا) عذانا (بيانا) مصدر وقع موقع الحال بمعنى (٧٧) باتين يقال بات بياتا حسنا (أوهم

قانون) حال معطوفة على
 بيانا كأنه قيل جاءهم
 باسنا باتين أو قائلين وانما
 قيل هم قانون بلا أو ولا
 يقال جاءنى زبده فارس
 بغير أو لانه لم اعطف على
 حال قبلها حذف الواو
 استثقالا لاجتماع حرفي
 عطف لان أو والحال هي أو
 العطف استعيرت للوصل
 وخص هذان الوقتان
 لانهم اوقت الغفلة فيكون
 نزول العذاب فيهما أشد
 وأفظع وقوم لوط عليه
 السلام أهل كوا بالليل
 وقت السحر وقوم شعيب
 عليه السلام وقت القيولة
 وقيل بيانا ليل الأي ليلاهم
 نائمون أو نهاراهم قانون
 (فما كان دعواهم)
 دعواهم ونضر عنهم
 (اذ جاءهم باسنا) لما جاءهم
 أوائل العذاب (الآن قالوا
 انا كنا ظالمين) اعترفوا
 بالظلم على أنفسهم والشرك
 حين لم ينفعهم ذلك
 ودعواهم اسم كان وأن
 قالوا الخير ويجوز لعكس
 (فلنسلن الذين أرسل
 اليهم) أرسل مسند الى
 اليهم أي فلنسلن المرسل
 اليهم وهم الامم عما أجابوا

والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيما روكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة
 (فلياماند كرون) يعني ما تعظون الاقاييل قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) لما أمر الله رسوله
 صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وأمر أمته بتابع ما أنزله اليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا
 ما أمروا به فذكر في هذه الآية ما يترك المتابعة والاعراض عن أمره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية
 أهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من أهل قرية لان المقصود بالهلاك أهل القرية لا القرية وقيل ليس
 فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها (جاءها باسنا) يعني عذابنا فان قلت مجي البأس وهو
 العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال أهلكناها جاءها باسنا انقلت معناه وكم من قرية حكمتنا
 باهلا كما جاءها باسنا وقال الفراء اهلاك والبأس قد يقعان معا كما يقال أعطيتني فأحسنت الى فلم يكن
 الاحسان قبل الاطاعة ولا بعده وانما وقع معا وقال غيره لافرق بين قولك أعطيتني فأحسنت الى أو أحسنت
 الى فأعطيتني فيكون أحدهما مندلا من الآخر (بيانا) يعني جاءها عذابنا ليليا قبل أن يصبخوا (أوهم
 قانون) من القيولة وهي نوم نصف النهار أو استراحة نصف النهار وان لم يكن معنا نوم والمعنى جاءها باسنا
 غفلة وهم غير متوقعين له ليلاهم نائمون أو نهاراهم قانون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود
 الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم أمانة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد
 ونحوه للكفار كأنه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة (فما
 كان دعواهم) يعني فما كان دعاء أهل القرية التي جاءها باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء بمعنى
 الدعاء قال سيده يقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانه
 المهي (اذ جاءهم باسنا) يعني عذابنا (الآن قالوا انا كنا ظالمين) يعني ائهم لم قدر واعلى رد العذاب عنهم
 وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف (فلنسلن الذين أرسل اليهم) يعني
 نسأل الامم الذين أرسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءكم به الرسل (ولنسلن المرسلين) يعني ولنسلن
 الرسل الذين أرسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتنا وأديتم الى الامم ما أمرتم بتأديته اليهم أم قصرتم في ذلك
 قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما أجابوا به المرسلين ويسأل
 المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتم كتاب بما كانوا يعملون وقال السدي يسأل
 الامم عما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به فان قلت قد أخبر عنهم في الآية الاولى
 باهم اعترفوا على أنفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فافائدة هذا السؤال مع اعترافهم على أنفسهم بذلك
 قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا
 التقرير والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى
 من أرسلوا اليهم من الامم * قلت اذا كان يوم القيامة أنكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل فقالوا ما جاءنا
 من بشير ولا نذير فكان مسألة الرسل على وجه الاستشهاد بهم على من أرسلوا اليهم من الامم أنهم لم قد بلغوا
 رسالات ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقرير والتوبيخ للكفار أيضا لانهم
 أنكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيمهم وهو أنهم وعذابهم وقوله تعالى (فلقصن عليهم بعلم) يعني
 فلنخبرن الرسل ومن أرسلوا اليهم يعلمون يقين بما عملوا في الدنيا (وما كنا غائبين) يعني عنهم وعن أفعالهم

به رسالهم (ولنسلن المرسلين) عما أجيبوا به (فنتقصن عليهم) الى الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالين باحوالهم الظاهرة
 والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وهم اوجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقرير اذ اذاهوا بالانتهم
 وشهد عليهم أنبياءهم

بالمملوك (ان ربك سر يع العقاب) لمن كفر نعمه (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ماهوات قرب
وما امر الساعة الا كلعج البصر وهو اقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من أول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين
ألف ملاق يحفظونه وكتبه (٧٦) مثل أعمالهم الى يوم القيامة ﴿سورة الاعراف مكية وهي مائة وان وخمس آيات بصرى

نصيبه الخوف والترغيب ﴿وهو قوله تعالى (ان ربك سر يع العقاب) يعني لاعدائه باهلا بهم في لندنيا
وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ماهوات وهو قرب وان كان العبد موفيا حقوق الله تعالى فيما امره به
أونها عنه كان نصيبه الترغيب والنشر يف والتكريم ﴿وهو قوله تعالى (وانه لغفور) يعني لذنوب
وليائه وأهل طاعته (رحيم) يعني بجميع خلقه والله أعلم براده وأسرار كتابه
﴿تفسير سورة الاعراف﴾

نزلت بمكة روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروى
عن ابن عباس أيضا انها مكية الا خمس آيات أولها وأسألم عن القرية التي كانت وبه قال قتادة وقال مقاتل
ثمان آيات في سورة الاعراف مدينية أولها وأسألم عن القرية التي قاله واذا أخذ ربك من بني آدم وهي
مائتان وست آيات وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (المص) قال ابن عباس معناه أنا الله أفضل وعنه أنا الله أعلم وأفضل وعنه ان المص قسم
أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من أسماء القرآن وقال الحسن هو اسم
للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى المصور وقال أبو العالمة الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح
اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصور وقيل هي حروف مقطعة استأثر الله
تعالى بعلمها وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف تحتوي معاني دل
المة بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معاني الحروف المقطعة أوائل السور في أول سورة
البقرة ﴿وقوله تعالى (كتاب أنزل اليك) يعني هذا كتاب أنزل الله اليك يا محمد وهو القرآن (فلا يمكن في
صدرك حرج منه) يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما أرسلت به الى الناس (لتنذر به) يعني أنزلت
اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من أمرتك بأنذاره (وذكري للمؤمنين) يعني ولتذكرن وتعلمن به المؤمنين
وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب أنزلناه اليك لتنذر به وذكري للمؤمنين فلا يمكن في
صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تنكس في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساء
توجيه ما حصل له ﴿قوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي قلوبكم يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس
ما أنزل اليكم من ربكم يعني من القرآن الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم أمرت بانبياء
كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزل آية الا ويجب أن تعلم قيم أنزلت وما معناها ونحو هذا
قال الزجاج أي اتبعوا القرآن وما أنزل به النبي صلى الله عليه وسلم فإنه مما أنزل لقوله تعالى وما أناكم الرسول
نخذه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله
تنذر به كان معنى الكلام أنذر القوم وقل لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر
والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب
للكفار أي اتبعوا أيها المشركون ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك وبدل عليه
قوله تعالى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يعني ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم

وست كوفي ومديني ﴿
﴿بسم الله الرحمن الرحيم
المص﴾ قال الزجاج المختار
في تفسيره ما قال ابن عباس
رضي الله عنهما أنا الله أعلم
وأفضل (كتاب) خبر
مبتدأ محذوف أي هو كتاب
(أنزل اليك) صفته والمراد
بالكتاب السور (فلا يمكن
في صدرك حرج) شك فيه
وسمى الشك حرجا لان
الشك ضيق الصدر حرجه
كما ان المتيقن منشرح
الصدر منفسحه أي لا شك
في انه منزل من الله أو حرج
منه بتبليغه لانه كان يخاف
قومه وتكذيبهم له
واعراضهم عنه وأداهم فكار
يضيق صدره من الاذى
ولا ينشط له فامنه الله ونهاه
عن المبالاة بهم والنهي
متوجه الى الحرج وفيه من
المبالغة ما فيه والفاء للعطف
أي هذا الكتاب أنزلته
اليك فلا يمكن بعد انزاله
حرج في صدرك واللام
في (لتنذر به) متعلق بانزل
أي أنزل اليك لانذارك به
أو بالنهي لانه اذا لم يخفهم
أنذرهم وكذا اذا يقن انه
من عند الله شجعه اليقين

على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكري للمؤمنين) والمعنى
في محل النصب باضار فعلها أي لتنذر به وتذكرن كبيرا فالذكري اسم بمعنى التذكير أو الرفع بالعطف على كتاب أي هو كتاب
وذكري للمؤمنين أو بانه خبر مبتدأ محذوف أو الجرب بالعطف على محل لتنذر أي للانذار وللذكري (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي
القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيمملوكم على عبادة

(حنيفاً) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) بالله ياعظم قر يش (قل ان صلاتي ونسكي) أي عبادتي والناسك العابد أذبحي
أوتجبي (ومحياي ومماتي) وما أتيت في حياتي وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح (٧٥) (للقرب العالمين) خاصة لوجه

محياي ومماتي بسكون
الياء الاوّل وفتح الثاني
مدني وبعكسه غيره
(لاشريك له) في شئ
من ذلك (وبذلك)
لاخلاص (أمرت وأنا أول
المسلمين) لان اسلام كل
نبي متقدم على اسلام أمته
(قل أغير الله أبني ربا)
جواب عن دعائهم له الى
عبادة آلهتهم والهمزة
للاينكار أي منكراً أن أطلب
ر باغيره وتقديم المفعول
للاشعار بأنه أهم (وهو
رب كل شئ) وكل من دونه
مر بوب ليس في الوجود
من له الربوبية غيره (ولا
تكسب كل نفس الاعمالها)
جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم
(ولا تزوروا زورا آخرى)
أي لا تؤخذ نفس آئمة
بذنب نفس أخرى (ثم الى
ربكم مرجعكم فينبئكم بما
كنتم فيه تختلفون) من
الاديان التي فرقتهم
(وهو الذي جعلكم خلائف
الارض) لان محمد صلى
الله عليه وسلم خاتم النبيين
فأمته قد خلفت سائر الأمم
أولان بعضهم يخلف بعضا
أوهم خلفاء الله في أرضه
يملكونها ويتصرفون
فيها (ورفع بعضكم فوق

ابراهيم وشريعته (حنيفاً) الاصل في الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل
من اختلفن أو حجج حنيفاً تنيها على أنه على دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم
صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قر يش لانهم يزعمون أنهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم
يكن من المشركين وعن عبد الاصنام (قل ان صلاتي) أي قل يا محمد ان صلاتي (ونسكي) قال مجاهد وسعيد
ابن جبير والضحاك والسدي أراد بالنسك في هذا الموضوع الذي بيحه في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة
والناسك العابد وقيل المناسك أعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح
وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسكة وقيل للنسك ناسك
لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفها كالسبيكة الخاصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل
على ان جميع العبادات يؤدونها العبد على الاخلاص لله ويؤكد هذا قوله للرب العالمين لا شريك له وفيه
دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى الاعلى وجه التمام والسكالم لان ما كان لله لا ينبغي أن يكون الا كاملاً
تاماً مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولاً (ومحياي ومماتي) أي حياتي
وموتي بخلق الله وقضائه وقدره أي هو محيي ويميتني وقيل معناه ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت
على الايمان لله وقيل معناه ان طاعتى في حياتي لله وجزائى بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله
أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين ان صلاته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله
وقضائه وقدره والمراد بقوله (للقرب العالمين لا شريك له) يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر
أفعاله لا يشاركه فيها أحد من خلقه (وبذلك أمرت) يعني قل يا محمد وهذا التوحيد أمرت (وأنا أول
المسلمين) قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناه وأنا أول المستسلمين لقضائه وقدره ﴿قوله عز وجل﴾ (قل
أغير الله أبني ربا) أي قل يا محمد هؤلاء الكفار من قومك أغير الله سيداً وأهلاً (وهو رب كل شئ)
يعنى وهو سيد كل شئ وما لك لا يشاركه فيه أحد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى
ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي أجل عنكم أوزاركم فقال الله عز وجل ردا
عليه (ولا تكسب كل نفس الاعمالها) يعني ان ثم لجاني عليه لا على غيره (ولا تزوروا زورا آخرى) يعني
لا تؤخذ نفس آئمة بآثم أخرى ولا تحمل نفس حاملة حل أخرى ولا يؤخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم
مرجعكم) يعني يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدين من الاديان والملل ﴿قوله تعالى﴾
(وهو الذي جعلكم خلائف الارض) يعني والله الذي جعلكم بأئمة محمد خلائف في الارض فان الله أهلك
من كان قبلكم من الأمم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخفونهم فيها وتعمرونها
بعدهم وذلك لان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو آخرهم وأمته آخر الأمم (ورفع بعضكم فوق بعض
درجات) يعني انه تعالى خالف بين أحوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل
والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقيح والغنى والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوى
والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل الجزأ والجهل أو البخل فان الله سبحانه وتعالى
منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان ﴿وهو قوله تعالى﴾ (ليبلوكم فيما آتاكم) يعني
يعاملكم معاملة المتبلى والمختبر وهو أعلم باحوال عباده والمعنى يبتلى الغنى بغناه والفقير بفقره والشريف
بشرفه والوضيع بدنايته والعبد والحر وغيرهم من جميع أصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب
والعقاب لان العبد امان أن يكون مقصراً فيما كلفه واما ان يكون موفياً ما أمر به فان كان مقصراً كان

بعض) في الشرف والرزق وغير ذلك (درجات) مفعول ثان أو انقـدير الى درجات أو هي واقعة موقع المصدر كانه قيل رفعة بعد
رفعة (ليبلوكم فيما آتاكم) فما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كلف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشر بف بالوضيع والغنى بالفقير والمالك

الملة والدين اذ جعلهم من ائمة وقوله تجارى بهم الالهواء كناية تجارى السكاب بصاحبه التجارى تفاعل من
الجرى وهو الوقوع فى الالهواء الماسدة والبدع المضلة تشبيها بجرى الفرس والسكاب قال ابن مسعود ان
احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشرا الامور محدثاتها ورأه جار
عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا ^١ وقوله تعالى (لست منهم فى شئ) يعنى فى قتال الكفار فعلى هذا تكون
الآية منسوخة مآبة لقتله وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكفار ومن قال
المراد من الآية اهل الالهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم فى شئ أى أنت منهم برىء وهم منك
برآء تقول العرب ان فعلت كذا فاست منك واست منى أى كل واحد من ابرىء من صاحبه (انما أمرهم الى
الله) يعنى فى الجزاء والمكافأة ثم يثبتهم بما كانوا يفعلون) يعنى اذا وردوا القيامة ^٢ قوله تعالى (من جاء
بالحسنة فله عشر أمثالها) يعنى عشر حسنات أمثالها (ومن جاء بالسئة فلا يجزى الا مثله) يعنى مثلها فى
مقابلتها واختلفوا فى هذه الحسنة والسبئة على قولين أحدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسبئة هي
الشرك بالله وأورد على هذا القول ان كلمة لتوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها وأوجب
عنه بان جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يجازى على قدر ايمان المؤمن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر
أمثالها لترغيب فى الايمان لا لتحديد وكذلك جزاء السبئة بمثلها من جنسها والقول الثانى أن اللفظ عام فى
كل حسنة يعملها العبد وسبئة هو ذنبا وأولى لان جعل اللفظ على العموم أولى قال بعضهم التقدير بالهشرة
ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء فى حسناته الى سبعمائة ويعطى من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب
لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وجزاء السبئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى وهو
قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعنى لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزداد على عذاب العاصى (ق) عن أبى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها
الى سبعمائة ضعف وكل سبئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن أبى ذر رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وازيد من جاء
بالسبئة جزاء سبئة مثله أو أغفر ومن تقرب منى شبرا تقرب بت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقرب بت منه
بأعاسن أتانى بمشى أنته هرولة ومن اتى بقرب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك فى شيا لقيته بمثلها مغفرة
(ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا أراد
عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فكتبوها بمثلها وان تركها من أجدى
فأكتبوها له حسنة واذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فكتبوها له حسنة فان عملها فكتبوها له بعشر
أمثالها الى سبعمائة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك
وتعالى اذا تحدث عبدى بان يعمل حسنة فانا نكتبها له حسنة مالم يعملها فاذا عملها فانا نكتبها له عشر أمثالها
واذا تحدث عبدى بان يعمل سيئة فانا أغفرها له مالم يعملها فاذا عملها فانا نكتبها له بمثلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها
فأكتبوها له بمثلها وان تركها فكتبوها له حسنة فاما تركها من جرائى زاد الترمذى من جاء بالحسنة فله
عشر أمثالها ^٣ قوله عز وجل (قل) يعنى قل يا محمد طهوا المشركين من قومك (اننى هدانى ربى الى صراط
مستقيم) يعنى قل لهم اتى أرشدنى ربى الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده
المؤمنين (دينا قيا) يعنى هدانى صراطا مستقيما دينا قيا وقيل يحتمل أن يكون محمولا على المعنى تقديره
وعرفنى دينا قيا يعنى دينا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل قيا بابتا مقوم الامور معاشى ومعادى
وقيل هو من قام وهو أبلغ من القائم (ماتا ابراهيم) والملة بالكسر الدين والشريعة يعنى هدانى وعرفنى دين

لها (لست منهم فى شئ) أى
من السؤل عنهم وعن
تفرقهم أو من عقابهم
(انما أمرهم الى الله ثم
ينبئهم بما كانوا يفعلون)
فيجاز بهم على ذلك (من
جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها) تقديره عشر
حسنات أمثالها الا أنه
أقيم صفة الجنس المميز
مقام الموصوف (ومن جاء
بالسبئة فلا يجزى الا مثله
وهم لا يظلمون) بنقص
الثواب وزيادة العقاب
(قرانى هدانى ربى)
ربى أبو عمر ومدنى (الى
صراط مستقيم دينا) نصب
على البدل من محل الى
صراط مستقيم لان معناه
هدانى صراطا بدليل قوله
ويهدىكم صراطا مستقيما
(قيا) فيعمل من قام كسيد
من ساد وهو أبلغ من القائم
قيا كوفى وشامى وهو مصدر
يعنى القيام وصف به (ملة
ابراهيم) عطف بيان

إيمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة (أو كسبت في إيمانها خيراً) يعني أو عملت قبل ظهور هذه الآية خيراً من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فإما من آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لأنها حاله اضطرار كما لو أرسل الله عبداً على أمة فآمنوا وصدفوا فأنهم لا ينفعهم إيمانهم ذلك لما بينتهم الأهل والشدة التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة وقوله (قل انتظروا) يعني ما وعدتم به من مجيء الآية ففيه وعيد وتهديد (ان منتظرون) يعني ما وعدكم بكم من العذاب يوم القيامة أو قبله في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا إما ينظره من تأخر في الوجود من المشركين والمكذبين محمد صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الوقت والمراد بهذا أن المشركين إنما يهلون قدر مدة الدنيا فإذا ماتوا وأظهرت الآيات لم ينفعهم الإيمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبداً وقيل إن قوله قل انتظروا ان منتظرون المراد به الكف عن قتال الكفار فتكفر الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الأول تكون الآية محكمة قوله عز وجل (ان الذين فرقوا) وقرئ فرقوا (دينهم وكانوا شيعاً) يعني آخر ابامة فرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم أنهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فنقرأ فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو دين إبراهيم الحنيفية السهلة أديماً مختلفاً كالهدية والصراية وعبادة الأصنام ونحو ذلك من الأديان المختلفة ومن فرقوا دينهم قال معناه باينوه وتروكوه من المفارقة للشيء وقيل إن معنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد في الحقيقة وهو أن من فرق دينه فآمر ببعضه وأنكر بعضه فقد فرق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لأن بعضهم عبدوا الأصنام وقالوا هذه شفعة نازعنا عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا أنهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفرق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لأنهم تفرقوا فكانوا فرقاً مختلفة وقال أبو هريرة في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الأمة وروى ذلك مرفوعاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ست منهم في شيء وإيسوا منكم هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة أسنده الطبري فإلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة وإن لا يفرقوا في الدين ولا يتبدعوا البدع المضلة وروى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة ذكره البغوي بغير سند عن العراب بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة درفت منها العيون ووجات منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهدوا إليها فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم يهدي وسيرى اختلافاً كثيراً عليكم سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين نسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة آخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنا من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثنتين وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين نكتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وأنه سيخرج في أمي أقوام تنجاريهم الأهواء كما تجاري الكلاب بصاحبه لا يبي من عرق ولا مفصل إلا دخله آخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفرق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي آخرجه الترمذي قال خطابي في هذا الحديث دلالة على أن هذه الفرق غير جائزة من

(أو كسبت في إيمانها خيراً) أي إخلاصاً كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضاً وتوبته وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبته من لم يتب قيل (قل انتظروا) إحدى الآيات الثلاث (ان منتظرون) بكم أحداها (ان الذين فرقوا دينهم) اختلفوا فيه وصاروا فرقاً كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي الناجية وافرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وافرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي السواد الأعظم وفي رواية وهي ما أنا عليه وأصحابي وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فرقوا دينهم حجة وعلى أي تركوا (وكانوا شيعاً) فرقا كل فرقة تشيع اماماً

مخبرهم (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادر وبالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخو بصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس نحي وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعير بين القرنين زاذني رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما تدرن أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخرساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخرساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مطلعها لا تنفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حنثة تنطلق حتى تخزل بها ساجدة تحت العرش حتى ياذن لها فاذا أراد أن يطلعهما من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيرى بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل أن يأتيكم بعذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من آية يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون لهم ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فاذا أصبحوا فاطال عليهم رأيت أعينهم طلوع الشمس فيبيناهم ينظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لانه لا ينفع مشركا إيمانه عند الآيات وينفع أهل الإيمان عند الآيات ان كانوا اكتبوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملعونة والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون فيربهم الله قدرته فيطاعها من المغرب كما أطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة وأجوج وما جوج وطلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معرفة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدي ثلاث الدابة أو طلوع الشمس من مغربها أو أجوج وما جوج وروى عن عائشة قالت اذا خرج أول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وروى عن أبي هريرة في قوله تعالى أو يأتي بعض آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وأصح الأقوال في ذلك ما نظهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) يعني لا ينفع من كان مشركا

(يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) لانه ليس بإيمان اختياري بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا

(انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) أي أهل التوراة وأهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا باهل كتاب (وان كانوا عن دراستهم)
عن تلاوة كتبهم (لغافلين) لاعلم لنا بشئ من ذلك ان مخففة من الثقيلة واللام (٧١) فارقة بينهما وبين النافية والاول

وانه كنا عن دراستهم
غافلين على أن الهاء ضمير
الشأن والخطاب لاهل مكة
والمراد اثبات الحجية عليهم
بانزال القرآن على محمد صلى
الله عليه وسلم كيلا يقولوا
يوم القيامة ان التوراة
والانجيل أنزل على
طائفتين من قبلنا وكنا
غافلين عما فيهما
(أو تقولوا) كراهة ان
تقولوا (لو أنزل علينا
الكتاب انكأ أهدي
منهم) لحدثة أذهاننا وثقابة
أفهامنا وغزارة حفظنا لا يام
العرب (فقد جاءكم بينة من
ربكم) أي ان صدقتم فيما
كنتم تعدون من أنفسكم
فقد جاءكم مافيه البيان
الساطع والبرهان القاطع
فخذف الشرط وهو من
أحسن الخدوف (وهدي
ورجة فن أظلم ممن كذب
بآيات الله) بعدما عرف
صحتها وصدقها (وصدف
عنها) أي أعرض (سنجزى
الذين يصدفون عن آياتنا
سوء العذاب) وهو النهاية
في النكابة (بما كانوا
يصدفون) باعراضهم
(هل ينظرون) أي أقننا
حجج الوحداينة وثبوت

تقولوا (انما أنزل الكتاب) وقيل يجوز أن تكون أن متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا أن تقولوا وهذا
خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة أن تقولوا انما أنزل الكتاب والكتاب اسم جنس لان المراد به
التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) يعني اليهود والنصارى (وان كآ) أي وقد كآ وقيل وانه كآ
(عن دراستهم) يعني قراءتهم (لغافلين) يعني لاعلم لنا بما فيها لانها ليست بلغتنا والمراد بهذه الآية اثبات
الحجة على اهل مكة وقطع عندهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وأنزلنا القرآن
بلغتهم لثلاثا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزل على طائفتين من قبلنا بلسانهم واغتهم فلم نعرف
ما فيه ما قطع الله عندهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم (أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكأ أهدي منهم)
وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكأ خير امهم وأهدى وانما
قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة فطرتهم وذهنهم ^ع قال الله عز وجل (فقد جاءكم بينة من ربكم)
يعني هذا القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها (وهدي) يعني من الضلالة (ورجة) يعني وهو رجحة
ونعمة أنعم الله بها عليكم (فن أظلم) أي لأحد أظلم وأكفر (ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) يعني
وأعرض عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) يعني أسوأ العذاب وأشدّه (بما كانوا
يصدفون) أي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله ^ع قوله تعالى (هل ينظرون)
يعني هل ينتظروا بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن وصدفهم عن آيات الله وهو استهتافهم بمعناه
النفي وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم احداها
آمنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم (الا أن تأتيهم الملائكة) يعني لقبض أرواحهم وقيل أن تأتيهم
بالعذاب (أو يأتي ربك) يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الآية
في سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الله في ظلم من الغمام بما فيه كفاية وان المجيء والذهاب
على الله محال فيجب امرها بلا تنكييف (أو يأتي بعض آيات ربك) قال جمهور المفسرين هو طلوع
الشمس من مغربها وبدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا
خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض أخرجه
مسلم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أو يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من
مغربها أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم باب من قبل المغرب مسبرة عرضه أو قال يسير الراكب في عرضه أو بعين أو سبعين سنة خلقه الله
تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا لتوبة لا يغاق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع
الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عذابها فرباها فذا طاعت ورآها الناس آمنوا اجمعون فذلك
حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا (م) عن حذيفة بن أسد الغفاري
قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة فقال انها ان تقوم
حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال ودابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم
وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وأخذ ذلك نار تطرد الناس الى

الرسالة أو بطلنا ما يعتقدون من الضلالة فيا ينظرون في ترك الايمان بعدها (الا أن تأتيهم الملائكة) أي ملائكة الموت لقبض أرواحهم
بأتيهم جزوة على (أو يأتي ربك) أي أمر ربك وهو العذاب أو القيامة وهذا لان الايمان متشابه واتيان أمره مخصوص عليه محكم فورد
اليه (أو يأتي بعض آيات ربك) أي اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك

ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) فتفرقكم أيادي سبعاء عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشده وصراط الله فاتبعوه (٧٠) ثم خط على كل جانب ستة خطوط مائلة ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان

يدعوا اليه فاجتنبوها وتلا هذه الآية ثم بصير كل واحد من الاثني عشر طريقا سبيل طرق فيكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخن شي من جميع الكتب وعن كعب ان هذه الآيات لاول شي في التوراة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) لتكونوا على رجاء اصابة التقوى ذكر أول انعقادون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أي انعطوا فانقوا المحارم (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) أي ثم أخبركم انا آتينا وهو عطف على ثم قل أي قل آتينا وهم مع الجلالة تأتي بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (على الذي احسن) على من كان محسنا صالحا يريد جنس الحسين دليله قراءة عبد الله على الذين أحسنوا وأراد به موسى عليه السلام أي تمتة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ في كل ما أمر به (وتفصيلا

وأمرهم بانباع جلته وتفصيله) (ولا تتبعوا السبل) يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن سبيله) يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطر يقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه وقرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآيات (ذلكم وصاكم به) يعني بانباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه (اعلمكم تتقون) يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخن شي وهن محرمات على بني آدم كلها وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتل ما حرم بكم عليكم الآيات الى قوله اعلمكم تتقون أخرجه الترمذي قال حديث حسن غريب قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة فان قلت ان بيان موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم لتعقيب فمافى ذلك قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لتأخير النزول والمعنى قل تعالوا أتل ما حرم بكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله تعالى اعلمكم تتقون ثم أخذ بكم انا آتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم بكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدبر الكلام ذلكم وصاكم به يابني آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا أتل ما حرم بكم عليكم ثم قال بعد ذلك يا محمد انا آتينا موسى الكتاب فخذف لفظه قل دلالة الكلام عليها ﴿ وقوله تعالى (تماما على الذي أحسن) اختلف أهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على الحسين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي تماما على من أحسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقيل معناه تماما على كل من أحسن أي آتينا مفضلة موسى على الحسين وهم الانبياء والمؤمنون أي آتينا مفضله عليهم بالكتاب وقيل الذي أحسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما أي على ما أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب تماما للنعمة عليه لاجتهاد الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما على احسانى الى موسى (وتفصيلا لكل شي) يعني وفيه بيان لكل شي يحتاج اليه من شرائع الدين وأحكامه (وهدى) يعني وفيه هدى من الضلالة (ورجته) يعني انزله عليهم رجته في عالمهم (لعلهم بلقاءهم يؤمنون) قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ (فاتبعوه) يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام (واتقوا) يعني مخالفته (اعلمكم ترجون) يعني ليكن الغرض بالتقوى رجته الله وقيل معناه لكي ترجوا على جزاء التقوى (أن تقولوا) يعني لثلاث تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا يعني أنزلنا اليك الكتاب كراهية أن

لكل شي) وبيان مفصلا لكل ما يحتاجون اليه في دينهم (وهدى ورجته اعلمهم) أي بني اسرائيل تقولوا (بلقاءهم يؤمنون) يصدقون أي بالبعث والحساب وبالرؤية (وهذا أي القرآن) كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فاتبعوه واتقوا) مخالفته (اعلمكم ترجون) لترجوا (أن تقولوا) كراهية أن تقولوا أو لثلاث تقولوا

(ولانقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) كالعصاص والقتل على الرذة والرجم (ذلكم وصاكم به) أي المذكور مفضلاً أمركم به بحفظه
(لعلكم تعقلون) لتعقلوا عظمها عند الله (ولانقر بوامال اليتيم الابالتي هي أحسن) (٦٩) الاباخصلة التي هي أحسن وهي

حفظه وتثبته (حتى يبلغ أشده) أشده مبلغ حمله فادفعوه اليه وواحده شدك فليس وأفلس (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط) بالسوية والعدل (لانكف نفسا الاوسعها) الامايسعها ولا تهجز عنه وانما اتبع الامر بايقاء السكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لازيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فامر بيباوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (واذا قلم قاعدلوا) فاصدقوا (ولو كان ذاقربي) ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرهما من أهل قرابة القائل كقوله ولوعلى أنفسكم أو الوالدين والاقرب بين (وبعهد الله) يوم الميثاق أو في الامر والنهي والوعد والوعيد والنذر واليمين (أوفوا ذلكم) أي ما أمر (وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حجة وعلى وحفص على حذف احدي التاءين غيرهم بالتشديد أصله تذكرون فادغم التاء الثانية في الذال أي أمركم به لتعظوا (وأن هذا صراطي) ولان هذا صراطي فهو علة للاتباع

العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيم الامر استوجب رضوان الله وثوابه (ولانقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) حرم الله تعالى قتل النفس الابالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقر بوا الفواحش وانما أفرقت النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل انما أفرده بالذكر لانه تعالى أراد أن يستثنى منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الابالفراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق وهي التي أبيع قتلها من ردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأناي رسول الله الاباحدي ثلاث اثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴿ وقوله تعالى (ذلكم) يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات (وصاكم به) يعني أمركم به وأرجعه عليكم (لعلكم تعقلون) يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها ﴿ قوله تعالى (ولانقر بوامال اليتيم الابالتي هي أحسن) يعني ولا تقر بوامال اليتيم الابا فيه صلاحه وتثبته وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسمى له فيه ولا ياخذ من ربحه شيأ هذا اذا كان القيم بالمبال غنيا غير محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله أن يأكل بالعرف (حتى يبلغ أشده) يعني احفظوا مال اليتيم الى أن يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهي في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجمع قوته وقال السكبي الاشد هو ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى أربعين سنة وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية إنما هي نهاية الاشد لا ابتداء والمراد بالاشد في هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية ﴿ وقوله تعالى (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط) يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان (لانكف نفسا الاوسعها) يعني طاقتها وما يسعها في ايقاء السكيل والميزان وانما لم يكف المعطى أن يعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكف صاحب الحق الرضا بقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه (واذا قلم قاعدلوا) يعني في الحكم والشهادة (ولو كان ذاقربي) يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو أعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق (وبعهد الله أوفوا) يعني ما عهد الى عبادهم ووصاهم به وأوجه عليهم أو ما أوجهه الانسان على نفسه كندرو ونحوه فيجب الوفاء به (ذلكم) يعني الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم به) يعني بالعمل به (لعلكم تذكرون) يعني لعلكم تتعظون وتذكرون فتأخذون ما أمرتكم به ﴿ قوله عز وجل (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) يعني وان هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي يعني طريق ديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قواما لا يميل فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به مفضلاً لاجله في هذه الآية اجالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضا جميع احكام الشريعة وكل ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام وهو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين

بتقدير اللام وان بالتخفيف شامى وأصله وانه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وان على الابتداء حجة وعلى (مستقيما) حال

(فاتبعوه)

منهم) ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى اذ لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المشركون (وهم برهم يعدلون) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحرف والانعام (تعالوا) هومن الخاص الذي صار عامافاصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أتل ما حرم ر بكم) الذي حرمه ر بكم (عليكم) مامن صلة حرم (ن لا تشر كوابه شيئا) أن مفسرة افعال التلاوة ولا تنهى وبالوالدين احسانا) واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان تحريمًا لترك الاحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر (ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) لان رزق العبيد على مولاهم (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها) ما بينك وبين الخلق (وما

ذلك وانما اختلقوه من عند انفسهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) وهذا نبيه أيضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد أنت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبون (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) يعني ان وقع منهم شهادة فاقمها هي باتباع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد أهواءهم ولكن اتبع ما أوحى اليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم برهم يعدلون) يعني يشركون ﴿ قوله عز وجل (قل تعالوا ائنا ما حرم ر بكم عليكم) لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فبما زعموا ان الله أمرهم بتحریم ما حرموه على انفسهم فكأنهم سألوا وقالوا أي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم تعالوا تعال من الخاص الذي صار عامًا وصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل أصله أن تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكأنه دعاه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم ائنا عليكم يعني أقر ما حرم ر بكم عليكم يعني الذي حرم ر بكم عليكم حقايقينا لاشك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحى أو حاه الله الى (ان لا تشر كوابه شيئا) فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله أن لا تشر كوابه شيئا لانه كالتفصيل لما أجمله في قوله حرم ر بكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه الوجه الاول أن يكون موضع أن رفع معناه هو أن لا تشر كوا الوجه الثاني أن يكون محله النصب واختلغا في وجه انتصابه فقل معناه حرم عليكم أن تشر كوا وتكون لاصلة وقيل ان حرف لا على أصلها ويكون المعنى ائنا عليكم تحريم الشرك أي لا تشر كوا ويكون المعنى أوصيكم أن لا تشر كوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على أوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث أن يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ر بكم ثم قال عليكم أن لا تشر كوا على الاغراء أو بمعنى فرض عليكم أن لا تشر كوابه شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه أو يطيع مخلوقا في معصية الخالق أو ير يدعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربك أحد ﴿ وقوله عز وجل (وبالوالدين احسانا) أي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما نثي بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان أعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذي أخرجه من العدم الى الوجود وخلقه وأوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمته الوالدين لانهم السبب في وجود الانسان ولما لهما عليه من حق التربيّة والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره (ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق) يعني من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمرا بالقتل وأد البنات وهن احياء فكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم (نحن نرزقكم واياهم) يعني لا تندوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وترتيبه والاتكال في أمر الرزق على الله عز وجل (ولا تقربوا الفواحش) يعني الزنا (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستتبعون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احتز عن المعاصي في الظاهر ولم يحتز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما أمر به ونهى عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق ما بينك وبين الله مظهر بدل من الفواحش م م قوله في الهامش مامن صلة حرم هكذا بالاصل الذي بايدنا ولعله سقط منه لفظة أو قبل ما فاته اشارة الى وجه ثان وهو ان ما استفهامية تدل عليه عبارة الكشف وليراجع

عز وجل ردوا وتكذبت باهلهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل
 قومك كذبوا انبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء (حتى ذاقوا بأسنا) يعني عذابنا
 فصل استدلال القدرة والمعزلة بهذه الآية فقلوا ان القوم لما قالوا لوشاء الله ما أشركنا كذبهم الله
 ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأيضا فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح منذهب
 الجبرية وهو قولهم لوشاء الله منا أن لا نشرك لم نشرك ولنعناعن هذا الكفر وحيث لم ينعناعه ثبت انه
 صريده واذا أراد منا امتنع تركه منا وأجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لوشاء
 الله ما أشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التأكيد ليس هو في قولهم لوشاء الله
 ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله أمرنا به ورضي ما نحن عليه كما أخبر عنهم
 في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فردد الله تعالى عليهم بقوله قل
 ان الله لا يأمر بالفحشاء والذليل ان التأكيد في قولهم ان الله أمرنا به هذا ورضيه منا لا في قولهم لوشاء الله
 ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم في قولهم لوشاء الله
 ما أشركنا فقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لالي التأكيد وقال
 الحسن بن الفضل لوقالوا هذه المقالة تعظيما لله وجلاله ومعرفة بحقه وما يقولون لما عابهم بذلك وانكسروا
 قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وما يقولون وقيل في معنى الآية انهم كانوا يقولون
 الحق بهذه الكلمة وهو قوله لوشاء الله ما أشركنا الا أنهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في
 ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان أمر الله بمنزل عن مشيئته وارادته فان الله تعالى صريده لجميع الكائنات
 غير أمر بجميع ما يريد فعل العبد ان يتبع أمره وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا
 لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد
 ويأمره بالايمان وورد الامر على خلاف الارادة غير ممنوع فالخصل انه تعالى حكى عن الكفار أنهم يمسكون
 بمشيئته الله تعالى في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة
 لله تعالى في كل الامور دفع دعوه الانبياء عليهم السلام والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (قل هل عندكم من علم)
 أى قل يا محمد هؤلاء المشركين القائلين لوشاء الله ما أشركنا ولو كنتم ترضون ما نحن عليه من الشرك هل عندكم
 يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم (فتخرجوه لنا) يعني فتظهروا
 ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالتة في العقول (ان تتبعون
 الا الظن) يعني فيما أنتم عليه من الشرك وتحريم ما يحرمه الله عليكم وتحسبون أنكم على حق وانما هو
 باطل (وان أنتم الا تخرسون) يعني وما أنتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل ﴿ وقوله
 تعالى (قل فأنه الحجة البالغة) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم الله وحجة لهم فأنه
 الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لا حجة لاحد عصى الله
 أو أشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عبادته (فلوشاء هذا كما أجعتم) يعني فلوشاء الله لوفقكم
 أجعتم للهداية ولكنهم لم يشاءوا ذلك وفيه دليل على أنه تعالى لم يشاء ايمان الكافر ولوشاء طهاده لا يسئل عما
 يفعل وهم يسئلون (قل هل شهداءكم الذين يشهدون) يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهم كلكم دعوة الى
 الشيء يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والذكروالانثى وفيها لغة أخرى يقال للواحد هلم وللانثى
 هلمما وللجمع هلموا وللانثى هلمى واللغة الاولى أفصح (ان الله حرم هذا) وهذا تنبيه من الله باستدعاء
 الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله صريده ان لا يظهر ان لا شاهد لهم على

لم يكن شئ من ذلك (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى
 كتكذبت بهم اياك كان
 تكذيب المتقدمين رسالهم
 وتشبهوا بما ل هذا فلم ينفعهم
 ذلك اذ لم يقولوه عن اعتقاد
 بل قالوا ذلك استهزاء ولأنهم
 جعلوا مشيئته حجة لهم على
 انهم معذرون به وهذا
 مردود لان الاقرار بالمشيئة
 ٢ أو معنى المشيئة هنا الرضا
 كما قال الحسن أى مارضى
 الله منا ومن آباءنا الشرك
 والشرك مراد اكنه غير
 مرضى الا ترضى أنه قال
 فلوشاء هذا كما أجعتم
 أخبر أنه لوشاء منهم الهدى
 لآمن كلهم ولكن لم يشاء
 من الكل الايمان بل
 شاء من البعض الايمان
 ومن البعض الكفر
 فيجب حل المشيئة هنا
 على ما ذكرنا فالتناقض
 (حتى ذاقوا بأسنا) حتى
 أنزلنا عليهم العذاب
 (قل هل عندكم من علم)
 من أمر معكم يوم يصح
 الاحتجاج به فيما قلتم
 (فتخرجوه لنا) فتظهروه
 (ان تتبعون الا الظن)
 وان أنتم الا تخرسون)
 تكذبون (قل فأنه الحجة
 البالغة) عليكم يا امرء
 ونواهي ولا تحفلكم على
 الله بمشيئته (فلوشاء

هذا كما أجعتم) أى فلوشاء هذا يتكلم به تبطل صولة المعتزلة (قل هل شهداءكم) هاتوا شهداءكم وقر بوجه ويستوى في هذه الكلمة الواحد والجمع والذكروالمؤنث عند الجازين وينعم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى زعموه محرم

لتوغله في باب الفسق (فن) لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذنه (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) أي ماله أصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الأبل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) أي حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه ولم يحرم من البقر والغنم إلا الشحوم وهي الثروب وشحوم الكلي (الإماجات ظهورهما) إلا ما شتمل على الظهور والجنوب من السجفة (أو الحوايا) أو ما شتمل على الأمعاء واحدها حوايا أو حوية (أو ما اختلط بعظم) وهو الآية أو المخ (ذاك) مفعول ثان لقوله (جزيناهم) والتقدير جزيناهم ذلك (ببغيتهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فيما أخبرنا به وكيف أنشكر من سبب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سالفنا لتحاييل الحرام حيث قال وعفانكم فالآن بأشروهن (فان كذبوك) فيما أوحيت اليك من هذا (فقل ربكم ذورجة واسعة) بهاء هل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) عذابه مع سعة رحمة (عن القوم الجرمين) إذا جاء فلا تغربسعة رحمة عن خوف

حرم بعد نزولها أشياء أخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الآية محرم على اسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله أعلم (بني في الآية أحكام) في قوله تعالى أودما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالسكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن حدير سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها جرة الدم فقال لا بأس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا بأس بالدم في عرق أو مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الآية لتبعت المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود وقوله تعالى (فن اضطر غير باغ ولا عاد) لما بين الله المحرمات في هذه الآية أباح أكلها عند الاضطرار من غير بني ولا عدوان في قوله (فان ربك غفور رحيم) دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار في قوله تعالى (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا كل ذي ظفر) قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعني شحوم الجوف وهي الثروب وشحوم الكليتين (الإماجات ظهورهما) يعني الاما عاق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحوم فانه غير محرم عليهم وقال السدي وأبوصالح الآية مما حلت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية (أو الحوايا) وهي المباعر في قول ابن عباس وجهور المفسرين واحدها حوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بطن الشاة والمعنى أن الشحوم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود (أو ما اختلط بعظم) يعني من شحوم الالية لانه اختلط بالعصص وكذا الشحوم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والعين فكل هذا حلال على اليهود فاصل هذا أن الذي حرم عليهم شحوم الثروب وشحوم الكلية وما عد ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله رأيت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله حرم عليهم شحومها جلوه ثم باعوه فاكلوه فكلوا ثم قال صلى الله عليه وسلم اذ ابوه يقال أجلت الشحوم وجلته اذا ذبته وجلته أكثر وأصفح في قوله تعالى (ذلك جزيناهم) أي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة لهم (ببغيتهم) يعني بسبب بغيتهم وظلمهم وهو قتل الانبياء وأخذ الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل (وانا لصادقون) يعني في الاخبار عن بغيتهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم (فان كذبوك) يعني فان كذبك اليهود يا محمد فيما أخبرناك ان احرمنا عليهم وأحللنا لهم مما بيناه في هذه الآية المتقدمة (فقل ربكم ذورجة واسعة) يعني بتأخير العقوبة عنكم فان رحمة تسع المسيء والحسن فلا يجمل بالعقوبة على من كفر به أو عصاه (ولا يرد بأسه) يعني ولا يرد عذابه ونقمة اذا جاء وقتها (عن التوم الجرمين) يعني الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود وقوله عز وجل (سيعقوب الذين أشركوا) لما لزمهم الحجبة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله ونحوهم ما حرم الله أخبر الله تعالى عنهم بما سبقوا له فقال تعالى سيعقوب الذين أشركوا يعني مشركي قريش والعرب (لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قلوبهم لوشاء الله ما أشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نعلمه فلو لا انه رضى ما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك (ولا حرمنا من شيء) يعني ما حرمه ومن البعائر والسوايب وغير ذلك فقال الله

التحريم والتحليل لا يكون الا بسوحي منه وان المحرمات محصورة في الاربع الاشياء المذكورة في هذه الآية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة في أن التحريم لا يخرج عن هذه الاربع وذلك أنه ثبت أنه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالسوحي وثبت أن الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الاربع الاشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانها لا يحرم شيء من سائر الطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الآية يروي ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بان هذه الآية وان كانت مكية لكن يعضدها آية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المسكية في الحكم وذهب جمهور العلماء الى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليها في هذه الآية فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بما منها تحريم الجوارح الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدم بن معد يكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحلناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولا يروى داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا يحل لكم الجوارح الاهلية ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطعة معاها الا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقره فان لم يقره فله أن يعفيهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقدر ارفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو معفو وتلا قل لأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل لحوم الجوارح الاهلية (ق) عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجوارح الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية أكلنا من خير الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجوارح الاهلية عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح كل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعي أن كل ما لم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان أمر الشارع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق بقتل في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلب العقور وروى عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخاري ومسلم وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدد والصر داخرجه أبو داود فهذا كله حرام لا يحل أكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيه الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبئه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله أحل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقر بما يحل ويحرم من الطعومات وأما الجواب عن هذه الآية الكريمة فمن وجوه أحدها ان يكون المعنى لأجد محرما مما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الا ما أوحى الى في هذه الآية الوجه الثاني أن يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكر وانص عليه في هذه الآية ثم

ما حصل أئمتها (أم كنتم شهداء) أم منقطعة أي بل كنتم شهداء (أذواكم الله بهذا) يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله (٦٤) وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحررتمه تكلمهم في قوله أم كنتم شهداء على

معنى أعرقم التوصية به مشاهد بن لانكم لا تؤمنون بالرسول (فن أظلم عن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين في علمه أنهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غيراً جنسي من المعدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الانعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرّمها يكون تأكيدا للتحميل والاعتراضات في الكلام لاتساق الاللو كيد (قل لأجد فيما أوحى الى) أي في ذلك الوقت أو في وحي القرآن لان وحي السنة قد حرم غيره أو من الانعام لان الآية في رد البحيرة وأخوانها وأما الموقوذة والمتردبة والنطيحة فن الميتة وفيه تنبيه على أن التحريم إنما ثبت بوحى الله وشرعه لا بهوى النفس (محرم) حيوانا حرم أكله (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الآن يكون

صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلهونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتهم أصنافا من النعم على غير أهل وإنما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكرا من قبل الاثني فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك مالك لا تتكلم فقال بل أنت تكلم وأسمع منك قال المفسرون فلوقال جاء التحريم من قبل الذكرك بسبب الذكورة يجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة يجب أن يحرم جميع الاناث وان كان باشمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الاعلى ذكرا وانثى وأما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع أو ببعض دون البعض فن أي ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الآيتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل ما قالوه من ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيئا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذكروا الامام خذ الدين في معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني أنكم لا تقرّون بنبوة نبي ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف نحكمكم بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني أنكم حكمتم بالبحيرة والسائبه والوصيلة والحامى مخصوصا بالابل فالله تعالى بين أن النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعه وهى الضأن والمعز والبقر والابل فلم تحكموا بهذه الاحكام في هذه الانواع الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة ﴿ قوله تعالى (أم كنتم شهداء اذواكم الله بهذا) يقول الله انبياءه صلى الله عليه وسلم قل ل هؤلاء الجاهلة من المشركين الذين يزعمون أن الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرّون بنبوة أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجّة وبين أنه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى (فن أظلم عن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) يعني فن أشد ظلمها وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصدّهم عن سبيل الله جهلامنه اذ ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله أمرنا بهذا قيل أراد به عمر وبن لحي لانه أول من بحر البحائر وسبب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام وبدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته وأبتدع شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف اليه ما لم يشرعه لعباده ﴿ قوله عز وجل (قل لأجد فيما أوحى الى محرم ما على طاعم يطعمه) اعلم أنه لما بين الله تعالى فساد طريقته أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحليل والتحريم والتجريم من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرّموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين أن التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل أي قل يا محمد ل هؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجد فيما أوحى الى وقبل انهم قالوا لى المحرم اذ انزل قل لا أجد فيما أوحى الى محرم ما على طاعم يطعمه يعنى على آكل يأكله (الآن يكون ميتة أو دما مسفوحا) يعنى ساوا مصبوبا (أو لحم خنزير فانه رجيس) أي نجس (أو فسقا أهل غير الله به) يعنى ما ذبح على غير اسم الله تعالى فيبين الله تعالى في هذه الآية أن

ميتة) الآن يكون الشئ المحرم ميتة أن تكون مكي وشامى وجزرة ميتة شامى (أو دما مسفوحا) مصبوبا حائلا التحريم فلا يحرم الدم الذى في اللحم والكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجيس) نجس (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أهل غير الله به) منصوب المحل صفة لفسقا أى رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمى با فسق

(انه لا يحب المسرفين) اعتراض (ومن الانعام حولة وفرشا) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام ما يحمل الأثقال، وما يفرض للذبح أو الحولة البكار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والجماجيل والغنم لانها دانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كأوامر زكمت الله) أى ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كجافي الجاهلية (ولا) (٦٣) تتبعوا خطوات الشيطان) طريقة

في التحليل والتحرير كفعل أهل الجاهلية (انه) (لكم عدو مبين) فاتهموه على دينكم (ثمانية أزواج) بدل من حولة وفرشا (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى والواحد إذا كان وسده فهو فرد وإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خاق الزوجين الذكر والأنثى ويدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرهما بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكى وشامى وأبو عمر ووهما لغتان والهزمة في (قل) آله ذكرين حرم أم الاثنيين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين (للانكار والمراد بالذكريين الذكريين من الضأن والذكريين من المعز والاثنيين من الضأن والاثني من المعز والمعنى انكار أن يحرم الله من جنس الغنم ضائها ومعزها

الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذا القولان يشتركان في أن المراد من الاسراف مجاوزة الحد لأن الأولى في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول أيضا يرجع الى مجاوزة الحد لأن من شرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حده وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله تعالى ولو كان أبو قبيس ذهابا فنفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو أنفقته درهما أو مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهى أن يأخذ من رب المال فوق الذي أزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلطين لا تسرفوا أى لا تأخذوا بغير حق فكانت الآية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى (انه لا يحب المسرفين) فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شئ لأن من لا يحب الله فهو من أهل النار وقوله تعالى (ومن الانعام) يعنى وأنشأ من الانعام (حولة) وهي كل ما يحتمل عليهما من الأبل (وفرشا) يعنى صغار الأبل التي لا تحتمل قال ابن عباس الحولة هي البكار من الأبل والفرش هي الصغار من الأبل وقال في رواية أخرى عنه ذكرها الطبري أما الحولة فالأبل والخيل والبغال والحمير وكل شئ يحمل عليه وأما الفرش فالغنم وقال الربيع بن أنس الحولة الأبل والبقر والفرش المعز والضأن فالحولة كل ما يحتمل عليهما من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمي فرشالانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره (كأوامر زكمت الله) يعنى كأوامر أحله الله لكم من هذه الانعام والحرث (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعنى لا تسلكوا طريقه وأثاره في تحريم الحرث والانعام كفعله أهل الجاهلية (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين) يعنى انه مبين العداوة لكم ثم بين الحولة والفرش فقال عز وجل (ثمانية أزواج) يعنى وأنشأ من الانعام ثمانية أزواج يعنى ثمانية أصناف والزواج في اللغة الفرد إذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنيين فيقال للذكريين زوج وللانثى زوج (من الضأن اثنين) يعنى الذكر والأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن (ومن المعز اثنين) يعنى الذكر والأنثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى (قل آله ذكرين حرم أم الاثنيين) استفهام انكار أى قل يا محمد طوؤا لاهل الجهلة آله ذكرين من الضأن والمعز حرم عليكم أم الاثنيين منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الاثنيين منهما فكل انثاهما حرام (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) يعنى أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين من الضأن والمعز فانها لا تشمل الاعلى ذكر أو أنثى (نبشوني) أى اخبروني وفسر والى ما حرمتم (يعلم ان كنتم صادقين) يعنى أن الله حرم ذلك عليكم (ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين) وهذه أربعة أزواج آخر بقية الثمانية (قل آله ذكرين حرم أم الاثنيين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) وتفسير هذه الآية نحو ما تقدم وفي هاتين الآيتين تقرير وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتعريمهم ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرت حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يجرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الاسلام وثبت الاحكام جادلوا النبي

شياً من نوعي ذكورها وانثاهما ولا يحمل الاناث وذلك انهم كانوا يجرمون ذكور الانعام تارة وانثاهما طورا وأولادها كيفما كانت ذكورا وانثاء أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وانتصب آله ذكرين محرم وكذا أم الاثنيين أى أم حرم الاثنيين وكذا ما في أم ما اشتملت (نبشوني يعلم) أخبروني باسم معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) في أن الله حرمه (ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين قل آله ذكرين) منهما (حرم أم الاثنيين) منهما (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) أم

الى غير الوحوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيئاً قبل اخراج الواجب فيها المالك شركة الفقراء والمساكين معه فاباح الله أن يأكل قبل اخراجه لان رعاية حق النفس متقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم أن المقصود من خلق هذه الاشياء التي أنعم الله بها على عباده هو الاكل (وأتواحقه يوم حصاده) يعني يوم حصاده وقطعه واختلفوا في هذا الحق المأمور باخراجه فقال ابن عباس وأنس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وفتادة قال فتادة في قوله وأتواحقه يوم حصاده أي من الصدقة المفروضة ذكر لنا أن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائجة أو سقاها النيل والندي أو كان بعلا العشر كاملاً وان سقى بنضح أو سانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة أو الزرع وبلغ خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى وأتواحقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وأتواحقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وفتادة أن هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزات في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لانه قد روى عن ابن عباس أنه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله تعالى وأتواحقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والتمر وهذا قول علي بن الحسن وعطاء ومجاهد وحاد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يجيئون بالعنق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان أهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعنق فيعاقونه في جانب المسجد فيبيع المسكين فيضربه بعصاه فاسقط منه أكله فعلى هذا القول هل هذا الامر أمر وجوب أو استحباب وندب فيه قولان أحدهما أنه أمر وجوب فيكون منسوخاً بآية الزكاة بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرهما قال لا الآن تطوع والقول الثاني أنه أمر ندب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبيرة كان هذا حقايقاً من باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخاً بإيجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدى والرازي القول الاول وصححه فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف قلت معناه قدره وأداء اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه الا أنه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وأتواحقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد المالك لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد المالك وقوله تعالى (ولانسرفوا) الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق أشهر وقيل السرف تجاوز ما حدلك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلاً قال ابن عباس في رواية عنه عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمة هاني يوم واحد ولم يترك لاهله شيئاً فانزل الله هذه الآية ولانسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا أموالكم وتقعوا ففراء قال الزجاج فعلى هذا الوأعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئاً فقد أسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا

اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك (وأتواحقه) عشره وهو حجة أبي حنيفة رحمه الله في تعميم العشر (يوم حصاده) بصرى وشامى وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما الغتان (ولانسرفوا) باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى

ودخلت الهاء في خالصه لتأكيده والمبالغة كقولهم رجل عـلامـة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأنيث الانعام لان مافي بطونها مثلها فانث بتأنيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحدمثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى ونذكيره على اللفظ كما في هذه الآية فانه أنث خالصه على المعنى وذكروهم على اللفظ (سيعجز بهم وصفهم) يعني سيعكفونهم بسبب وصفهم على الله الكذب (انه حكيم عليم) فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليهم بقدر استحقاقهم ﴿قوله تعالى﴾ (قد خسروا الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم) قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضي الرجل على أن يستحي جارية ويئد أخرى فاذا كانت الجارية التي تؤادغدا الرجل أوراخ من عند امرأته وقال لها انت على كظهر أُمي ان رجعت اليك ولم تشديها فتخذها في الارض خسدا وترسل الى نساءها فيجتهدن عن عندها ثم يتدوانها بينهن حتى اذا ابصرته راجعاده استهاني فحفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة وبعثه مأسبا الحسران المذكور في قوله قد خسروا الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة نعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وباطلها فقد استوجب الدم وخسر في الدنيا والآخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالها نعم الله به عليه واما خسارته في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلا وذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قوة العلم يل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية ﴿وقوله﴾ تعالى (وحرموا ما رزقهم الله) يعني البحائر والسوائب والحامى وبعض الحروث وبعض مافي بطون الانعام وهذا ايضا من أعظم الجهالة (افتراء على الله) يعني أنهم فعلا هذه الافعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا ايضا من أعظم الجهالة لان الجراء على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم (خ) عن ابن عباس قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسروا الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) يعني وبالله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات (وغير معروشات) يعني مسموكات من تفعات وغير مرتفعات وأصل العرش في اللغة شيء مشقف يجعل عليه الكرم ووجه عروش يقال عرشت الكرم أعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعتريش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر ما يعريش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزروع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعريش ومنه ما لم يعريش بل يبرقي على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما عرسه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما نبته الله في البراري والجبال من كرم أو شجر (والنخل والزروع) يعني وأنشأ النخل والزروع وهو جميع الحبوب التي تقنت وتندخ (مختلفا كاه) يعني به اختلاف الطعم في الثمار كالحمض والحامض والجيد والردى ونحو ذلك (والزيتون والرمان متشابه) يعني في المنظر (وغير متشابه) يعني في الطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرهما مختلف في الجنس والطعم (كلوا من ثمره اذا أثمر) لماذا ذكر ما أنتم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتمية على أنواع من الثمار ذكرها هو المقصود الاصلى وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وهذا أمر اباحه وتمسك بهذا لبعضهم فقال الامر قد يرد

جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحرير (انه حكيم) في جزائهم (عليم) باعتقادهم (قد خسروا الذين قتلوا اولادهم) كانوا يشدون بناتهم مخافة السبي والفقر قتلوا مكي وشامي (سفها بغير علم) خلفه أحلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لاهم (وحرموا ما رزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (افتراء على الله) مفعول له (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب (وهو الذي أنشأ) خلق (جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات من رفوعات (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعريش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان (والنخل والزروع مختلفا) في اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقدرة لان النخل وقت خروجه لأكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (أكله) أكله حجازي وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزروع داخل في حاكمه لانه معطوف عليه أول كل واحد (والزيتون والرمان متشابه) في اللون (وغير متشابه) في الطعم (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد وقائدة (اذا أثمر) ان يعلم أن أول وقت الاباحة وقت

زين لكثير من المشركين) أي كاز بن لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (أولادهم شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركاؤهم بالجر شامى على إضافة القتل الى الشركاء أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركاؤهم أولادهم (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخطوا عليهم ويشوبوه ودينهم كانوا (٦٠) عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك (ولو شاء الله ما فعلوه) وفيه

دليل على ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (قدرهم وما يفترون) وما يفترونه من الافك أو الافتراء هم لان ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وقالوا هذه أنعام وحرث) لا اوثان (حجر) حرام فعل بمعنى المفعول كالتبج والطحن ويستوى في الوصف به المذكور والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لأنهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وأنعام حرمت ظهورها) هي البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) حالة الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام (افتراء عليه) هو مفعوله أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لا يركب وقسم لا يذكرو

جهلانهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم شركاؤهم والمعنى أن جعلهم لله نصيباً من أموالهم وأشركاؤهم نصيباً في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لاجم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم على قتل أولادهم في نهاية الجهالة أيضاً فكانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلاً وخطأ وضلالاً كذلك (زين) يعني حسن (الكثير من المشركين قتل أولادهم) يعني به وأد البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة (شركاؤهم) يعني شياطينهم أمرؤهم أن يقتلوا أولادهم خشية الفـقر وسميت الشياطين شركاء لانهم أطاعوهم فيما أمرؤهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم وأضيف الشركاء الى المشركين لانهم أطاعوهم واتخذوهم أبابا وقال السكبي شركاؤهم سدنة آلهتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا بزبنون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف ابن ولده كذا وكذا غلاما لينعز أن آخرهم كاحلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة وخدام الاصنام سمو شركاء لانهم أشركوهم في الطاعة (ليردوهم) يعني ليهلكوهم بذلك الفـعل الذي أمرؤهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس يردوهم في النار (وليلبسوا عليهم دينهم) يعني وليخطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشرك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتبليس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم (ولو شاء الله ما فعلوه) يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الاشياء بمشيئته وادته اذ لو لم يشأ ما فعلوا ذلك (قدرهم) يعني فانزكهم يا محمد (وما يفترون) يعني وما يخترقون من الكذب على الله فإن الله لهم بالمرصاد ﴿قوله تعالى﴾ (وقالوا) يعني المشركين (هذه أنعام وحرث حجر) أي حرام وأصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحرثهم لأنهم قال مجاهد يعني بالانعام البحرية والسائبة والوصيلة والحامى (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعني يا كاهن خدام الاصنام والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) يعني الحوامى وهي الانعام التي حواظها عن الركوب فيكونوا لا يركبونها (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) يعني لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها الفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير (افتراء عليه) يعني أنهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل (سيجزهم بما كانوا يفترون) فيه وعيد وتهديد لهم على افتراءهم على الله الكذب ﴿قوله عز وجل﴾ (وقالوا ما نرى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) يعني نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي أراد أجنة البحائر والسوائب فالولد منها حيا فهو خاص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتاً كاه الرجال والنساء جميعاً وهو قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء)

اسم الله عليها ونسبوا ذلك الى الله افتراء عليه (سيجزهم بما كانوا يفترون) وعيد (وقالوا ما نرى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) كانوا يتولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خاص للذكور لا ياكل منه الاثام وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاثام وأنث خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكور محرم حلا على اللفظ والتاء للمبالغة كذسابة (وان يكن ميتة) أي وان يكن ما في بطونها ميتة وان تكن ميتة أبو بكر أي وان تكن الاجنة ميتة وان تكن ميتة شامى على كان التامة يكن ميتة مكى لتقدم الفعل وتذكير الضمير في (فهم فيه شركاء)

ودخلت

عليها أي ابتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم وهو أمر تهديد ووعيد دليله قوله (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أي فسوف تعلمون أي ناسكون له

العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف في الانذار (انه لا يفلح الظالمون) أي الكافرون مكاناتكم حيث كان أبو بكر يكون حزة وعلى وموضع من رفع اذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو نصب اذا كان بمعنى الذي (وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) أي وللانعام نصيبا كتنفي بدلالة قوله تعالى (فقالوا هـذ الله بزعمهم وهذا لشركائنا) بزعمهم على وكذا ما بعده أي زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) أي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصفون به البهائم قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) من انفاقهم عليها والاجراء على سد تهاوى روى انهم كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لأهلهم فاذا رآوا جعلوا لله زكيا كما يمارجعوها لاجلها وللانعام واذا زكيا كما يمارجعوها لاجلها وللانعام تركوه لها وقالوا ان الله غنى وانما ذلك لهم وآثارهم لها وفي قوله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كقولهم الذي هو بغير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولذلك لا يجيئ الا في موضع ذم لقائله وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لا ضافتهم نصيب الانعام مع نصيب الله وهو قولهم (وهذا لشركائنا) يعني الانعام وانما نسبوا الانعام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها (فما كان لشركائهم) يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) والمعنى انهم كانوا يقررون ما جعلوه للانعام مما جعلوه لله ولا يقررون ما جعلوه لله مما جعلوه للانعام وقال قتادة كانوا اذا أصابتهم سنة أي حقت وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا بما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه شيئا وقال الحسن والسدى كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا به مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء ما يحكمون) يعني بسئ ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الانعام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفة منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للانعام جزءا من المال وهي لا تموت ولا تتحلق ولا تنضج ولا تنفع نسبوها الى الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل ﴿قوله عز وجل﴾ (وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا ذلك

على أمر السكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والبالغة في الزجر عما هم عليه من الكفر فكأنه قال أقيموا على ما كنتم عليه من الكفر ان رضيتم لا بقسكم بالعذاب الذي أنتم فيه وكقوله تعالى اعمالوا ما شئتم فيه تفويض أمر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق لهم في عمل ما أرادوه من الكفر والمعاصي ﴿وقوله تعالى﴾ (فسوف تعلمون) يعني لمن تكون العاقبة المحمودة لنا أولكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم أي ناسكون عاقبة الدار وهي الجنة (انه لا يفلح الظالمون) قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر في وأشرك ثم في هذه الآية قولان أحدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعمالوا على مكاتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال ﴿قوله تعالى﴾ (وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الآية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر أنواع من جهالاتهم وأحكامهم الفاسدة تذييلها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله ما ذرأ أي مما خاق من الحرث يعني الزرع والتمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزأ قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حرثهم وثمارهم وأنعامهم وسائر مواهبهم نصيبا وللانعام نصيبا فاجعلوا له من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوا له الانعام أنفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شيء مما جعلوا لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوا لله لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شيء مما جعلوا لله لم يبالوا به واذا انتقص شيء مما جعلوا لله للاوثان جبروه مما جعلوا لله فذلك قوله وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا (فقالوا هذا لله بزعمهم) يعني قولهم الذي هو بغير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولذلك لا يجيئ الا في موضع ذم لقائله وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لا ضافتهم نصيب الانعام مع نصيب الله وهو قولهم (وهذا لشركائنا) يعني الانعام وانما نسبوا الانعام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها (فما كان لشركائهم) يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) والمعنى انهم كانوا يقررون ما جعلوه للانعام مما جعلوه لله ولا يقررون ما جعلوه لله مما جعلوه للانعام وقال قتادة كانوا اذا أصابتهم سنة أي حقت وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا بما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه شيئا وقال الحسن والسدى كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا به مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء ما يحكمون) يعني بسئ ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الانعام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفة منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للانعام جزءا من المال وهي لا تموت ولا تتحلق ولا تنضج ولا تنفع نسبوها الى الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل ﴿قوله عز وجل﴾ (وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا ذلك

قوله ما ذرأ إشارة الى ان الله كان أولى بان يجعل له لزاكى لانه هو الذي ذرأ ثم ذم صنيعهم بقوله (ساء ما يحكمون) في انذار آلهتهم على الله وعلمه على ما لم يشعروا به وهو وضع ما فعلوا من سوء الحكم حكمه أو نصب أي ساء حكم حكمتهم (وكذلك

(ومار بك بغافل عما يعملون) بساء عنه وباتاء شامى (وربك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذوالرحمة) عايمهم بالتكليف ليعرضهم للذوابع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها الظلمة (ويستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق المطيع (كأنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام (انما) ما بمعنى الذى (نوعدون) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لآت) خبر ان أى لكائن (وما أنتم بمعجزين) بفائتين رداقوهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكّن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قل) يا قوم اعملوا على مكاتكم يحتمل اعملوا على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها ويقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكاتك يافلان أى اثبت على ما أنت عليه (انى عامل) على كاتى التى انا

المفسر بن وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا تختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يلىق الا بهم وقوله تعالى (ومار بك بغافل عما يعملون) مختص باهل الكفر والمعاصى ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول أصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والمعاصى وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يلىق به من ثواب أو عقاب وقوله عز وجل (وربك الغنى) يعنى عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والمعاصيين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو منتهى معصية المعاصى بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه (ذوالرحمة) قال ابن عباس باولائه وأهل طاعته وقال الكلبي بخلق ذوالرحمة من رحمته تأخير العذاب عن الذين لهم بتوبون ورجعون (ان يشأ يذهبكم) يعنى يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف) يعنى وينشئ ويخلق (من بعدكم) يعنى من بعد اهل ككم (مايشاء) يعنى خلقا غيركم أمثل وأطوع منكم (كأنشأكم من ذرية قوم آخرين) اختلفت عبارات المفسرين فى هذه اللفظة فقال البغوى يعنى آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدى وصاحب الكشاف يعنى من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام غفر الدين الرازى فى قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعنى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وأما قوله مايشاء فالمراد منه خلق ثالث أرباع واختلاف فيه فقال بعضهم خلقا آخر من أمثال الجن والانس قال القاضى وهو الوجه الاقرب لان القوم بعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء أمثال هذا الخلق فتى كمل خلق ثالث ورابع يكون أقوى فى دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التى هى الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته طو لواء الاقوام الحاضرين أبقاهم وأمهلهم ولو شاء لامتهم وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كأنشأكم من ذرية قوم آخرين لان المرء اذا نكح علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصور هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصورهم خلقا آخر مخالفا لها هذا آخر كلامه وقال الطبري فى قوله كأنشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كما حدثكم وابتدعكم من بعد خلقي آخرين كانوا قبلكم ومعنى من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينارك ثوب يعنى مكان الدينار ثوبا لأن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كأنشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر أنهم أنشؤا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرناهم أنشؤا مكان قوم آخرين قد أهلكوا قبلهم وقوله تعالى (ان ما نوعدون) به من محيى الساعة والبعث بعد الموت والجنس للحساب يوم القيامة (لآت) يعنى انه كائن قريب (وما أنتم بمعجزين) يعنى بفائتين حينما كنتم بدركم الموت (قل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد (يا قوم) أى قل لقومك من كفار قريش (اعملوا على مكاتكم) وقرى مكاتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكّن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكاتكم يحتمل ان يكون معناه اعملوا على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التى أنتم عليها كما يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله مكاتك يافلان أى اثبت على ما أنت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم (انى عامل) يعنى انى عامل على مكاتى التى أنا عليها وأمرنى به ربى والمعنى ائتوا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة فانى نأت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الآية يدل

على ذلك لانه قال تعالى ألم ياتكم رسلي منكم فاقبلوا بغير حساب عن ذلك بان الله تعالى قال
 يا معشر الجن والانس ألم ياتكم رسلي منكم وهذا يقتضى كون الرسل بعضهم من أبعاض هذا المجموع وإذا
 كان الرسل من الانس كان الرسل بعضهم من أبعاض هذا المجموع وكان هذا القول أولى من حمل لفظ الآية
 على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل أيضاً أن يقال ان كافة الرسل كانوا من
 الانس لكن الله تعالى باقى الداعية فى قلوب قوم من الجن حتى يسمعو كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومهم
 من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال تعالى واذصرنا عليك نفر من الجن يستمعون
 القرآن الى فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين فكان أولئك نفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جرير وأبو عبيدة
 وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده وأسرار كتابه
 ﴿وقوله تعالى﴾ (يقصون عليكم آياتي) يعنى يخبرونكم بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحيدى وتصديق
 رسلى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وهو يوم
 القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقرير والتوبيخ ما أخبرنى
 كتابه وهو قوله تعالى يا معشر الجن والانس الآية فيجيبون بما أخبر عنهم فى قوله تعالى (قالوا) يعنى كفار
 الجن والانس (شهدنا على أنفسنا) اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذروهم لقاء
 يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله
 تعالى (وغرهم الحياة الدنيا) يعنى إنما كان ذلك بسبب انهم غرهم الحياة الدنيا ومالوا اليها (وشهدوا على
 أنفسهم انهم كانوا كافرين) فى الدنيا فان قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر فى هذه الآية وسجدوا
 الشرك والكفر فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا
 رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك اعدل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا
 والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله
 تعالى وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على أنفسهم قلت شهادتهم الاولى
 اعتراف منهم بما كانوا عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفى قوله وشهدوا على أنفسهم
 ذم لهم وتخطئة لأيمهم ووصف انلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرهم الحياة الدنيا ولذاتها كانت عاقبة
 أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم
 عن الكفر والمعاصى ﴿قوله عز وجل﴾ (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم
 سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذى قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم (أن لم يكن
 ربك) يعنى لانه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم) قال السكبي معناه لم يكن يهلكهم بذنوبهم من قبل
 أن تأتهم الرسل فتمهاهم فان رجعوا والأناهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن
 يكون المعنى لم يكن يهلكهم بظلم منه (وأهلها غافلون) أى وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا
 للكفار وهو شركهم وذنوبهم التى عملوها وعلى قول الفراء أنه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالموا الله
 عز وجل بتعالى عن الظلم والقول الاول أصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه
 فى شئ من أفعاله غير أنه أخبرانه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظالماً منه ﴿قوله تعالى﴾ (ولكل
 درجات مما عملوا) يعنى ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعنى منازل يباغها بعمله ان كان خيراً أخيراً
 وان كان شراً فاشروا مما سميت درجات لتفاضلها فى الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا التمايزون
 فى الثواب والعقاب على قدر أعمالهم فى الدنيا فانهم من هو أعظم ثواباً ومنهم من هو أشد عقاباً وهو قول جمهور

(يقصون عليكم آياتي)
 يقرؤن كتبى (وينذرونكم
 لقاء يومكم هذا) يعنى
 يوم القيامة (قالوا) همدنا
 على أنفسنا) بوجوب
 الحجية علينا ونبليغ الرسل
 اليها (وغرهم الحياة الدنيا
 وشهدوا على أنفسهم انهم
 كانوا كافرين) بالرسل
 (ذلك) اشارة الى ما تقدم
 من بعثة الرسل اليهم وهو
 خبر مبتدأ محذوف أى
 الامر ذلك (ان لم يكن
 ربك مهلك القرى بظلم
 وأهلها غافلون) تعليل أى
 الامر ما قصصنا عليك
 لا تفاء كون ربك مهلك
 القرى بظلم على أن
 أن مصدرية ويجوز أن
 تكون مخففة من التثنية
 والمعنى لان الشأن والحديث
 لم يكن ربك مهلك القرى
 بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه
 أو ظالموا على أنه لو أهلكهم
 وهم غافلون لم ينهوا رسول
 وكتابا كان ظالموا هو
 متعال عنه (ولكل) من
 المكافئين (درجات) منازل
 (مما عملوا) من جزاء أعمالهم
 وبه استدل أبو يوسف
 ومحمد بن جريرهما الله على أن
 للجن الثواب بالطاعة لانه
 ذكر عقيب ذكر الثقلين

وتابع الهوى والتكذب
 بالبعث وتحسر على حالهم
 (قال النار مثواكم) منزلكم
 (خالدين فيها) حال والعامر
 معنى الاضافة كقوله تعالى
 أن دابر هؤلاء مقطوع
 مصصين فصعبين حال من
 هؤلاء والعامل في الحال
 معنى الاضافة اذ معنا الممازجة
 والمضامة والثوى ليس
 بعامل لان المكان لا يعمل
 في شئ (الاماشاء الله) أى
 يتخلدون في عذاب النار
 الابدي كله الاماشاء الله الا
 الاوقات التي ينقلون فيها
 من عذاب السعير الى
 عذاب الزمهير (ان
 ربك حكيم) فيما يفعل
 باوليائه وأعدائه (عليم)
 باعمالهم فجزى كالأعلى
 وفق عمله (وكذلك
 نولى بعض الظالمين بعضا)
 تتبع بعضهم بعضا في النار
 أو نسلط بعضهم على بعض
 أو نجعل بعضهم أولياء بعض
 (بما كانوا يكسبون) بسبب ما
 كسبوا من الكفر والمعاصي
 ثم يقال لهم يوم القيامة
 على جهة التوبيخ (يا معشر
 الجن والانس ألم أتاكم
 رسول منكم) عن الضحاك
 بعث الى الجن رسلا منهم كما
 بعث الى الانس رسلا منهم
 لانهم به آنس وعيايه ظاهر
 النص وقال آخرون الرسل

(و بلغنا أجلا الذي أجلت لنا) يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب و بقيت
 الحسرة والندامة قال الحسن والسدى الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة (قال)
 يعني قال الله هؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس (النار مثواكم) يعني ان النار مقامكم
 ومقرم فيها ومصيركم اليها (خالدين فيها) يعني مقيدين في نار جهنم أبدا (الاماشاء الله) اختلفوا في معنى هذا
 الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا
 الوقت ليسوا بالخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو اوقات نقلهم من عذاب الى عذاب آخر
 وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت مدة نقلهم
 هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم
 سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون و يصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فاعلى هذا
 التأويل تكون ما في قوله الاماشاء الله بمعنى من يعنى الامن شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان
 يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الآية
 انه لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ان لا ينزلهم جنة ولا نار اقال الزجاج والقول الاول أولى لان معنى
 الاستثناء انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالدين فيها من يدعون
 الاماشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم (ان ربك حكيم) يعني في تدبير خلقه
 وتصريفه اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل حكيم فيما يفعل من ثواب الطائع وعقاب
 العاصي وفي سائر وجوه المجازاة (عليم) يعني بعواقب أمور خلقه وما هم اليه صائرون كما قال انما حكمت
 هؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ (وكذلك نولى بعض الظالمين
 بعضا) الكاف في كذلك كاف التشبيه تقتضى شيئا تقدم ذكره فالقتدير كما أنزات العذاب بالجن والانس
 الذين استمتع بعضهم بعضا كذلك نولى بعض الظالمين بعضا أى نسلط بعضهم على بعض فناخذ من الظالم
 بالظلم كما جاء في الاثر من أعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالؤمن ولى المؤمن
 حيث كان وأبن كان والكافر ولى الكافر حيث كان وأبن كان وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم
 بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولى ظالمة الانس ظالمة الجن وظلمة الجن ظالمة الانس يعنى نكل بعضهم
 الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا وولى عليهم خيرا هم واذا
 أراد بقوم شرا ولى عليهم شرا هم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما
 مثلهم فمن أراد أن يخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم ﴿قوله تعالى﴾ (بما كانوا يكسبون) يعنى يسلط
 عليهم من يظلمهم بسبب أعماله الخبيثة التي اكتسبوها ﴿قوله تعالى﴾ (يا معشر الجن والانس) المعشركل
 جماعة أمرهم واحدا والجمع معاشر (ألم أتاكم رسول منكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان
 من الجن رسل أم لا فنذهب أكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس وأجابوا
 عن قوله رسل منكم بمعنى من أهدمكم وهم الانس فخذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
 وانما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين
 وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهم بما ينصرف الى أحسد
 الفريقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام
 ابن عباس لانه قال ير يدأ نبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن انبياء وذهب قوم الى أنه أرسل الى الجن
 رسلا منهم كما أرسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الآية يدل

من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وان كان من أحدهما

على

كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أو رسلاهم رسل نبينا كقوله لولا الى قومهم منذرين

وجعله ضيقا لمن أراد
ضلاله (مستقبيا) عادلا
مطردا أو هو حال مؤكدة
(قد فصلنا الآيات لقوم
يذكرون) يتعظون
(لم) أى لقوم يذكرون
(دار السلام) دار الله يعنى
الجنة أضافها الى نفسه
تعظيها لها ودار السلامة
من كل آفة وكبر وأو السلام
التحية سميت دار السلام
لقوله نحيتم فيها سلام الا
قيل لا سلاما سلاما (عند
ربهم) فى ضمانه (وهو
وابهم) محبهم أو ناصرهم
على أعدائهم (بما كانوا
يعملون) بأعمالهم أو
متولاهم بجزاء ما كانوا
يعملون أو هو ولينا فى
لدينا بتوفيق الاعمال
وفى العقبي بتحقيق
الآمال (ويوم نحشرهم
جميعا) وبالباء حفص أى
واذ ذكر يوم نحشرهم أو
ويوم نحشرهم قلنا
(يامعشر الجن قد استكثرتم
من الانس) أضلتم منهم
كثيرا وجعلتموهم
أنباعكم كما تقول استكثر
الامير من الجنود (وقال
أولياؤهم من الانس)
الذين أطاعوهم واستمعوا
الى وسوستهم (ربنا
استمع بعضنا لبعض) أى
انتفع الانس بالشياطين
حيث دلوهم على الشهوات

الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب قوله عز وجل (وهذا صراط ربك مستقيما) يعنى وهذا الذى بيننا لك
يا محمد فى هذه السورة وغيره من سور القرآن هو صراط ربك يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورضيه لنفسه
وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس فى قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعنى الاسلام وقال ابن
مسعود يعنى القرآن لانه يؤدى من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد (قد فصلنا الآيات) يعنى
قد فصلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهى وغير ذلك من
أحكام القرآن (لقوم يذكرون) يعنى لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والوعظ قال عطاء يعنى
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (لم دار السلام عند ربهم) يعنى الجنة فى قول جميع
المفسرين قال الحسن والسدى السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام فى أسماء الله تعالى ذوالسلام
وهو جمع سلامة لانه تعالى ذوالسلامة من جميع الآفات والمقاص فعلى هذا القول أضيفت الدار الى
السلام الذى هو اسم الله تعالى اضافة تشرىف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا بان فى اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشرىفها
وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة فى تعظيم أمرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التى
لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام معنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة التى لا يلتقون فيها شيئا يكرهونه وقيل
سميت بذلك لان جميع حالاتها مقربة بالسلامة كما قال تعالى فى وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال نحيتم فيها سلام وقال من ربه رحيم لا يسمعون فيها
لغو الا سلاما وقوله عند ربهم يعنى ان الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها (وهو وابهم بما كانوا
يعملون) يعنى انه تعالى يتولى أمرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه أنه يتولاهم فى
الدنيا بالتوفيق والهداية وفى الآخرة بالجواز والجنة وقيل الولي هو الناصر والقرب يعنى انه تعالى ينصرهم
فى الدنيا ويقر بهم فى الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التى كانوا يقر بون بها اليه فى الدنيا ﴿ قوله تعالى
(ويوم نحشرهم جميعا) أى اذ ذكر با محمد يوم نحشر المعادين بالله الاصنام مع أوليائهم من الشياطين يعنى
بمشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيامة (يامعشر الجن) فيه حذف تقديره بقول لهم يامعشر الجن
والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) يعنى من اضلالهم واغوائهم وقال
ابن عباس معناه أضلتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بدله من تأويل آخر لان الجن لا يقدر ون على
اضلال الانس واغوائهم بانفسهم لانه لا يقدر على الاجبار ارحم الله الله لانه هو المتصرف فى خلقه بما شاء
فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس (وقال أولياؤهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعنى استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن
فقال السكبي كان الرجل فى الجاهلية اذا سافر فنزل بأرض قفر او خاف على نفسه من الجن قال أهوذ بسيد
هذا الوادى من شرفه قوم فبييت فى جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا سيدنا الانس
مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا فى قومهم وعظما فى انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو
ما كانوا يلقون اليهم من الارجيف والسحر والكهانة وترتيبهم الامور التى كانوا يهونها وتسهيل سبلها
عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع
الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن
بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يامرهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للانس والانس
كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس
وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه

وعلى أسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى اغوائهم

النار (بما كانوا يكفرون) في الدنيا (فن يرد الله أن يهديه بشرح صدره يوسع ذلك أن الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشرح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره اذا أوّضه وأظهره وشرح المسئلة اذا كانت مشككة فوضعها وبها فقد ثبت أن للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدره أي فتح قلبه وقوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدره أو قوله أفن شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الآية فن يرد الله أن يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله وهو توفقه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستدير للاسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك أمانة قال نعم الا نابة الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (ومن يرد) أي الله (أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً) ضيقاً مكي (حرجاً) ضيقاً مدني وأبو بكر بالغاً في الضيق حرجاً غيرهما وصفا بالصدر (كأنما يصعد في السماء) كأنه كلف أن يصعد الى السماء اذا دعي الى الاسلام من ضيق صدره عنه اذا ضاقت عليه الارض فطلب صعداً في السماء أو كعازب الرأي طائر القلب في الهواء يصعد مكي يصعد أبو بكر وأصله يتصاعد الباقون يصعد وأصله يتصعد كذلك يجعل الله الرجس) العذاب في الآخرة واللجنة في الدنيا (على الذين لا يؤمنون) والآية حجة لنا على المعتزلة في ارادة

كانوا يكفرون) يعني انما حصل لهم هذا الصغار والاعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون ﴿قوله تعالى﴾ (فن يرد الله أن يهديه بشرح صدره للاسلام) أي الايمان يقال شرح الله صدره فانشرح أي وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك أن الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشرح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره اذا أوّضه وأظهره وشرح المسئلة اذا كانت مشككة فوضعها وبها فقد ثبت أن للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدره أي فتح قلبه وقوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدره أو قوله أفن شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الآية فن يرد الله أن يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله وهو توفقه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستدير للاسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك أمانة قال نعم الا نابة الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (ومن يرد) أي الله (أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً) ضيقاً مكي (حرجاً) ضيقاً مدني وأبو بكر بالغاً في الضيق حرجاً غيرهما وصفا بالصدر (كأنما يصعد في السماء) كأنه كلف أن يصعد الى السماء اذا دعي الى الاسلام من ضيق صدره عنه اذا ضاقت عليه الارض فطلب صعداً في السماء أو كعازب الرأي طائر القلب في الهواء يصعد مكي يصعد أبو بكر وأصله يتصاعد الباقون يصعد وأصله يتصعد كذلك يجعل الله الرجس) العذاب في الآخرة واللجنة في الدنيا (على الذين لا يؤمنون) والآية حجة لنا على المعتزلة في ارادة

ففيها ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالعصا واللاء على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العقاب وخص الأكابرة وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرياسة والعهدة ادعى لهم الى المكرب والكفر من غيرهم دليه ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعده النصره بقوله (وما يكربون الا بانفسهم) لان مكربهم يحق بهم (وما يشعرون) انه يحق بهم اكابر مفعول أول والثانى فى كل قرية ومجربها بدل من اكابر وأول مجربها والثانى اكابر والتقدير مجربها اكابر ولما قال أبو جهل زاحنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرة سى رهان قالوا ما نبى يوحى اليه والله لارضى به الا ان يأتى اوحى كياتيه نزل (واذا جاءتهم) أى الاكابر (آية) مجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالايمان (قالوا) ان تؤمن حتى تؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أى تعطى من الآيات مثل ما أعطى الانبياء فاعلم الله تعالى أنه أعلم ممن يصلح للنسوة فقال تعالى

قولهم انا أعلمهم أعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى وحصوله لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزمين هو الله تعالى وقالت المعتزلة ان المزمين هو الشيطان ويردته ما تقدم ﴿ وقوله تعالى (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها) يعنى وكما جعلنا فى مكة أكابر وعظماة جعلنا فى كل قرية أكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل فى الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرميها أكابروا وما جعل المجرمين أكابرا لانهم أقدر على المكرب والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل فى كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أكابره (لميكرب وافيهما) قال أبو عبيدة المكرب الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والخبينة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق مكة أربعين نفرا ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكربهم (وما يكربون الا بانفسهم) يعنى ما يحق هذا المكرب الا بهم لان وبال مكربهم يعود عليهم (وما يشعرون) يعنى ان وبال ذلك المكرب يعود عليهم ويضربهم ﴿ قوله عز وجل (واذا جاءتهم آية قالوا لن تؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) يعنى النسوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقًا لكانت اولى بهامنا لك لاني أكبر منك سنوا وكثير منك مالا فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى أبي جهل وذلك انه قال زاحنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرة سى رهان قالوا ما نبى يوحى اليه والله لا تؤمن به ولا تتبعه ابدا الا ان يأتينا وحى كياتيه فانزل الله هذه الآية واذا جاءتهم آية يعنى حجة بيينة ودلالة وانحفة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعنى الوليد بن المغيرة وأباجهـل ابن هشام وأكل واحد من رؤساء الكفر وبدل عليه الآية التى قبلها وهى قوله وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها الممكر وافيهما فكان من مكربهم كفرة قريش أن قالوا لن تؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفى قولهم ان تؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور أن القوم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا متبوعين لانا بعين القول الثانى وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن تؤمن لك يعنى لن تصدقك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل بصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا أن يخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانهم رسول من الله تعالى وعلى القول الاوّل انهم طلبوا أن يكونوا انبياء وبدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) يعنى انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس بأهل لها وأتم لها بهل وان النبوة لا تحصل لمن يطالبها خصوصا لمن عنده حسد ومكرب وغدر وقال أهل المعانى الابغ فى تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل البعثة مطاعين فى قومهم لان الظعن كان يتوجه علمهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فانبههم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى أعلم ممن يستحق الرسالة فجعلها لليتيم أى طالب دون أى جهل والولد وغيرهم من اكابر قريش ورؤسائها ﴿ وقوله تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار) أى ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذى نصغر الى المرء نفسه فيه (عند الله) يعنى هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار فى الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم فى الدنيا (وعذاب شديد) يعنى فى الآخرة (عما

الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكى وحفص رسالاته غيرهما حيث فقول به والاعمال محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجرموا) من اكابرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) فى القيامة (وعذاب شديد) فى الدارين من القتل والاسر وعذاب

وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى اولياهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لانا كلون مما قتله الله وتا كلون مما تذبجون بايديكم والآية تحرم متروك التسمية (٥٢) وخصت حالة النسيان بالحديث أو يجعل الناس ذاكرا تقديرا (وان

أطعمتموهم) في استحلال ما حرم الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لا يأكل كل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل لغير الله به وقال ان الواو في وانه افسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولاتا كلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أو فسقا أهل لغير الله به فصار التقدير ولاتا كلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون ماسواه حلالا بالعمومات المحلثة منها قوله قل لا أجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أو من كان ميتا فاحييناه) أي كافر افهديناه لان الايمان حياة القلوب ميتا مدني (وجعلناه نور ايمشي به في الناس) مستضيئنا به والمراد به اليقين (كمن مثله) أي صفة (في الظلمات) أي خابط فيها (ليس بخارج منها) لا يفارقها ولا يتخاص منها وهو حال قيل المراد

قوله ولاتا كلوا مما يذ كرام الله عليه وانه لفسق مخصوصا بما أهل لغير الله به والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى اولياهم ليجادلوكم) يعني ان الشياطين يوسوسون الى اولياهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموهم واصل الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فترجم ان ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم الجوس الى مشركي قريش ان خاصموهم محمدًا وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم الجوس ليوحون الى اولياهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتب في خفية (وان أطعمتموهم) يعني في أكل الميتة وما حرم الله عليكم (انكم لمشركون) يعني انكم اذا مثلتم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك وانما سمي مشركاً لانه أثبت ما كفا غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك ﴿ قوله عز وجل (أو من كان ميتا فاحييناه) يعني أو من كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصيرة يهتدي به الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى القو زال ظم والحياة الابدية شمه بالحياة (وجعلناه نور ايمشي به في الناس) يعني وجعلناه نور ايمشي به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة من الله مع المؤمن بما يعمله (كمن مثله في الظلمات) يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة (ليس بخارج منها) يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضرب به الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فاحياه وأعطاه نور ايمشي به في مصالحة وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متخيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين أو هما عامان في كل مؤمن وكافر فذكرنا في ذلك قولين أحدهما ان الآية في رجاين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس في قوله وجعلناه نور ايمشي به في الناس يريد حزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد بذلك أبا جهل بن هشام وذلك ان أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حزة بما فعل أبا جهل وكان حزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحزة لم يؤمن بعد فأقبل حزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع الى حزة ويقول يا أبايعلى أما ترى ما جاء به سفهه عقولنا وسب أكلتنا وخالف آباءنا فقال حزة ومن أسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلم حزة يومئذ فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل وقال عكرمة والسكبي نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وذلك أن أبا جهل قال زاحنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا نحن وهم كفر سى رهان قالوا من انبي ووحى اليه والله لانؤمن حتى يأتينا وحى كياتيه فبزلت هذه الآية والقول الثاني وهو قول الحسن في آخرين ان هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل أحد ﴿ وقوله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه

قوله

بهما حزة وأبو جهل والاصح ان الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أصله الله فبين

ان مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيى وجعل مستضيئا بمشي في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التي لا يتخلص منها (كذلك) أي كما زين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بتزيين الله تعالى كقوله زيناهم أعمالهم (ما كانوا يعملون)

وحرم ما حل الله فهو يحازمهم على سوء صنيعهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وذروا ظاهر الأثم وباطنه) يعني وذروا أي الناس ما يوجب الأثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلا وكثيرها قال الربيع بن أنس نهى الله عن ظاهر الأثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن أصحاب الرايات وأما الباطن فالمرأة يتخذها الرجل صديقة فيأتيها سرا وقال الضحاك كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلال ما كان سرا حرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد يظهر الأثم التجرعن الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكبي ظاهرا الأثم طواف الرجال بالبيت نهارا وعرارة وباطنه طواف النساء بالليل عرارة وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الآية وذروا ما أعلنتم به وما أسررت من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الأثم من جميع جهاتها وقيل المراد بظاهر الأثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الأثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والمجب واردة السوء للمسلمين ونحو ذلك ﴿قوله تعالى﴾ (ان الذين يكسبون الأثم) يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها (سيحزون) يعني في الآخرة (بما كانوا يفترون) يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب وانه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين أجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد أهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضلها وكرمه ﴿قوله تعالى﴾ (ولانأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخقة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام انتهى

من الحق الى الباطل
(وذروا ظاهر الأثم وباطنه)
علانيته وسره أو الزنا في
الحوانيت والصديقة في
السر والشرك الجلي والخفي
(ان الذين يكسبون الأثم
سيحزون) يوم القيامة
(بما كانوا يفترون)
يكسبون في الدنيا (ولا
تاكلوا مما لم يذكر اسم
الله عليه) عند الذبح (وانه)
وان أكله (لفسق)

﴿فصل﴾ اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذ لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عامدا أو ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام غفر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام احتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري وأبو حنيفة ان ترك التسمية عامد الا تحل وان تركها ناسيا تحل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامدا أو ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحمد وإيتين فيما اذترك التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت فن أباح كل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الآية الميتات وما ذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الآية (وانه لفسق) وأجمع العلماء على أن أكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لفسق واحتجوا أيضا باحتجاجهم بما روي البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان هنا أقواما حدى يشاهد بهم بشرك يأتوننا بلحمان فما ندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أتم اسم الله وكلاوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للإباحة لكان الشك في وجودها مانعا من أكلها كالشك في أصل الذبح وقول الشافعي في أول الآية وان كان عامدا بحسب الصيغة الآن آخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وان لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطمعتموهم انكم لم تمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكرا اسم غير الله في الذبح كما قال في آخر السورة قل لا أجد فيها أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الى قوله أوفسقا أهل غير الله به فسار هذا الفسق الذي أهل لغير الله به مفسرا لقوله وان لفسق واذا كان كذلك كان

(ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الا يخرون) يكذبون في ان الله حرم عليهم كذا
وأحل لهم كذا (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالهتدين) أى هو يعلم الكفار والمؤمنين (٥٠)

محمد صلى الله عليه وسلم وان تطع أكثر من في الارض في كل الميتة وكان الكفار يومئذ أكثر أهل الارض
يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن دين الله الذى شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعمهم في معتقداتهم
الباطلة فانك ان تطعمهم يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن
حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى (ان يتبعون الا الظن) يعنى ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك
ما يتبعون في دينهم الذى هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا باقراطعين انهم على حق
لانهم اتبعوا أهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصر على اتباع الظن والجهل (وان هم
لا يخرون) يعنى يكذبون وأصل الخرس الخزر والتخمين ومنه خرس النخلة اذا خرس ركبته ثم راعى الظن
من غير يقين ويسمى الكذب خرسا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين
يقال له خرس لان قائله لم يقوله عن علم ويقين (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله) يقول الله لانيه محمد
صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو أعلم منك ومن جميع خلقه أى الناس يضل عن سبيله (وهو أعلم
بالمهتدين) يعنى وهو أعلم أيضا بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شئ من أحوال خلقه فأخبر
تعالى انه أعلم بالفريقين الضال والمهتدى وانه يجازى كلا بما يستحق قوله تعالى (فكلوا مما ذكركم
الله عليه) هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين أنأ تكون مما قتلتم ولأنأ تكون مما قتلتم بكم فقال
الله تعالى للمسلمين فكلوا أنتم مما ذكركم الله عليه من الذبائح (ان كنتم بآياته مؤمنين) وقيل كانوا
يحرمون أصنافا من النعم ويحلون الميتة فقيل أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون
آية خطاب للمشركين وعلى القول الاول تكون الآية خطأ بالمسلمين وهو الاصح لقوله في آخر الآية
ان كنتم بآياته مؤمنين (ومالكم أنأ تكلوا مما ذكركم الله عليه) يعنى وأى شئ لكم في أن لا تأكلوا مما
يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكركم الله عليه وهذا كيد في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره (وقد فصل
لكم ما حرم عليكم) يعنى وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد
فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل
لغير الله به وأورد الامام نضر الدين الرازى ههنا شكالا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر
ما أنزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدنى متأخر عن
المسكى فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاول أن يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لأجد فيما أوحى الى محرما
على طعام يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه
الآية بقليل الا أن هذا القدر من المتأخر لا يمنع أن يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو
ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لافى النزول حسن عود الضمير في قوله
وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم فى الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة والآية والله أعلم بما راده
وقوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) يعنى الا ان تدعواكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم
ذلك عند الاضطرار (وان كثير البضلون بأهوائهم بغير علم) يعنى وان كثير من الذين يجادلونكم في كل
الميتة ويحتجون عليكم فى ذلك بقولهم أنأ تكون مما تذبحون ولأنأ تكون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة
جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهوائهم ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به
عمرو بن لحي فن دونه من المشركين لانه أول من بحر البحائر وسبب السوائب وأباح الميتة وغير دين ابراهيم
عليه السلام (ان ربك هو أعلم بالمهتدين) يعنى ان ربك يا محمد هو أعلم بمن تعدى حدوده فأحل ما حرم الله

من رفع بالابتداء ولفظها
لفظ الاستفهام والخبر يضل
وموضع الجلة نصب بي علم
المقدر لا بـ لم لان أفعل
لا يعمل فى الاسم الظاهر
النصب ويعمل الجر وقيل
تقديره أعلم بمن يضل بدليل
ظهور الباء بعده فى
بالمهتدين (فكلوا مما ذكر
اسم الله عليه ان كنتم
بآياته مؤمنين) هو مسبب
عن انكار اتباع المضلين
الذين يحلون الحرام
ويحرمون الحلال وذلك
انهم كانوا يقولون للمسلمين
انكم تزعمون انكم تعبدون
الله فماقتل الله أحق أن
تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل
للمسلمين ان كنتم متحققين
بالايمان فكلوا مما ذكركم
اسم الله عليه خاصة أى على
ذبحه دون ما ذكر عليه اسم
غيره من آلهتهم أو مات حنق
أنفه (ومالكم أنأ تكلوا)
ما استفهام فى موضع رفع
بالابتداء ولكم الخبر أى
وأى غرض لكم فى أن
لأنأ تكلوا (مما ذكركم الله
عليه وقد فصل لكم) بين
لكم (ما حرم عليكم) مما
لم يحرم بقوله حرمت عليكم
الميتة فصل وحرم كوفى غير
حفظ و بفتحها ما مدنى
وحفظ و يضمها غيرهم
(الا ما اضطررتم اليه)

مما حرم عليكم فانه حلال لكم فى حال الضرورة أى شدة المجاعة الى أكله (وان كثير البضلون) ليضلون كوفى وحرم
(بأهوائهم بغير علم) أى بضلون فيحرمون ويحلون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ان ربك هو أعلم بالمهتدين) بالمتجاوزين

وبليقتر فواماهم مقترفون) من الآثام (أفغ يرالله أبتغى حكما) أي قل يا محمد أفغ يرالله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل الحق منامن المبتطل (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) الممجز (مفصلا) حال من الكتاب أي مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق يعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته بقوله (والذين آتيناهم الكتاب) أي عبد الله بن سلام وأصحابه (يعلمون أنه منزل) شامح وحفص (من ربك بالحق) (فلا تكونون من الممتريين) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكونون من الممتريين في أن أهمل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا ير بك بحجود أكثرهم وكفرهم به (وتمت كلمات ربك) أي ماتكم به كلمات ربك بحجازي وشامح وأبو عمر وأبي أيمن كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعده وأوعده (صدقا) في وعده ووعيدته (وعدلا) في أمره ونهيه واتصه بأعلى التمييز وأعلى الحال (لا مبدل لكلماته)

بفعل مضممر معناه وفعلنا بهم ذلك لكي تصغي الى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحى تصديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك واتصغي اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير في اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله ونحوه وترضى به وهو قوله (وايرضوه) يعني يرضون ذلك القول المزخرف الباطل (وليقتر فواماهم مقترفون) يعني وليكنسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل (أفغير الله أبتغى حكما) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين أفغير الله أطلب حكما قاضيا يقضى بيني وبينكم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامر الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحكم واحد عند أهل اللغة غير أن بعض أهل المعاني قال الحكم كمن الحاكم لان الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أهل أن يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق فالثمة تعالى حكم لا يحكم الا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) يعني مبينا فيه أمره ونهيه ووعده ووعيدته وفيه الحكم بيني وبينكم (والذين آتيناهم الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى (يعلمون انه منزل من ربك بالحق) يعني يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم باللائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونظرائهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فأمنوا به وصدقوه (فلا تكونون من الممتريين) يعني فلا تكونون يا محمد من الشاكين ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكونون في شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التبيين لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم لأن المراد به غيره والمعنى فلا تكونون أيها الانسان السامع لهذا القرآن في شك انه منزل من عند الله لمافية من العجز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى (وتمت كلمات ربك) وقرئ كلمات ربك على الجمع فن قرأ على التوحيد قال السكامة قدير ادبها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه شيء واحد في عجز النظم وكونه حقا وصدقا ومجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله قال في سياق الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الاول انبعا للثاني (صدقا وعدلا) يعني صدقا فيما وعد ولا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعمما هو كائن الى قيام الساعة وفيما أخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وسائر الاحكام (لا مبدل لكلماته) يعني لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لوعده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمات ربك والتمام في كلام الله لا يقبل التغير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير والتبديل باقية الى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشق من شقي في الازل وأورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه وأجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاة كان شقيا في الازل والله أعلم وقوله تعالى (وهو السميع) يعني لما يقوله العباد (العايم) يعني باحوالهم قوله عز وجل (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) قال المفسرون ان المشركين جادوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في كل الميتة وذلك أنهم قالوا الامم كيف تأكلون ما قتلتم ولاننا كلون ما قتلتم بكم فقال الله تعالى لنبيه

ان هؤلاء يؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب (شياطين الانس والجن) على قواين أحدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متعمر من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس أشد مدمر من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح وأعياء ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليقتنه ويدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعودت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانسان من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند وأسند الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن وذلك أني اذا تعودت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي انقول الثاني ان الجميع من ولد ابليس وأضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغيروهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فر يقامنهم الى الجن وفر يقامنهم الى الانس فالفر يقامن شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغيروهم ويضلونهم وكلا الفر يقامن أعداء النبي صلى الله عليه وسلم ولأولياته من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال بدل على محته ان لفظ الآية يقتضي اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا يكون في الشياطين نوع مغاير للانسان والجن وهم أولاد ابليس ﴿وقوله تعالى﴾ (يوحى بعضهم الى بعض) يعني باقى ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها الى من يريد اغواؤه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان أولاد ابليس باقى بعضهم بعضا في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن أضلت صاحبي بكذا وكذا فاضل أنت صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحى بعضهم الى بعض ﴿وقوله﴾ (زخرف القول) يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشى بالكذب وكل شيء حسن موه فهو زخرف (غرورا) يعني ان الشياطين يغررون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال الفبيحة لئلا يذموا ويغرونها غرورا (ولو شاء ربك ما فعلوه) يعني ما فعلوا الوسوسة اني يلقيها الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له في الثواب اذا صبر على المحنة (فذرهم وما يفترون) يعني نخلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فاني من وراءهم ﴿وقوله تعالى﴾ (ولتصني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال ابن عباس ولتميل اليه وأصل الصغوفى في اللغة الميل يقال أصنى الى كذا مال اليه ويقال صغوت أصغوف وصغيت أصنى اغتات قال ابن انبارى اللام في وتصنى متعلقة

ان هؤلاء يؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب (شياطين الانس والجن) على قواين أحدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متعمر من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس أشد مدمر من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح وأعياء ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليقتنه ويدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعودت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانسان من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند وأسند الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن وذلك أني اذا تعودت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي انقول الثاني ان الجميع من ولد ابليس وأضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغيروهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فر يقامنهم الى الجن وفر يقامنهم الى الانس فالفر يقامن شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغيروهم ويضلونهم وكلا الفر يقامن أعداء النبي صلى الله عليه وسلم ولأولياته من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال بدل على محته ان لفظ الآية يقتضي اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا يكون في الشياطين نوع مغاير للانسان والجن وهم أولاد ابليس ﴿وقوله تعالى﴾ (يوحى بعضهم الى بعض) يعني باقى ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها الى من يريد اغواؤه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان أولاد ابليس باقى بعضهم بعضا في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن أضلت صاحبي بكذا وكذا فاضل أنت صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحى بعضهم الى بعض ﴿وقوله﴾ (زخرف القول) يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشى بالكذب وكل شيء حسن موه فهو زخرف (غرورا) يعني ان الشياطين يغررون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال الفبيحة لئلا يذموا ويغرونها غرورا (ولو شاء ربك ما فعلوه) يعني ما فعلوا الوسوسة اني يلقيها الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له في الثواب اذا صبر على المحنة (فذرهم وما يفترون) يعني نخلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فاني من وراءهم ﴿وقوله تعالى﴾ (ولتصني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال ابن عباس ولتميل اليه وأصل الصغوفى في اللغة الميل يقال أصنى الى كذا مال اليه ويقال صغوت أصغوف وصغيت أصنى اغتات قال ابن انبارى اللام في وتصنى متعلقة

قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بانهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها بفتح
الاف وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال
الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذ ارأوها لان المشركين كانوا حلفوا أنهم اذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا
وانبه وارسل الله صلى الله عليه وسلم فاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال
الله تعالى وما يشعركم أيها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختلافه وافي
اللفظة لان قوله لا يؤمنون فليل هي صلة والمعنى وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها
وفيه حذف والمعنى وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون وقيل ان معنى لعل في قوله انها اذا جاءت
وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا ما انفغ في كلام العرب تقول العرب انت السوق أنك
تشتري لنا شياً بمعنى لعلك ومنه قول عدى بن زيد

أعادل ما يدريك أن منيتي * الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

يعنى لعل منيتي قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) قال ابن عباس يعنى ونحول بينهم وبين الايمان
فلو جئناهم بالآيات التي سألوها ما آمنوا بها والتقايب هو تحويل الشيء وتحريكه عن وجهه الى وجه آخر
لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر (كالم يؤمنوا به أول مرة)
يعنى كالم يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير
ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعنى الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس
المرّة الأولى دار الدنيا يعنى لوردوا من الآخرة الى الدنيا نقاب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان فلا يؤمنون
كالم يؤمنوا به أول مرة قبل معاتهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان
القلوب والابصار بيده وفي تصريفه فيقيم ما شاء منها ويرى ما أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ياقلب القلوب ثبت قلمي على دينك فعنى قوله نقلب أفئدتهم نزعها عن الايمان ونقلب أبصارهم عن رؤية
الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كالم يؤمنوا بالآية ورسوله وبما جاء من
عند الله فعلى هذا تكون الكفاية في به عائدة على الايمان باقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها وقوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعنى وترك هؤلاء
المشركين الذين سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه بترددون لا يهتدون الى
الحق قوله عز وجل (ولو أننا لنزالنا اليهم الملائكة) قال ابن جرير نزات في المستهزئين وذلك أنهم أتوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق
ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله أو اننا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الآية
جواباً لهم والمعنى ولو أننا لنزالنا اليهم الملائكة حتى يشهدوا لك بالرسالة (وكلمهم الموتى) يعنى كما سألوا (وحشرنا
عليهم كل شئ قبلاً) يعنى وجعنا عليهم كل شئ قبلاً قبيل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما آمنوا هو قوله
(ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله) يعنى الآن يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على أن جميع الاشياء بمشيئة
الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا أنطق الله
الكل حتى يشهدوا بصحة ما يقول كان ذلك في غابة لا يجاز وقيل بل من القابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا
عليهم كل شئ مواجهة ومعاناة ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله أخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا أنهم
متى شاؤا آمنوا متى شاؤا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا يؤمنوا هم أهل الشقاء الآن يشاء الله هم
أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أنهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله عم
بقوله ما كانوا يؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم ان جاءتهم آية لا يؤمنون

(ونقلب أفئدتهم) عن
قبول الحق (وأبصارهم)
عن رؤية الحق
عند نزول الآية التي
اقترحوها فلا يؤمنون بها
قيل هو عظم على
لا يؤمنون داخل في حكم
وما يشعركم أي ما يشعركم
انهم لا يؤمنون وما يشعركم
بانقلب أفئدتهم وأبصارهم
يفتقرون ولا يبصرون الحق
(كالم يؤمنوا به أول مرة)
كما كانوا عند نزول آياتنا
أولاً لا يؤمنون بها (ونذرهم
في طغيانهم يعمهون) قيل
وما يشعركم أن نذرهم في
طغيانهم يعمهون يتحبرون
(ولو أننا لنزالنا اليهم الملائكة)
كما قالوا لولا أنزل علينا
الملائكة (وكلمهم الموتى)
كما قالوا فاتوا بآياتنا
(وحشرنا عليهم) جمعنا
(كل شئ قبلاً) كفاء
بصحة ما بشرنا به وأنذرنا جمع
قبيل وهو الكفيل قبلاً
مدنى وشامى أى عيانا
وكلاهما نصب على الحال
(ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء
الله) ايمانهم فيؤمنوا وهذا
جواب لقول المؤمنين
لعلهم يؤمنون بنزول الآية

حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو سبحانه في الاصح (ثم الى ربهم مرجعهم) مصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عايشه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد صدقهم موقع الحال أي جاهدين في الايمان باوكيد الایمان (ان جاءتهم آية من مقرحاتهم) ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها لا عندي فكيف آتيتكم بها (وما يشعركم) وما يدرككم (انها) أن الآيات الملقحة (اذا جاءت لا يؤمنون) بها يعني أنا أعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآيات ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدرككم انهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدررون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون انها بالكسر مكى وبصرى وأبو بكر على ان الكلام تم قبله أي وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعاقبه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من

فهل أنتم معطي كلمة ان تكلمتم بهما لستم العرب ودانت لكم الحجج. وأدت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لتعطينكمها وعشرة أمنا لها فهاهي قال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما فاتت غيرها ارادة أن يؤيسهم فقالوا التكف عن شتمك آلهتنا وألنشت منك أولنشت من من يامر ك فانزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا أيها المؤمنون الاصنام التي يعبدونها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدونها المشركون وقال ابن التباري هذه الآية منذ وخة أنزلها الله عز وجل والبي صلى الله عليه وسلم بمكة فاما اقواد باصحابه نسخ هذه الآية ونظائرهابقوله أقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما يرتب على ذلك من المفساد التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من أعظم المفساد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا آلهتهم فيسبوا بكم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سب لذلك ﷺ وقوله تعالى (كذلك زينا لكل أمة عملهم) يعني كاز ينالها ولا المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحمران والخلد لان كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرة والمهتزة حيث قالوا لا يحسن من الله خالق الكفر وتزيينه ﷺ وقوله تعالى (ثم الى ربهم مرجعهم) يعني المؤمن والكافر والطائع والعاصي (فينبئهم بما كانوا يعملون) يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك ﷺ قوله عز وجل (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال محمد بن كعب القرظي والسكبي قالت فر يش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتمتفجر منه اثنا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فانما آية حتى تصدق ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء تحبون قالوا نتعجل لنا الصفا ذهابا وابتع لنا بعض موتانا سألنا عنك أحق ماتقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ماتقولون تصدقوني قالوا نعم والله لن فعلت لتنبذك أجمعين وسأل المسامون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل أن يجهل الصفا ذهابا فجاءه جبريل فقال ما شئت ان شئت أصبغ ذهابا ولكن ان لم تصدقك لنعذبهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم يعني وحلفوا بالله جهد أيمانهم يعني أو كد ما قدر واعليه من الايمان وأشهدها قال السكبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه (ان جاءتهم آية) يعني كجاءت من قباهم من الامم (ليؤمنن بها) يعني ليصدقن بها (قل) يعني قل يا محمد (انما الآيات عند الله) يعني أن الله تعالى قادر على انزالها (وما يشعركم) يعني وما يدرككم ثم اختلف العلماء في الخطابين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله (انها اذا جاءت لا يؤمنون) فقرا ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدرككم ما يكون منهم ثم ابتداء فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فن جعل الخطاب للمشركين قاله مناه وما يشعركم أيها المشركون انها يعني الآيات اذا جاءت أمتن ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا لان المؤمنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله ان يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتداء فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في

نصرفها ومعنى درست قرأت ككتاب أهل الكتاب درست مكى وأبو عمر وأبى دارست أهل الكتاب درست شامى أى قدمت هذه الآية
ومضت كما قالوا أساطير الأولين (ولنبينه) أى القرآن وان لم يجز له ذلك كونه معلوماً (٤٥)

اللام الثانية حقيقة والاولى
لام العاقبة والضرورة أى
لتصبر عاقبة أمرهم الى أن
يقولوا درست وهو كقوله
فانقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا
وهم لم ينتظوه للعداوة
وانما انتظوه ليصير لهم
قرة عين ولكن صارت
عاقبة أمرهم الى العداوة
فكذلك الآيات صرفت
للتبيين ولم تصرف ليقولوا
درست ولكن حصل هذا
القول بتصرف الآيات
كما حصل التبيين فشبهه به
وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه
وعندنا ليس كذلك لما
عرف (لقوم يعلمون)
الحق من الباطل (اتبع
مأوى اليك من ربك)
ولا تتبع أهواءهم (لاله
الاهو) اعراضاً كديه
يجاب اتباع الوحي لا محل
له من الاعراب أو حال من
ربك مؤكدة (وأعرض
عن المشركين) فى الحال الى
ان يراد الامر بالقتال (ولو
شاء الله) أى ايمانهم
فالمفعول محذوف (ما
أشركوا) بين انهم
لا يشركون على خلاف
مشيئة الله ولو علم منهم

تتلوها عياناً فدرست وانحوت من قولهم درس الا اذا سحى وذهب أثره (ولنبينه قوم يعلمون) يعنى
القرآن وقيل معناه نصرف الآيات تقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياء الذين هداهم الى سبيل الرشاد
وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعدهم اقوم ويشقى بها آخرون فمن أعرض عنها وقال للنبي صلى
الله عليه وسلم درست فهو شقى ومن تبين له الحق وفهم منه ما هو وعمل بها فهو سعيد وقال أبو اسحق
ان السبب الذى أدهم الى أن قالوا درست هو تلاوة آيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة
يعنى صار عاقبة أمرهم أن قالوا درست فصار ذلك سبباً لشقاوتهم وفى هذا دليل على أن الله تعالى جعل
تصرف الآيات سبباً للضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم ﴿ وقوله تعالى (اتبع ما أوحى اليك من
ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى اتباع ما يوحى اليك به ربك فى وحيه الذى أوحاه اليك وهو
القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادى ولا تلتفت الى قول من يقول درست أو درست وفى قوله (اتبع ما أوحى
اليك من ربك) تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذى حصل له بسبب قولهم درست ونبيه
بقوله تعالى (لا اله الا هو) انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه تجب طاعته
ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيف الزانعين وقوله تعالى (وأعرض عن المشركين) قيل
المراد منه فى الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاديرهم فعلى هذا يكون الامر
بالاعراض منسوخاً بآية القتال ﴿ قوله عز وجل (ولو شاء الله ما أشركوا) قال الزجاج معناه لو شاء الله
لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح فى أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافاً للمتزلة فى قولهم لم يرد من أحد
الكفر والشرك فالآية رد عليهم (وما جعلناك عليهم حفيظاً) يعنى وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين
رقيباً ولا حافظاً تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس فى رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظاً تمنعهم
منا ومعناه أنك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مبلغة فلا تنههم بشركهم فان ذلك بمشيئة
الله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) يعنى وما أنت عليهم بقيم تقوم يرازقهم وما أنت عليهم بمسيطر فعلى
التفسير الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة ﴿ قوله
عز وجل (ولانسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الآية قال ابن عباس لما
نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا وانتهجون
ربك فنهاهم الله أن يسبوا أو تأنهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أو تأن
الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله لانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال
السدى لما حضرت أبا طالب الوفاذ قالت قرىش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى
عنا ابن أخيه فاما نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه بمنعه فامامات قتلوه فانطلق أبو سفيان
وأبو جهل والنضر بن الحرث وأميه وأبى ابن خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود
ابن أبى البختري الى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمد قد أدانا وذى آلهتنا فنحب
أن ندعوه فتنهاه عن ذلك آلهتنا ولده واهله فدعا بغيره صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب ان هؤلاء
قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يريدون قالوا يريدون تدعنا وآلهتنا وتدعك
واهلك فقال له أبو طالب قد أنصفتك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيتم ان أعطيتكم هذا

اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته (وما جعلناك عليهم حفيظاً) مراعى الاعمالهم
ماخوذاً باجرائهم (وما أنت عليهم بوكيل) بمسأله وكان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سبباً لله بقوله (ولانسبوا) آلهته
(الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) منصوب على جواب النهى (عدوا) ظلماً وعدواناً (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به

والاف كما يعلم موجودا بلا
 كيفية وجهة بخلاف
 كل موجود لم يجز أن
 يرى بلا كيفية وجهة
 بخلاف كل مرئي وهذا لان
 الرؤية تحقق الذي بالبصر
 كما هو وفار كان المرئي في
 الجهة يرى فيها وان كان
 لا في الجهة يرى لا فيها
 (وهو اللطيف) أي العالم
 بدقائق الامور ومشكلاتها
 (الخبير) العليم بظواهر
 الاشياء وخفياتها وهو من
 قبيل اللغو والنشر (قد
 جاءكم نصائر من ربكم)
 البصيرة نور القاب الذي به
 يستبصر القاب كما ان
 البصر نور العين الذي به
 تبصر أي جاءكم من الوحي
 والتبصير ما هو للقلوب
 كالبصائر (فمن أبصر)
 الحق وآمن (فلنفسه)
 أبصر واياها نفع (ومن
 عمى) عنه وضل (فعلينا)
 فعلى نفسه عمى واياها
 ضل بالعمى (وما ناعليكم
 بحفيظ) أحفظ أعمالكم
 وأجازيكم عليها عما أنا
 منذر والله هو الحفيظ
 عليكم الكافي في
 (وكذلك نصرف آيات)
 في موضع نصب صفة المصدر
 المحذوف ي نصرف الآيات
 تصرفا مثل ما تلونا عليك
 (وليقلوا) جوابه محذوف
 أي وليقلوا (درست)

وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم في موسى الادراك مع
 انبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز أن يرى في الآخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو
 الاحاطة بالمرئي وهو ما كان محدودا وله جهات والله تعالى منزعه عن الحدود والجهة لانه القديم الذي لانهاية
 لوجوده فعلى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدينيا قال ابن عباس في معنى الآية
 لا تدرکه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على
 هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناصره الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناصره متعدي بيوم القيامة وتلى هذا
 يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدي البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فغنى قوله لا تدرکه الابصار
 لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علموا وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك
 الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المراتب ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقةها
 ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدرکه ابصار المبصرين وهو يدركها (وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس
 اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء ليك برفق واين
 وقيل هو الذي ينسى عباده ذنوبهم لئلا ينجحوا وأصل اللطيف دقة النظر في الاشياء وقال أبو سليمان الخطابي
 اللطيف هو اللين بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال
 الازهري اللطيف في أسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف بعباده حيث ينسى عايبهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم
 بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي اطف عن ان تدرکه الابصار وهو يدركها ﴿ قوله تعالى (قد جاءكم
 بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن
 الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين
 ليست في أنفسها بصائر الأما بقونها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات
 والحجج والبراهين أسبابا لحصول البصائر سميت بصائر (فمن أبصر) يعني فمن عرف الآيات واهتدى بها الى
 الحق (فلنفسه) يعني فلنفسه أبصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه (ومن عمى) يعني ومن جهل ولم يعرف
 الآيات ولم يستدل بها الى الطريق (فعلينا) يعني فعلى نفسه عمى ولها ضرر وكان وبال ذلك العمى عليه لان
 الله تعالى غنى عن خلقه (وما ناعليكم بحفيظ) يعني وما أنا عليكم برفيق أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم
 إنما أنا رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما أرسات به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم
 وأحوالكم وقيل معناه لا أدر أن أدفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالآيات من أخذ
 الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات
 السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (وكذلك نصرف الآيات) يعني
 وكذلك نبين الآيات ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبينها من قبل (وليقلوا درست) يعني وكذلك
 نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقلوا درست وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه
 عاقبة أمرهم أن يقولوا درست يعني قرأت على ذبرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا أكثر قراءته
 وذلك لما حفظ قال ابن عباس وليقلوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من يسار وخير
 وكانا عبد بن من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ
 درست بالالف يعني قرأت أهل الكتاب من المدارس التي هي بين اثنين يعني يتولون قرأت على أهل
 الكتاب وقرؤا عليكم وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي

تعبسوا من دونه من
 بعض خلق (وهو على
 كل شيء وكيل) أي هو مع
 تلك الصفات مآلك لكل
 شيء من الارزاق والآجال
 رقيب على الاعمال
 (لا تدرکه الا بصار) لا تحيط
 به ٣ أو بأبصار من سبق
 ذكرهم ونسبت المعتزلة
 بهذه الآية لا بد من ان
 المنقح هو الادراك لا الرؤية
 والادراك هو الوقوف
 على جوانب المراتي
 وحدوده وما يستحيل
 عليه الحدود والجهات
 يستحيل ادراكه لا رؤيته
 فنزل الادراك من الرؤية
 منزلة الاحاطة من العلم ونفي
 الاحاطة التي تقتضي
 الوقوف على الجوانب
 والحدود لا يقتضي نفي العلم
 به فكذلك هذا على أن مورد
 الآية وهو التمدح يوجب
 ثبوت الرؤية اذا نفي ادراك
 ما يستحيل رؤيته لانه لا يح
 فيه ان كل ما يرى لا يدرك
 وانما التمدح بنفي الادراك
 مع تحقق الرؤية اذا تناهوا
 مع تحقق الرؤية دليل
 ارتفاع تقيصة التناهي
 والحدود على الذات
 فكانت الآية حجة لنا
 عليهم ولو أمعنوا النظر فيها
 لا غتموا التفصي عن
 عهدها ومن ينفي الرؤية
 يلزمه نفي انه معلوم موجود

فاعبدوه) يعني انه هو الذي يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه (وهو على كل شيء وكيل) يعني أنه هو تعالى
 على كل شيء خالق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه ﴿ قوله عز وجل (لا تدرکه الا بصار وهو يدرك
 الابصار) قال جمهور المفسر بن معنى الادراك الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته فالابصار ترى الباري جل جلاله
 ولا تحيط به كما ان القلوب ترفه ولا تحيط به قال سعيد بن المسيب في نفسه بر قوله لا تدرکه لا بصار لا تحيط به
 الابصار وقال ابن عباس كلتأبصار الخلقين عن الاحاطة به

فصل تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله
 تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله أخبر أن الابصار لا تدرکه وادراك
 البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قوله أدركته ببصرى ورأيته ببصرى فثبت بذلك ان قوله لا تدرکه
 الابصار بمعنى لاتراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي
 الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا الصحة من مذهبهم بظاهر أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة
 ومن بعدهم من سلف الأمة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة قال الله تبارك وتعالى
 وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وفي هذه الآية دلائل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى
 كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله سبحانه قوما بالمصيبة وهي الكفر فثبت ان قوما
 يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك لولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبروا بالكفر بالتحاب وقال تعالى
 للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسر وهذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة وأما دلائل
 السنة فاروى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر
 وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته فان استظمت ان لاتغلبوا عن صلاة
 قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه
 البخارى ومسلم عن أبي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم هل تضاحون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا
 لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس
 عنده في أوله ان ناسا سألوا لولا اني آخره ليس دونها سحاب عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أكان
 يرى به محليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك من خلقه قال يا أبا رزين أليس كما يرى القمر ليلة
 البدر مخليا به قلت بلى قال فآية ذلك من خلقه قال يا أبا رزين أليس كما يرى القمر ليلة البدر
 وأما الدلائل العقلية فقد احتج أهل السنة أيضا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة
 وتقريره أنه تعالى تمدح بقوله لا تدرکه الابصار فالولم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان المدح
 لا يصح التمدح به فثبت ان قوله لا تدرکه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على أنه تعالى جائز رؤية وتحقيق
 هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث تمتع رؤيته حينئذ لا يلزم من عدم رؤيته بمدح وتعميم أما اذا كان
 في نفسه جائز رؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان
 هذه الآية دالة على انه تعالى جائز رؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان
 موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله أرني انظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يسأل نبي مثل
 موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علمت رؤية الله رؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراه
 واستقرار الجبل جائز والمعاني على الجائر جائز والجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية في نفي الرؤية
 فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته والرؤية المعاينة للشيء من غير
 احاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال أصحاب موسى ان ائدركون قال كلا

الاول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكاً وجنياً وغير ذلك والمعنى أنهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله (وخاقهم) أى وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكاً خالقاً له والجملة حال أى وخلق الجاهلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) (٤٢)

بالزندق لان الكتاب الذى زعم زردشت أنه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما يكون فى هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعنى النور وجميع ما فى العالم من الشر فهو من الظلمة يعنى ابليس ثم اختلف المجوس فالأكثر من منهم على أن ابليس محدث ولهم فى كيفية حدوثه أقوال عجيبة والافلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقا على أنه شريك الله فى تدبير هذا العالم فما كان من خبر فن الله وما كان من شرفن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انما أثبتوا الله شريكاً واحداً وادوا هو ابليس فكيف حكى الله أنهم جعلوا له شركاء قلت ان ابليس له أعوان من جنسه وخر به وهم شياطين الجن يعملون أعماله فصح ما حكاه الله عنهم من أنهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا فى معنى هذه الشركة فن قال ان الآية فى كفار العرب قال انهم لما أطاعوا الجن فيما أمرهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انها فى المجوس قال انهم أثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله (وخلقهم) فى معنى الكتابة قولان أحدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خالق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق وانقول الثانى أن الكتابة تعود الى الجاهلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا الله الذى خلقهم شركاء لخالقون شيئاً وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكاً لله وكل ما فى الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما فى الكون فامتنع أن يكون لله شريك فى ملكه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) أى اختلفوا وكذبوا بقاى اختلقوا واخترقوا على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان الله ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعاً فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبية على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ فثبت بهذا افساد قول من يدعى ان لله ولداً ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الافاويل الفاسدة فقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يصفون) فقوله سبحانه فيه تنزيهه الله عن كل ما يلقى بجلاله وقوله تعالى يعنى هو المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أو يكون المعنى المتعالى عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعنى عما يصفونه به من الكذب ۞ قوله عز وجل (بديع السموات والارض) الابداع عبارة عن تكوين الشئ على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق (أنى يكون له ولد) يعنى من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) لان الولد لا يكون الامن صاحبة أنى ولا ينبغى أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثل شئ (وخلق كل شئ) يعنى أن صاحبة والولد فى جملة من خلق لانه خالق كل شئ وليس كمثل شئ فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزّه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شئ عليم) يعنى أنه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شئ وعلمه محيط بكل شئ ۞ قوله تعالى (ذلكم الله ربكم) يعنى ذلكم الله الذى من صفته انه خالق السموات والارض وأبدعها على غير مثال سبق وانه بكل شئ عليم هو ربكم الذى يستحق العبادة لانه تدعون من دونه من الاصنام لانها جادات لا تخاق ولا تنضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع (لا اله الا هو خالق كل شئ)

خرق الثوب اذا شقه أى اشتقوا له (بنين) كقول أهل الكتابين فى المسيح وعزير (و بنات) كقول بعض العرب فى الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولا يكن رمياً بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشئ فهو بديع وهو من اضافة الصفة المتسببة الى فاعلها يعنى بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أى مبدعها وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (فى يكون له ولد) أو هو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون الامن صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسماً حتى يكون له ولد (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) أى ما من شئ الا هو خالق وعالمه ومن كان كذلك كان

كل شئ وهو بكل شئ عليم) أى ما من شئ الا هو خالق وعالمه ومن كان كذلك كان
 لجنبا عن كل شئ والولد انما يطالبه المحتاج (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) وقوله

(فاعبدوه)

(نبات كل شيء) ثبت كل صنف من أصناف النامي أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخر جنا منه) من النبات (خضرا) أي شياً غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضرة (حبا متراكبا) وهو السنبل الذي تراكب حبه (ومن النخل من (٤١) طاعها فنون) هورفع بالابتداء

ومن النخل خبره ومن طلعها بدن منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل فنون وهو جمع فنو وهو العندق نظيره صنو وصنوان (دانية) من المجتني لانحنائها بشقل جملها وأقصر ساقها وفيه اكتفاء أي وغير دانية لطولها كقوله سراييل تقيكم الحر (وجناب) بالنصب عطفاً على نبات كل شيء أي وأخر جنا به جنات (من أعناب) أي مع النخل وكذا (والزيتون) والرمان) وجنات بالرفع الاعشى أي ثم جنات من أعناب أي مع النخل (مشابهة وغير مشابهة) يقال اشبه الشبان وتشابهوا نحو استويا وتشابهوا والافتعال والتفاععل شتركان كثير أو تقديره والزيتون مشابه وغير مشابه والرمان كذلك يعني بعضه مشابه وبعضه غير مشابه في القدر واللون والطعم (انظروا الى ثمره اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرج ضعيفاً لا يتفع به (وينعه) ونضجه

يعني بالماء الذي أنزلناه من السماء (نبات كل شيء) يعني كل شيء ينبت وينمو من جميع أصناف النبات وقيل معناه آخر جنا بالماء الذي أنزلناه من السماء غذاء كل شيء من الانعام والبهائم والطيور والوحش وأرزاق بني آدم وأفواتهم مما يتغذون به فينبتون عليه وينمون (فاخر جنا منه خضرا) يريد أخضر مثل عور وأعور والأخضر هو جميع الزروع والبقة والرطوبة (نخرج منه حبا متراكبا) يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحبوب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس اليه أكثر لانه القوت المألوف (ومن النخل من طلعها فنون دانية) يعني من ثمرها يقال أطاعت النخلة اذا أخرجت طلعها أو طلعها كقراها قبل أن ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعاً ايضاً وهو ما يكون في قلب الطلع والطلع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العندق فاذا شق عنه كيزانه سمي عندقاً وهو القنوج جمع فنون مثل صنو وصنوان دانية أي قريبة التناول بناها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما فنوناً دانية قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفي بذكر القريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها أسهل تناولاً من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة (وجنات من أعناب) يعني وأخر جنا من ذلك بساكنين من أعناب (والزيتون والرمان) يعني وأخر جنا شجر الزيتون وشجر الرمان (مشابهة) قال قتادة مشبهها ورقتها مختلفة لثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان (وغير مشابهة) يعني ومنها غير متشابهة في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانها من أشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقبه الرمان لما فيه من المنافع ايضاً لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى (انظروا الى ثمرها اذا أثمر وينعه) يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظر وانظر استدلالاً واعتبروا كيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله (ان في ذلكم آيات لقوم يؤمنون) يعني يصدقون ان الذي أخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على أن يحيي الموتى ويعيهم وانما احتج الله عليهم بتحصير ما خلق ونعمله من حال الى حال وهو ما يعلمونه وقطعوا ويشاهدونه من احياء الارض بعد موتها واخراج سائر أنواع النبات والثمار منها وان لا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى ليعين أنه تعالى كذلك قادر على أن يحييهم بعد موتهم ويعيهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا يشكرون البعث قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الحسن معناه أطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم أطاعوا الجن فيما سواهم من شركهم فجعلواهم شركاء لله وقال الكلبى نرات في الزنادقة أنبتوا الشرك لانين في الخلق فقالوا الله خلق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السائب ونقله الرازي عن ابن عباس قال الامام نخر الدين الرازي وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلبسون

(٦ - خازن - ثاني) أي انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيئاً جامعاً لمنافع نظر اعتبار واستدلال على قدرته مقدره ونافله من حال الى حال (ان في ذلكم آيات لقوم يؤمنون) ثمره وكذا ما به حذرة وعلى جمع ثمار فهو جمع يقال ثمره وثمر وثمار وثمر (وجعلوا لله شركاء الجن) ان جعلت لله شركاء مفعولاً جعلوا كان الجن بدلاً من شركاء والا كان شركاء الجن مفعولاً قدسما على

مسكونا فيه من قوله اتسكنوا فيه أي يسكن في الخلق عن كد المعيشة إلى نوم الغفلة أو عن وحشة الخلق إلى الانس بالحق (والشمس والقمر) اتصبا باضمار فعل يدل (٤٠) عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر (حسابنا) أي جعلهما على حساب

وذلك هو الليل (والشمس والقمر حسابنا) يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحسبان معين قال ابن عباس يجر يان إلى أجل جعلهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكبي منازلهما بحسبان لا يجاوزانه حتى يتهيا الي أقصى منازلها (ذلك) اشارة إلى ما تقدم ذكره في هذه الآية من الاشياء التي خلقها بقدرته وكان علمه وهو المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعز ب اشارة إلى كمال قدرته والعليم اشارة إلى كمال علمه قوله عز وجل (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها إذا ضللتكم الطرق وتحرتم في فواتن الله على عباده بان جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر إلى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم أيضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضا أنه تعالى خلقها زينة للسماء ورجو للسياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (قد فصلنا الآيات) يعني قدينا الآيات الدالة على توحيدنا وكل قدرتنا (قوم يعلمون) ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع الختار وكما علمه وقدرته قوله تعالى (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) يعني والله الذي ابتدأ خلقكم أباها الناس من آدم عليه السلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضا لان ابتداء خلقه من مريم وهي من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام (مستقر ومستودع) قرئ مستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر في مكانه واستقر فن كسر القاف قال المستقر بمعنى انقار والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالاستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر وأما المستودع فهو مثل أودع فيجوز أن يكون اسما للانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه فن قرأ مستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلنكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض لان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس أنه قال المستقر في أرحام الامهات والمستودع في أصلاب الآباء ثم قرأ ونقر في الارحام مانشاء ويؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام أكثر من صلب الاب جعل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه أنه قال بالعكس يعني أن المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول أن النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب جعل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم إلى أن يولد والمستودع في القبر إلى أن يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا وقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت مستودع في أهالك إلى أن تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر أما في الجنة أو النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتأيد (قد فصلنا الآيات) قدينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة (لقوم يفقهون) يعني قوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيد الله لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل (وهو الذي أنزل من السماء ماء) يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الارض (فاخرجنا به)

لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بانهم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذلك) اشارة إلى جعلهما حسابنا أي ذلك التيسير بالحساب المع لوم (تقدير العزيز) الذي قهرهما وسخرهما (العلم) بتدبيرهما وتدويرهما (وهو الذي جعل لكم النجوم) خلقها (انتهدوا) بها في ظلمات البر والبحر (أي في ظلمات الليل بالبر والبحر) وأضافها اليهما للملابسة لهما أو شبهه مشتبهات الطرق بالظلمات (قد فصلنا آيات لقوم يعلمون) قدينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) هي آدم عليه السلام (مستقر ومستودع) فستقر بالكسر مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرهما كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعني فلنكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فنكم مستقر ومنكم مستودع

(قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) وانما قيل يعلمون ثم يفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق

لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصر يفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أدق (وهو الذي أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرجنا به)

الفاق هو الشق ثم اختلفوا فى معناه على قولين أحدهما هو مروى عن ابن عباس قال فلق الحب عن السنبله والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدى وابن زيد قال الزجاج يشق الحب اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقاً أخضر والقول الثانى وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان فى الحب والنوى والحب هو الذى ليس له نوى كالخنطة والشعير والارز وما أشبه ذلك والنوى جمع نواة وهى ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمس وما أشبه ذلك ومعنى قوله فالحق الحب والنوى أنه اذا وقعت الحبة أو النواة فى الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقاً أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبله يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة فى الهواء وعروقاً ضاربة فى الارض تسبحان من أوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقه ﴿ وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) قال ابن عباس فى رواية يخرج من النطفة بشرحها ويخرج النطفة الميتة من الحى وهذا قول السكبي ومقاتل قال السكبي يخرج النسمه الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحى وقال ابن عباس فى رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحية والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصى والعاصى من الطائع وقال السدى يخرج السبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبرى لانه قال عقب قوله ان الله فالحق الحب والنوى فان قلت كيف قال ويخرج الميت من الحى بلطف اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت وما السبب فى عطف الاسم على الفعل قلت قوله ويخرج الميت من الحى عطف على قوله فالحق الحب والنوى وقوله يخرج الحى من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالحق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى من النبات فى حكم الحيوان وقوله (ذا لكم الله) يعنى ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء المحيى الميت لها (فأنى تؤفكون) يعنى فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل أيضاً على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب ﴿ قوله تعالى (فاق الاصبح) أى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمي به الصبح وقال الزجاج الاصبح والصبح واحد وهما أول النهار فان قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فى الصبح والظلمة هى التى تنفلق بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوهاً الاول أن يكون المراد فالحق ظلمة الصبح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد فى الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو فى الافق الشرقى ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثانى وهو الضوء المستطير فى جميع الافق الشرقى ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا أن يكون المعنى فالحق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثانى الوجه الثانى انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضيء النهار فيكون معنى قوله فالحق الاصبح أى فالحق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالحق ظلمة الاصبح وهى الغبش فى آخر الليل الذى يلى الصبح الوجه الرابع أن يكون المعنى فالحق الاصبح الذى هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق وسمى الفجر فلما بمعنى مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعنى خالق الاصبح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذى يبدو أول النهار والمعنى انه تعالى مبدى ضوء الصبح وخالقه ومنوره ﴿ وقوله تعالى (وجعل الليل سكناً) السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون فى الليل سكناً راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد أتعب نفسه فى النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة

الذين فى النواة والخنطة (يخرج الحى من الميت) النبات الغض النامى من الحب اليابس (ويخرج الميت من الحى) الحب اليابس من النبات النامى أو الانسان من النطفة والمؤمن من الكافر وما يشاهدونه من خلقه لانهم أنكروا البعث فاعلمهم أنه الذى خلق هذه الاشياء فهو بقدرته على بعثهم وانما قال ويخرج الميت بلطف اسم الفاعل لانه معطوف على فالحق الحب لاعلى الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة الميتة لقوله فالحق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان دليله قوله ويحيى الارض بعد موتها (ذا لكم الله) ذلكم المحيى والميت هو الله الذى تتحق له الربوبية لا الاصنام (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره بعد وضوح الامر بما ذكرنا (فاق الاصبح) هو مصدر سمي به الصبح أى شاق عمود الصبح عن سواد الليل أو خالق نور النهار

(وجعل الليل) وجعل الليل كوفى لان اسم الفاعل الذى قبله يعنى الماضى فلما كان فالحق يعنى فالحق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سكننا)

وامهال (اليوم تجزون عذاب الهون) أرادوا وقت الاماة وما يعذبون به من شدة النزاع والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون أو وصف لمصدر محذوف أى قولا غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا للحساب والجزاء (فرادى) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كاسير وأسارى (كما خلقناكم) فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أى مجيئنا مثل ما خلقناكم (أول مرة) على الهيات التى ولدتم عليها فى الافراد (وتركتم ما خولناكم) ملكناكم (وراء ظهوركم) ولم تحتملوا منه تقيرا (وما ترى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فىكم شركاء) فى استعبادكم (لقد تقطع بينكم) وصلكم عن الزجاج والبين الوصل والهجر قال فوالله لولا البين لم يكن الهوى * ولولا الهوى ما حن للبين آف بينكم مدنى وعلى وحفص أى وقع التقطع بينكم (وضل عنكم) وضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) انها شفعاءكم عند الله (ان الله فائق الحب والفق

انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فيها فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلاصوا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من العذاب فى ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب الهون) يعنى الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) يعنى ذلك العذاب الذى تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) يعنى وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه ﴿قوله تعالى (ولقد جئتمونا فرادى) يعنى وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خادم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافر فى يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم فى ذلك اليوم وفى قوله لا كافر فى ولقد جئتمونا فرادى تقر بع وتوبىخ لهم لانهم صرفوا همهم فى الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وأفنوا أعمارهم فى عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيئا فى يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوا فى الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) يعنى جئتمونا حفاة عراة غرلا يعنى قلنا كما ولدتمهم أمهاتهم فى أول مرة فى الدنيا لا شئ عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعداء علينا انا كنا فاعلينا (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تحشرون الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقالت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهيمهم ذلك روى الطبرى بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأناه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سواة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض ﴿وقوله تعالى (وتركتم ما عطيناكم وما كنا نملككم من الاموال والاولاد والخدم والحول وكل ما عطيناكم الله العبد خوله فيه من المال والعبيد وراء ظهوركم) يعنى فى الدنيا (وما ترى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فىكم شركاء) يعنى ان المشركين زعموا أنهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة وبج الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قرىء بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرىء بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا (وضل عنكم) ما كنتم تزعمون) يعنى وذهب وبطل ما كنتم تكذبون فى الدنيا ﴿قوله عز وجل (ان الله فائق الحب والنوى) لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيهاً بذلك على أن المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها وتعرفاً منه خطأ ما كانوا عليه من الاشرار الذى كانوا عليه والمعنى ان الذى يستحق العبادة دون غيره هو الله الذى فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفى معنى فائق قولان أحدهما انه بمعنى خاق ومعنى الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس فى رواية العوفى عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدى ذهبوا بالنى مذهب فاطمروا أنكر الطبرى هذا القول وقال لا يعرف فى كلام العرب فائق الله الشئ بمعنى خاق ونقل الازهرى عن الزجاج جوزة فقال وقيل الفائق الخلق واذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود فى العدم فلما أوجدها الله تعالى وأخرجها من العدم الى الوجود فكأنه فائقها وأظهرها والقول الثانى وهو قول الاكثرين ان

يحمّل على المحافظة على الصلاة وقائدة تخصيص الصلاة بالذكردون سائر العبادات التنبيه على أنها أشرف العبادات بعد الإيمان بالله تعالى فإذا حافظ العبد عليها يكتون محافظاً على جميع العبادات والطاعات ﴿قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) يعني ومن أعظم خطأ وأجهل فعلاً من اختلق على الله كذباً فزعم أن الله بعثه نبياً وهو في زعمه كذاب مبطل (أوقال أوسى الى ولم يوح اليه شئ) قال قتادة نزات هذه الآية في مسيلمة الكذاب ابن نامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله أوحى اليه وكان قد أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدان أن مسيلمة نبي قال نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم إذ أتيت خزائن الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبيرا على وأهمانى فأوحى الى أن أنفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كان في يدي سوارين فاولتهما كذابين يخرجان من بعدى يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسى صاحب صنعاء قوله فأوحى الى ان أنفخهما يروى بالخاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفخت الدابة برجلها إذا دفعت ورحت ويروى بالخاء المعجمة من النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغترق قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب في زمن خلافة أنى بكر الصديق قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشى يقول قتلت خير الناس يعنى حمزة وقتلت شر الناس يعنى مسيلمة وأما الاسود العنسى باليمن فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذوالخمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل والنبي صلى الله عليه وسلم حى لم يمّت وذلك قبل موته بيومين وأخبر أصحابه بقتله وقتله فيروز الدبلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعنى بقتله الاسود العنسى فمن قال ان هذه الآية يعنى قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً وقال أوسى الى ولم يوح اليه شئ نزات في مسيلمة الكذاب والاسود العنسى يقول ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول بعض علماء التفسير يتقدم ذكره في أول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية وقال انها نزات في شأنهم يقول انها خبر عن عيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله أعلم ﴿قوله تعالى (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) اليك قال السدى نزات في عبد الله بن أبى سرح القرشى وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سمى بصيرا كتب عليها حينما وإذا أملى عليه علمها حينما كتب غفوراً رحيماً فلما نزات ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبها فهكذا نزلت فسك عبد الله بن أبى سرح وقال لمن كان محمد صادقاً فاقه أوسى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله في المسنة هذين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذباً في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم (ولوترى اذ الظالمون في غمرات الموت) يعنى ولوترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت لرأيت أمراً عظيماً وغمراته شدائده وسكراته وعمرة كل شئ معظمه وأصلها اشيء الذى يغمر الاشياء في غطيتها موضعت في موضع الشدائد والمكاره (والملائكة باسطوا أيديهم) يعنى بالعداب يضر بون وجوههم وأدبارهم وقيل باسطوا أيديهم قبض أرواحهم (أخرجوا أنفسكم) يعنى يقولون لهم أخرجوا أنفسكم فان قلت

يحافظ على اخواتها ظاهراً
(ومن أظلم ممن افترى على
الله كذباً) هو مالك بن
الصفى (أوقال أوسى الى
ولم يوح اليه شئ) هو
مسيلمة الكذاب ومن قال
في موضع جر عطف على
من افترى أى ومن قال
(سأنزل مثل ما أنزل الله)
أى سأقول وأملى هو عبد
الله بن سعد ابن أبى سرح
كاتب الوحى وقد أملى النبي
عليه السلام عليه واتمه
خلقنا الانسان الى خلقنا
آخر جري على لسانه فتبارك
الله أحسن الخالقين فقال
عليه السلام اكتبها
فكذلك نزات فسك وقال
ان كان محمد صادقاً فقد
أوحى الى كذا أوحى اليه وان
كان كاذباً فقد قلت كما قال
فارتد ولحق بمكة أو النضر
ابن الحارث كان يقول
والطاحنات طحننا
فالعاجنات عجنا فالخابرات
خبزنا كانه يعارض
(ولوترى) جواه محذوف
أى لرأيت أمراً عظيماً (اذ
لظالمون) يريد الذين ذكرهم
من اليهود والمنبئة
فنكون اللام لا العهد ويجوز
أن تكون للجنس
فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله
(في غمرات الموت) شدائده
وسكراته (والملائكة
باسطوا أيديهم أخرجوا
أنفسكم) أى يبسطون

قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) مما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والاختفاء بالياء في الثلاثة مكي وأبو عمرو (وعلمتم) بأهل الكتاب بالكتاب (مالم تعلموا) من أمور دينكم ودينكم (قل الله) جواب أي أنزله الله فافهم لا يقدر أن يناكروك (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه (يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذي بين يديه) من الكتب (ولتنذر) وبالياء أبو بكر أي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات ونصديق ما تقدمه من الكتب والانداد (أم القرى) مكة وسميت أم القرى لأنها سررة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا ولأن الناس يؤمنونها (ومن حولها) أهل الشرق والغرب

الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التي في سورة النساء فلما حدثتهم بأعمالهم الخبيثة جئنا رجل منهم وقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وأورد الرازي على هذا القول اشكالاً أيضاً وهو أنه قال إن اليهود مقررون بانزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء مع اعترافهم بانزال التوراه ولم يجب عن هذا الاشكال بشيء وأجيب عنه بأن مراد الله ودانكار انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) أي قل يا محمد هؤلاء اليهود الذين أنكروا انزال القرآن عليك بقولهم ما أنزل الله على بشر من شيء من أنزل التوراة على موسى وفي هذا الاقرار بما لا بد لهم من انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم (نور او هدى للناس) يعني التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبدل وتغير (يحجولونه قراطيس) يكتبونه في قراطيس مقطعة (يبدها) يعني القراطيس المكتوبة (ويخفون كثيراً) يعني ويخفون كثيراً كما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعمته في التوراة وما أخفوه أيضاً آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة (وعلمتم مالم تعلموا) أتم ولا آباؤكم) أكثر المفسرين على أن هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مالم تعلموا أتم ولا آباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للساميين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) هذا راجع الى قوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فان أباؤك يا محمد والافقل أنت الله الذي أنزله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) يعني دعهم يا محمد فيما فهم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزئون ويستخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا أقت الحجة عليهم وبلغت في الاعتذار والانداد هذا المبالغ العظيم حينئذ لم يبق عليك من أمرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للشركيين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني وهذا القرآن كتاب أنزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة التمام والزيادة وثبوت الخير (مصدق الذي بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعني انه موافق لما في التوراة والانجيل وسائر الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب وتقيسة وتدل على البشارة والندارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقاً لجميع الكتب المنزلة (ولتنذر) قرى بالياء يعني وتنذر يا محمد وبالياء ومعناه لينذر الكتاب (أم القرى) يعني مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر أهل أم القرى وسميت مكة أم القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها أقدم القرى وأعظمها بركة وقيل لانها قبلة أهل الارض (ومن حولها) يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقاً وغرباً (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) يعني والذين يصدقون بقيام الساعة وبالبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فإنه يرغب في تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد أشرف الاديان وشريعته أعظم الشرائع (وهم على صلاتهم يحافظون) يعني بدأومون عليها في أوقاتها والمعنى ان الايمان بالآخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك

لا أطلب على تبليغ الرسالة جعلاً قيل لما أمره الله تعالى بالاعتداء بالنبيين وكان من جملة هداهم عدم طلب
الاجر على ائصال الدين وابلغ الشريرة لاجرم اقتدى بهم فقال لأسألكم عليه أجزا (ان هو) يعني ماهو يعني
القرآن (الاذكري للعالمين) يعني أن القرآن موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على أنه
صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمّت جميع الخلائق ﴿قوله عز
وجل (وما قدر والله حق قدره) قال ابن عباس معناه ما عظموا الله حق عظمتة وعنه أن معناه ما آمنوا أن
الله على كل شيء قدير وقال أبو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال
قدر الشيء اذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرته يقال لمن عرف شيئاً هو
يقدر قدره وما اذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدره والله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه
المدكورة في معناه (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) يعني الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ما قدروا
الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء
في من نزلت هذه الآية على قولين أحدهما أنها نزلت في كفار قريش وعلى هذا قول من يقول ان جميع هذه
السورة مكية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من أول السورة الى هذا
الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدره والله حق قدره موصولاً بذلك غير مفصول
عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء خبراً عن غيرهم وأورد دخر الدين الرازي على هذا القول
اشكالا وهو أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وأيضاً فبعد
هذه الآية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود وأجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود
وقد سمعوا منهم أن موسى جاءهم بالتوراة وبالمجزات الباهرات وانما أنكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وأجاب عن كون سياق الآية لا يليق
بالبحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد
ان بعض الآية يكون خطاباً لكفار قريش وبه ضحاً خطا باليهود والقول الثاني في سبب نزول هذه الآية
وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة واسما من
الآيات المدنيات التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بحكمة الاست آيات منها قوله وما قدروا
الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه فقال سعيد
ابن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الخبير السمين وكان خبراً
سميناً فغضب وقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله
ما أنزل الله على بشر من شيء فانزل الله وما قدره والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل
الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدي للناس الآية قال البغوي وفي القصة أن مالك بن الصيف لما سمعت
اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء
فقال مالك بن الصيف أغضبتني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه
عن الخبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقال السدي نزلت هذه الآية في فنحاص بن عازوراء اليهودي
وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهوديا محمد أنزل الله عليك كتاباً قال نعم فقالوا والله ما أنزل
الله من السماء كتاباً فانزل الله وما قدره الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل
الكتاب الذي جاء به موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظي جاءنا من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو محتب فقوايا بالقسام الأنا تينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله فانزل

ورواية الحديث لا يجوز
(ان هو الاذكري للعالمين)
ما القرآن الاعظة للجن
والانس (وما قدروا الله
حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله
على بشر من شيء) أى ما
عرفوه حق معرفته في
الرحمة على عباده حين
أنكروا بعثة الرسل
والوحي اليهم وذلك من
أعظم رحمتهم وما أرسلناك
الارحة للعالمين روى أن
جماعة من اليهود منهم
مالك بن الصيف كانوا
يحادلون النبي عليه السلام
فقال النبي عليه السلام له
أليس في التوراة أن الله
يبغض الخبير السمين قال نعم
قال فانت الخبير السمين
فغضب وقال ما أنزل الله
على بشر من شيء وحق
قدره منصوب نصب المصدر

واجتبتناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) أى مادان به هؤلاء المذكورون (هدى الله) دين الله (يهدى به من يشاء من عباده) فيه نقض قول المعتزلة لانهم

(٣٤)

اخوانهم وذريتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى (واجتبتناهم) يعنى اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) يعنى وأرشدناهم (الى صراط مستقيم) أى الى دين الحق (ذلك هدى الله) قال ابن عباس ذلك دين الله الذى كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد يهدى الله معرفة الله وتزويجه عن الشركاء والاضداد والانداد (يهدى به من يشاء من عباده) يعنى يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء (ولو أشركوا) يعنى هؤلاء الذين سميانهم (لحبط) يعنى لبطل وذهب (عنهم) ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئاً ﴿ قوله عز وجل (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) يعنى أولئك الذين سميانهم من الانبياء أعطيناهم الكتاب التى أنزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هى الاصل لان منصب النبوة أشرف المراتب والمناصب فذكر الكتاب والحكمة على انهما يدلان على النبوة (فان يكفر بها هؤلاء) يعنى فان يكفر بها هؤلاء) يعنى فان يكفر بدلائل التوحيد والنبوة كفارق ريش (فقد وكلناها قومًا ليسوا بها بكافرين) قال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردى هم الملائكة وميمه بعدلان اسم القوم لا ينطلق الا على بنى آدم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكاً أو نبياً أو من الصحابة أو التابعين وفى الآية دليل على أن الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوى دينه ويجعله عالياً على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب ﴿ قوله تعالى (أولئك الذين هدى الله) يعنى النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية (فبهداهم اقتده) اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعنى فبشرائعهم وسننهم اعمل وأصل الاقتداء فى اللغة طلب موافقة الثانى للاول فى فعله وقيل أمره أن يقتدى بهم فى أمر الدين الذى أمرهم أن يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتزويجه عن جميع النقائص التى لا تليق بجلاله فى الاسماء والصفات والافعال وقيل أمره الله أن يقتدى بهم فى جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم وقيل أمره أن يقتدى بشرائعهم الا ما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون فى الآية دليل على أن شرع من قبلنا شرع انما

وتقدمهم ومارفح لهم من الدرجات العلى (لحبط) عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت أعمالهم كما قال الثن أشركت ايحبطن عملك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (والحكم) والحكمة أو فهم الكتاب (والنبوة) وهى أعلى مراتب البشر (فان يكفر بها) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن (هؤلاء) أى أهل مكة (فقد وكلناها قومًا) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبي عليه السلام أو كل من آمن به أو ألجم ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهد به ويحافظ عليه والباء فى (ليسوا بها) صلة كافرين وفى (بكافرين) لتأكيد النفي (أولئك الذين هدى الله) أى الانبياء الذين مر ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد

بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهى مختلفة والهاء فى اقتده للوقف تسقطى الوصل واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف ومخذفها حزة وعلى فى الوصل ومختلسها شامى (قل لا أسألكم عليه) على الوحى أو على تبليغ الرسالة والبعاء الى التوحيد (أجر) جزء لا وفيه دال على أن اخذ الاجر على تعلم القرآن

كلاً هدينا) أي كلاً هم -
 واتصّب كلاً هدينا (ونوحا
 هدينا) أي وهدينا ونوحا
 (من قبل) من قبل ابراهيم
 (ومن ذريته) الضمير
 انوح وأولاد ابراهيم والأول
 أظهر لان يونس ولوطا لم
 يكونا من ذرية ابراهيم
 (داود وسليمان وأيوب
 ويوسف وموسى وهرون)
 والتقدير وهدينا من
 ذريته هؤلاء (وكذلك
 نجزي المحسنين) ونجزي
 المحسنين جزاء مثل ذلك
 فالكاف في موضع نصب
 نعت لمصدر محذوف
 (وزكريا ويحيى وعيسى
 والياس كل) أي كلاً هم (من
 الصالحين) وذكري عيسى
 معهم دليل على ان النسب
 يثبت من قبل الام أيضاً
 لانه جعله من ذرية نوح
 عليه السلام وهو لا يتصل
 به الا بالام وبذا أوجب
 الحجج حين أنكر أن
 يكون بنو فاطمة وأولاد
 النبي عليه السلام
 (واسماعيل والبسع) والبسع
 حيث كان بلامين حمزة
 وعلى (ويونس ولوطا وكلاً
 فضلنا على العالمين)
 بالنبوة والرسالة (ومن
 آباؤهم) في موضع نصب
 عطفاً على كلاً أي وفضلنا
 بعض آباؤهم (وذرياتهم
 واخوانهم

نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجاته في علمين وأتقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له
 يعني لابراهيم اسحق يعني ابناصلبه ويعقوب يعني ابن اسحق وهو ولد الولد (كلاً هدينا) يعني هدينا جميعهم
 الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا من قبل) يعني من قبل ابراهيم أرسلنا
 نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية (ومن ذريته) اختفاوا في هذا الضمير الى من يرجع
 فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم (داود وسليمان) وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور
 المفسرين لان الضمير يرجع الى أقرب مذكور ولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخي
 ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاء الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلاً القولين جائز لان
 ذكرهما جميعاً قد جرى وداود هو ابن يشا وكان ممن آناه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود (أيوب)
 هو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن
 اسحق بن ابراهيم (وموسى) هو ابن عمران بن بصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو أخو
 موسى وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزي المحسنين) يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيدده وصره على أذى
 قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم (وزكريا) هو ابن آذن بن بركا (ويحيى) هو ابن زكريا
 (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل
 وقال محمد بن اسحق هو الياس بن سنان بن قحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وهذا هو الصحيح لان
 أصحاب الانساب يقولون ان ادريس جسد نوح لان نوحا بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس
 ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجهله من ذريته (كل من الصالحين) يعني أن كل من
 ذكرنا وسميناه من الصالحين (واسماعيل) هو ابن ابراهيم وإنما أخذ كرهه الى هنا لانه ذكر اسحق وذكري
 أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخذ كراسماعيل الى هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن
 الجوز (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن أخي ابراهيم (وكلاً فضلنا على العالمين) يعني على عالمي
 زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله
 تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضى أن الانبياء أفضل من الملائكة واعلم أن الله تعالى ذكره ثمانمائة وعشرين نبيا
 من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى الترتيب ولكن
 هنا طيغة أوجبت هذا الترتيب وهي أن الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من
 الكرامة والفضل فذكر أولاد نوحا و ابراهيم واسحق و يعقوب لانهم أصول الانبياء واليهم ترجع أنسابهم
 جميعاً ثم من المراتب المعترية بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا
 وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدة وتدو قد خص الله بهذه أيوب عليه السلام ثم عطف
 على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدة الى أن أعطاه الله
 ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعترية في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المهجرات وقوة البراهين وقد
 خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعترية الزهد في الدنيا والاعراض عنها
 وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين
 ثم ذكر الله من بعدهم هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل والبسع ويونس ولوطا فاذا اعتبرنا
 هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شيء يذكر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
 قوله تعالى (ومن آباؤهم) يعني ومن آباء الذين سميناهم ومن هنا التبعيض لان من آباء بعضهم من لم يكن
 مسلماً (وذرياتهم) يعني ومن ذرياتهم أي بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم
 من هو كافر كابن نوح (واخوانهم) يعني ومن احواتهم والمعنى ان الله تعالى وفق من آباء المذكورين ومن

أخاف ما نشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً) أى لا أخاف معبودانكم فى وقت فقط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى أن يصيبنى منها بضر فهو قادر (٣٢) على أن يجعل فيا شاء نفعاً وفيا شاء ضرراً الا صنم (وسمع ربى كل شئ علماً)

أخاف ما نشركون به) وذلك انهم قالوا له احذر الا صنم فانا نخاف أن تمسك بنجبل أو جردون اعبيك اياها فاجابهم بقوله ولا أخاف ما نشركون به فانها جادات لا تضرو ولا تنفع وانما يكون الخوف من بقدر على النفع والضرر وهو قوله (الأن يشاء ربى شيئاً) يعنى لكن ان يشأ ربى شيئاً كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه فى بعض حاله واما يوم عمره ما يكرهه فلأوصابه مكرهه نسبه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الأن يشاء ربى شيئاً وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول فى شئ والمعنى واسكن ان شاعر ربى شيئاً كان (وسمع ربى كل شئ علماً) يعنى أحاط علمه بكل شئ فلا يخرج شئ عن علمه (أفلا تتذكرون) يعنى أفلا تتدبرون أن هذه الاصنام جادات لا تضرو ولا تنفع وان النافع الضار هو الذى خالق السموات والارض ومن فيهما (وكيف أخاف ما نشركتكم) يعنى وكيف أخاف الا صنم التى أشركتم بها لأنها جادات لا تبصر ولا تسمع ولا تضرو ولا تنفع (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) يعنى وأتم لتخافون وقد أشركتم بالله وهو من أعظم الذنوب (مالم ينزل به عليكم سلطاناً) يعنى ما ليس لكم فيه حجة وبرهان (فاى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون) يعنى يقول من أولى بالامن من العذاب فى يوم القيامة الموحداً والمشرِك (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وهذا فصل قضاه الله بين ابراهيم وبين قومه يعنى ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم فى المحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا يعنى آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئاً ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخاطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا اينالنا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعون اقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وى رواية ايس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل فى معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخلطوا ايمانهم بشئ من معانى الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذا القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معانى الظلم دون غيره والصحيح أن الظلم المذكور فى هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفى الآية دليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً كانت عاقبته الامن من النار لقوله (أولئك) يعنى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم (لهم الامن) يوم القيامة من عذاب النار (وهم مهتدون) يعنى الى سبيل الرشاد وقوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) يعنى ماجرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم اننا نخاف عليك من آلهتنا لسببك اياها قال أفلا تخافون انتم منها اذ سوتم بين الصغير والكبير فى العبادة أن يفضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال أى الفريقين أحق بالامن من يعبد الهوا واحداً مخلصاله الدين والعبادة أم من يعبد ارباباً كثيرة فقالوا من يعبد الهوا واحداً ففضوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم (ترفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء فى الدنيا بالنسوة والعلم والحكمة وفى الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة (ان ربك حكيم عليم) يعنى أنه تعالى حكيم فى جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيئاً الا بحكمة وعلم ﴿ قوله عز وجل (ووهبنا له اسحق ويعقوب) لما أظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغاب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التى فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها عدداً لله ابراهيم على قومه) وهو

فلا يصيب عبداً شئ من ضرر أرفع الابعله (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين القادر والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) معبوداتكم وهى مأونة الخوف (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به) باسراكه (عليكم سلطاناً) حجة اذا الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة والمعنى وما لكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن فى موضع الخوف (فاى الفريقين) أى فريقى الموحدين والمشرِكين (أحق بالامن) من العذاب (ان كنتم تعلمون) ولم يقل فاينا احترازاً من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) بشرِك عن الصديق رضى الله عنه (أولئك لهم الامن وهم مهتدون) ثم كلام ابراهيم عليه السلام (وتلك حجتنا) اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جئنا عليه الايبل الى وهم مهتدون (آتيناها ابراهيم على قومه) وهو

(فلما أفل) غاب (قال لأحب الآفلين) أي لأحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال لأن ذلك من صفات الأجسام (فلما رأى القمر بازغا) مبتدأ في الطلوع (قال هذاربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كون (٣١) من القوم الضالين) به قومه

على ان من اتخذ القمر الها فهو ضال وإنما احتج عليهم بالافول دون البروزغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال لان الاحتجاج به أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فلما رأى الشمس بازغة قال هذاربي) وإنما ذكره لانه أراد الطالع أولانه جعل المبتدأ مثل الخير لانهما شيء واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقلوا علامة وان كان الثاني أبلغ تفاديا من علامة التأنث (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (فلما أفلت قال يا قوم اني برىء مما تشركون) من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فكأنه أظهر لقوله يا قوم اني برىء مما تشركون (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) أي للذي دات هذه المحدثات على انه منشئها (حنيفا) حال أي ما نال عن الاديان كلها الا الاسلام (وما أنا من المشركين) بالله

حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون يعني أفهم الخالدون والمعنى أي يكون هذاربى باودلائل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذاربى بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك أنت العزيز الكريم يعني عند نفسك و بزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا غير يداهلك بزعمك الوجه الرابع ان في هذه الآية اضممارا تقديره يقولون هذاربى واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمه ميلر بنا تقبله نأى يقولان ر بنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضى التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان أراه الله ملكوت السموات والارض و بعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الثمر يفتلا يلبق بحاله ان بعد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبنى وبنى أن بعد الاصنام وأما قوله تعالى (فلما أفل) يعني غاب والافول غيبة النيرات (قال) يعني ابراهيم (لأحب الآفلين) يعني لأحب ربا يغيب ويطلع لان أمارات الحدوث فيه ظاهرة ﴿قوله تعالى (فلما رأى القمر بازغا) يعني طالعا منتشرا ضوءا (قال هذاربى) معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب (فلما أفل) يعني غاب (قال لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين) يعني ان لم يثبتني ربي على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزوا على الهداية من أول الفطرة وفي الآية دليل على أن الهداية من الله تعالى لان ابراهيم أضاف الهداية لله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) يعني طاعة (قال هذا ربي) يعني هذا الطالع وأنه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس أضوا من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تأنث الشمس غير حقيقي فلها أنى بلفظ التذكير (هذا أكبر) يعني من الكوكب والقمر (فلما أفلت) يعني فلما غابت الشمس (قال يا قوم اني برىء مما تشركون) يعني انه لما أثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بألهة ولا تصلح للربوبية تبرأ منها وأظهر لقومه انه برىء مما يشركون ولما أظهر خلاف قومه وتبرأ من شركهم أظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال (اني وجهت وجهي) يعني اني صرفت وجه عبادتي وقصرت توحيدى (للذي فطر السموات والارض) يعني للذي خلقهما وابتدعهما (حنيفا) يعني ما نال عن عبادة كل شيء سوى الله تعالى وأصل الحنْف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته (وما أنا من المشركين) تبرأ من الشرك الذي كان عليه قومه ﴿قوله عز وجل (وحاجه قومه) يعني وخاصمه قومه وذلك لما أظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التي كانوا يعبدونها وأظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك فقال أتحاجوني في الله يعني أتحجادونني في توحيدى لله وقد هدىني وقد تبين لي طريق الهداية الى توحيدى ومعرفة الله وقال البغوى لما رجع ابراهيم الى أبيه وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع الذبايح وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادى من يشترى ما يضره ولا ينفعه فلا يشترىها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصب فيه رؤسها وقال اشربى استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشوا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته حاجه قومه يعني خاصمه وجادله قومه في دينه (قال) يعني ابراهيم (أتحاجوني في الله وقد هدىني) يعني الى توحيدى ومعرفة الله (ولا

شيأ من خلقه) (وحاجه قومه) في توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه (قال أتحاجوني في الله) في توحيدى في مدني وابن ذكوان (وقد هدىني) الى التوحيد وبالبياء في الوصل أبو عمر وولما خوفوه أن يعبدوهم نصيبه بسوء قال (ولا

وعرف به وبرى من دين قومه الا أنه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به أمه أخبرته انه ابنه وأخبرته بما صنعت
 به فسر بذلك وفرح فرحاً شديداً وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع
 عشرة سنة قالوا فاشبأ ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت ان انا قال فن ربي قالت ابوك قال
 فن ربي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت رأيت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين أهل الارض
 فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فاتاه أبوه آزر فقال ابراهيم يا ابتاه من ربي قال أمك قال فن ربي أمي قال أنا
 قال فن ربي قال فن ربي ود فاطمه اطمة وقال اسكت فلما جرت عليه الليل دنا من باب السرب
 فنظر في خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذاربي ويقال انه قال لابوه به أخر جاني فاخرجاه من السرب حين
 غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل ولغتم فسأل أباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم
 ما هذه بدم من أن يكون لها اله وهو ربهما وخالفهما ثم نظر فاذا المشستري قد طلع ويقال انها الزهرة وكانت تلك
 الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه
 الليل يعني ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذاربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول
 هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين أحدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجّة
 عليه فلم يكن لهذا القول لدى صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما
 تنبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من العجائب
 ونظر الى الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والقطرة السليمة تفكر في نفسه
 وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو اله الخالق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهق فقال هذا
 ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستبدل
 أصحاب هذا القول على صحته بقوله ان لم يهدني ربي لا تكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير
 وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجّة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء
 معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات
 الا وهو الله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزّه ومن كل معبود سواه برىء وكيف يتوهم هذا على ابراهيم
 وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض أفبرؤية الكوكب يقول
 معتقدا هذاربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه أعلى وأشراف من ذلك صلى الله عليه
 وسلم والقول الثاني الذي عليه جهوه المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين
 شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكر وافيهما
 وجوها الوجه الاول أن ابراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم
 في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما
 أقل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخلى على النجوم بسبب الغيبوبة والافول لبثت
 خطأ ما كانوا يعتقدون فيهم من الالوهية ومثل هذا كمثل الخواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون
 صنما فظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصرون عن رأيه في كثير من أمورهم الى أن دهمهم
 عدوا لقبولهم به فشاو رودي أمر هذا العدو فقال الرأى عندي أن ندعوا هذا الصنم حتى يكشف
 عنا منزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع
 دعاهم الخواري وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف عنهم منازلهم فدعوا الله
 فخلصهم فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام قال هذا
 القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره هذاربي الذي تزعمون واسقاط

الشبهة عنه ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلاله الامر سره وعلايته فلم يخف عليه شئ من أعمال الخلاق فلما جعل يامن أصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فعنى الآية على هذا القول وكذلك ارضه ملكوت السموات والارض ليكون من يوقن علم كل شئ حسا وخبرا ﴿ قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) يقال جن الليل واجن اذا ظلم وغطى كل شئ واجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده (رأى كوكبا قال هذاري)

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود اول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومجتمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا فسطع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق له ما ضوء ففرغ من ذلك فزاعش بدافع السحرة والكهان وسأطلم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك اهل دينك على يديه فامر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة ناحيته وأمر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة درجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امراة قد طهرت من الحيض فواقها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقرية خبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدي نزع نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء خوفا من ذلك المولود فكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها احد من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها الا لتقتي بك فاقسمت عليك أن لا تدنوني من أهلك فقال آزر انما أشح على ديني من ذلك فاوصاه بما حجتة فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لودخلت على أعلى فنظرت اليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعا فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي أخذ برناك به قد حملت به أمه الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعت في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلقة ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق اليه أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سرايا في النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال أبو روق قالت أم ابراهيم لانظرن الى اصابه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمر اوقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما مات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخر جيني فاخرجه عشاء فنظر وتفكر في خالق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسد قاني لربى الذي مالى اله غيره ونظر في السماء فرأى كوكبا قال هذاري وانبأه ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما سأل فل قال لأحب الآفاين فلما رأى القمر بازغا قال هذاري وانبأه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طاعت الشمس قال هكذا الى آخره ثم رجعت به الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته

(فلما جن عليه الليل) أى أظلم وهو عطف على قال ابراهيم لابي وقوله وكذلك نرى ابراهيم جلة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رأى كوكبا) أى الزهرة أو المشتري وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى أن شيئا منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها ولان لها محدثا أحدثها ومدبراد برطلوعها واوقولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه (قال هذاري) أى قال لهم هذاري في زعمكم والمراد أهدا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكتفى عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه أدعى الى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة

أو المحبوب اسماله فهو كقوله يوم ندعو كل أناس بأمامهم وقيل معناه واذا قال إبراهيم لا يبيد يا عبد آزر خذف
المضاف وأقيم المضاف اليه متمامه والصحيح هو الاول ان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به ومانقل
عن النسائين والمؤرخين ان اسمه تاريخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من
أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد أخرج البخارى في افراذه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر فترة وغبرة الحديث فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل أباه تاريخ فثبت بهذا ان اسمه الاصلى آزر لا تاريخ والله أعلم ﷺ وقوله
تعالى (أتخذنا أصناما آلهة) معناه اذ كر لقومك بما محمد قول ابراهيم لا يبيد آزر أتخذنا أصناما آلهة تعبدوها
من دون الله الذى خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذى يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد
أو ذهب أو فضة على صورة الانسان وهو الوثن أيضا (انى أراك وقومك فى ضلال مبين) يعنى بقول ابراهيم
لا يبيد آزر انى أراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة فى ضلال يعنى عن طريق الحق
مبين يعنى بين ان أبصر ذلك فانه لا يشك ان هذه الاصنام لا تنفع ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركى
العرب باحوال ابراهيم ومحاجمته لا يبيد وقومه لانهم كانوا يعظمون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون
بفضله فلا جرم ذكر الله قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه فى معرض الاحتجاج على المشركين
ﷺ قوله عز وجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) معناه وكأرى بنا ابراهيم البصيرة
فى دينه والحق فى خلاف قومه وما كانوا يعبدون من الضلال فى عبادة الاصنام زيه ملكوت السموات والارض
فهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل فى قوله وكذلك نرى ابراهيم لانه تعالى كان أراه بعين
البصيرة ان أباه وقومه على غير الحق فخالقهم بخلافه الله بان أراه به ذلك ملكوت السموات والارض
فخسفت هذه العبارة لفظ المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهوت والرهوت والرحوت
من الرهبة والرغبة والرحمة وقال ابن عباس يعنى خالق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبیر
يعنى آيات السموات والارض وذلك انه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسى
وما فى السموات من المجائب وحتى رأى مكانه فى الجنة فذلك قوله وآتيناها أجره فى الدنيا يعنى آرىناه مكانه
فى الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى ما فىهن من المجائب قال البغوى
وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن على قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا
على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد ان يدعو عليه فقال له تبارك
وتعالى يا ابراهيم أنت رجل محاب الدعوة فلا تدعون على عبادى فانما أنا من عبدى على ثلاث خلال
أما ان يتوب الى فاتوب عليه وأما ان أخرج منه نسمة نعبدنى وأما ان يبعث الى فان شئت عفوت وان
شئت عاقبت وفى رواية وان تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر
والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف فى هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو
بعين البصيرة على قولين أحدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش
وشق له الارض حتى رأى ما فى بطها والقول الثانى ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت
السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة
الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى (وليكون من الموقنين)
عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يستدل به وليكون من
الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان فى أول الحال لا ينطق
عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة فى القلب وزالت

خلاف بين النسائين ان
اسم أبيه تاريخ وهو عطف
بيان لا يبيد وزنه فاعل (أتخذنا
أصناما آلهة) استفهام
نوبيخ أى أتخذنا آلهة
وهى لا تسحق الالهية (انى
أراك وقومك فى ضلال
مبين وكذلك) أى وكما
أرىناه قبيح الشرك (نرى
ابراهيم ملكوت السموات
والارض) أى نرى بصيرته
اطائف خلق السموات
والارض ونرى حكاية حال
ماضية والملكوت أبغ من
الملك لان الوار والتاء
تزدان للمبالغة قال مجاهد
فرجت له السموات السبع
فنظر الى ما فىهن حتى انتهى
نظره الى العرش وفرجت
له الارضون السبع حتى
نظر الى ما فىهن (وليكون
من الموقنين) فلعنا ذلك
أول يستدل وليكون من
الموقنين عيانا كما يقن بيانا

الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحدد وما وراءه ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقيل أمرنا (لنسلم رب العالمين وان أقيموا الصلاة) والتقدير وأمرنا لان نسلم ولان أقيموا أى للاسلام ولاقامة الصلاة (واتقوه وهو الذى اليه تحشرون) وهو الذى يوم القيامة (وهو الذى خالق السموات والارض بالحق) بالحكمة أو محققا (ويوم يقول كن فيكون) على الخبر دون الجواب (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدماعليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قـ... ولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى له خالق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول اشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة أى لا يكون شئ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب (وله الملك) مبتدأ وخبر (يوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك (في الصور) هو القرن بلغة اليمن أو جمع صورة (عالم الغيب) هو عالم الغيب

وجعل الغيلان يدعونهم فبقي حيران لا يدري أين يذهب فان أجب الغيلان ضل وهلك وان أجب أصحابه اهتدى وسلم (قل ان هدى الله هو الهدى) يعنى ان طريق الله الذى أوصحه لعباده ودينه الذى شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كأنه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره (وأمرنا لنسلم) أى وأمرنا أن نسلم ونخاص العبادة (رب العالمين) لانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره (وان أقيموا الصلاة واتقوه) يعنى وأمرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيه ما يقرب اليه (وهو الذى اليه تحشرون) يعنى فى يوم القيامة فيجزىكم بما عملتم (وهو الذى خالق السموات والارض بالحق) يعنى اظهار الحق فى هذه ان تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بحال قدرته وشمول عامه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخاف مخلوق بمخلوق (ويوم يقول كن فيكون) وقيل انه راجع الى خالق السموات والارض والمعنى اذ كر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كأنه قال ويوم يقول لا تخلق موتوا فموتون وقوموا للحساب فيقومون أحياء (قوله الحق) يعنى أن قول الله تبارك وتعالى للشئ اذا أراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) انما أخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا فى كل وقت فى الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعى الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعى الملك بالباطل من الجبابرة والفرعنة وسائر الملوك الذين كانوا فى الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا أن الذى كانوا يدعونهم من الملك فى الدنيا باطل وغرور واختلاف العلماء فى الصور انذ كور فى الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق وبدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمر بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور فقال قرن ينفخ فيه أخرجه أبو داود والترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن والقرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا اور بما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذى وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احيائها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول أصح لما تقدم فى الحديث لقوله تعالى فى آية أخرى تم نفخ فيه أخرى ولا جاع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شئ (وهو الحكيم) يعنى فى جميع أفعاله وندب خلقه (الخبير) يعنى بكل ما يفعله من خير أو شر (قوله تعالى) (واذ قال ابراهيم لانيه آزر) اختلاف العلماء فى لفظ آزر فقال محمد بن سحوق والكبى والضحاك آزر اسم أبى ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الاصلى آزر وتارح لقبه وبالعكس والله سماه آزر وان كان عند النسائين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبى ابراهيم من كوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه فى كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن فى القرآن ألفاظا قليلة فارسية وقيل هو الخطفى فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزبغته عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبدونه وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئا أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود

(والشهادة) أى السر والعلاية (وهو الحكيم) فى الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والخزء (واذ قال ابراهيم لانيه آزر) هو اسم أبيه أو لقبه لانه

واستهزأهم واللهم ما يشغل الانسان من هوى أو طرب (وغرهم الحياة الدنيا وذ كرهه) وعظ القرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الالبسال المنع (ليس لها من دون الله ولي) ينصرها بالقوة (ولاشفيع) يدفع عنها بالمسئلة ولا وقف على كسبت في الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذ كرهه أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وان تعدل كل عدل) (٢٦) نصب على المصدر وان نفذ كل فداء والعدل القدية لان الفادي

يعدل المفدى بمثله وفاعل ٧
 (لا يؤخذ منها) لاضمير
 العدل لان العدل هذا مصدر
 فلا يسند اليه الاخذ وأما
 في قوله ولا يؤخذ منها عدل
 فبمعنى المفدى به فصح
 اسناده اليه (أوئلك)
 اشارة الى المتخذين دينهم
 لعبا وطوا وهو مبتدأ
 والخبر (الذين أسلوا بما
 كسبوا) وقوله لهم شراب
 من حميم (أى ماء سخين
 حار خبر ثان لاوائك
 والتقدير أوئلك المبسلون
 ثابت لهم شراب من حميم
 أو مسأنف (وعذاب أليم
 بما كانوا يكفرون)
 بكفرهم (قل لا بى بكر يقل
 لابنه عبد الرحمن وكان
 يدعو أباه الى عبادة
 الاوثان (أندعوا) أعبد
 (من دون الله) الضار النافع
 (ملا ينفعنا) مالا يقدر
 على نفعنا ان دعوانه
 (ولا يضرنا) ان تركناه
 (وزرد) وأترد (على
 أعقابنا) راجعين الى
 الشرك (بعد اذ هدانا
 الله) للاسلام وأتقنا من

المشركين الذين اتخذوا دينهم الذى أمر به ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا وهو اذلك حيث سخر وابه واستهزأ به وقيل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لعبا وهو اذلك ان الكفار كانوا اذا أسمعوا القرآن لعبوا وهو اعند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاخذ كل قوم دينهم بمعنى عيدهم لعبا وهو يلعبون ويلهون فيه الا الساميين فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبير او فعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة (وغرهم الحياة الدنيا) يعنى انهم اتخذوا دينهم لعبا وهو الاجل انهم غرهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا وهو معنى الآية وذرا يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا وهو اتركهم ولا تبال بتكديهم واستهزأهم وهذا يقتضى الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا انكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله (وذ كرهه) يعنى وذ كرهه بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين (أن تبسل نفس بما كسبت) أى املا تبسل نفس وأصل البسل فى اللغة التحريم وضم الشئ ومنعه وهذا عليك بسل أى حرام ممنوع فعنى تبسل نفس بما كسبت وترتهن وتحبس فى جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تحبس يعنى فى جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعنى بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذ كرههم بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرائع لكانهم لكانت نفس وترتهن فى جهنم بسبب الجنائيات التى ا كسبت فى الدنيا وتحرم الثواب فى الآخرة (ليس لها) يعنى لتلك النفس التى هلكت (من دون الله ولي) أى لتقرىب يلى أمرها (ولاشفيع) يعنى يشفع لها فى الآخرة (وان تعدل كل عدل) يعنى وان تفتد بكل فداء واعدل الفداء (لا يؤخذ منها) يعنى ذلك العدل وتلك القدية (أوئلك الذين) اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا وهو اترتهم الحياة الدنيا (أسلوا بما كسبوا) يعنى أساموا الى الهلاك بسبب ما كسبوا (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ذلك لهم بسبب كفرهم ﴿قوله تعالى﴾ (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) يعنى فن يا محمد هؤلاء المشركين الذين دعوا الى دين آباءك أندعو يعنى أعبد من دون الله يعنى الاصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها (وزرد على أعقابنا) يعنى وزرد الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) يعنى الى دين الاسلام والتوحيد (كالذى استهوته الشياطين فى الارض) يعنى كالذى ذهب به الشياطين فالقمة فى هوية من الارض وأصله من الهوى وهو النزول من أعلى الى أسفل (حيران) يقال حار فلان فى الامر اذا ترد فيه فلم يهتد الى الصواب ولا يخرج منه (له أصحاب يدعونه الى الهدى) يعنى لهذا المتحير الذى استهوته الشياطين أصحاب على الطريق المستقيم (انثنا) يعنى يقولون له انثنا وهذا مثل ضر به الله ان يدعو الى عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول مثلها ما كمثل رجل فى رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أصحابه ورفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم

عبادة الاصنام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهب به الغيلان ومردة الجن والكاف
 وجعل
 فى محل نصب على الخ ل من الضمير فى ترد على أعقابنا أى أنتكس مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى فى الارض
 اذا ذهب فيها كان معناها طابت هوية (فى الارض) فى المهمة (حيران) حال من مفعول استهوته أى تأتها ضالعا عن الجادة لا يدري كيف يصنع
 (له) لهذا المستوى (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له
 (انثنا) وقد اعتسف المهمة ناعا للجن لا يحجبهم ولا يأتهم وهذا مبنى على ما يقال ان الجن تهوى الانسان والغيلان تستولى عليه فشببه به

جبريل أن فناء أمي بالسيف (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (اعلمهم بفقهمون وكذب به) بالقرآن أو بالعذاب (قومك) قريش (وهو الحق) أي الصدق أو لبدأ نزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل (٢٥) إلى أمرهم إنما أنا منذر (لكل

نبأ) لكل شئ ينبا به
يعنى انباءهم بانهم
يعذبون وابعادهم به
(مستقر) وقت استقرار
وحصول الابد منه (وسوف
تعلمون) تهديد (واذا
رأيت الذين يخوضون في
آياتنا) أي القرآن يعنى
يخوضون في الاستهزاء بها
والطعن فيها وكان قريش
في أديتهم يفعلون ذلك
(فاعرض عنهم) ولا
تجالسهم وقم عنهم (حتى
يخوضوا في حديث غيره)
غير القرآن بما جعل حينئذ
يجوز أن تجالسهم (واما
ينسب إليك الشيطان) ما
نهيت عنه يسببك شامى
نسى وأنى واحد (فلا
تقع بعد الذكري) بعد
أن تذكر (مع القوم
الظالمين وما على الذين
يتقون من حسابهم) من
حساب هؤلاء الذين
يخوضون في القرآن
تكذيبا واستهزاء (من
شئ) أى وما يلزم المتقين
الذين يجالسونهم شئ مما
يحاسبون عليه من ذنوبهم
(واكن) عليهم أن
يدكروهم (ذكري) اذا
سمعوهم يخوضون بالقيام
عنهم واطهار الكراهة لهم

فمنهم أخرج الترمذي وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) أي انظر يا محمد كيف نبين دلائلنا وحجتنا
لهؤلاء المكذبين (اعلمهم بفقهمون) يعنى يفهمون ويعتبرون فيمنزجوا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر
والتكذيب وقوله تعالى (وكذب به قومك) يعنى بالقرآن (وهو الحق) يعنى في كونه كتماننا من لامن عند
الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق يعنى انه نازل بهم ان أقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل
الضمير يرجع الى تصرف الآيات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أى
قل يا محمد هؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى أجاز يك على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما
أنا منذر والله المجازى لكم على أعمالكم وقيل معناه اني انما أدعوكم الى الله والى الايمان به ولم أومر
بحر بكم فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل في معنى الآية قل لست عليكم بوكيل يعنى
حفيظا انما أطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة
(لكل نبأ مستقر) أى لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة ومنتهى اليه ما فى الدنيا وما فى الآخرة
وقيل لكل خبر بخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب فى
الدنيا وقع يوم بدر (وسوف تعلمون) يعنى صحة هذا الخبر ما فى الدنيا وما فى الآخرة ﴿ قوله تعالى (واذا
رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) الخطاب فى واذ رأيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى واذ رأيت يا محمد هؤلاء
المشركين الذين يخوضون فى آياتنا يعنى القرآن لذي أنزلناه اليك والخوض فى اللغة هو الشروع فى الماء
والعبور فيه ويستعار للاخذ فى الحديث والشروع فيه يقال تخوضوا فى الحديث وتفاوضوا فيه لكن أكثر
ما يستعمل الخوض فى الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخاضعين
وقيل الخطاب فى واذ رأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذ رأيت أيها الانسان الذين يخوضون فى آياتنا
وذلك أن المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعو فى الاستهزاء بالقرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه
فنهاهم الله أن يقعوا معهم فى وقت الاستهزاء بقوله (فاعرض عنهم) يعنى فاتركهم ولا تجالسهم (حتى
يخوضوا فى حديث غيره) يعنى حتى يكون خوضهم فى غير القرآن والاستهزاء به (واما ينسب إليك الشيطان)
يعنى فقعدت معهم (فلا تقع بعد الذكري) يعنى اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد (مع القوم الظالمين) يعنى
المشركين ﴿ قوله تعالى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) قال ابن عباس لما نزلت هذه
الآية واذ رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف تقعد فى المسجد الحرام ونظوف
بالبيت وهم يخوضون أبدأ وفى رواية قال المسلمون اننا نحاف الاثم حين نتركهم ولا تنهاهم فانزل الله هذه الآية
وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شئ
يعنى ليس عليهم شئ من حسابهم ولا آثامهم (ولكن ذكري) يعنى ولكن ذكروهم ذكري وقيل معناه
ولكن عليهم أن تذكروهم (اعلمهم يتقون) يعنى لعل تلك الذكري تمنعهم من الخوض والاستهزاء
﴿ فصل ﴾ قال سعيد بن المسيب وابن جرير ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التى فى سورة النساء وهى
قوله تعالى وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجهور الى أنها
محكمة لانسخ فيها لاخبار والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب
نفسه لا بحساب غيره وقيل انما أباح لهم التقعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة ﴿ قوله
عز وجل (وذرا الذين اتخذوا دينهم لعبا وهوا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وذرا يا محمد هؤلاء

(٤ - خازن - ثانياً)

وموعظتهم ومحل ذكري نصب أى ولكن يدكروهم ذكري أى تذكروهم أو رفع
والتقدير ولكن عليهم ذكري فذكري مبتدأ والخبر محذوف (اعلمهم يتقون) اعلمهم بجهنم الخوض حياء وكراهة لاساءتهم (وذرا الذين
اتخذوا دينهم) الذى كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام (لعبا وهوا) سخر وابه واستهزأ ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تنال بتكديهم

ضمير المفعول في: بنجيكم
(تضرعا) معنيين الضراعة
وهو مصدر في موضع الحال
وكذا (وخفية) أي مسرين
في أنفسهم خفية حيث كان
أبو بكر وهما الفتان (أثن
أتجانا) عاصم وبالامالة
حزرة وعلى الباقون انجبتنا
والعنى يقولون لئن خلاصنا
(من هذه) الظلمات
(لتكونن من الشاكرين)
لله تعالى (قل الله ينجيكم)
بالتشديد كوفي (منها)
من الظلمات (ومن كل
كرب) وغيم وحرز (ثم أتم
تشركون) ولا تشكرون
(قل هو القادر) هو الذي
عرفتموه قادرا أو هو
الكامل القدرة فاللام
يحتمل العهد والجنس (على
أن يبعث عليكم عذابا
من فوقكم) كما أمطر على
قوم لوط وعلى أصحاب
الفيل الحجارة (أو من تحت
أرجلكم) كما غرق
فرعون وخسف بقارون
أو من قبل سلاطينكم
وسفلكم أو هو حبس
الطر والنبات أو يلبسكم
شيعا أو يخلطكم فرقا
مختلفين على أهواء شتى
كل فرقة منهم متابعة
لامام ومعنى خاطهم أن
ينشب القتال بينهم
فيختلطوا ويشتبكوا في

الشدائد وهو المراد من قوله (تدعونهم تضرعا وخفية) يعني فإذا اشتد بكم الأمر نخاصون له الدعاء تضرعا
منكم اليه واستكانة جهر او خفية يعني سرا حلالا (لئن أنجيتنا من هذه) يعني قائلين في حال الدعاء
والتضرع لئن أنجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك (لتكونن من الشاكرين) يعني لك على هذه
النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها لمن أنعم بها (قل الله ينجيكم منها) يعني من الظلمات
والشدائد التي أنتم فيها (ومن كل كرب) يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضا والكرب هو الغم
الشديد الذي يأخذ بالنفس (ثم أنتم تشركون) يريد أنهم يقررون بان الذي أنجىهم من هذه الشدائد
هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار بشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ﴿﴾ قوله عز وجل (قل هو
القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) أي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على أن يبعث عليكم
عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط (أو من تحت
أرجلكم) يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني
أمة السوء والسلاطين الظلمة أو من تحت أرجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل
كباركم أو من تحت أرجلكم يعني السفلة (أو يلبسكم شيعا) الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم
شيعة وأشباع وأصله من التشيع و.عنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم
الانسان قال الزجاج في قوله أو يلبسكم شيعا يعني يخلطكم شيعا من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط
مختلفين يقاتل بعضهم بعضا وهو معنى قوله (ويذيق بعضهم بأس بعض) قال ابن عباس قوله أو يلبسكم شيعا
يعنى الاهواء المختلفة ويذيق بعضهم بأس بعض معنى أنه يقتل بعضهم بيد بعض وقال مجاهد يعنى أهواء متفرقة
وهو ما كان فهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء
وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عنى بهذه الآية فقال قوم عنى بها المسلمة من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الآية قال أبو العالبي في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من
فوقكم الآية قال هن أربع وكاهن عذاب جاءت اثنتان بهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين
سنة فلبسوا شيعا واذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لا بد واقعتان يعنى الخسف والمسخ وعن أبي
ابن كعب نحوه هن أربع خلال وكاهن واقع قبل يوم القيامة مضت ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمس وعشرين سنة لبسوا شيعا واذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال
مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد فاعفاهم منه أو يلبسكم شيعا ما كان بينهم من الفتن
والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضهم بأس بعض يعنى ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم بأس بعض قال هذا أهون أو هذا أسير (م) عن سعد بن أبي وقاص أنه أقبل مع النبي صلى الله عليه
وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا به بطويلا
ثم انصرف اليها فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة
فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فتنة فمنا عن خباب
ابن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطما لها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصلها
قال أجل انها صلاة ورغبة ورهبة انى سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي
بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدو من غيرهم فأعطانيها وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض

بعمالون) في ليلاكم ونهاركم قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي تحياها النفس فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد (٢٣) بالارواح المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها

تعملون) قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو العالی عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان يعني أقدر منه وأغلبه هذا مذهب أهل التأويل في معنى لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده وأما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغضبه المذلل له والله تعالى هو القاهر خلقه وقهر كل شيء بضده فقهر الحياة بالموت والايحاد بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة (وقوله تعالى (و يرسل عليكم حفظة) يعني أن من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الأقوال والأفعال قيل ان مع كل انسان ملكين ملكا عن يمينه وملكا عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعلة يتوب منها فان لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكلين بالانسان أنه اذا علم أن له حافظا من الملائكة موكلًا به يحفظ عليه أقواله وأفعاله في صحائف تنشر له وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤس الاشهاد كان ذلك زاجرا له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني آدم ويحفظون أجسادهم قال قتادة حفظة يحفظون على ابن آدم رزقه وأجله وعمله (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) يعني أعوان ملك الموت الموكلين بقبض أرواح البشر فان قلت قال الله تعالى في آية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هذا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع بين هذه الآيات أن المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه وملك الموت أعوان من الملائكة يامرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الخلق تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيمه وقال مجاهد جعلت الارض الملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له عوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال أيضا من أهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له (وقوله وهم لا يفرطون) يعني الرسل لا يقصرون فيما أمروا به ولا يضيعونه (وقوله عز وجل (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الآخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا في الدنيا تحت أيدي موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق (أله الحكم) يعني لاحكم الاله (وهو أسرع الخاسبين) يعني أنه تعالى أسرع من حساب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد في حساب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض (وقوله تعالى (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) يعني يا محمد قل لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتهم فيه وتجبرتم وأظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتهم فيه فأخطأتم الطريق وأظلمت عليكم السبل فلم تهدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل الجمل على الحقيقة أولى فظلمات البرهي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة

بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشى والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أى يوقظكم ويرد اليكم أرواح الحواس فيستبدل به على منكبرى البعث لانه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردها اليها فكذا يحيى النفس بعد موتها (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزرع للعباد عن ارتكاب الفساد اذا تفكروا أن محاسنهم تقرأ على رؤس الاشهاد (حتى اذا جاء أحدكم الموت) حتى لغاية حفظ الاعمال أى وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة الى أن يأتيه الممات (توفته رسلنا) أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه توفيه واستوفيه بالاماله حزة رسلنا أبو عمرو (وهم لا يفرطون) لا يتوانون ولا يؤخرون (ثم ردوا الى الله) الى حكمه وجزائه أى رد المتوفون برد الملائكة (مولاهم) مالكهم الذى يلى عليهم أمورهم (الحق) العدل

الذى لا يحكم الا بالحق وهما صفتان لله (أله الحكم) يومئذ لا يحكم فيه غيره (وهو أسرع الخاسبين) لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق في مقدار حلبة شاة وقيل الرادى من رباك خير من البقاء مع من أذاك (قل من ينجيكم) ينجيكم عباس (من ظلمات البر والبحر)

لا يعلمها الا هو) المفاتيح جمع مفتاح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق واما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والاحوال جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة (٢٢) لان المفاتيح يتوصل بها الى ما في الخزانة المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتيحها

وكيفية فتحها توصل اليها فاراد أنه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتيح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن قيل عنده مفاتيح الغيب وعندك مفاتيح الغيب فمن آمن بغيبه أسبل الله السترة على عيبه (ويعلم ما في البر) من النبات والذواب (والبحر) من الحيوان والجواهر وغيرها (وماتسقط من ورقة الا يعلمها) ما لا نبي ومن للاستعراق أي يعلم عددها واحوالها قبل السقوط وبعده (ولاحبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة ودخل في حكمها وقوله (الافى كتاب مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الافى كتاب مبين واحد وهو علم الله أو اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي يقبض أنفسكم عن التصرف بالتعام في المنام (ويعلم ما جر حتم بالنهار) كسبتم فيه من الآثام (ثم يعثكم فيه) ثم يوقظكم في النهار أو التقدير ثم يعثكم في النهار و يعلم ما جر حتم فيه

خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلفت أقوال المفسرين في قوله وعندده مفاتيح الغيب (لا يعلمها الا هو) فقيل مفاتيح الغيب خمس وهي ما روى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في غد الا الله ولا يعلم أحد ما يكون في الارحام الا الله ولا يعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس باي أرض تموت ولا يدري أحد متى يحيى المطر وفي رواية أخرى لا يعلم أحد ما تنغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس باي أرض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتيح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد أن يكون اذ يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء الا مفاتيح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق (ويعلم ما في البر والبحر) قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شيء الا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعات وغرائب مبتدعات ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وماتسقط من ورقة الا يعلمها) يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقي على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهر البطن الى أن تسقط على الارض (ولاحبة في ظلمات الارض) قيل هو الحب المعروف بكونه في بطن الارض قبل أن ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الارضين (ولارطب ولا يابس) قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء امارطبة واما يابسة فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخله تحت قوله وعندده مفاتيح الغيب فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى وعندده مفاتيح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعد ذلك الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة ايدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثلا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير ﷻ قوله تعالى (الافى كتاب مبين) فيه قولان أحدهما أن الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل والثاني أن المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض وفائدة احصاء الاشياء كلها في هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده أنه لا يفوته شيء مما يصنعون لانه من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع ﷻ قوله تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) يعني يقبض أرواحكم اذا نتمت بالليل (ويعلم ما جر حتم) ما كسبتم (بالنهار ثم يعثكم فيه) أي يوقظكم فيه أي في النهار (ليقبض أجل مسمى) يعني أجل الحياة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم) في الآخرة (ثم ينبئكم) أي يخبركم (بما كنتم

فقدم الكسب لانه أهم وليس فيه أنه لا يعلم ما جر حتم بالليل ولأنه لا يتوفاك بالناهار فدل أن تخصيص الشيء بالذکر لا يدل تعملون على نفي ما عداه (ليقبض أجل مسمى) لوفى الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم ينبئكم بما كنتم

السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم يقال استبان الامر وتبين واستبينته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين تفصل آيات القرآن وتلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجي اسلامه والتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي صرفت (٢١) وزجرت بآلة العقل والسمع

عن عبادة ما تعبدون من دون الله (قل لا أتبع أهواءكم) أي لا أجرى في طريقكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدلائل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال (قد ضللت اذا) أي ان اتبع أهواءكم فانا ضال (وما أنامن المهتدين) وما أنامن المهتدين في شيء يعني انكم كذلك ولما نفي أن يكون الهوى متبعانه على ما يجب اتباعه بقوله (قل اني على بينة من ربي) أي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة (وكذبتم به) حيث أشركتم به غيره وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهو القرآن وكذبتم به البينة وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن ثم عقبه بمادل على أنهم أحقاء بان يعاقبوا بالعذاب فقال (ما عندي ما تستجلبون به) يعني العذاب الذي استجلبوه في قولهم فامطر علينا سحابة من السماء (ان الحكم الا لله) في تأخير

ومعناه ويظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار ﴿ قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد طوؤا المشركين: (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) يعني نهيت أن أعبد الاصنام التي تعبدونها أتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجادات أخس من أن تعبد أو تدعى وإنما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى (قل لا أتبع أهواءكم) يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقراء (قد ضللت اذا) يعني اذ عبدتها (وما أنامن المهتدين) يعني لو عبدتها (قل) يعني قل يا محمد طوؤا المشركين (اني على بينة من ربي) قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة في عبادة ربي (وكذبتم به) يعني وكذبتم البيان الذي جئت به من عند ربي وهو القرآن والمجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك (ما عندي ما تستجلبون به) يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستجلبون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد اتنبا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندي ما تستجلبون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره وقيل كانوا يستجلبون بالآيات التي طلبوها واقتروها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستجلبون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستجلب بها الذين لا يؤمنون بها (ان الحكم الا لله) يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي أي ما الحكم المطلق الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب اذا شاء (يقص الحق) قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به فهو حق وقرئ يقص بالصاد المعجمة من القضاء يعني انه تعالى يقضي القضاء الحق (وهو خير الفاصلين) يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين الحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضاءه جور ولا حيف على أحد من خلقه (قل لو أن عندي ما تستجلبون به) يعني من انزال العذاب والاستجبال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت الجملة مذمومة والاسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد طوؤا المشركين المستجلبين لنزول العذاب لو أن عندي ما تستجلبون به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حلیم ذوا نأة لا يجمل بالعقوبة وقوله تعالى (لقضى الامر بيني وبينكم) يعني لان فصل ما بيني وبينكم ولأننا كم ما تستجلبون به من العذاب (والله أعلم بالظالمين) يعني انه أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذي يستحقونه فيه وقيل علم أنه سيؤم من بعض من كان يستجلب بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين وياحوالهم ﴿ قوله عز وجل (وعنده مفاتيح الغيب) المفاتيح التي يفتح بها الغلق وجمع مفاتيح ويقال فيه مفتاح يكسر الميم وجمع مفاتيح والمفتاح يفتح الميم الخزانة وكل خزنة كانت لصنف من الاشياء فهي مفتاح وجمع مفاتيح فقوله وعنده مفاتيح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزانة فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزانة المستوثق منها بالغلاق فمن علم كيف يفتحها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغيب عبر عن هذه المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده

عذابكم (يقص الحق) مجازي وعاصم أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقي بقص الحق في كل ما يقضى من التأخير والتجمل فالحق أي القضاء الحق صفة لمصدر يقضى وقوله (وهو خير الفاصلين) أي القاضين بالقضاء الحق اذا الفصل هو القضاء وسقوط الباء من الخط لاتباع اللفظ لاتقاء الساكنين (قل لو أن عندي) أي في قدرتي وامكاني (ما تستجلبون به) من العذاب (اقضى الامر بيني وبينكم) لاهلكتم عاجلا غضبا لربي (والله أعلم بالظالمين) فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أردع (وعنده مفاتيح الغيب

(وكذلك فتننا بعضهم ببغض) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء (ليقولوا) اى الاغنياء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) اى أنهم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون (٢٠) والرؤساء وهم الفقراء انكار الان يكون أمثالهم على الحق ومثمنونا

عليهم من ينهم بالخير ونحوه لو كان ذميرا ماسبقونا اليه (أليس الله باعلم بالشاكرين) بن يشكر نعمته (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) اما أن يكون الله اليهم واما أن يكون أمران يبداهم بالسلام اكرامهم وتطييب القلوبهم وكذا قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدم مؤكدا (انه الضمير للشأن) من عمل منكم سوأ) ذنبا (بجهالة) في موضع الحال اى عمله وهو جاهل بما يتعاق به من المضرة أو جعل جاهلا لا يشاره العصية على الطاعة (ثم تاب من بعده) من بعد سوء أو العمل (وأصلح) وأخلص توبته (فانه غفور رحيم) أنه فانه شامى وعاصم الاول بدل الرحمة والثاني خبر مبتدأ محذوف اى فشانه أنه غفور رحيم أنه فانه مدنى الاول بدل الرحمة والثاني مبتدأ انه فانه غيرهم

عنك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله أعلم قوله عز وجل (وكذلك فتننا بعضهم ببغض) يعنى وكذلك ابتلينا الغنى بالفقر والغنى بالشرىف بالوضع والوضع بالشرىف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول فى الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم وأما فتنة الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم (ليقولوا) يعنى الاغنياء والشرفاء والرؤساء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) يعنى من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابه بقوله (أليس الله باعلم بالشاكرين) يعنى انه تعالى أعلم بخلقه وحوالهم وأعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذ ارآهم بدأهم بالسلام وقال عطاء نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وبلال وسالم بن أبى عبيدة ومصعب بن عمير وحزرة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبى الارقم وأبى سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها فى كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقاتله التى تقدمت فى رواية عكرمة وقال ما أردت الا الخير نزلت واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم (كتب ربكم) يعنى فرض ربكم وقضى ربكم (على نفسه الرحمة) وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه تعالى يتصرف فى عباده كيف شاء وأراد فاجوب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين (أنه من عمل منكم سوأ بجهالة) قال مجاهد كل من عمل ذنبا أو خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا فى سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقة من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة الا انه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن آثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لم يفعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا (ثم تاب من بعده) يعنى من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه (وأصلح) يعنى أصلح العمل فى المستقبل وقيل أخلص توبته وندم على فعله (فانه غفور) يعنى لمن تاب من ذنوبه (رحيم) بعاده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على أبى العالىة قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية عن أبى سعيد الخدرى قال جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر ببغض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فقام علينا فقام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكان يستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا يعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا ورزت وجوههم قال فارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحد غيرى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام أخرجه أبو داود وقوله عز وجل (وكذلك نفصل الآيات) يعنى وكما فصلنا لك يا محمد فى هذه السورة لاننا على صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نيزون بين لك أدلة حججنا وبراهيننا على تقرب كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين) قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وليظهر لك الحق يا محمد ويثبتين لك (سبيل المجرمين) يعنى طريق هؤلاء المجرمين وقرئ بالباء على الغيبة

ومعناه

على الاستئناف كان الرحمة استعسرت فقيل انه من عمل منكم (وكذلك نفصل الآيات

ولتستبين) و بالياء جزوه على وأبو بكر (سبيل المجرمين) بالنصب مدنى غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكروا وتوث ونصب

ابن مسعود ولبايعناك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مر ملا من قر يش بالنبى صلى الله عليه وسلم وعندة صهيب وعمارو بلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضىت بهؤلاء بدلان من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ونحن نكفون تبعاهؤلاء اطردهم فلعلك ان طردتهم ان تتبعك فنزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحارث بن نوفل في أشرف بنى عبد مناف من أهل الكفر الى أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أباطاب لو أن ابن أخيك محمدا يطرده عنه موالينا وحلفاءنا فانهم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصديقه فاقى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالنبى كما موهبه فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون والى ماذا يصيرون فانزل الله عز وجل هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فناء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الاولى التي عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤلفه قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ماروى عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضده حديث سعد بن أبى وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعنى ضعفاء المسلمين والله أعلم وأمعنى الآية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الخاطب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى ولا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال ابن عباس يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشى يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر وروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيه على شرفهما ولانهم مواظبون عليهم مابقية الصلوات ولان الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فعبر بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد ابن المسيب فلم أسلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما أسرع الناس الى هذا المجلس فقال مجاهد يتاولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشى قال أوفى هذا انما هو في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا عم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من أشرف الناس نؤم لك واذا صلينا فآخر هؤلاء الذين معك فليصلوا واخفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى أنهم كانوا يذكرون ربهم ويدعون طر في النهار يريدون وجهه يعنى يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى (ماعليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) يعنى لانكف أمرهم ولا يكفون أمرك وقيل ماعليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزق لجميع الخلق هو الله تعالى فلانطردهم عنك (فتطردهم فتكون من الظالمين) يعنى بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ماعليك من حسابهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب النهى وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الأشرف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدر في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا لهم لمصلحة وهو التاطف بهؤلاء الأشرف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى أن ادبائه هؤلاء الفقراء أولى من اطم بطردهم فقرهم منه وادبائهم وأما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين فان الظلم في اللغة وضع الشئ في غير موضعه فيكون المعنى ان أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلاتهم بطردهم

(ماعليك من حسابهم من شئ) كقوله ان حسابهم الاعلى ربي (وما من حسابك عليهم من شئ) وذلك أنهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم (فتطردهم) جواب النفي وهو ماعليك من حسابهم (فتكون من الظالمين) جواب النهى وهو ولا تطرد ويحوز أن يكون عطف على فتطردهم على وجه التسبب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم

والضال والمهتدى والعالم والجاهل (أفلاتفكرون) يعنى أنهم لا يستويان ﴿ قوله عز وجل (وأنذره) ﴾ يعنى وخوف بالقرآن والانذار اعلام مع تخويف (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) قال ابن عباس يريد المؤمنين لانهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتانى وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكرون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجية عليهم أو كدم من غيرهم لا اعترافهم بصحة العباد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون أن يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس أحد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق (ليس لهم من دونه) يعنى من دون الله (ولى) أى قريب ينفعهم (ولاشفع) يعنى يشفع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم أن المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم أن المراد بهم المؤمنين ففيه اشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعتة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانباء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال أن الشفاعتة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعتة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع يعنى حتى ياذن الله لهم فى الشفاعتة فاذا أذن فيها كان للمؤمنين ولى وشفيع (لعلهم يتقون) يعنى ما نهيتهم عنه ﴿ قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) قال سلمان وخباب بن الارت فينازات هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزارى وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب و بلال وعمار وخباب بن نفير من ضعفاء المؤمنين فلما رأواهم حوله حقر وهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جاست فى صدر المجلس ونفيت عنها هؤلاء وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لهارمحة ليس عليهم غير هالجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أباطار المؤمنى قالوا فاناحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تانيك فنتسبحى أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جئناك فافهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم قالوا فا كتب لنا عليك بذلك كتابا قال فأتى بالصحيفة ودعا لى لى كتب قال ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعا فانيناه وهو يقول سلام عليكم كتب بكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركتنا فنزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندونونه حتى كانت ركبتنا خمس ركبتنا فاذا بلغ الساعة التى يريد أن يقوم فيها فاقنا وتركتنا حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم الحيا ومعكم الممات وروى عن سعد بن أبى وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا قال وكنتم أنا وابن مسعود ورجل من هذيل و بلال ورجلان لست أسميهما فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكلبى قالوا لى أى أشرف قرينش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا أفعل قالوا فاجعلوا المجلس واحدا وأقبل علينا واول ظهر كاليهم فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد قالت قرينش لولا بلال وابن أم عبد يعنى

أن اتباع ما يوحى الى مما لا بدلى منه (وأنذره) بما يوحى (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) هم المسلمون المقررون بالبعث لانهم مفرطون فى العمل فينذروهم بما أوحى اليه أو أهل الكتاب لانهم مقررون بالبعث (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) فى موضع الحال من يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم (لعلهم يتقون) يدخلون فى زمرة أهل التقوى ولما أمر النبي عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) وأتى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته و يواظبون عليها والمراد بذلك الغداة والعشى الدوام أو معناه يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغداة شامى ووسمهم بالاخلاص فى عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشئ وحقيقته نزلت فى الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين

لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام ما أباطار المؤمنى فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك كتبنا فدعا لى لى كتب فقام الفقراء وحلوه انا حتى فزلت فمعه الصلاة والسلام حقة أذ الفقراء فاقعد

(وختم على قلوبكم) فسلب العقول والتمييز (من غير الله ياتيك به) بما أخذ وختم عليه من رفع بالابتداء، وله خبره وغير صفة لاله وكذا ياتيك والجملة في موضع مفعولى رأيتهم وجواب الشرط محذوف (انظر كيف نصرف) لهم (الآيات) نكر رها (ثم هم يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدف الاعراض عن الشيء (قل) (١٧) أرايتكم ان انا كم عذاب الله بقتة)

بان لم تظهر أماراته (أو جهرة) بان ظهرت أماراته وعن الحسن ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظاموا أنفسهم بكفرهم برهم (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) بالحنان والذبران للمؤمنين والكفار وان نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة (فن آمن وأصلح) أى دوام على ايمانه (فلاخوف عابهم ولا هم يحزنون) فلاخوف يعقوب (والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب) جعل العذاب ماسا كأنه حى يفعل بهم ما يريد من الآلام (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) أى قسمه بين الخلق وأرزاقه ومحل (ولا أعلم الغيب) النصب عطف على محل (عندى خزائن الله) لأنه من

شياً أصلاً (وختم على قلوبكم) يعنى حتى لا تفقهوا شياً أصلاً ولا تعرفوا شياً مما تعرفون من أمور الدنيا وإنما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها أشرف أعضاء النساء فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد أمره وبطلت مصالحه فى الدين والدنيا ومقتضاه الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان المصادر على ايجاد هذه الاعضاء وأخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التى تعبدونها وهو قوله تعالى (من غير الله ياتيك به) يعنى ياتيك بما أخذ الله منكم لان الضمير فى به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذى ذكره اولاً ويندرج تحته غيره (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره أى انظر يا محمد (كيف نصرف الآيات) يعنى كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة (ثم هم يصدفون) يعنى يعرضون عنها مكذبين لها (قل أرايتكم ان انا كم عذاب الله بقتة) يعنى بقتة (أو جهرة) يعنى ما ينة ترونه عند نزوله وقال ابن عباس ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) يعنى المشركين لانهم ظلموا أنفسهم بالشرك ﴿ قوله عز وجل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) يعنى لمن آمن بالثواب (ومنذرين) يعنى لمن أقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس فى ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والندارة (فن آمن وأصلح) يعنى آمن بهم وأصلح العمل لله (فلاخوف عليهم) يعنى حين يخاف أهل النار (ولا هم يحزنون) أى اذا حزن غيرهم (والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب) يعنى يصيبهم العذاب (بما كانوا يفسقون) يعنى بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة ﴿ قوله تعالى (قل لا أقول لكم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى قل يا محمد لؤلؤ المشركين لا أقول لكم (عندى خزائن الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فامر الله تعالى أن يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا أقول لكم عندي خزائن الله جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدى والمعنى ليس عندي خزائن رزق الله فاعطيتكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه أن يوسع علينا عبثنا وبعنى فقرنا فاخبر أن ذلك بيدي الله لا بيدي (ولا أعلم الغيب) يعنى فاخبركم بما مضى وما سيقع فى المستقبل وذلك أنهم قالوا له أخبرنا بما لصاحنا ومضارنا فى المستقبل حتى نستعد له حصيل المصالح وودفع المضار فاجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فاخبركم بما نرى يدون (ولا أقول لكم انى ملك) وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يا كل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولا أقول لكم انى ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست أقول شياً من ذلك ولا أدعيه فتذكرون قولى وتجددون أمرى وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء توضحها الله تعالى واعترافه بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الآيات العظام (ان أتبع الامايوسى الى) يعنى ما أخبركم الامايوسى من الله أنزله على ومعنى الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلمهم انه لا يملك خزائن الله التى منها رزق ويعطى وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطاع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما أخبر عنه من غيب يوحى الله اليه وظاهر الآية يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد فى شئ من الاحكام بل جميع أوامره ونواهيه انما كانت بوحى من الله اليه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) يعنى المؤمن والكافر

(٣ - خازن - ثانياً) جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (ولا أقول لكم انى ملك) أى لا ادعى ما يستبعد فى العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وانما ادعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوة (ان أتبع الامايوسى الى) أى ما أخبركم الامايوسى انما أنزل الله على (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل الضال والمهتدى أولان أتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع

(واقداً أرسلنا إلى أمم من قبلك) رسلاً فالعقول محذوف فكذبوهم (فاخذناهم بالأساء والضراء) بالبوؤس والضر والاول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان (١٦) النفس والاموال (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لهم

قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض الناصي لها ﴿ قوله تعالى (واقداً أرسلنا إلى أمم من قبلك) في الآية محذوف والتقدير ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك يا محمد رسلاً نغالفوهم وكفر واوحسن هذا الحذف لكونه معلوماً عند السامع (فاخذناهم بالأساء) يعني بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع (والضراء) يعني الامراض والواجاع والزمانة (لعلهم يتضرعون) يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والالتقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الآية ان الله تعالى أعلم بنيه صلى الله عليه وسلم انه قد أرسل من قبله رسلاً إلى أقوام بلغوا في القسوة إلى ان أخذوا بالأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فغضب الله للذي صلى الله عليه وسلم (فلولا) يعني فهلا (اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نبي التضرع فلم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم) يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل أقاموا على كفرهم وتكذبهم برسولهم (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد من الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل (فلم انسوا ما ذكرناهم به) أي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وإنما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء معرض عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) يعني بدلتنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وفيه فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الخير كان مغلقاً عنهم (حتى اذا فرحوا بما أنزلنا) يعني فرحوا بما أنزلنا من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاماً من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطرف فرح قارون بما أتى من الدنيا (أخذناهم بغتة) يعني جاءهم عداً مفاجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني إنما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لحسرتهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضرور اللذة فاخذناهم في آمن ما كانوا أو أعجب ما كانت الدنيا اليهم (فاذا هم مبلسون) أي آيسون من كل خير وقال انقضاء الملبس اليانس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجة ولا يكون له جواب قد أبلس وقال الزجاج الملبس الشديد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة الملبس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبه بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فأنما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكرناهم به الآية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري ﴿ وقوله تعالى (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم الذي يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم تبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة أنعم الله بها على الرسل الذين أرسلوا اليهم فكذبوهم قد كره الحمد لتعليق الرسل ولان آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم اذا هلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسوله وأهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم وإهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب ﴿ قوله تعالى (قل أرأيتم) أي قل يا محمد لولا المشركين (ان اخذ الله سمعكم) يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيئاً (وأبصاركم) يعني وأخذنا أبصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا

ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخضع عند نزول الشدائد (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أي هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نبي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذا جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الاعناداً (ولكن قست قلوبهم) فلم ينزجوا بما ابتلوا به وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وصاروا محجبين باعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلم انسوا ما ذكرناهم به) من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم يزرهم (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا شامح (حتى اذا فرحوا بما أنزلنا) من الخير والنعمة (أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) آيسون متحسرون وأصله لاطراق حزن المألماً صابه أو ندماً على ما فاتته واذا للمفاجأة (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي اهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (والحمد لله رب العالمين) ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه

(ما فرطنا) ما تركنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم ثبت ما وجب أن يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شيء أي من شيء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني نرابا وإنما قال الأأم مع أفراد الدابة والظائر لمعنى الاستغراق فيها وماذا كرم من خلانقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي (١٥) على عظمتها قال (والذين

كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون كلام المنبه (وبكم) لا ينطقون بالحق خابطون (في الظلمات) أي ظلمة الجهل والخيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكير فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر آخر ثم قال أيذانا بأنه فعال لما يريد (من يشأ الله يضله) أي من يشأ الله ضلاله يضله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وفيه دلالة خلق الأفعال وإرادة المعاصي ونفي الأصلح (قل أرايتكم) وبتلين الهمزة مدني و بتركة على ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبروني بما عندكم الضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرايتكم (ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) من تدعون ثم بكنهم بقوله (أغير الله تدعون) أي أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو

مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا أن السكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهم أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطيور أمة أمثالننا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فإوجه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وأصلى لها كما أنكم تعرفون الله وتوحده وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما أنكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض وبألف بعضها بعضا كما ان جنس الانس يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم في طلب الرزق وتوقى المهالك ومعرفة الذكرو والانتى وقيل أمثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) يعني في اللوح المحفوظ لانه يشمل جميع أحوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعني ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الدواب والطيور قال ابن عباس حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فإخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني نرابا (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلاء من الشاة القرناء ﴿ قوله عز وجل (والذين كذبوا بآياتنا) يعني بالقرآن و محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيده (صم) يعني عن سماع الحق (وبكم) يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم (في الظلمات) يعني في ظلمات الكفر حائر بن متردين فيها لا يمتدون سبيلا (من يشأ الله يضله) يعني عن الايمان (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) يعني ومن يشأ يجعله الله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى في أحب هدايته وفقهه بفضلها واحسانه للإيمان به ومن أحب ضلالته تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يستل عما يفعل وهم يستلون ﴿ قوله تعالى (قل أرايتكم) يعني قل يا محمد هؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدووا غيره من الاصنام أخبروني تقول العرب أرايتك بمعنى أخبرنا بحالك وأصله أرايتم والكاف فيه للتأكيد (ان أتاكم عذاب الله) يعني قبل الموت مثل ما نزل بالام الماضية الكافرة من الفرق والخسف والمسخر والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أتتكم الساعة) يعني القيامة (أغير الله تدعون) يعني في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقيل لهم أترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء (بل اياه تدعون) يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) يعني فيكشف الضر الذي من أجله دعوتوه واما قيد الاجابة بالمسئدة رعاية للصحة وان كانت الامور كلها شبهة الله تعالى (وتنسون ما تتركون) يعني وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها العلمكم انها لا تنفع ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسبها وهنامعنى

عادتكم اذا صابكم ضرأ تدعون الله دونها (ان كنتم صادقين) في ان الاصنام آلهة فادعواها لتخلصكم (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعون اليه كشفه (ان شاء) ان أراد أن يفضلكم (وتنسون ما تتركون) وتتركون آلهتكم أولاند كرون آلهتكم في ذلك الوقت لان أذهانكم مغمومة بذكركم وحده اذهو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كانه قيل أرايتكم أغير الله تدعون ان أتاكم عذاب الله

ليس له وافرزل (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عن الاسلام (فان استطعت أن تبنتي نفقا) منفذا تنفذ فيه الى ماتحت الارض حتى
تطلع لهم آية يؤمنون بها (في الارض) صفة لنفقا (أو سلماني السماء فتأنيهم) منها (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان
استطعت وجوابها جواب وان كان (١٤) كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن

يأتيهم بآية من تحت
الارض أو من فوق السماء
لا تى بهار جاء ايمانهم (ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى)
لجهلهم بحيث يختارون
الهدى ولكن لما علم انهم
يختارون الكفر لم يشأن
بجمعهم على ذلك كذا قاله
الشيخ أبو منصور رحمه الله
(فلا تكونن من
الجاهلين) من الذين
يجهلون ذلك ثم أخبر ان
حرصه على هدايتهم لا ينفع
اعدم سمعهم كما لو بقوله
(انما يستجيب الذين
يسمعون) أى انما يجيب
دعاءك الذين يسمعون
دعاءك بقلوبهم (والموتى)
مبتدأ أى الكفار (يبعثهم
الله ثم اليه يرجعون)
حينئذ يسمعون وأما قبل
ذلك فلا (وقالوا لولا نزل
عليه) هلا نزل عليه (آية
من ربه) كما تقترح من
جعل الصفا ذهابا وتوسيع
أرض مكة وتفجير الانهار
خلاها (قل ان الله قادر
على أن ينزل آية) كما اقترحوا
(ولكن أكثرهم
لا يعلمون) ان الله قادر
على أن ينزل تلك الآية
أو لا يعلمون ما عليهم في

منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقص عليك ﴿ قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم) ذكر ابن
الجوزى في سبب نزول هذه الآية ان الحرث بن عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفقر من قر يش
فقال اننا بآية كما كانت الانبياء تأتى قومها بالآيات فان فعلت آمانك فنزلت هذه الآية رواء أبو صالح عن
ابن عباس ومعنى الآية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايامن
بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحصر على ايمان قومه أشد الحرص وكان اذا سألوه آية أحب
ان يرهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل (فان استطعت أن تبنتي) يعنى تطلب وتتخذ (نفقا
في الارض) يعنى سربا في الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر (أو سلماني السماء)
يعنى أو تتخذ مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة (فتأنيهم بآية) يعنى بالآية التى سألوها
عنها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في
الارض أو تصعد الى السماء فتأنيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وانما أحسن حذف جواب الشرط لانه
معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتأذى
بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أخبر الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم انما تركوا الايمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشئته الله تعالى
ونافذ قضائه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى (فلا تكونن من الجاهلين) يعنى بان لو شاء الله لجمعهم على
الهدى وأنه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحمرك على تكذيبهم اياك ولا تجزع من
اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحال وغلظ له الخطاب تبعية له
عن هذه الحالة ﴿ قوله عز وجل (انما يستجيب الذين يسمعون) يعنى المؤمنين الذين فتح الله أسمع قلوبهم
فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله
(والموتى) يعنى الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون (يبعثهم الله) يعنى يوم القيامة (ثم اليه يرجعون)
فيعجزهم باعمالهم (وقالوا) يعنى رؤساء كفار قريش (لولا) يعنى هلا (نزل عليه آية من ربه) يعنى الملك
ليشهد محمد بالنبوة وقيل الآية المجزة الباهرة كمثل مجزات الانبياء (قل) يعنى قل لهم يا محمد (ان الله قادر
على أن ينزل آية) يعنى أنه تعالى قادر على إيجاد ما يطلبه وانزال ما اقترحوه من الآيات والمجزات الباهرات
(ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ماذا علمهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم
لا يعلمون أن الله قادر على انزل الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها ﴿ قوله تعالى (وامن
دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن
هاتين الحالتين اما أن يدب على الارض أو يطير في الهواء حتى أخلقوا حيوان الماء بالطيران الحيتان تسبح
في الماء كما أن الطير يسبح في الهواء وانما خلق ما في الارض بالذكور دون ما في السماء وان كان ما في
السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه
للتوكيد كقولك كتبت بيدى ونظرت بعينى الأمم أمثالكم قال مجاهد أى أصناف مصنفة تعرف باسمائهم
يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف باسمائهم مثل بنى آدم
يعرفون باسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب أمة ما روى عن عبد الله بن

الآية من البلا لولا أنزل (وامن دابة) هى اسم لا يدب وتقع على الذكر والمؤنث (في الارض) في
موضع جرسفة لدابة (ولا طائر يطير بجناحيه) فيمد الطيران بالجناحين انى المجاز لان غير المائر قد يقال فيه طار اذا أسرع (الأمم أمثالكم)
في الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها

مغفل

كنتم تكفرون) بكفركم (قد خسر الذين كذبوا بلفاء الله) ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وهو مجرى على ظاهره لان منكر البعث منكر
للرؤية (حتى) غاية الكذبوا (١٢) لالخسر لان خسر انهم لا غاية له (اذا جاءتهم الساعة) أى القيامة لان مدة تأخرها مع

تأيد ما بعدها ساعة واحدة (بغثة) خفاة واتصباها على الحال يعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغثة وهى ورود الشئ على صاحبه من غير علمه بوقته (قالوا يا حسرنا) نداء تفجيع معناه يا حسرة احضرى فهذا أو انك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) فى الحياة الدنيا أو فى الساعة أى قصرنا فى شأنها وفى الإيمان بها (وهم يحملون أوزارهم) (على ظهورهم) خص الظهر لان اليهود حمل الاثقال على الظهر كما عهد الكسب بالابدى وهو مجاز عن الزوم على وجه لا يفارقهم وقيل ان الكافر اذا خرج من قبره استقبله أقبح شئ صورة وأخبر به يحا فيقول أنا عملك السيئ فطالما ركبتنى فى الدنيا وأنا أراك ركبتك اليوم (الأساء ما يزرون) بشئ شيئاً يحملونه وأفاد الأ تعظم ما يذ كر بعده (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) جواب لقولهم ان هى الاحياتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو

كنتم تكفرون) يعنى هذا العذاب بسبب كفركم وجودكم البعث بعد الموت ﴿قوله تعالى﴾ (قد خسر الذين كذبوا بلفاء الله) يعنى خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى و بالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم فى دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم فى دركات الجحيم (حتى اذا جاءتهم الساعة بغثة) يعنى جاءتهم القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لانها تفجأ الناس بغثة فى ساعة لا يعلمها أحد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة يكون فى ساعة أو أقل من ذلك (قالوا) يعنى منكرو البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم فى الكفر والاعتقاد (يا حسرنا) يعنى ينادمنا والحسرة التلهف على الشئ الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة (على ما فرطنا) يعنى قصرنا (فيها) يعنى فى الدنيا لانها موضع التفر بط فى الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرنا على الاعمال الصالحة التى فرطنا فيها فى دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبرى الهاء والالف فى قوله فيها تعود الى الصفة ولكن اكتبى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلفاء الله عليهم من ذلك (قالوا) يعنى منكرو البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم فى الكفر والآية قد وكس الذين كذبوا بلفاء الله يبيعهم الإيمان الذى يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذى يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغثة ورأوا ما لحقهم من الخسران فى بيعهم قالوا حينئذ يا حسرنا على ما فرطنا فيها وروى الطبرى بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله يا حسرنا قال يرى أهل النار منازلهم فى الجنة فيقولون يا حسرنا وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم) يعنى أثقالهم (على ظهورهم) والاوزار الخطايا والذنوب وأصل الوزر النقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب أوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدى ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شئ صورة وأطيبه ريحاً فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فأركبني فقد طالما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وقد اعنى ربكنا وأمال الكافر فيستقبله أقبح شئ صورة وأنتهز يحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتنى فى الدنيا فانا اليوم أركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال عمر بن هانىء يحشر مع كل كافر عمله فى صورة رجل قبيح كما رأى هول صورته وقبحه زاده خوفاً فيقول له بشس الجليس أنت فيقول أنا عملك طالما ركبتنى فلأركبك اليوم حتى أخرجك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذ كر فى الوزن فقد يذ كر فى الحال والصفة يقال ثقل على كلام فلان بمعنى كرهته فالعنى انهم يقاسون من ألم عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازاً عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل فى معنى الآية ان أوزارهم لاترايهم كما تقول شخصه نصب عينى أى ذكروه ملازمى (الأساء ما يزرون) يعنى بشئ شيئاً يحملونه وقال ابن عباس بشس الحمل حملوا قوله عز وجل (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أى باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكرو البعث فى قولهم ان هى الاحياتنا الدنيا وانما نحن بمعبوثين فقال الله رد اعليهم ومكذباً لهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن أو الكافر قولان أحدهما أن المراد بها حياة الكافر لان المؤمن لا يزداد بحياته فى الدنيا الا خيراً لانه يحصل فى أيام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة ما يكون سبباً لحصول السعادة فى الآخرة وأمال الكافر فان كل حياته فى الدنيا وبال عليه قال

(وان يهلكون) بذلك (الأنفسهم وما يشعرون) أي لا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضررون رسول الله وقيل عنى به أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم و بنأى عنه فلا يؤمن به والاول أشبه (ولوترى) حذف جوابه أي ولوترى لشاهدت أمرا عظيما (اذوقوا على النار) أروها حتى يعانوها وأوحسـوا على الصراط فوق النار (فقالوا يا ليتنا نرد) الى الدنيا تمنوا الردى الى الدنيا ليؤمنوا وتم تمنيمهم ثم ابتدوا بقوله (ولا) (١١) نكذب بآيات ربنا ونكون من

المؤمنين) واعدن الايمان
كانهم قالوا ونحن لانكذب
وأنؤمن ولا نكذب
ونكون حنزة وعلى
وحفص على جواب التمني
بالواو وباضار أن ومعناه
ان رددنا لم نكذب ونمكن
من المؤمنين واقفهما في
ونكون شامى (سل)
للاضراب عن الوفاء بما
تمنوا (بداهم) ظهر لهم
(ما كانوا يخفون) من
الناس (من قبل) في الدنيا
من قبائحهم وفضائحهم في
صحفهم وقيل هو في المنافقين
وانه يظهر نفاقهم الذي
كانوا يسرونه أو أهمل
الكتاب وانه يظهر لهم
ما كانوا يخفونه من صحة
نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم (ولوردوا) الى
الدنيا بعد وقوفهم على
النار (لعادوا لما همـوا
عنه) من الكفر (وانهم
لكاذبون) فيما وعدوا من
أنفسهم لا يوفون به
(وقالوا) عطف على لعادوا
أي ولوردوا لكفروا
ولقالوا (ان هي الاحياتنا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرک ما عليك غضاضة * وابشر بذلك وقرمناه عيونا
ودعوتى وعرفت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديننا قد علمت بانه * من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذر مسبة * لو جدتني سمحا بذلك ميينا
﴿وقوله تعالى (وان يهلكون الأنفسهم)﴾ يعنى لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الاعليهم (وما يشعرون)
يعنى بذلك قوله تعالى (ولوترى اذوقوا على النار) يعنى في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك
سليمان أي في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولوترى الكفار الذين
ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة قرأت أمرا عجيبا وموقفا فظيما (فقالوا) يعنى الكفار
(يا ليتنا نرد) يعنى الى الدنيا (ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) تمنوا أن يردوا الى الدنيا مرة
أخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى (بل بداهم ما كانوا يخفون من
قبل) يعنى ليس الامر كما قالوا لوردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر
والمعاصى وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين أخفوا شركهم وكنتموه فآظهروه
الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كنتموا وسترنا من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر
فعلى هذا تكون الآية في المنافقين (ولوردوا لعادوا لما هموا عنه وانهم لكاذبون) يعنى في قولهم لوردوا الى
الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (وقالوا ان هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) وهذا
خبر عن حال منكرى البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة
وأهوالها وما أعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والعاصين
قالوا يعنى الكفار ان هي أي ما هي الاحياتنا الدنيا أي ليس انما غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين
يعنى بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار
انهم لوردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴿قوله عز وجل﴾ (ولوترى اذوقوا على
رهم) يعنى على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم (قال أليس هذا بالحق) أي يقول
الله يوم القيامة أليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون
لا بعث ولا نشور حقا (قالوا بلى وربنا) يعنى انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا وقالوا بلى والله انه لحق
وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله أليس هذا بالحق يعنى البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن
عباس للقيامة موافق في موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما
كانوا ينكرونه في الدنيا (قال فدوقوا العذاب) أي يقول الله لهم ذلك أو الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله
تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس (بما

الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة او على قوله وانهم لكاذبون أي وانهم اقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الاحياتنا
الدنيا وهي كناية عن الحياة وهو ضمير القصة (وما نحن بمبعوثين ولوترى اذوقوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد
الجاني بين يدي سيده ليعاتبه أو وقفوا على جزاء ربهم (قال) جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا قال لهم ربهم اذوقوا عليه فقيل قال (أليس
هذا) أي البعث (بالحق) بالكان الموجد وهذا تعبير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو يحق (قالوا
بلى وربنا) أفرأوا كدوا الاقرار باليمين (قال) الله تعالى (فدوقوا العذاب بما

بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذا جاع الله الخلاق وراى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعنا ننتجوع أهـ ل التوحيد فاذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله بنا ما كنا مشركين فبيختم الله على أفواههم (١٠) فنشهد عليهم جوارحهم (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون)

على أنفسهم يعنى اعتذارهم بالباطل وتبرؤهم من الاصنام والشرك الذى كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه فى دار الدنيا وذلك لانه ينفعهم وهو قوله (وضل عنهم) يعنى زال عنهم وذهب (ما كانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله فى ذلك اليوم ﴿قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك) الآية قال السكبي اجتمع أبو سفيان صخر بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعمتة وشيبة ابنا ربيعة وأميمة وأبي ابن أخاف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر بأفريقية ما يقول محمد قال ما أدرى ما يقول الا أنى أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان انى لأرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشئ من هذا وفى رواية للموت أهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعنى الى كلامك وقراءتك يا محمد (وجعلنا على قلوبهم أكنة) يعنى أغطيتهم جمع كنة (أن يفقهوه) يعنى لثايفه وهه أو كراهية أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يعنى وجعلنا فى آذانهم صمما وثقلا وفى ذليل على ان الله تعالى يقاب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايان فتقبله ويجعل بعضها فى أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) يعنى كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعنى لا يصدقوا بها ولا يقروا أنها دالة على صدقك (حتى اذا جاؤك بجدالونك) يعنى انهم اذا رأوا الآيات واستمعوا القرآن نما جاؤا بجدالونك ويخاصموك لا يؤمنوا بها (يقول الذين كفروا ان هذا) أى ما هذا القرآن (الا أساطير الاولين) يعنى أحاديث الاولين من الامم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم وما سطر وايعنى وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحد اسطر وأسطار جمع وأسطير جمع الجمع فعلى هذا القول قائل لم عابوا القرآن وجعلوه أساطير الاولين وقد سطر الاولون فى كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله أجب عنه بانهم انما نسبوا القرآن الى أساطير الاولين بمعنى أنه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو أخبار مجردة كما تروى أخبار الاولين وقيل فى معنى أساطير الاولين انها الترهات وهى عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشككة يقول قائلهم أخذنا فى الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكك الذى لا يعرف فجعلت الترهات مثلاما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشككة الغامضة التى لا أصل لها ﴿قوله عز وجل (وهم ينهون عنه) يعنى ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينأون عنه) يعنى ويتباعون عنه بانفسهم نزلت فى كفر مكة كانوا ينعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت فى أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى يروى أنه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذنا من أصبحنا وجهها ودفع الينا محمد اقل ما أنصفقتونى أدفع اليكم انى محمد التقتلوه وأرأى لكم انبكم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا بأطال الى الايمان فقال لولا تعبرى فى قرأيش لا قررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حبيت وقال فى ذلك آياتا

الहितه وشفاعته (ومنهم من يستمع اليك) حين تلو القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدرى ما يقول محمد الا انه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان انى لاراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطيتهم جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة (أن يفقهوه) وفى كراهية أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) نقلنا عن السمع ووجد الوقر لانه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة انما فى الاصلح على المعتزلة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) حتى اذا جاؤك بجدالونك يقول الذين كفروا) حتى هى التى تقع بعدها الجمل والجلة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك فى موضع

الحال ويجوز أن تكون جارة ويكون اذا جاؤك فى موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا وتفسيره والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك و بنا كرونك وفسر مجادلونك بانهم يقولون (ان هذا) ما القرآن (الا أساطير الاولين) فيجعلون كلام الله كاذب رواحد الاسطير اسطورة (وهم) أى المشركون (ينهون عنه) ينهون الناس عن القرآن وعن الرسول واتباعه والايان به (وينأون عنه) وبعدون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون والله

(الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل (يعرفونه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته وبعته
الثابت في الكتابين (كيعرفون أبناءهم) بجلاهم ونعوتهم وهذا استشهد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب وبصحة نبوته ثم قال (الذين
خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) (٩) به (ومن أظلم) استهفاهم يتضمن
معنى النبي أي لأحد أظلم

لنفسه والظلم وضع الشيء في
غير موضعه وأشغعه اتخاذ
المخوق معبوداً (من افترى)
اختلق (على الله كذباً)
فيصنفه بما لا يليق به
(أو كذب بآياته) بالقرآن
والمعجزات (أنه) ان الامر
والشأن لا يفلح الظالمون
جمعوا بين أمرين باطلين
فكذبوا على الله مالا يحبه
عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة
حيث قالوا الملائكة بنات
الله وسموا القرآن
والمعجزات سحراً (ويوم
نحشرهم) هو مفعول به
والتقدير واذا كر يوم
نحشرهم (جميعاً) حال من
ضمير المفعول (ثم نقول
للذين أشركوا) مع الله غيره
توبخا وبالبياء فبهما يعقوب
(أين شركاؤكم) آلهتكم
التي جعلتموها شركاء الله
(الذين كنتم تزعمون) أي
تزعمونهم شركاء خذف
المفعولان (ثم لم تكن
وبالبياء جزوة على) فتنهم
كفرهم (الأن قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين) يعني
ثم لم تكن عاقبة كفرهم
الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا

آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم المراد بالذين أتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين
كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اناس اناعناك
اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وأنكروا معرفته بين الله عز وجل ان شهادته له كافية
على صحة نبوته وبين في هذه الآية انهم يعرفونه وأهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه وروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل أنزل على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم بركة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد
الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولأن أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابي
فقال عمر وكيف ذلك قال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما يصنع النساء ﷺ وقوله تعالى (الذين خسروا
أنفسهم) يعني أهل كوا أنفسهم وغبنوها أو بقوها في نار جهنم بأنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي
الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما انه صفة للذين الاولي ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين
يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم ويحسدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين (فهم لا يؤمنون) يعني به
والقول الثاني أنه كلام مبتدأ ولا تعاق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وذكر وافي معنى الخسار وجهين أحدهما انه الهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني آدم منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار فاذا كان
يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك
هو الخسران ﷺ قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) يعني ومن أشد عناداً وأخطأ فعلاً وأعظم
كفراً ممن اختلق على الله كذباً فزعم ان له شر يكامن خلقه والها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة
الاصنام وأدعى ان له صاحبة وولداً كما قالت النصارى (أو كذب بآياته) يعني كذب بحجته واعلام أدلته
التي أعطاها رسوله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذي أنزله على محمد
صلى الله عليه وسلم (انه لا يفلح الظالمون) يعني انه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله
الباطل (ويوم نحشرهم جميعاً) أي اذ كر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين
أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) يعني انهما تشفع لكم عند ربكم ﷺ قوله عز وجل (ثم لم تكن
فتنتهم) يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة
لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى اطفيف وذلك ان الرجل يفتن
بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا
بمحببة الاصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحببتهم للاصنام الا
ان تبرؤا منها ﷺ وهو قوله تعالى (الأن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة
الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا انكم الشرك اعلمنا نتجوع مع أهل التوحيد فيقولون والله
ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر ﷺ قال الله تعالى (انظر
كيف كذبوا على أنفسهم) يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا

(٢ - (خازن) - ثاني) عليه الا الجود والتبرؤ منه والخلق على الانتفاء من التدين به أو ثم لم يكن جوابهم الا أن
قالوا فسمى فتنة لانه كذب و برفع الفتنة مكي وشامى وحقق فن قرأتك بالباء و رفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر
أي لم تكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أي لم يكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة
جعل على الملقاة بنا جزوة وعلى على النداء أي يار بنا وغيرها بالجر على النعت بن اسم الله (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم)

تميز وأى كلمة يراد بها بعض
ماتضاف اليه فاذا كانت
استفهاما كان جوابها
مسمى باسم ما ضيفت اليه
وقوله (قل الله) جواب
أى الله أ كبر شهادة فأنه
مبتدأ والخبر محذوف
فيكون دليلا على انه يجوز
اطلاق اسم الشئ على الله
تعالى وهذا لان الشئ اسم
للموجود ولا يطلق على
المعدوم والله تعالى موجود
فيكون شيا ولذا نقول الله
تعالى شئ لا كالاشياء ثم
ابتدأ (شهيد بينى وبينكم)
أى هو شهيد بينى وبينكم
ويجوز أن يكون الجواب
الله شهيد بينى وبينكم لانه
اذا كان الله شهيدا بينه
وبينهم فاكبر شئ شهادة
شهيد له (وأوحى الى هذا
القرآن لانذركم به ومن
بلغ) أى ومن بلغه القرآن
الى قيام الساعة فى الحديث
من بلغه القرآن فكأنما
رأى محمد صلى الله عليه وسلم
ومن فى محل النصب بالعطف
على كم والمراد به أهل مكة
والعائد اليه محذوف أى
ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير
القرآن (أنتم تشهدون
أن مع الله آلهة أخرى)
استفهام انكار وتبكيه
(قل لأشهد) بما تشهدون
وكرر (قل) توكيدا (انما

عز وجل (وهو الحكيم) يعنى فى أمره وتديه عباده (الخير) يعنى باعمالهم وما يصلحهم ﴿ قوله عز وجل
(قل أى شئ أ كبر شهادة) قال السكبي أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أرنا من يشهد
أنك رسول الله فأنال ترى أحدا يصدقك ولقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فرعموا ان ليس لك عندهم ذكر
فانزل الله عز وجل قل يعنى يا محمد هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحسدون نبوتك من قومك أى شئ
أ كبر شهادة يعنى أعظم شهادة فان هم أجابوك والا (قل) أنت يا محمد (الله شهيد بينى وبينكم) قال مجاهد
أمر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسأل قريشا أى شئ أ كبر شهادة ثم أمر أن يخبرهم فيقول الله شهيد بينى
وبينكم يعنى يشهدلى بالحق وعليكم بالباطل الذى تقولونه والحاصل انهم طلبوا شاهد مقبول القول يشهد
له بالنبوة فبين الله تعالى بهذه الآية أن أ كبر الاشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد
بقوله (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به) يعنى ان الله عز وجل يشهدلى بالنبوة لانه أوحى الى هذا القرآن
وهو معجزة لانكم أتم الفصحاء البلغاء وأصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا
كان نزوله على شهادة من الله باني رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعنى أوحى الى هذا القرآن لا خوفكم به
واحذركم مخالفة أمر الله عز وجل (ومن بلغ) يعنى وانذر من بلغه القرآن من ياتى بعدى الى يوم القيامة من
العرب والعجم وغيرهم من سائر الامم فكل من بلغ اليه القرآن وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم وكه وقال انس بن مالك لما نزلت
ابن كعب القرظي من بلغه القرآن فأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكله وقال انس بن مالك لما نزلت
هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل (خ)
عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عنى ولو آية واحدة عن بنى اسرائيل
ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار * شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بالبلاغ
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الى من بعد من قرآن وسنة وقوله واحد ثوان عن بنى اسرائيل ولا حرج الحرج
الضيق والأثم ومعنى الحديث انه مهما قاتم عن بنى اسرائيل فانهم كانوا فى حال أ كثر مما قاتم وأوسع وليس
هذا فيه اباحة الكذب والاختبار عن بنى اسرائيل لكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على بعض البلاغ وان
لم يتحقق ذلك بنقل لانه أمر قد تعذر بعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه الترمذى
وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه حتى
يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع
منكم ويسمع من يسمع منكم أخرجه أبو داود وموقوفه وقوله تعالى (أنتم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى)
يعنى قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين يتخذونك واتخذوا آلهة غيرى انكم أيها المشركون تشهدون أن
مع الله آلهة أخرى يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها وانما قال أخرى لان الجميع باحقه التأييد كما قال تعالى والله
الاسماء الحسنى فبالب القرون الاولى ولم يقبل الاول والاواين (قل لأشهد) يعنى قل يا محمد هؤلاء
المشركين لأشهد بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أجد ذلك وأنكره (قل انما هو اله واحد) يعنى
قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أشهد (وانتى ترى مما تشركون) يعنى وأنا ترى
من كل شئ أعبدونه سوى الله وفى هذه الآية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه
لان كلمة انما تفيد الحصر والفتحة الواحد صريح فى التوحيد ونفى الشريك فثبت بذلك استحباب التوحيد
وسلب كل شرك والتبرؤ من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من أسلم أن يأتى
بالشهادتين ويرأى من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانتى ترى مما تشركون ﴿ قوله عز وجل (الذين

هو اله واحد) ما كافة لان عن العمل وهو مبتدأ والخبره وواحد صفة أو بمعنى الذى فى محل النصب بان وهو مبتدأ آيتناهم

والخبره والجملة صلة الذى وواحد خبران وهذا الوجه أوقع (وانتى ترى مما تشركون) به (الذين

أحدهما أنافظرتها أي
ابتدأتها (وهو يطعم ولا
يطعم وهو يرزق ولا يرزق
أي المنافع كلها من عنده ولا
يجوز عليه الانتفاع (قل
إني أمرت أن أكون أول
من أسلم) لان النبي سابق
أتمته في الاسلام كقوله
وبذلك أمرت وأنا أول
المسلمين (ولان تكون من
المشركين) وقيل لى
لان تكون من المشركين
ولو عطف على ما قبله لفظا
لقليل وأن لا أكون والمعنى
أمرت بالاسلام ونهيت
عن الشرك (قل إني أخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم) أي إني أخاف
عذاب يوم عظيم وهو القيامة
ان عصيت ربي فالشرط
معتزض بين الفاعل
والمفعول به محذوف
الجواب (من يصرف عنه)
العذاب (يومئذ قدرجه)
الله الرحمة العظمى وهي
النجاة من يصرف حمزة
وعلى وأبو بكر أي من
يصرف الله عنه العذاب
(وذلك الفوز المبين)
النجاة الظاهرة (وان
مسك الله بضر) من مرض
أو فقر أو غير ذلك من بلايا
(فلا كاشف له الا هو) فلا
قادر على كشفه الا هو

والارض ومبدعهما ومبتدئهما (وهو يطعم ولا يطعم) يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه
بالغنى عن الخلق واحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته أن يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم
لاستغناؤه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غنى عن الخلق ومن كان كذلك وجب أن يتعذر با وناصر
ووليا ومعبود (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم) يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني
أمرت أن أستسلم لامر الله وأنقاد الى طاعته (ولان تكون من المشركين) يعني وقيل لى يا محمد لان تكون من
المشركين (قل إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يعني قل يا محمد لولا ان المشركين الذين دعوك الى
عبادة غيرى ان ربي أمرنى أن أكون أول من أسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه وإني أخاف ان عصيت ربي
فعبدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة (من يصرف عنه) يعني العذاب (يومئذ) يعني
يوم القيامة (فقد رحمه) يعني بان أنجاه من العذاب ومن أنجاه من العذاب فقد رحمه وأناله الثواب لمحاللة
واعماذ كرا الرحمة مع صرف العذاب لثلاثتهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب
عنه (وذلك الفوز المبين) يعني أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين ﷻ قوله تعالى
(وان يمسك الله بضر) يعني بشدة وبلياة والضر اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكر وه وغير ذلك مما
هو فى معناه (فلا كاشف له الا هو) يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل (وان يمسك بخير) يعني
بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك (فهو على كل شيء
قدير) يعني من دفع الضر وجاب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى
الله لانه هو القادر على أن يمسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على اىصال الخير اليك وانه
لا يقدر على ذلك الا هو فاتخذه وليا وناصر او معيناً وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام
لكل أحد والمعنى وان يمسك الله بضر أيها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسك بخير أيها
الانسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر واىصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فقال لى يا غلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسأل
الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله
لك وان اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليكم رفعت الاقلام وجفت الصحف
أخرجه الترمذى زاد فيه رزين تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله
بالرضا فى اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما نكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج
مع الكرب وان مع العسر يسرا وان يغلب العسر يسرا قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا أو مثله بطوله فى
مسند أحمد بن حنبل ﷻ قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم
مقهورون تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذى يدبر خلقه بما يريد فيقع فى ذلك ما يشق عليهم ويشمل
ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه رد دبيره والخروج من تحت قهره
وتقديره وهذا معنى القاهر فى صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذى لا يجزئه شيء أرادته ومعنى فوق عباده
هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما اعلاهم به من الاقتدار والقهر الذى لا يقدر
أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير
الطبرى معنى القاهر المتعبد خلقه العالى عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن
صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذل لهم العالى عليهم
بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذى تفرد به الله

(وان يمسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شيء قدير) فهو قادر على ادامته وازالته (وهو القاهر) مبتدأ وخبر أى الغالب المقدر

(فوق عباده) خير بعد خبر أى عال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه

تقر برهلم أي هولته لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدر وين ان تضيق فوامنه شيئاً إلى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أصل كتب
أوجب ولكن لا يجوز الاجراء (٦) على ظاهره اذ لا يجب على الله شيء للعبد فلما راد به انه وعد ذلك وعدا

ان ذلك لله الذي يهر كل شيء وملك كل شيء واستعبد كل شيء لا للاصنام التي تعبدونها انتم فانها أموات لا تملك
شيئاً ولا تملك لنفسها ضرراً ولا نفعاً وانما أمره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وكذا في الحجّة
ولما بين الله تعالى كمال قدرته ونصرته في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحمته واحسانه اليهم فقال تعالى (كتب
على نفسه الرحمة) يعني انه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا الاستعطف منه للمتولين عنه الى الاقبال
عليه واخبار بان رحيم بعباده وانه لا يجمل بالعتوبة بل يقبل التوبة والانابة بمن تاب وأتاب (ق) عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتابه عنده فوق العرش ان رحمتي
تغاب غضبي وفي البخاري ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده
فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه كتبه على
نفسه فهو موضوع عنه زاد البخاري على العرش ثم انفق ان رحمتي تغاب غضبي (ق) عن أبي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في
الارض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافر ها عن ولدها خشية أن تصيبه زاد
البخاري في روايته ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي
عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس
والبهائم والهوام فيها نية عاطفون وبها يتراحون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعاً وتسعين
رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (م) عن سامان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
يوم خلق السموات والارض مائة رحمة لكل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض رحمة فيها
تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكلها بمنه الرحمة (ق)
عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تبغني اذا وجدت صبياً في السبي
أخذته فالصلمته يبطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في
النار قلنا لا والله وهي تقدر أن لا تطرحه فقال صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها وقوله
تعالى (ليجمعنكم) التام في قوله ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) يعني في يوم
القيامة وقيل معناه في قبوركم الى يوم القيامة (لا ريب فيه) أي لا شك في انه أت (الذين خسروا أنفسهم)
يعني بالشرك بالله أو غبنوا أنفسهم بتخاذهم الاصنام فعرضوا أنفسهم لخط الله وأليم عقابه فكانوا كمن
خسر شيئاً وأصل الخسار الغبن يقال خسرت الرجل اذا غبت في بيعه (فهم لا يؤمنون) يعني لما سبق عليهم القضاء
بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان ﴿ قوله تعالى (وله ما سكن في الليل والنهار) يعني وله
ما استقر وقيل ما سكن وما تحرك فاكتفي بذلك كراهة ما عن الآخر وقيل انما خص السكون بالذكري لان
النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد
منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يقيد الحصر
والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا غيره (وهو السميع) لا قواهم وأصواتهم (العليم) بسر أئهم
وأحوالهم ﴿ قوله عز وجل (قل غير الله اتخذوا لولا) قال مقاتل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى دين أبانه أنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد غير الله اتخذوا لولا يعني رباً ومعبوداً وانصروا ومعينا
وهو استفهام ومعناه الانكار أي لا اتخذ غير الله ولولا (فاطر السموات والارض) أي خالق السموات

مؤكداً وهو منجزه لا محالة
وذكر النفس للاختصاص
ووقع الوسائط أوعدهم
على اغفالهم النظر
واشراهم بهم من لا يقدر على
خلق شيء بقوله (ليجمعنكم
الى يوم القيامة) فيجازيكم
على اشراكم (لا ريب)
فيه) في اليوم أو في الجمع
(الذين خسروا أنفسهم)
نصب على الذم أي أريد
الذين خسروا أنفسهم
باختيارهم الكفر (فهم
لا يؤمنون) وقال الاخفش
الذين بدل منكم في
ليجمعنكم أي ليجمعنكم
هؤلاء المشركين الذين
خسروا أنفسهم والوجه
هو الاول لان سببويه قال
لا يجوز صررت في المسكين
ولابك المسكين فتجعل
المسكين بدلا من الياء أو
الكاف لانها في غاية
الوضوح فلا يحتاجان الى
البديل والتفسير (وله)
عطف على الله (ما سكن في
الليل والنهار) من السكني
حتى يتناول الساكن
والمتحرك أو من السكون
ومعناه ما سكن وتحرك فيهما
فاكتفي باحد الضدين عن
الآخر كقوله تعالى (ليس
أي الحسر والبرد وذكر
السكون لانه أكثر من الحركة

وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا انه خالق الكل ومدبره (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم والارض
كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان (قل غير الله اتخذوا) ناصر او معبود او هو مفعول ثان لاتخذوا الاول غير وانما دخل
همزة الاستفهام على مفعول لاتخذوا لانه لا ينفك عن الايمان في اتخاذ الوالي فيكون أحق بالتقديم (فاطر السموات والارض)

(لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) نعمنا وعناد الحق بعد ظهوره (وقالوا لولا هلا (أنزل عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبي فقال الله (ولوأ نزلنا ملكا لقضى الامر) لقضى أمر هلاكهم (ثم لا ينظرون) لا يهتدون بعد نزوله طرفه عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامر بين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو (٥) جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقرعون تارة

بالشيء من الرؤية لان المرئيات قديد خيلها التخيلات كالسحر ونحوه بخلاف المسموس (لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) يعني لو أنزلنا عليهم كتابا كما سألو لما آمنوا به وبقاوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشاق القمر وانه لا ينفخ معهم شيء لما سبق في فهم من علمي بهم (وقالوا) يعني مشركي مكة (لولا) يعني هلا (أنزل عليه) يعني على محمد (ملك) يعني نراه عيانا (ولوأ نزلنا ملكا لقضى الامر) يعني لفرغ الامر ولو لوجب العذاب وهذه سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به (ثم لا ينظرون) يعني انهم لا يهتدون ولا يؤخرون طرفه عين بل يجعل لهم العذاب (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يعني لو أنزلنا عليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لا يستطيعون أن ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملك الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك اتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهما السلام ولم ارى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خاق عليها صعق لذلك وغشى عليه قوله تعالى (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقال لبست الامر على القوم اذا شبهتهم عليهم وجعلتهم مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية واخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدركوا ملكا هو أم آدمي وقيل في معنى الآية اننا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشر فاعتودوا المسئلة بحالها ان الارضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبس وانما كان تلبس الانهم يظنون أنه ملك وليس ملك أو يظنون انه بشر وليس هو بشر وانما كان فعلهم تلبس الانهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر منكم ولو رأوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق بضعة فاتهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخيل في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل (واقداستهزئ برسل من قبلك) يعني كما استهزؤا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليمة له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له أسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (خاق) أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل (بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزؤن) والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النعمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سير وافي الارض) أي قل يا محمد هو لاء المستهزئين سير وافي الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر نظرة فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أو رهم الكفر والتكذيب اهللاك خذركفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز وجل (قل لمن مافي السموات والارض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد هو لاء المكذبين العادلين برهم لمن ملك مافي السموات والارض فان أجابوك والا فآخبرهم

لانهم كانوا يقرعون تارة ولولا أنزل على محمد ملك بشرا مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يتقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم ما يلبسون) واخلطنا وأشكنا عليهم من أمره اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم وألبسته اذا شبهته وأشكته عليهم ثم سلى نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله (واقداستهزئ برسل من قبلك خاق بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزؤن) فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم ومنهم متعلق بسخروا كقوله فيسخرون

منهم والضمير للرسول والدال مكسورة عند أبي عمر ووعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التاء (قل سير وافي الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فكأنه قيل سير واجل النظر ولا تسير واسير الغافلين ومعنى سير وافي الارض ثم انظروا والباحة السير في الارض للتجارة وغيره او ايجاب النظر في آثارها الساكنين ونبه على ذلك بتم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن مافي السموات والارض) من استفهام وما به في الذي في موضع الرفع على الابتداء ولما خبره (قل لله)

يعلم سرهم وجههم (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشرو وينيب عليه ويعاقب ومن في (وما تأتوهم من آية) للاسرافاق وفي (من آيات ربهم) للتبعيض أى وما يظهر لهم دلائل قط من الأدلة التى يجب فيها النظر والاعتبار (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر لا يلتفتون اليها قلة خوفاً منهم وتدبرهم فى العواقب (٤) (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد

كذبوا (بالحق لما جاءهم)

وبالجهر ما يظهره الانسان فهو عين أعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى عليه خافية فى السموات ولا فى الارض (ويعلم ما تكسبون) يعنى من خير أو شر بقى فى الآية سؤال وهو ان الكسب اما أن يكون من أعمال القلوب وهو المسمى بالسرا أو من أعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالأفعال لا تخرج عن هذين النوعين يعنى السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون يقتضى عطف الشئ على نفسه وذلك غير جائز فمعنى ذلك وأجيب عنه بأنه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أى مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب والالزم عطف الشئ على نفسه ذكره الامام نضر الدين (وما تأتوهم) يعنى لاهل مكة (من آية من آيات ربهم) يعنى من المعجزات الباهرات التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) يعنى الا كانوا لها تاركين وبها مكذبين (فقد كذبوا بالحق) يعنى بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبماتى به من المعجزات (لما جاءهم الحق) من عند ربهم كذبوا به (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزؤن) يعنى فسوف يأتيهم أخبار استهزأهم اذا عذبوا فى الآخرة ﴿ قوله تعالى (المبروا) الخطاب لكفار مكة يعنى لم يروهؤا لكذبون باياتى (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامة من الناس وأهل كل زمان قرن سمو بذلك لا قرانهم فى الوجود فى ذلك الزمان وقيل سمي قرن لانه زمان بزمان وأمة بامة واختلفوا فى مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازنى انك تعيش قرن نافع اس مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن أهل الذين وجدوا فيه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعنى أصحابى وتابعيهم وتابعى التابعين (مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم) يعنى أعطيناهم ما لم نعطيكم بأهل مكة وقيل أمددناهم فى العمر والبسطة فى الاجسام والسعة فى الارزاق مثل اعطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) مفعال من الدر يعنى وأرسلنا المطر متتابعاً فى أوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك انزوله منها (وجعلنا الانهار تجري من تحتم) يعنى وجعلناهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين (فاهلكناهم بذنوبهم) يعنى بسبب ذنوبهم وكفرهم (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) يعنى وخلقنا من بعدهم هلاك أولئك أهل قرن آخرين وفى هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السابقة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع أهلكناهم لما كفروا وطفقوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عدداً وعداداً وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ﴿ قوله عز وجل (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) الآية قال السكيتى ومقاتل نزلت فى النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لئن نؤمن حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعها ربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس يعنى من عندى يعنى مكتوباً فى قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التى يكتب فيها (فامسوه بأيديهم) يعنى فعابوه ومسوه بأيديهم وانما ذكر اللبس ولم يذكر المعاينة لانه أبلغ فى ايقاع العلم

أى بما هو أعظم آية وأكبرها هو القرآن الذى تحذوا به فجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزؤن) أى أنباء الشئ الذى كانوا يستهزؤن وهو القرآن أى أخباره وأحواله يعنى سيعامون بأى شئ استهزؤا وذلك عند ارسال العذاب عليهم فى الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلو كلمته لم يروا يعنى المكذبين (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون (مكناهم) فى موضع جوصفة لقرن وجمع على المعنى (فى الارض ما لم نمكن لكم) التمكين فى البلاد اعطاء المكنة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال والاستظهار باسباب الدنيا (وأرسلنا السماء المطر عليهم مدرارا) كثيرا وهو حال من السماء (وجعلنا الانهار تجري من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا فى الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث المدرار (فاهلكناهم بذنوبهم) ولم يعن ذلك عنهم شيئاً (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) بدلائلهم (ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوباً (فى قرطاس) فى ورق (فامسوه بأيديهم) هولتاً كيداً لا يقبلوا وسكرت أنصارنا ومن المحتج عليهم العمى

تحتهم) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا فى الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث المدرار (فاهلكناهم

بذنوبهم) ولم يعن ذلك عنهم شيئاً (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) بدلائلهم (ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوباً (فى قرطاس) فى ورق (فامسوه بأيديهم) هولتاً كيداً لا يقبلوا وسكرت أنصارنا ومن المحتج عليهم العمى

ثم رش عليهم من نوره فن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (برهم يعدلون) يساوون به
الاولان تقول عدات هذا بدأ أي ساو بته والباء في برهم صلة للعدل لا للكفر أو ثم الذين (٣) كفروا برهم يعدلون عنه أي

يعرضون عنه فتكون الباء
صلة للكفر وصلة يعدلون
أي عنه محذوفة وعطف ثم
الذين كفروا على الحمد لله
على معنى أن الله حقيق
بالحمد على ما خلق لأنه ما
خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا
به يعدلون فيكفرون
نعمة أو على خلق السموات
على معنى انه خلق ما خلق
مما لا يقدر عليه أحد سواه
ثم هم يعدلون به مما لا يقدر على
شيء منه ومعنى ثم استعباد أن
يعدلوا به بعد وضوح آيات
قدرته (هو الذي خلقكم
من طين) من لا بداء
الغاية أي ابتداء خلق
أصلكم يعني آدم منه (ثم
قضى أجلا) أي حكم أجل
الموت (وأجل مسمى
عنده) أجل القيامة
أو الاول ما بين أن يخلق إلى
أن يموت والثاني ما بين
الموت والبعث وهو البرزخ
أو الاول النوم والثاني
الموت أو الثاني هو الاول
وتقديره وهو أجل مسمى
أي معلوم وأجل مسمى
مبتدأ والخبر عنده وقدم
المبتدأ وان كان نكرة
والخبر ظرفا وحقه التأخير
لانه تخصص بالصفة فقارب
المعرفة (ثم أتم ترون)

ومن أخطأه ضل ذكره البغوي بغير سند (ثم الذين كفروا برهم يعدلون) يعني والذين كفروا بعد هذا
البيان برهم بشر كون وأصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عدلا
من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله
برهم بمعنى عن أي عن برهم يعدلون وينحرفون من العدل عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين
كفروا برهم يعدلون دليل على معنى اظيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى
تعجب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمك وأحسنت اليك وأنت تنكرني وتجدد
احساني اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله ﴿ قوله تعالى (هو الذي خلقكم من طين) يعني انه
تعالى خلق آدم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث
وقالوا من يحيى العظام وهي رميم أعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم
بعد الموت قال السدي لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم أن يخلق آدم بعث جبريل الى الارض ليأتيه بقبضة من فصال
الارض اني أعوذ بالله منك أن تقبض مني فرجع ولم يأخذ منها شيئا فقال يارب عاذت بك فبعث الله
ميكائيل فاستعادت فرجع فبعث الله ملاك الموت فعادت منه فقال وأأعوذ بالله أن أخالف أمره وأأخذ من
وجه الارض غلظ الجراوع السوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر
فلذلك اختلفت أذلافهم ثم قال الله الملك الموت رحيم جبريل وميكائيل الارض ولم تر جها الاجرام اجعل
أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك عن أبي موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضه من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاجر
والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبث والطيب أخرجه أبو داود والترمذي ﴿ وأما قوله
تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) فاختلف العلماء في معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك
لأجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والأجل الثاني من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ وروى
نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجل الأجل الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان الرجل
برا تقيًا وصالًا للرحم زيد من أجل البعث الى أجل العمر وان كان فاجرًا قاطعًا للرحم نقص من أجل العمر
وزيد في أجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن
جبير الأجل الاول أجل الدنيا والأجل الثاني أجل الآخرة وقيل الأجل هو الوقت المقدر فأجل كل انسان مقدر
معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والأجل الثاني هو أجل القيامة وهو أيضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا الله
تعالى وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعني النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه وأجل
مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى أجلا يعني قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها وهو
أجل مسمى عنده يعني ان ذلك الأجل عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي
لا يطاع عليه غيره (ثم أتم ترون) يعني ثم أتم تشكون في البعث ﴿ قوله عز وجل (وهو الله في السموات
وفي الارض) يعني وهو الله في السموات والارض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال
محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات (يعلم سركم وجهركم) في الارض وقال الزجاج فيه تقديم
وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في
السموات وفي الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من أعمال القلوب

تشكون من المرية أو تجادلون من المرء ومعنى ثم استعباد أن يتموا فيه بعد ما ثبت أنه محيهم وميتهم وبعثهم (وهو الله) مبتدأ وخبر (في السموات
وفي الارض) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذي في السماء والارض وهو المعروف بالالهية فيهما
أوهو الذي يقال له الله فيهما والاول تفرغ على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق (يعلم سركم وجهركم) خبر بعد خبر أو كلام مستدأ أي وهو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

BP
130
4
K45
1910
V. 2

﴿سورة الانعام مكية﴾
وهي مائة وخمس وستون
آية كوفي أربع وستون
بصرى

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(المدلثة) تعليم اللفظ والمعنى

مع تعريض الاستغناء أى
الجدله وان لم تحمدوه
(الذى خلق السموات
والارض) جمع السموات
لانها طباق بعضها فوق
بعض والارض وان كانت
سبعة عند الجمهور فليس
بعضها فوق بعض بل بعضها
موال لبعض جعل يتعدى
الى مفعول واحد اذا كان
بمعنى أحدث وأنشأ كقوله
(وجعل الظلمات والنور)
والى مفعولين ان كان معنى
صير كقوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا وفيه رد قول
الثنوية بقدوم النور والظلمة
وأفرد النور لارادة الجنس
ولان ظلمة كل شئ تختلف
باختلاف ذلك الشئ نظيره
ظلمة الليل وظلمة البحر
وظلمة الموضع المظلم يخالف
كل واحد منها صاحبه والنور
ضرب واحد لا يختلف كما
تختلف الظلمات وقدم
الظلمات لقوله عليه السلام
خلق الله خلقه فى ظلمة

﴿تفسير سورة الانعام﴾

﴿فصل فى ذكر نزولها﴾ روى مجاهد عن ابن عباس أن سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن
وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها
سبعون ألف ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من
ليلتهم غيرت آيات منها فانها مدينت وهى قوله تعالى قل تعالوا أتت ما حرم بكم عليكم الى آخر الثلاث آيات
وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى
ولم يوح اليه شئ الى آخر الآيتين وذ كرمقاتل نحو هذا وزاد آيتين وهما قوله تعالى والذين آتينا هم الكتاب
يعلمون أنه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتينا هم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية
وروى عن ابن عباس أيضا وقتادة أنهم ما قالوا هي مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره
وقوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك
قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالسبب والحمد لله قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربى العظيم
سبحان ربى العظيم وخر ساجدا قال البغوى وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى عليه وأثلثك
السبعون ألف ملك ليله ونهاره وذ كره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿قوله عز وجل﴾ (المدلثة الذى خلق السموات والارض) قال كعب الاحبار
هذه الآية أول آية فى التوراة وآخر آية فى التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية وفى رواية
عنه ان آخر آية فى التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذى خلق
السموات والارض وخلقهم بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفى قوله
المدلثة تعليم لعباده كيف يحمدونه أى قولوا الحمد لله وقال أهل المعانى لفظه خير ومعناه الامر
أى اجدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ فى البيان من حيث انه جمع الامرين
ولو قيل اجدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد فى تفسير سورة فاتحة الكتاب
بما فيه مقصد الذى خلق السموات والارض أى اجدوا الله الذى خلق السموات والارض وانما خصهما
بالذكر لانهما أعظم الخلق فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن
الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع (وجعل الظلمات والنور) جعل هنا بمعنى الخلق أى وخلق الظلمات والنور
قال السدى يريد بالظلمات ظلمات الليل والنور نور النهار وقال الحسن يعنى بالظلمات الكفر والنور
الايمان وقيل يعنى بالظلمات الجهل والنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل
الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عن عبد الله بن عمر بن العاص عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه فى ظلمة ثم أتى عليهم من نوره فن أصابه ذلك النور اهترى

الجزء الثاني

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم
الائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الصوفي المعروف بالخازن
تعمده الله برحمته
آمين

وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود
النسفي عليه سبحانه الرحمة والرضوان

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العلمية

على نفقة

(اصحابها مصطفى الباني الحلبي وأخويه بكرى وعيسى)

(بمصر)

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

BP	al-Khazin al-Baghdadi, 'Ali ibn
130	Muhammad
.4	Tafsir al-Qur'an al-jalil
K45	
1910	
v.2	

تفسير الخزان

المسمى

لباب التأويل في معاني التنزيل

تأليف

الإمام عماد الدين علي بن محمد بن إبراهيم

البغدادي الصوفي

المعروف

بالخزان

وبهامشه

تفسير النسفي

المسمى

بمدارك التنزيل وحقائق التأويل

للإمام

أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمد

النسفي

أعدت طبعه بالأوقست مكتبة المشق ببغداد

لصاحبها

قاسم محمد الرجب